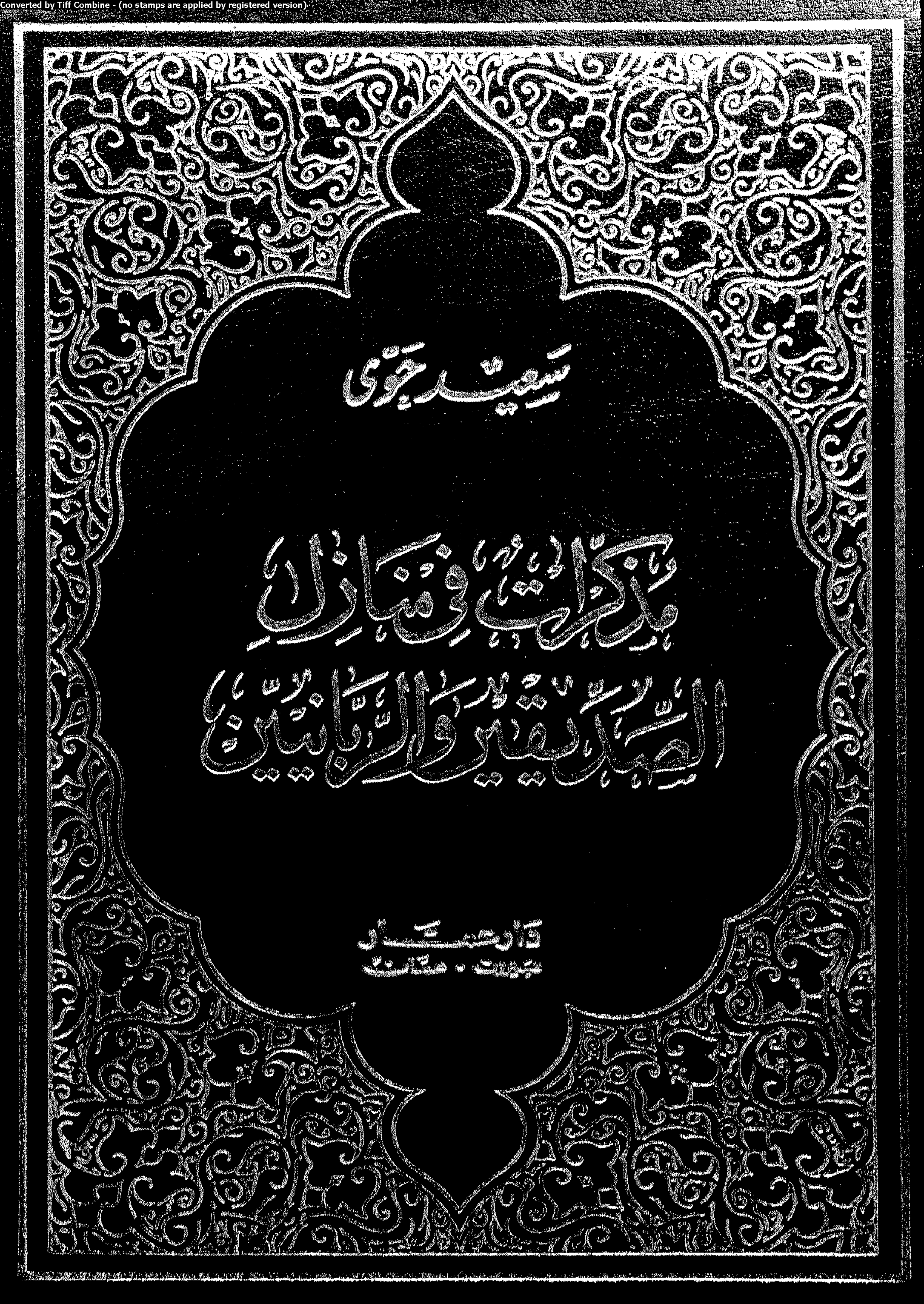

سعيد حوى
مذكرات في منازل
الصديقين والربانيين





مذكرات في منازل الصديقين والربانيين

دراسات منهجية هادفة
في التربية والتزكية
والسلوك

-٣-

مذكرات في منازل الصديقين والربانيين

سعيد حوى

دار عمار
بيروت - عمان

طبعة منقحة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

المقدمة

لقد أصيب مقامان رئيسيان من مقامات الكمال في الإسلام بضعف كبير، هما مقاما الربانية والصدّيقية، وقد تحدثنا عن هدا الموضوع في رسالتنا إحياء الربانية، ولما كان مجرد ذكر الضعف والإشارة إليه لا تغني عن معالجته فقد رأيت ـــ على ضعفي ـــ أن أكتب في هذا الشأن لاعتقادي أن الجانب النظري هو المقدمة لإحياء العمل، فالعلم يسبق العمل.

على أن هذا الموضوع شائك لأن الجهة التي ركّزت على إحيائه في الغالب وتحدثت عن مقاماته ومنازله هم الصوفية، وقد خالط كلامهم الكثير الذي هو محل نظر أو اعتراض أو انتقاد فمن أراد الحديث عنه لا يجد مناصاً من أن يبني على كلامهم، وهذا يثير حساسيات شتى، **وحسبي أن ما سأذكره في هذا الكتاب له دليله الواضح من الكتاب والسُّنة، أو ما استنبط منهما بطرق صحيحة من أهله، وحسبي أنني أريد أن أتحدث عن مقامين نصّ عليهما الكتاب والسُّنَّة بوضوح وصراحة، وقلّ التفطن لدقائقهما، فكان لا بد من بذل جهد في عصرنا الخاوي الجائع القلب، العطش الروح.**

* * *

تأتي كلمة الصدّيق في اللغة[1] وفي النصوص ويراد بها معنيان :

المعنى الأول : المبالغة في التصديق.

---

(١) انطر مختار الصحاح، مادة صدق.

والمعنى الثاني :المبالغة في الصدق.

قال الله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾[1]

فتصديقهم جعلهم صديقين. وقال عليه الصلاةِ والسلام : « لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » فهؤلاء بمبالغتهم في الصدق وتحريهم له أصبحوا صديقين.

وأما الربانية فإنها صديقية وزيادة، فمبنى الصديقية على معرفة الله والعبودية له، أما الربانية فهي مع ذلك علم وتعليم ونصيحة وشهادة على الخلق وحكم بما أنزل الله وأمر بمعروف ونهي عن منكر، كما سنرى في النصوص فهي رتبة الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ في علمه وحاله وهيئته وصفاته وأخلاقه عليه الصلاة والسلام إلا ما كان من خصوصياته عليه الصلاة والسلام وإلا صفة النبوة والرسالة.

ومن تأمّل النصوص الواردة في الصديقين أو الربانيين علم أن في هذين المقامين دقائق في الإيمان والأخلاق والسلوك جعلت لأهلهما ذلك المقام الرفيع عند الله، فهم السابقون وهم المقربون فلهم ميزة على أصحاب اليمين من الصالحين، قال تعالى في سورة الواقعة : ﴿ **والسابقون السابقون أولئك المقربون** ﴾ وقال تعالى في خاتمة السورة: ﴿ **فأما إن كان من المقربين * فَرَوْحٌ وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين** ﴾[2] ولقد درج على ألسنة الخاصة والعامة قولهم : حسنات الأبرار سيئات المقربين. مما يفهم منه أن للسابقين من الكمالات ما ليس لغيرهم، ويدقق عليهم أكثر من غيرهم.

ولقد حاول أئمة أعلام أن يتحدثوا عن مقامات السابقين ومنازلهم التي بها حصلوا مقام السبق وكان من أعلام هؤلاء أبو القاسم القشيري ـــ المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ـــ في الرسالة القشيرية، والإمام الغزالي ـــ المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ـــ في رسائله وكتبه

---

(١) سورة الحديد: (١٩).

(٢) سورة الواقعة: (٨٨ ـــ ٩١).

التربوية، وابن عطاء الله السكندري المتوفى ــ سنة ٧٠٩ هـ ــ في حِكَمِهِ، وكان لابن عطاء ــ بحكم تأخره ــ نوع إحاطة واستفادة من كتب الماضين، مما جعل في حِكمه كثير فائدة جعلتنا نحاول من خلالها أن نتحدث عن منازل الصديقين والربانيين، مع الاستفادة من كتب أخرى، **ومع الإلحاح على إرجاع المعاني إلى النصوص.**

* * *

وواضح من خلال النصوص أن الصدّيقية أعمال وأحوال قلبية، فالتصديق في الأصل عمل قلبي، والصدق عمل لساني، وقد حاول القشيري في رسالته أن يتحدث عن منازل الصدّيقين في الأعمال، وعن منازلهم القلبية في الأحوال والمقامات، وقد ذكر من منازل الأعمال :

التوبة والمجاهدة والخلوة والعزلة والتقوى والورع والزهد والصمت والجوع وترك الشهوات والتواضع ومخالفة النفس وترك الحسد والغيبة والتحقق بالقناعة والحزن والتشكر والصبر والمراقبة والرضا والعبودية والإرادة والاستقامة والصدق والحياء والحرية من رق المخلوقات والذكر والفتوة والخُلق والجود والسخاء والغيرة لله والدعاء والافتقار إلى الله والأدب في السفر والصحبة والسماع والتحقق بالتوحيد والمعرفة لله وحفظ قلوب المشايخ ومراعاة أدب الوقت والقيام بالفرائض والواجبات والالتزام بالسنن، وذكر في ثنايا كلامه أشياء أخرى كثيرة.

وذكر القشيري من منازل المقامات القلبية والأحوال الشريفة التي تستتبع الأعمال أو تكون من محض فضل الله عز وجل :

الولاية والفراسة والإخلاص والتوكل واليقين والرجاء والخوف وتمييز الخواطر والشعور بالقرب،....إلخ من الأحوال والمقامات.

وهذا الذي ذكره القشيري، منه ما يصل إليه مريد الصديقية المجردة ومنه ما يصل إليه الربانيون وهم الشيوخ الكُمَّل، وقد استوعبت حكم ابن عطاء ما كان كمالاً في حق هؤلاء أو في حق هؤلاء، ولذلك نجد بعض الحكم ألصق بخطاب المريدين السالكين، وبعضها ألصق بخطاب الشيوخ المربين العارفين الربانيين.

أما الغزالي فقد اعتبر الصدق الذي به يكون الإنسان صديقا على ستة أنحاء : صدق اللسان، وصدق النية والإرادة ومرجعه إلى الإخلاص، وصدق العزم، وصدق الوفاء، والصدق في الأعمال، والصدق في مقامات الدين.

قال : فإن كان صادقاً في الجميع فهو الصدّيق -حقاً.

وخصص قسماً من كتابه الإحياء لتبيان العلم الذي يكون به الإنسان ربانيّاً، وذكر آداب الربانيين في العلم والتعليم، وقد تعرضت الحِكَم للأعمال والأحوال التي يكون بها الإنسان صديقاً أو ربانياً دون الدخول في تفصيلات مدرسية.

* * *

ونحن نعتبر أن أصل التوجه للبحث عن أخلاق الصديقين والربانيين وعن منازلهم في الأعمال والأحوال والمقامات صحيح، والبحث عن الوسائل والأسباب المشروعة التي تساعد على التحقق بذلك مطلوب شرعاً ؛ ولكن حدثت ملابسات وتوهمات وأغلاط عند بعض الجهات التي تكلمت في هذه الشؤون، وأقصد بعض الذين حملوا لواء التصوف، فأساءت إلى هذا العلم، وسبب ذلك المخالفة لبعض الأصول التي انبثق عنها علم التصوف والضوابط التي وضعها أعلامه، ومن ذلك :

أولاً : إن علم التصوف عَلَمٌ على صدق التوجه إلى الله بالعبادة والزهد على مذاهب أهل السنة والجماعة.

قال أبو القاسم القشيري في رسالته بعد أن ترجم لبعض أعلام التصوف :

(هذا هو ذكر جماعة من شيوخ هده الطائفة، كان الغرض من ذكرهم في هذا الموضوع التنبيه على أنهم مجمعون على تعظيم الشربعة، متصفون بسلوك طرق الرياضة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلين بشيء من آداب الديانة، متفقون على أن من خلا من المعاملات والمجاهدات ولم يَبْنِ أمره على أساس الورع والتقوى كان مفترياً على الله سبحانه وتعالى فيما يدعيه، مفتوناً هلك في نفسه وأهلك من اغتر به ممن ركن إلى أباطيله).

وقال في مقدمة الرسالة :

(اعلموا ــ رحمكم الله تعالى ــ أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يتسم

أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله ﷺ إذ لا فضيلة فوقها فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمّي من صحب الصحابة التابعين ورأوا ذلك أشرف سمة، ثم قيل لمن بعدهم أتباع التابعين، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين الزهاد والعبَّاد، ثم ظهرت البدع وحصل التداعي بين الفرَق فكل فريق ادعوا أن فيهم زهاداً فانفرد خواص أهل السُّنَّة المراعون أنفَاسهم مع الله تعالى الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة).

ومن ههنا نعلم أن التصوف مبني على مذاهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد والفقه، فالصوفي مقيد في العقائد بمذهب أهل السنة والجماعة، ومقيد في الفقه بفتاوى أهل السنة والجماعة، والسير على مذاهبهم الاعتقادية، ويحكم ذلك كله الكتاب والسّنة فهو يمتاز على غيره بالعمل والتحقق.

وهذه نماذج على ما ذكرناه من كلام أئمتهم :

قال القشيري :

(اعلموا ـــ رَحمكم الله ـــ أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، صانوا بها عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الموجود عن العدم، ولذلك قال سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله: التوحيد إفراد القدم من الحدث. وأحكموا أصول العقائد بواضح الدلائل ولائح الشواهد كما قال أبو محمد الجريري ـــ رحمه الله ـــ : من لم يقف على علم التوحيد بشاهد من شواهده زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف).

وقال الشيخ أحمد الزروق في قواعده :

(فنكفر من آل قوله لمحال في معقول العقائد، ونبدّع من آل به لذلك في منقولها إن التزم القول باللازم، وإلا نظر في شبهته، فنجري له حكمها على خلاف بين العلماء، في لازم القول).

والشيء الذي أخذناه عن شيوخنا في الله أنهم كانوا وهم يدرسوننا كتب عقائد أهل السنّة والجماعة يقولون : ما ترونه مخالفاً لهذه العقيدة الحق فارم به وردّه،

ولكن احذر أن تسارع إلى التكفير أو تحمل كلام مسلم على الاحتمال الأسوأ، أو تسيء الأدب مع الذي نسب إليه القول فلعله مكذوب عليه أو مدسوس أو محمول على وجه لم تلحظه، أو تاب منه صاحبه، ولقد اعتاد أهل الورع أن يقولوا في مثل هذه الشؤون : هذا الكلام كفر والله أعلم بصاحبه.

قال الشيخ زروق في قواعده :

(فغلاة المتصوفة كأهل الأهواء من الأصوليين، وكالمطعون عليهم من المتفقهين، يرد قولهم، ويجتنب فعلهم، ولا يترك المذهب الحق الثابت بنسبتهم له، وظهورهم فيه، والله أعلم).

وقال أيضاً :

(قال ابن فورك رحمه الله : الغلط في إدخال ألف كافر بشبهة إسلامه، ولا الغلط في إخراج مؤمن واحد بشبهة ظهرت منه).

هذا في العقائد وأما في الفقه فقد قال الشيخ زروق في قواعده :

(قال : ولا تجعلوا لأحد من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن. قلت : بل يحثون على أن يجعلوا أهل الظاهر حجة لهم لا عليهم. إذ كل باطن مجرد عن الظاهر باطل. والحقيقة ما عقد بالشريعة. فافهم).

وقال أيضاً :

(فمن ثَم صحَّ إنكار الفقيه على الصوفي، ولا يصح إنكار الصوفي على الفقيه، ولزم الرجوع من التصوف إلى الفقه، والاكتفاء به دونه.

ولم يكف التصوف عن الفقه، بل لا يصح دونه، ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به، وإن كان أعلى منه مرتبة، فهو أسلم وأعم منه مصلحة.

ولذلك قيل : كن فقيها صوفياً، ولا تكن صوفياً فقيهاً.

وصوفي الفقهاء أكمل من فقيه الصوفية وأسلم، لأن صوفي الفقهاء قد تحقق بالتصوف، حالاً، وعملاً، وذوقاً.

بخلاف فقيه الصوفية، فإنه المتمكن من علمه وحاله، ولا يتم له ذلك إلا بفقه صحيح، وذوق صريح).

وأما التزامهم بالكتاب والسنة وحرصهم على المتابعة فقد قال الشيخ زروق :
(ففروعهم راجعة لاتّباع السنة، والتسليم للحكم بملاحظة الحكمة).

(قوم أثبتوا المعاني، وحققوا المباني، وأخذوا الإشارة من ظاهر اللفظ وباطن المعنى، وهم الصوفية المحققون، والأئمة المدققون. لا الباطنية، الذين حملوا الكل على الإشارة، فهم لم يثبتوا المعنى فخرجوا عن الملة، ورفضوا الدين كله. نسأل الله العافية بمنه)

ونقل القشيري في رسالته عن سعيد بن عثمان يقول : (سمعت ذا النون المصري يقول: من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه).

(ويحكى عن السري أنه قال : التصوف اسم لثلاثة معان وهو الذي لا يطفىء نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب أو السنة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله).

(وكان عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول : بلغني أن بشر بن الحارث الحافي قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقال لي : يا بشر أتدري لم رفعك الله من بين أقرانك؟ قلت : لا يا رسول الله. قال : باتباعك لسنتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي ؛ هو الذي بلّغك منازل الأبرار).

(ولما تغير على ابن عثمان الحال مزق أبو بكر قميصاً على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه وقال : خلاف السنة يا بني في الظاهر، علامة رياء في الباطن. سمعت محمد بن الحسين يقول : سمعت محمد بن أحمد الملامتي يقول : سمعت أبا الحسين الوراق يقول : سمعت أبا عثمان يقول : الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة، والصحبة مع الرسول ـــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـــ باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، والصحبة مع أولياء الله تعالى بالاحترام والخدمة، والصحبة مع الأهل بحسن الخلق مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثماً، والصحبة مع الجهال بالدعاء لهم والرحمة عليهم).

وقال أبو عثمان: (من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة قال الله تعالى: ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾[1].

(قال أبو سليمان الداراني: ربما يقع في قلبي النكتة من نُكَت القوم أياماً فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة).

(كان أبو حفص يقول : من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال).

(قال أبو يزيد : لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة).

فلم يمتز القوم ببدعة أو بمخالفة بل من فعلها منهم فهو المذموم، وإنما امتازوا بزيادة العمل وقوة التحري عن السنة وعمق التحقق وبذلك كان لهم في قلوب الناس ما كان.

وهذه نماذج من أعمالهم وتحققاتهم :

(قال أبو يزيد : قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه فلما خرج من بيته دخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه وقال : هذا غير مأمون على آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه).

(وكان أبو يزيد يقول : عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد. وقيل لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن كله)

وقيل : (دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنَفَسه فسلّم فأبطأ في الجواب ثم رد وقال : اعذرني فلقد كنت في وردي ثم مات).

---

(١) سورة النور: (٥٤).

وقال القشيري : (الشريعة أمر بالتزام االعبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر والحقيقة شهود لما قضى وقدّر وأخفى وأظهر).

(وسئل أبو عمرو الزجاجي : ما بالك تتغير عند التكبيرة الأولى في الفرائض؟ فقال : لأني أخشى أن أفتتح فريضتي بخلاف الصدق فمن يقول : الله أكبر وفي قلبه شيء أكبر منه أو قد كبر شيئاً سواه على مرور الأوقات فقد كذّب نفسه على لسانه. وقال : من تكلم عن حال لم يصل إليها كان كلامه فتنة لمن يسمعه، ودعوى تتولد في قلبه، وحرمه الله الوصول الى تلك الحال).

(وكان عبد الله بن علي التميمي يقول : سألت جعفر بن نصير بكران الدينوري ــ وكان يخدم الشبلي ــ : ما الذي رأيت منه؟ فقال لي : علّي درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال : وضئني للصلاة، ففعلت، فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته، ثم مات فبكى جعفر قال : ما تقولون في رجل لم يفته حتى في آخر عمره أدب من آداب الشريعة)؟ !.

فهذه هي المعالم الصحيحة للتصوف الحق، وما سوى ذلك مردود على أهله. وإنما اضطررنا لهذا البحث لأن مادة الصدّيقية والربانية لا تجد مباحثها التفصيلية بعد الكتاب والسنة إلا في كتب التصوف، فهم الذين فتشوا عن دقائق أحوال القلوب ومقاماتها وتكلموا فيها، وهم الذين تحدثوا عن كمالات الأعمال والأخلاق وولعوا بها، ومن تكلّم في ذلك من غيرهم فقد استفاد منهم، ولكنهم أتوا من مخالفة جهلتهم لهذه الأصول فكثر الإنكار عليهم.

ثانياً : ومن أصولهم التي اختلطت على بعضهم وعلى الناس فأدّى ذلك إلى الطامّات : إنه ليس كل صوفي محل القدوة ولا كل إنسان منهم مؤهلاً للمشيخة الربانية. مع أن التصوف في النهاية هو الشيخ فإذا كان الشيخ كاملاً ظهر الكمال على تلاميذه، وإن كان منحرفاً أو مبتدعاً أو ضالاً أو ناقصاً ظهر ذلك على اتباعه، ولذلك فإن الاحتياط في أمر اتخاذ الإنسان شيخاً من أهم الأمور، ومع ذلك فإننا

نوصي من اتخذ شيخاً في التصوف أن يبقى على صلة بالعلماء العاملين يدارسهم في المسائل، بل نوصي المريد ألا يوغل في التصوف إلا بعد أن يتمكن في العلم ؛ بل نوصي شيوخ التصوف أن يبدأوا بالذكر والعلم معاً وأن يؤخروا إعطاء علم التصوف عن غيره أو يبدأوا به مع غيره من علوم الإسلام، وقديماً كان الصوفية يميزون بين من يقتدى به ممن لا يقتدى به قال صاحب الرسالة القشيرية :

(قال أبو عبد الله بن خفيف : اقتدوا بخمسة من شيوخنا والباقون سلموا لهم حالهم : الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد بن رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي، لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق).

وقال ابن حجر في التقريب عن بشر بن الحارث : ثقة قدوة.

قال الشيخ زكريا الأنصاري في شرحه للرسالة :

(بين العلم والحقائق) أي بين الشريعة والحقيقة ومن جمع بينهما كلّم الناس بقدر ما تقتضيه أحوالهم، وغيره وهو من غلب عليه حاله إنما يكلّمهم مما غلب عليه فلا يصلح أن يقتدى به، فمن غلب عليه حال الجوع مثلاً وفتح عليه به إنما يكلّم الناس بحاله، وليس كل سالك يصلح له ذلك، فقد يكون بعض الناس إنما يفتح عليه من باب التبذل ولبس الثياب الخلِقَة وخدمة الفقراء، لا من باب الجوع، فالشيخ المقتدى به ينبغي أن يكون طبيباً عارفاً بسائر الأدوية والأمراض فيداوي كل عليل بالدواء اللائق بمرضه).

ثالثا : ومن الأصول التي اختلطت على الناس في التصوف « الموقف من الفطرة » فالإسلام دين الفطرة ومراتب الكمال فيه متفاوته فقد نصّ القرآن على صديقين وسابقين ومقربين، كما نصّ على أبرار وصالحين وأهل يمين، والأولون يمتازون بمزيد الالتزام الظاهري وبمزيد التحقق القلبي على مقتضى الكتاب والسنة وفتوى الفقهاء، ولكن من خلال مسيرة ألف ومائتي عام وجد من ابتعد عن الفطرية الإسلامية في مفهوم الناس في تصرفاته، وقد يكون له حاله القلبي مع الله كما كان للخضر عليه السلام، ولكن ذلك شيء والقدوة واللصوق بالفطرة والتمسك بها شيء آخر، **والسنة دائماً هي الحكم الفصل، وأصحاب الأحوال ليسوا هم القدوة.**

قال في القواعد : (قال أستاذنا لمريده : يا بني، برّد الماء، فإنك إن شربت ماء

بارداً ، حمدت الله بكلية قلبك، وإن شربته سخناً، حمدت الله عن كزازة نفس.

قال : يا سيدي، فالرجل الذي وجد قلته قد انبسطت عليها الشمس فقال : أستحي من الله أن أنقلها لحظي.

قال : يا بني، ذلك صاحب الحال، لا يقتدى به. انتهى)

وقال في القواعد أيضاً : (لا حكم إلا الشرع، فلا تحاكم إلا له، قال الله تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾[1].

وقد أوجب وحرم وندب وكره وأباح، وبيّن العلماء ما جاء عنه، كل بوجهه ودليله.

فلزم الرجوع لأصولهم في ذلك، من غير تعدد للحق، ولا خروج عن الصدق.

فمن أخذ بالأولين واطرح [ما سوى ذلك] حيث يتفق إجماعاً.

وحيث يختلف، اعتبر إمامه في حكمه، فلا ينكر عليه إلا ما اتفق عليه بمذهبه إن تكررت المخالفة لغير ضرورة، وإلا فالضرورة لها أحكام.

وما بعد الواجب والمحرم، ليس على أحد فيه سبيل، إن أثبت حكمه على وجهه، ولم يتعلق بغير تركه، ولم يخرج به الأمر لحد التهاون، أو شهدت أحواله بالإزراء على ذلك).

رابعاً : ومما حدث فيه خرق عند بعض أهل التصوف المسارعة إلى التأويل الجاهل، وإخراج كثير من النصوص عن فهمها الفطري لأدنى احتمال لا تقبله لغة أو شريعة، وتوسع بعضهم في هذا وليس له ذلك، ففهم بعض النصوص لا يستطيعه إلا الراسخون في العلم، والأصل في التأويل أن يكون من هؤلاء، فإذا تصدر له من ليس أهله وقع في الضلال وأوقع فيه. قال في قواعد التصوف :

(النظر لصرف الحقيقة، مخل بوجه الطريقة.

---

(١) سورة النساء: (٥٩).

فمن ثم وقع القوم في الطامات، وتكلموا بالشطحات.

حتى كفر من كفر وفسق من فسق بواضح الشريعة ولسان العلم، ظاهراً وباطناً.

فلزم التحفظ في القبول، بأن لا يؤخذ إلا عن الكتاب والسنة.

وفي الإلقاء لا يلقى إلا بالوجه الشائع فيهما، من غير منازع، وإلا فلا عتب على منكر، استند لأصل صحيح).

خامساً : ومما حدث فيه خلل عند بعض الصوفية الموقف من القضايا العامة، فقد ألزم بعضهم أنفسهم إلزامات لم تراع أدب الوقت ولا حال الوقت ولا فرائض الوقت، ولم يكن ذلك دأب الصحابة، فالصحابة كانوا يتعاملون مع ما يقيمهم الله عز وجل فيه بحق الشريعة، يقومون بحق الله في الفقر، كما يقومون بحق الله في الغنى، وإذا أقامهم الله مقاماً قاموا بحق الله فيه، فهذا أبو بكر رضي الله عنه أصبح خليفة، وهذا عمر أصبح خليفة، وهذا عثمان قتل ولم يتنازل عن الخلافة.

وقد تكون هناك قضايا عامة يجب أن نتعامل معها بقوة كالجهاد والخدمات الإسلامية، ومن تعين لفرض كفاية وجب عليه، وبعض الصوفية كانوا يلاحظون ذلك، وبعضهم أسقط اهتمامه بأمثال ذلك مما أدى إلى إنكار كبير، والقدوة هو رسول الله ﷺ وأصحابه.

قال في القواعد : (التأديب عند تعين الحق، إما لحفظ النظام، أو لوجود الرحمة في حق من أقيم عليه، أو بسببه، حتى لا يجني ولا يجنى عليه.

فإقامة الحدود والجهاد، رحمة لنا، وقصد لدخولهم في الرحمة معنا. وجناية عليهم بسبب مفارقتنا.

فأي وجه قصد، صح إذ الكل داع لإعلاء كلمة الله، وإقامة دينه، وحفظ نظام الإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: (٣٩).

فاعتبر المالكية ما فيه من رحمتنا ورحمتهم، فبوّبوا له في العبادات. واعتبره الشافعية من حيث الجنايات عليهم، فوضعوه هنالك. وجعله المحدثون واسطة).

ومن قصص المتقدمين في القيام بحق الله في الجهاد ما ذكره صاحب الرسالة القشيرية :

(وحكي أن حاتماً الأصم قال : كنا مع شقيق في مصاف نحارب الترك في يوم لا ترى فيه إلا رؤوس تندر ورماح تنقصف وسيوف تقطع فقال لي شقيق : كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ فقلت : لا والله. قال : لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيطه).

وفي القواعد : (وقد كان أهل الصُفَّة فقراء في أول أمرهم، حتى كانوا يعرفون بأضياف الله.

ثم كان منهم الغني والأمير، والمتسبب والفقير، لكنهم شكروا عليها حين وجدت، كما صبروا عليها حين فقدت.

فلم يخرجهم الوجدان عما وصفهم مولاهم به من أنهم يدعونه بالغداة وجهه.

كما أنهم لم يمدحوا بالفقدان، بل بإرادة وجه الملك الديان، وذلك غير مقيد بفقر ولا غنى، وبحسبه.

فلا يختص التصوف بفقر ولا غنى، إذا كان صاحبه يريد وجه الله. فافهم).

سادساً: ولقد مرت أدوار كان للتصوف فيها المقام الأعلى في الأمة الإسلامية، **وكان للصوفية نوع سيادة وهذا الحال يستدعي وجود المدّعين، ووجود المدّعين يقتضي وجود التبرير للنقص والخطأ والانحراف.**

قال في القواعد :

(كثر المدّعون في هذا الطريق لنظافته وبعدت الأفهام عنه لدقته.

وكثر الإنكار على أهله لغربته، وحذر الناصحون من سلوكه لكثرة الغلط فيه.

وصنف الأئمة في الرد على أهله، لما أحدث أهل الضلال فيه، وما انتسبوا منه إليه.

حتى قال ابن العربي الحاتمي : « احذر هذا الطريق، فإن أكثر الخوارج منه، وما هو إلا طريق الهلك والملك، من حقق علمه وعمله وحاله نال عز الأبد، ومن فارق التحقيق فيه هلك وما نفذ ».

نسأل الله العافية، بمنه وكرمه).

وقال صاحب الرسالة القشيرية : (قال رجل للجنيد : من أهل المعرفة أقوام يقولون إن ترك الحركات من باب البر والتقوى؟ فقال الجنيد : هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا ؛ فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإلى الله تعالى، رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة).

وقال صاحب الرسالة عن الواسطي ـــ رحمه الله ـــ يقول :(جعلوا سوء أدبهم إخلاصاً، وشره نفوسهم انبساطاً، ودناءة الهمم جلادة فعموا على الطريق وسلكوا فيه المضيق، فلا حياة تنمو في شواهدهم، ولا عبادة تزكو في محاضرتهم، إن نطقوا فبالغضب ، وإن خوطبوا فبالكبر ، توثب أنفسهم ينبئ عن ضمائرهم ، وشرههم في المأكول يظهر ما في سويداء أسرارهم، قاتلهم الله أنى يؤفكون).

وقال أبو العباس الدينوري : (نقضوا أركان التصوف وهدموا سبيلها وغيروا معانيها بأسامي أحدثوها، سموا الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحاً، والتلذذ بالمذموم طيبة، واتباع الهوى ابتلاء، والرجوع إلى الدنيا وصلاً ، وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، والسؤال عملاً، وبذاءة اللسان ملامة، وما هذا كان طريق القوم).

ومن ههنا وغيره كثر الإنكار على الصوفية، وليس لنا اعتراض على إنكار بحق بل هو واجب، ولكن ترتب على تضييع الأصول والإنكار المطلق أن ضعفت مرتبتا الصدّيقية والربانية في الأمة، وهذا هو الذي اقتضى منا هذا البحث، فصوفية أهل السنة والجماعة هم مظنة الكلام عن دقائق مقامي الصديقية والربانية ولكن استلط

الأمر، وكما قلنا فإنه لا اعتراض لنا على إنكار في محله ولكن لا يصح أن ينصب الإنكار على الخير الخالص والحق الخالص بسبب ما رافقه.

والحقيقة أن المسلم يستطيع أن يوسع دائرة اعتماده، ويستفيد من بعض أهل السير الذين قد ابتعدوا عن البدع الغليظة، لكنهم لم يستطيعوا الخلاص من بدع دون ذلك أدت بهم إلى بعض الشطحات والمجازفات، فإن الاعتماد لمثل هؤلاء اعتماداً يَقْبَلُ ما يُقْبَل ويَرُدُّ ما يُرَدُّ، قد أجازه ابن القيم واعتبره منهج أهل العدل والإنصاف، وقرر ذلك في مدارج السالكين قائلاً :

(هذه الشطحات أوجبت فتنةً على طائفتين من الناس، أحدهما : حجبت بها عن محاسن هذه الطائفة، ولطف نفوسهم، وصدق معاملتهم، فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار، وأساءوا الظن بهم مطلقاً. **وهذا عدوان وإسراف، فلو كان كل من أخطأ أو غلط تُرِكَ جملةً، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت معالمها.**

والطائفة الثانية : حجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم، وحسن معاملاتهم، عن رؤية عيوب شطحاتهم ونقصانها، فسحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار لها، واستظهروا بها في سلوكهم. وهؤلاء أيضاً معتدون مفرطون.

والطائفة الثالثة : وهم أهل العدل والإنصاف، الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا للصحيح بحكم السقيم المعلول، ولا للمعلول السقيم بحكم الصحيح، بل قبلوا ما يقبل، وردوا ما يرد)[1].

ثم قال مؤكداً منهجه الوسط هذا :

إن (**البصير الصادق يضرب في كل غنيمة بسهم، ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها**)[2].

---

(١) و(٢) مدارج السكاكين ٢/٢٩/٣٧٠.

وقد حاول صاحب قواعد التصوف أن يذكر أسباب الإنكار على الصوفية وأن ينبه للاعتدال في ذلك فقال :

دواعي الإنكار على القوم خمسة :

أولها : النظر لكمال طريقهم فإن تعلقوا برخصة، أو أتوا بإساءة .أدب، أو تساهلوا في أمر، أو بدر منهم نقص، أسرع للإنكار عليهم، لأن النظيف يظهر فيه أقل عيب. ولا يخلو العبد من عيب، ما لم تكن له من الله عصمة أو حفظ.

الثاني : دقة المدرك، ومنه وقع الطعن على علومهم في أحوالهم. إذ النفس مسرعة، لإنكار ما لم يتقدم لها علمه.

الثالث :كثرة المبطلين في الدعاوى، والطالبين للأغراض بالديانة، وذلك سبب إنكار حال من ظهر منهم بدعوى، وإن أقام عليها الدليل لاشتباهه.

الرابع :خوف الضلال على العامة، باتباع الباطن، دون اعتناء بظاهر االشريعة، كما اتفق لكثير من الجاهلين.

الخامس :شحة النفوس بمراتبها، إذ ظهور الحقيقة مبطل حقيقه.

فمن ثم أولع الناس بالصوفية أكثر من غيرهم.

وتسلط عليهم أصحاب المراتب أكثر من سواهم.

وكل الوجوه المذكورة صاحبها مأجور أو معذور، إلا الأخير، والله أعلم).

(ما ألف من الكتب للرد على القوم، فهو نافع في التحذير من الغلط، ولكن لا يستفيده إلا بثلاثة شروط.

أولها : حسن النيه في القائل، باعتقاد اجتهاده، وأنه قاصد حسم الذريعة وإن خشن لفظه ــ كابن الجوزي ــ فللمبالغة في النكير.

الثاني: إقامة عذر القول فيه، بتأويل أو غلبة، أو غلط، أو غير ذلك، إذ ليس بمعصوم.

وقد يكون للولي الزلة والزلات، والهفوة والهفوات، لعدم العصمة، وغلبة الأقدار، كما أشار إليه الجنيد ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله تعالى : ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾[1].

الثالث :أن يقتصر بنظره على نفسه، فلا يحكم به على غيره، ولا يبديه لمن لا قصد لـه في السلوك، فيشوش عليه اعتقاده، الذي كان سبب نجاته وفوزه.

فإن احتاج ذلك، فليعترض على القول، دون تعيين للقائل [وتعريض به] إذ ستر زلل الأئمة واجب، وصيانة الدين أوجب، والقائم بدين الله مأجور ، والمنتصر له منصور، والإنصاف في الحق لازم.

ولا خير في ديانة يصحبها هوى، فافهم).

* * *

إن مقامي الصدّيقية والربانية هو فوق مقام الصلاح، فالصدّيق والرباني يقومان بما يقوم به الصالح وزيادة، فليس اهتمامهم بالوصول إلى الكمال يلغي ما يطالب به المسلم العادي من أعمال الإسلام بل يحققه وزيادة، وقد وجدت صور ظهرت فيها اهتمامات العاكفين على التصوف وكأنها إلغاء لاهتمامات الإسلام الأولى، من مثل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالحدود والآداب فحق أمثال هؤلاء أن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** ﴾[2].

ولكي أضع معالم تفهم بها قضيتا الصدّيقية والربانية، وتفهم بها حِكَم ابن عطاء على ضوئها ويأخذ بها الشرح محله في بناء الصدّيقية والربانية فإنني أذكر هذه الأصول :

---

(١) سورة الأحزاب: (٣٨).

(٢) سورة المائدة: (٦٣).

(١)

إن الصدّيق الأول والرباني الأول في تاريخ الأمة الإسلامية هو أبو بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ وهذه نماذج من تربيته وأعماله التي اسعأهل بها مقام الصدّيقية والربانية.

أخرج الإمام أحمد بسندٍ قال عنه الهيثمي : رحاله رجال الصحيح، كما أخرجه الطبراني عن أبي هريرة :

« إن رجلاً شتم أبا بكر ـــ رضي الله عنه ـــ والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجبه ويتبسم. فلما أكثر ردّ عليه بعض قوله فغضب النبي ﷺ وقام فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله ! كان يشتمني وأنت جالس. فلما رددت عليه بعض قوله عضبت وقمت ! قال : إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع التيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان، تم قال : يا أبا بكر ! ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيفضي عنها لله عز وجل إلا أعزه الله بها ونصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة، وما فتح باب مسألة يريد بها كترة إلا زاده الله بها قلة ».

انظر إلى هذا المقام فالصدّيقية لا تناسبها أن يرّد الإنسان على من يسفه عليه اكتفاء بدفاع الله عنه.

ومما ذكره ابن حجر في الإصابة عن أبي بكر قوله :

أخرج ابن عبد البر من حديث عائشة : تذاكر رسول الله صلى الله وسلم وأبو بكر ميلادهما عندي فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكبر، وصحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة، وسبق إلى الإيمان به، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار وفي المشاهد كلها إلى أن مات، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحج في الناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع، واستقر خليفة في الأرض بعده، ولقّبه المسلمون خليفة رسول الله وقد أسلم أبوه.

وفي المعرفة لابن منده كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين معروق الوجه ناتىء الجبهة يخضب بالحناء والكتم.

عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بفناء لبيت

إذ جاء أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سرَّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر فغلب عليه اسم عتيق.

وفي المعرفة لأبي نعيم من طريق الليث سُمي أبو بكر عتيقاً لجماله.

قال ابن إسحق : كان أنسب العرب، وقال المجلي : كان أعلم قريش بأنسابها، وقال ابن إسحق في السيرة الكبرى : كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كان منها من خير أو شر، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف.

وعن سالم بن أبي الجعد قلت لمحمد بن الحنفية : لأي شيء قُدِّم أبو بكر حتى لا يذكر فيهم غيره قال : لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم فلم يزل كذلك حتى قبضه الله. وأخرج أبو داود في الزهد بسند صحيح عن هشام بن عروة أخبرني أبي قال : أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم قال عروة : وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً.

وقال يعقوب بن سفيان في تاريخه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا هشام عن أبيه : أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً فأنفقها في سبيل الله وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله؛ أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وزنّيرة والنهدية وابنتها وجارية بني المؤمل وأم عبيس.

وأخرج الدار قطني في الإفراد من طريق أبي إسحق عن أبي يحيى قال: لا أحصي كم سمعت علياً يقول على المنبر : إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم صدّيقاً. ومناقب أبي بكر رضي الله عنه كثيرة جداً وقد أفرده جماعة بالتصنيف وترجمته في تاريخ ابن عساكر قدر مجلد ومن أعظم مناقبه قول الله تعالى : ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[1]فإن المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع.

---

(١) سورة التوبة: (٤٠).

وعند أحمد من طريق شهر بن حوشب عن أبي تميم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبي بكر وعمر : « لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما » وأخرج الطبراني من طريق الوضين بن عطاء عن قتادة بن نسي عن عبد الرحمن بن تميم عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد أن يرسل معاذاً إلى اليمن استشار فقال: كلٌّ برأيه، فقال: « إن الله يكره فوق سمائه أن يخطّأ أبو بكر ». وعند أبي يعلى من طريق أبي صالح الحيتي عن علي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ولأبي بكر: « مع أحدكما جبرائيل ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال »، وفي الصحيح عن عمرو بن العاص قلت : يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال، قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ فذكر رجالاً. وأخرج الترمذي والبغوي والبزار جميعاً عن أبي سعيد الأشج عن عقبة بن خالد عن شعبه عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال أبو بكر : ألست أول من أسلم ! ألست أحق بهذا الأمر ! ألست كذا ! ألست كذا !. رجاله ثقات.

عن عبد الله بن جعفر قال : ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحم بنا، وأحناه علينا، وقال إبراهيم النخعي : كان يسمى الأواه لرأفته.

وقال العسكري: كانت تساق إليه الأشناق في الجاهلية وهي الديات التي يتحملها ممن يتقرب لذلك من العشيرة، فكان إذا حمل شيئاً من ذلك فسأل فيه قريشاً مدحوه وأمضوا إليه حمالته فإن احتملها غيره لم يصدقوه، ومن أعظم مناقب أبي بكر أن ابن الدغنة سيد القارة لما رد إليه جواره بمكة وصفه بنظير ما وصفت به خديجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما بعث فتواردا فيهما على نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك وهذا غاية في مدحه لأن صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ نشأ كانت أكمل الصفات.

وذكر ابن سعد من طريق الزهري أن أبا بكر والحارث بن كلدة أكلا خزيرة أهديت لأبي بكر وكان الحارث طبيباً فقال لأبي بكر ارفع يدك والله إن فيها لسم سنة فلم يزالا عليلين حتى ماتا عند انقضاء السنة في يوم واحد، وكانت وفاته يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

في هذه السيرة نجد السبق إلى كل كمال، ونجد المسارعة إلى كل خير،

ونجد القيام بالواجب حيث أقيم صاحبه في مقام، ونجد حياة متكاملة في الشؤون الحياتية كلها فللعمل فيها نصيب، وللجهاد فيها نصيب، والخدمة العامة نصيب، إنها الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ.

(٢)

ومما وُصِف به ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ أنه رباني هذه الأمة وهذه نماذج من حياته التي جعلته ربانياً نقتطفها من الإصابة لابن حجر العسقلاني :

عن أبي بكرة قال: قدم علينا ابن عباس البصرة وما في العرب مثله حشماً وعلماً وثياباً. وجمالاً وكمالاً. وأخرج الطبراني من طريق ابن أبي الزناد عن أبيه عن النعمان أن حسان بن ثابت قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة فطلبناها إليه ــ لجماعة من الصحابة منهم ابن عباس ــ وكانت حاجة صعبة شديدة فاعتل فراجعوه إلى أن عذروه وقاموا إلا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حاجة فلم ير بداً من أن يقضي حاجتنا.

عن ابن عمر أنه كان يقرب ابن عباس ويقول : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاك فمسح رأسك، وتفل في فيك وقال : « اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ».

عن محمد بن أبي بن كعب عن أبيه أنه سمعه يقول وكان عنده ابن عباس فقام، قال: هذا يكون حبر هذه الأمة أوفى عقلاً وحشماً ودعا له رسول الله ﷺ، يُفقه في الدين.

عن ابن عباس قال: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، قال: واعجباً لك أترى الناس يفتقرون إليك، قال: فترك ذلك. وأقبلت أسأل فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه يسفي الريح علي من التراب فيخرج

فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك هلا أرسلت إلي فآتيك؟ فأقول: لا أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث فعاش الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني فقال: هذا الفتى كان أعقل مني.

عن الزهري قال : قال المهاجرون لعمر : ألا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس؟ قال : ذاكم فتى الكهول له لسان سؤول وقلب عقول.

قال علي في ابن عباس : إنا لننظر إلى الغيث من ستر رقيق لعقله وفطنته.

عن الشعبي قال : ركب زيد بن ثابت، فأخذ ابن عباس بركابه فقال : لاتفعل يا ابن عم رسول الله فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبّل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا.

عن الأعمش وكان يقول : نِعمَ ترجمان القرآن ابن عباس.

عن عمير بن بشر الخثعمي عمن سأل ابن عمر عن شيء فقال : سل ابن عباس فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد.

وأخرج ابن سعد بسند صحيح عن يحيى بن سعيد الأنصاري لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفاً.

عن عطاء ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس، أكثر فقهاً وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده وأصحاب القرآن عنده وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع.

عن مجاهد قال :ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه.

عن مسروق كنت إذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس، فإذا نطق قلت : أفصح الناس، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس.

عن أبي وائل قال : قرأ ابن عباس سورة النور فجعل يفسرها، فقال رجل : لو سمعت هذا الديلم لأسلمت.

وعند الدرامي وابن سعد بسند صحيح عن عبد الله بن أبي يزيد كان ابن عباس

إذا سئل، فإن كان القرآن أخبر به فإن لم يكن وكان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبر به، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن قال برأيه وفي رواية ابن سعد اجتهد رأيه. وعند البيهقي من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله ابن بريدة قال: شتم رجل ابن عباس، فقال: إنك لتشتمني وفي ثلاث إني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلي لا أقاضي إليه أبداً، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به وما لي بها سائمة ولا راعية، وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم.

وذكر خليفة [البياضي] أن عليّا ولاه البصرة وكان على الميسرة يوم صفين، واستخلف أبا الأسود على الصلاة، وزياداً على الخراج، وكان استكتبه، فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي.

وأخرج الزبير بسند له أن ابن عباس كان يغشى الناس في رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم.

وقال الزبير بن بكار : حدثت عن عمرو بن دينار قال : لما مات عبد الله بن العباس قال : مات رباني هذه الأمة.

عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر أبيض لم ير على خلقته فدخل في نعشه ولم ير خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك** ﴾[1]إلى آخر السورة.

وقال المدائني عن حفص بن ميمون عن أبيه : توفي عبد الله بن عباس بالطائف فجاء طائر أبيض فدخل بين النعش والسرير فلما وضع في قبره سمعنا تالياً يتلو ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ﴾ الآية.

---

(١) سورة الفجر: (٢٧ ــ ٢٨).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فههنا نجد حال قدوة الربانيين حالاً طيبة تستدعي رسول الله ﷺ أن يدعو لصاحبه، كما نجد بحثاً عن العلم وتواضعاً لأهله، ونجد تعليماً مستمراً في كل حال، سواء كان في منصب الوِلاية أو كان متفرغاً للعلم، ثم نجد مشاركة كاملة في الحياة فهو يقاتل وهو يتولى الولايات، فالرباني هو الذي يقيم حق الله على الكمال والتمام حيث أقامة الله عز وجل.

(٣)

قال في مختار الصحاح : والصدّيق.. الدائم التصديق وهو أيضاً الذي يصدق قوله بالعمل. انظر إلى مواقف الصديق يوم عرضت عليه الدعوة فلم يتلكأ، ويوم حادثة الإسراء والمعراج حيث سارع إلى التصديق، ويوم الحديبية حيث سارع إلى التسليم كأثر عن التصديق فلا صدّيقية إلا بتصديق، وفي عصرنا القَلِق يفر كثيرون من التصديق الحقيقي تحت ضغط الفكر المادي أو الاستشراقي أو الشهواني، فيحملون النصوص على غير محاملها الصحيحة ويتقربون إلى أصناف من الناس بأصناف من الترخّصات التي لا تحتملها الفتوى الصحيحة، ويكادون يعترضون على بعض النصوص الصحيحة فأين ذلك من الصدّيقية؟ أما مواطأة القول العمل فما أقلها، والصدّيقية ليست مواطأة فقط بل هي التحري للكمال في إقامة المطلوب ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: « ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتَب عند الله صدّيقاً ».

ومن خلال النصوص التي تحدثت عن السابقين والمقربين والصدّيقين والصادقين نستطيع أن نتعرف على مقام الصديقية وها نحن نستعرض لك ذلك باختصار :

فأول درجات الصدق عند الإنسان : صدق اللسان ويدخل في ذلك صدقه في إخباره وصدقه في وعوده. والصدّيقية تقتضي مواطأة الحال والفعال للمقال فإذا قال: الله أكبر كان حاله مستشعراً ذلك، وإذا قال ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[1] كان

(١) سورة الفاتحة: (٥).

حاله كذلك من انفراد العبادة والاستعانة بالله وحده، وإذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض » كان حاله كذلك.

وثاني ما يدخل في باب الصدق الشرعي : « الإيمان » قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم** ﴾[1] فبدون إيمان بالله ورسوله فلا صديقية.

وثالث ما يدخل في باب الصدق الشرعي : أن يجتمع مع الإيمان العمل الصالح قال تعالى : ﴿ **وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم قدم صدق عند ربهم** ﴾[2].

ورابع ما يدخل في باب الصدق الشرعي : اجتماع الإيمان الصادق مع الجهاد بالنفس والمال قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾[3].

وخامس ما يدخل في باب الصدق الشرعي : الصدق مع الله بالنيات في بيع النفوس لله :

﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر** ﴾[4].

﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾[5]

﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾[6]

وسادس ما يدخل في باب الصدق الشرعي : التحقق بمقامات الإسلام بالقيام

---

(١) سورة الحديد: (١٩).

(٢) سورة يونس: (٢).

(٣) سورة الحجرات: (١٥).

(٤) سورة الأحزاب: (٢٣).

(٥) سورة التوبة: (١١١).

(٦) سورة البقرة: (٢٠٧).

بتكاليف الإسلام، والتحقق بالإيمان والإحسان والتقوى والشكر وما يستلزم ذلك من مجاهدة. فأعمال الإسلام المطلوبة منك على حسب المقام والأحوال والأوضاع مع أهلك ومع جيرانك ومع حرفتك ومع فرائض عصرك ومع دعوتك ومع الهجرة إن كانت مفروضة عليك ومع الصبر إن ابتليت، إلى غير ذلك، قال تعالى : ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب ولكنَّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حُبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾[١]

﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾[٢]

ثم يلزمك مع أعمال الإسلام التحقق بمقامات الإسلام من مراقبة ومشاهدة : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ».

والتحقق بالمجاهدة للوصول إلى التقوى :

﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[٣]

﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[٤]

ويلزمك التحقق بالشكر كأرقى درجة في مقامات الإسلام :

﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: (١٧٧).

(٢) سورة الحشر: (٨)

(٣) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٤) سورة محمد: (١٧).

(٥) سورة سبأ: (١٣).

ومما يدخل في الصدق التحقق بزكاة النفس :

﴿ قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾[١]

وتزكية النفس فصلناها في كتاب المستخلص فهي أخذ بوسائل الزكاة، وتحرر من أخلاق، وتحقق بمقامات، وتخلّق بأخلاق وثمرات تظهر.

فهذا كله مما يدخل في الصدق الذي بتحريه يكون الإنسان صديّقاً، وحِكَم ابن عطاء اجتمع فيها مسار دقيق لهذه المنازل والمقامات، ومن ههنا اعتبرنا شرحها عاملاً مساعداً على التعرف على دقائق هذا الموضوع، خاصة والرجل كان من أعلام عصره في الشريعة والتصوف، وتتلمذ على عَلَم عصره أبي العباس المرسي تلميذ عَلَم عصره أبي الحسن الشاذلي، وقد اجتمع في حِكَمه أنها حصيلة تجربته الشخصية وتجربة الماضين من أعلام أهل السير إلى الله خلال قرون طويلة.

* * *

وهذه المحاولة إن لم تفد إلا أنها تذكر بأن هناك فوق الصلاح والصالحين وفوق البر والأبرار درجات، هي درجات السابقين المقربين والصديقين والربانيين، فذلك وحده مفيد فالعلم سابق العمل ألا ترى قوله تعالى :

﴿ والسابقون السابقون * أولئك المقربون ﴾[٢] **﴿ فأمّا إن كان من المقربين * فرَوْحٌ وريحان وجنة نعيم * وأما إن كان من أصحاب اليمين * فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾**[٣] وأن للسابقين صفاتهم **﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون * والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾**[٤]

---

(١) سورة الشمس: (٩ ــ ١٠).

(٢) سورة الواقعة: (١٠ ــ ١١).

(٣) سورة الواقعة: (٨٨ ــ ٩١).

(٤) سورة المؤمنون: (٥٧ ــ ٦١).

قال البيضاوي في تفسير ﴿ **لها** ﴾في الآية أي : لأجلها، وقال في تفسير : ﴿ **وقلوبهم وجلة** ﴾ أي خائفة ألا يقبل منهم وألا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذون به، فهذه صفات السابقين أي المقربين فالتذكير بهذه الكمالات العلية ضروري في عصرنا الخاوي.

* * *

ولقد كنت دائماً أتساءل كلما مات لي عزيز أو صديق أو أخ ترى كيف كانت خاتمته؟ هل مات على الإيمان الكامل بل إن شغلي الشاغل هو البحث عما تكون به الخاتمة حسنة وهذا الذي أقلق بال الصدّيقين، وقطع نياط قلوب العارفين، ومن ههنا كان البحث عما يغلب على القلب ساعة الموت هو الذي ينبغي أن يكون همّ المسلمين، وإنما يغلب على القلب بعد تثبيت الله الحال اللازم للإنسان في حياته، فإذا كان حاله الدائم ذكراً ويقظة قلب ومراقبة وتذكراً لليوم الآخر فالمرجو أن يكون ذلك هو الحال عند الموت وإلا فالخطر عظيم.

ومن ههنا يحرص أهل السلوك أن يجمعوا في وردهم اليومي تذكر اليوم الآخر والذكر والمراقبة، فيبدأون وردهم بتذكر اليوم الآخر، وتأمّل الموت وما بعده، ثم يذكرون الله بالورد الذي يذكرون به، ثم يختمون وردهم بالمراقبة لله، ومهما استطاعوا أن يكرروا ذلك في يومهم وليلتهم فعلوا.

ولعلي بهذا الكتاب أنتفع وأنفع في هذا الباب.

* * *

إن مبنى الصدّيقية على الصدق، ومعرفة الصدق في المصطلح الإسلامي هي أخطر قضية على الإطلاق لأنها هي التي تحدد الجهة التي ينبغي أن يكون الإنسان معها، تنفيذاً لأمر الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[١]

وإذا كان هذا مهمّاً في كل العصور فإنه فى عصرنا أكثر أهمية، لأن عصرنا

---

(١) سورة التوبة: (١١٩).

عصر فتن وأهواء ودعوات باطلة، ودعوات اختلط خيرها بشرها، ودعوات يحسن أهلها القول ويسيئون العمل، ودعوات أهلها إخوان في الظاهر وهم أعداء في الباطن « أعداء السر إخوان العلانية » وهناك ناس ظاهرهم العلم أو الربانية، وقد وقعوا فيما وقع فيه بعض علماء بني إسرائيل وربانييهم، فلا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر ثم إن الخلافة التي تعطي البيعة المتعارف عليها مفقودة، وكل ذلك يجعل المسلم المعاصر في حيص بيص، لايعرف أين يضع قدمه ولا بِيَدِ مَنْ يضع يده، وهو يرى عشرات الدعوات وعشرات الاتجاهات، ويرى في الاتجاه الواحد صوراً متعددة والمخرج من هذا كله أن يعرف ماهية الصدق ليكون مع الصادقين.

« اعرف الحق تعرف أهله » « لا يعرف الحق بالرجل وإنما يعرف الرجال بالحق » وإذا عرف الإنسان ماهية الصدق عرف ماهية الصدّيقية وعرف منازلها ومقامات أهلها.

* * *

ومما يساعد على معرفة الصدق والصادقين معرفة الكذب والكاذبين بالاصطلاح الشرعي فبضدّها تتميز الأشياء، والأمر بالكينونة مع الصادقين تعني بالضرورة ترك الكينونة الاختيارية مع الكاذبين.

ثم إن النهي عن الكينونة مع جهة ما تعني بالضرورة أن هذه الجهة ليست صادقة، وبهذه المعالم تتحد معنا مسألة العصر وأهم قضاياه، فيعرف الإنسان أين ينبغي أن يكون.

ولأهمية هذا الأمر فإن النصوص كانت كثيرة فيه وواضحة، لأن الكينونة مع الجماعة مما حض عليه الإسلام، والمفارقة لجهة أو العزلة عنها أن تكون لملحظ شرعي، والشذوذ خطر، ومن سنة الله عز وجل أن يجعل أعلام الهداية واضحة لتقوم الحجة على الناس :

﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾(١)

---

(١) سورة البقرة: (١٤٢).

ثمّ إنّ هناك قضية هي من أخطر القضايا التي لم تلق عناية كافية من العامة أو الخاصة، وهي القضية الربانية.

فالربانية التي تعني الوراثة الكاملة لرسول الله ﷺ مطلب عام في الشريعة طولب به كل مسلم على قدر استعداده، ولكن لا أهل ذلكَ بذلوا هذا الجهد لإيصال كل مسلم إلى ذلك، ولا المسلمون بذلوا هذا الجهد لغفلة الكثيرين منهم عن هذا المطلب.

قال تعالى :﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس** ﴾ لاحظ كلمة الناس ﴿ **كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا** ﴾ لاحظ أن الضمير يعود على الناس ﴿ **ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[1] « فكل إنسان مطالب بأن يكون ربانياً ».

وقال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[2] فكل مؤمن عليه أن يقتدي برسول الله ﷺ.

ولقد كانت سُنة رسول الله ﷺ العملية أن يقبل على جميع أصحابه، ويعطي الجميع عطاءً واحداً ويقول: « إنما أنا قاسم والله عز وجلّ يعطي ».

ومن خلال بذل الجهد مع كل المسلمين ليكونوا ربانيين ورّاث نبوة تجد الواصلين إلى القمة والباقين على السفح لكنهم صاعدون.

ولقد حدث في هذا كله قصور وعلينا أن نتلافى القصور :

والربانية بنصّ القرآن دراسة وتعليم للكتاب ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[3]

والربانية وراثة النبوة في منصب الشهادة على الخلق وتحكيم كتاب الله ﴿ **إنا أرسلناك شاهداً** ﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران: (٧٩).

(٢) سورة الأحزاب: (٢١).

(٣) سورة آل عمران: (٧٩).

(٤) سورة الأحزاب: (٤٥).

قال تعالى : ﴿ يحكم بها النبيّون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما اسْتُحفِظُوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾[1]

والربانية أمر بمعروف ونهي عن منكر ونصيحة للخلق.

﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت.. ﴾[2].

والربانية استمرار على خط الأنبياء لإقامة الإسلام :

﴿ وكأيِّن من نبي ٍ قاتلَ معه رِبِّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾[3].

وقد فسّر الربانيون بالعلماء والحكماء.

* * *

فالربانية صدّيقية وعلم وحكمة وإحياء لإرث النبوة بالدعوة والعمل والحال والقدوة.والربانية لا تتم لأصحابها إلا بذكر :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[4].

وإلا بدراسة :

﴿ كونوا ربَّانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾[5].

---

(١) سورة المائدة: (٦٣).

(٢) سورة المائدة: (٦٣).

(٣) سورة آل عمران: (١٤٦ ــ ١٤٨).

(٤) سورة الأحزاب: (٢١).

(٥) سورة آل عمران: (٧٩).

وإلا بانتساب للربانيين :

﴿ واتبع سبيل من أناب إليَّ ﴾[1].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[2].

ولما كانت حِكَم ابن عطاء تتحدث عن كثير من آداب الربانيين الظاهرة والباطنة، وتتحدث عن طريق الوصول إلى الربانية ظاهراً وباطناً فقد وقع اختيارنا عليها لإحياء هذه المعالم.

* * *

وبعد فلعلك أدركت الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الكتاب وهاك كلمة أخيرة. لقد عرضنا في رسالتنا « إحياء الربانية » :

أن رتبة الصدّيقية قد ضعفت في هذه الأمة، وذكرنا أن ضعفها سببه غياب طبقة الربانيين أو قِلَّتُهم، فهؤلاء هم الذين يستطيعون التربية على منازل الكمال، وإذ كان المهتمون الأوائل بهذه المعاني كثير منهم من الصوفية أو ممن استفاد منهم وتتلمذ عليهم، ويكادون يُجمِعون على قبول حِكَم ابن عطاء، وإذ كانت الحِكَم تتحدث عن أحوال السائرين إلى مقام الصدّيقية والربانية وعن آداب الصدّيقين والربانيين فقد رأيت أن أدرّسها لبعض الإخوة، وكان هذا الكتاب هو حصيلة هذه الدّروس.

لقد اخترت حِكَم ابن عطاء لشهرتها ولاعتمادها من طبقات شتى، ولأن فيها روائع من الحكمة ولأن بعض فقراتها فهمت فهماً خاطئاً، فترتّب على ذلك أخطاء كبيرة في حلقات الصوفية، فكانت المذاكرة في هذه الحِكَم تصحيحاً للفهوم وتعميقاً لنوع من العلوم يكاد يكون مندرساً.

ولقد قرأنا في كتاب (الإخوان المسلمون: رؤية من الداخل) أن الحِكَم كانت تدرس في مركز الإخوان المسلمين في يوم ما، وحدثنا شيخنا الشيخ محمد الحامد أن الأستاذ البنا كان يدرِّسها للخاصة من تلاميذه، وأنه سجل على بعض شروحها

(١) سورة لقمان: (١٥).

(٢) سورة التوبة: (١١٩).

أربع ملاحظات، وإذ لم يصلنا شيء مكتوب عن الأستاذ البنا في هذا الشأن فلعل هذا الشرح من قِبَل أحد أبناء مدرسته يعوّض نوع تعويض.

* * *

لقد ذكرنا في رسالتنا « أن الربانية ثقافة وخلق وروحانية وعمل، ولا شك أن الحِكَم — إذا فهمت فهماً صحيحاً — تصلح أن تكون جزءاً لا بد منه في ثقافة الربانيين، وجزء لابد منه في التوجهات الأخلاقية للربانيين، وجزءاً لا بد منه في الارتقاء الروحي لطلاب الربانية، فإذا كانت الروحانية تعني معرفة الله القلبية والقيام بحقوق ربوبيته فالحِكَم تخدم هذا السبيل خدمات كبيرة.

* * *

لقد كنت حريصاً على أن أكتب في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما والعلوم التي تخدمهما، غير أني وجدت أن في سلسلة (في المنهج) كفاية عن التأليف المستقل في العقائد والفقهيات، لكني شعرت بضرورة الكتابة في جانبين الجانب الأول : هو تأكيد ضرورة دراسة الفقهين الكبير والأكبر فكان أن كتبت « جولات في الفقهين الكبير والأكبر ».

والجانب الثاني : هو التصوف فلقد رأيت أن هذا الجانب لا بد فيه من كتابة فكتبت كتاب « تربيتنا الروحية » وقد لحظ بعضهم أن التفصيلات في القضايا النظرية والعملية ليست كافية فيه، فاستخلصت كتاب « المستخلص في تزكية الأنفس » وكتبت هذا الشرح على الحِكَم لاستكمال النقص، وإنني لأعتبر هذه الكتب الثلاثة كافية لفهم السير القلبي والروحي إلى الله وهي في بابها تتكامل مع بعضها لتغطي النقص الخطير في القلبيات والروحيات والأخلاقيات التي يعاني منها عصرنا.

* * *

تتألف الحِكَم — في فهمي — من ثلاثة أقسام رئيسية :

القسم الأول : في أساسيات في السير وفي أفكار عامة تبعث على السير إلى الله وتهيج عليه.

القسم الثاني : في سير المريد من بدايته إلى نهايته.

القسم الثالث :في آداب العارفين والواصلين والشيوخ المرشدين.

ويعتمد الشيخ ابن عطاء في الحكم مبدأ العرض المتكرر المتجدد للأساسيات التي يريد أن يعمّقها في السير إلى الله، ومن ههنا فإنك تجدها متشابهة المعاني ولكنها في القمة مما يحتاجه السائرون نحو الكمال إذا فُهمت على الوجه الصحيح.

إن الحكم تتحدث عن دقائق في الأعمال وحقائق في الأحوال يحتاجها المسلمون، كما أنها تنهض بالهمة نحو مقامات الصدّيقين والصالحين والعارفين والربانيين وهي محل اعتماد من دوائر كثيرة.

فأن يقدم لها شرح صافٍ وافٍ يرتاح إليه الفقيه ويأنس به الصوفي ولا يجد فيه السلفي مأخذاً، فلعل ذلك يكون حافزاً ودافعاً للخروج من أسر النقاشات الحادة فيما لا يغني، بل يضعف العمل فيما يرضي الله عز وجل.

إنه لا يكفي أن نقول عن كثير من القضايا إنها خطأ دون أن نقدم البديل الصالح، كما ذكر ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم، ولا تنطبق هذه الحقيقة على شيء كانطباقها على ما نحن فيه :

فالتوجهات الروحية والقلبية نحو الله عز وجل عميقة في النفس البشرية، والناس في هذا متفاوتون والرغبة في الكمال تحث على السير في طريقه، والظمأ القلبي والروحي للتعامل الخاشع المخلص مع الله عز وجل شديد، ولا بد أن تقول للناس : هذا هو الطريق الصحيح.

وإني لأرجو أن أكون قد وُفِّقت في هذا الشرح لأن أزيل الملتبس، وأقدم الواضح المتضح الذي يقبله كل منصف.

وأنا بانتظار أي ملاحظة صحيحة لأعدّل الكتاب على ضوئها في طبعة لاحقة إن شاء الله تعالى.

* * *

تتألف الحِكَم كما قلنا من ثلاثة أقسام : القسم الأول في المقدمات والمهيّجات

على السير ويتألف هذا القسم من ستة فصول يحدثنا فيها الشيخ عن أمهات من المعاني لا بد أن يلحظها السائر إلى الله، وكأن الشيخ رحمه الله يقول : هذا هو الطريق الصحيح وهذه معانيه حتى إذا عرَّفك على ذلك ووجدت نفسك تفتقده قال لك : تعال وابدأ السير من بدايته الصحيحة ألا وهي الولي المرشد والذكر المستمر، وههنا يبدأ القسم الثاني : وهو في أدب المريد، ويستمر هذا القسم حتى نهاية الفصل السابع عشر حيث يصل السالك إلى مقام البقاء بعد الفناء، وعندئذ يبدأ القسم الثالث : في آداب العارفين والواصلين ويستمر حتى نهاية الحِكَم، وكلام الشيخ كله يدور في مقامات الصدّيقين والربانيين أو في السير نحو هذه المقامات وهي مقامات قلّ السالكون إليها والمتحققون بها ﴿ **والسابقون السابقون * أولئك المقربون * في جنات النعيم * ثلّة من الأولين * وقليل من الآخرين** ﴾.[1]

إن مقام الصدّيقية يجتمع لصاحبه دقائق في الإيمان والعمل، وقد يكون عمل الصدّيق كعمل غيره، وأحياناً قد يكون عمل الصدّيق أقل من عمل غيره، فما الذي جعله صدّيقاً، تجد إنساناً يعمل نفس العمل الذي يعمله الآخر ومع أن العمل واحد فقد يكون العامل صدّيقاً أو صالحاً أو منافقاً، المرجع في النهاية إلى القلب، فمرجع مقام الصدّيقية في النهاية إلى القلب في قضية الإيمان، ومرجعه إلى القلب في الأحوال التي ترافق الأعمال، وكلام ابن عطاء الله يرجع في النهاية إلى هذه الدقائق القلبية، سواء كانت هذه الدقائق لها علاقة بالإيمان أو لها علاقة بالأعمال، فهو عندما يحدّثنا عن الأعمال إنما يحدّثنا عن دقائق قلبية ينبغي أن يفطن إليها الإنسان وهو يعمل، وهو عندما يحدّثنا عن القلوب يحدّثنا عن كل ما ينبغي أن يتحرر منه الإنسان، وعن كل ما ينبغي أن يتحقق به الإنسان.

وكما قلنا فإن القسم الثالث يستمر حتى نهاية الحِكَم وهو يركز على أدب العارفين والشيوخ الربانيين سواء في ذلك أدب الظاهر والباطن.

* * *

(١) سورة الواقعة: (١٠ ــ ١٤).

وفيما بين يدي الكتاب ننقل بعض ما ترجم به ابن عجيبة للشيخ ابن عطاء الله السكندري قال : فهو الشيخ الإمام تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين ابن عطاء الله الجذامي نسباً، المالكي مذهباً، الإسكندري داراً، القرافي مزاراً، الصوفي حقيقة، الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه، وتحية عصره وأوانه، المتوفى في جمادى الآخرة سنة تسع بتقديم التاء وسبعمائة قاله الشيخ زروق (وقال في الديباج المذهب) كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو وأصول وغير ذلك، كان رحمه الله متكلماً على التصوف واعظاً انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه، قلت : وقد شهد له شيخه أبو العباس المرسي بالتقديم فال في لطايف المنن قال لي الشيخ: الزم فوالله لئن لزمت لتكونن مفتياً في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن، (وقال فيه أيضاً) : والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله (وقال فيه أيضاً) : والله ليكونن لك شأن عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم قال : فكان بحمد الله ما لا أنكره.

وهذه الحِكَم التي ستقرؤها وترى شرحها كافية لتدلك على جلالة قدره فههنا بيان لا تجد أروع منه في كلام المؤلفين، وتوحيداً لا أعلى منه، ومعرفة بدقائق النفوس لا تجدها إلا عند العارفين.

* * *

وإذا كان كلام الشيخ منصبّاً في الغالب على قضايا القلوب، فقد حاولت أن أجمع من كتب أهل السير إلى الله بعض ما أعتبره مكملاً لكلام الشيخ فجعلت كل قسم من أقسام هذا الكتاب « بابين » باباً فيه مختارات من كلام تناسب المقام وباباً شرحت فيه فصول القسم.

ولكي يستأنس القارئ لما سيمر عليه من أبحاث فقد جمعت عدداً من الأحاديث النبوية وجعلتها في أول الكتاب ليعرف القارئ أن المعاني التي ستمر معنا مبنية على أساس وطيد في السنة النبوية، وأن الذين تكلموا في دقائق الأعمال والقلوب لم يأتوا بدعاً من القول، ولا ابتداعاً في الأمر، فأصبحت أقسام الكتاب أربعة :

القسم الأول : وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

القسم الثاني : توجيهات للطالبين.

القسم الثالث : توجيهات للمريدين.

القسم الرابع : توجيهات للعارفين والشيوخ والمرشدين.

* * *

القسم الأول

وخير الهدي هديُ محمد ﷺ


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمة

أردت بهذا القسم أن أذكّر بمعانٍ لا يستغرب معها القارئ كثيراً مما سيمر عليه في الأقسام التالية من أقوال أهل السلوك إلى الله عز وجل، وقدمته لأن الكتاب والسنة لهما حق التقديم.

كما أردت بهذا القسم أن يمر السالك إلى لله بمطلوبات منه، اعتاد أهل السلوك ألا يذكروها في كتبهم؛ لأن محلها عندهم كتب علوم أخرى، وجعلت هذا القسم يثير أرض القلب ويزرعها ويرويها ليأتي ما بعد ذلك خادماً لما زرعه الشارع في القلوب فأحياها به.

ولقد اخترت أحاديث هذا الباب من كتاب جمع الفوائد لمحمد بن محمد بن سليمان بتخريج عبد الله هاشم اليماني فهو من أجمع الكتب للسنة[1]، وعلّقت تعليقات قصيرة على بعض أحاديثه تناسب المقام.

لقد كتبت هذا الكتاب وأنا أعرف شدة الحساسية االتي سيقابلها به بعض الناس، وجوابي عليهم مسجل في كتاب مستقل هو « جولات في الفقهين الكبير والأكبر » والعبرة عندي للمضمون فمن كان عنده ملاحظة على المضمون فليتقدم بها عن

---

(١) جمع فيه صاحبه أحاديث أربعة عشر كتاباً من أمهات كتب السنّة، وهي: الصحيحان للبخاري ومسلم، والسنن للترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه، وموطأ مالك، ومسانيد أحمد وأبي يعلى والدارمي وأبي بكر البزار، ومعاجم الطبراني الثلاثة.

طريق عنوان الناشر، وستحظى أي ملاحظة بالاهتمام اللائق بها إن شاء الله عز وجل.

لقد امتلأت المكتبة الإسلامية الحديثة بغذاء العقل والفكر، وهي بحاجة إلى مزيد، وبقي فراغ في الكتب التي تغذي القلب والروح، ولذلك كرست جزءاً من وقتي لمثل هذا، وإذا قبل الله فكل شيء بعد ذلك سهل.

إن القلب يحيا بكلمة الحكمة، وإنني لأرجو أن يكون ما حواه هذا الكتاب نوعاً من الحكمة ودافعاً نحو الكتاب والسنة اللذين جمعا الحكمة، ولكن من المعلوم أن هناك ناساً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم وفي وصف صحيح آخر لهم « إيمانهم لا يجاوز حناجرهم » فهذا الكتاب يساعد على أن يوجد القلب الذي تدخله معاني القرآن فتملؤه بالهدى والنور.

وها أنت ذا مع ما اخترناه لك من أحاديث رسول الله ﷺ مما يناسب موضوعات هذا الكتاب :

النصوص (*)

١ ـــ (أبو سعيد) « يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان » قال أبو سعيد : فمن شك فليقرأ : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** ﴾[1]. للترمذي. رواه الشيخان مرفوعاً في حديث الشفاعة الطويل، كذا في تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٧.

أقول : فالمعول عليه عند الله تعالى ما في القلوب، ومن ههنا كان للسير القلبي إلى الله أهميته العظمى التي لا تعدلها أهمية، وكان للعلم الذي يبحث في ذلك الشرف الكبير، بل إن محصلة دراسة الكتاب والسنة هي الوصول إلى الإيمان وزيادته.

٢ ـــ (وعنه) رفعه: « من قال رضيت بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة » لأبي داود. رواه أيضاً النسائي. وأخرجه مسلم والنسائي من

(*) أسقط صاحب كتاب « جمع الفوائد » أسانيد الأحاديث اختصاراً مع ذكر الراوي فقط، وقال في مقدمة كتابه: « وإذا عبر الراوي في صيغة أدائه بنحو: سمعت النبي ﷺ، أو قال: عن...، قلت أنا بعد ذكر ذلك الراوي: رفعه ـــ إن كان صحابيّاً ـــ، وأرسله ـــ إن كان غيره ـــ ».
وتماماً للفائدة وضعنا في نهاية كل حديث ما ذكره الشيخ عبدالله هاشم اليماني من تعليقات عليه. وقد وضعنا عناوين أبواب كتاب « جمع الفوائد » أعلى كل مجموعة أحاديث منتقاة من هذه الأبواب.

١ ـــ (٣/١) كتاب الإيمان ـــ فضل الإيمان ـــ رقم: ٥. (١) سورة النساء: (٤٠).

٢ ـــ (٣/١) الموضع السابق رقم: ٦.

حديث أبي عبد الرحمن الحبلي عبد الله بن يزيد عن أبي سعيد أتم منه، كذا في تخريج السنن ٢ /١٥٤.

أقول : والرضا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، علامة الرضا بدين الله طاعة وتسليماً، والرضا بمحمد ﷺ قدوة وإماماً، والرضا بالرب مظهره الإسلام لدينه والاستسلام لقضائه وقدره.

٣ ــ (أبو ذر) خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله ﷺ يمشي وحده وليس معه إنسان فقلت : إنه يكره أن يمشي معه أحد قال : فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال : « من هذا؟ » فقلت : أبو ذر جعلني الله فداك قال : « يا أبا ذر تعال » قال: فمشيت معه ساعة فقال: « إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً فنضح فيه عن يمينه وشماله وبين يديه وورائه وعمل فيه خيراً » قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : « اجلس ههنا » قال : فأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي : «هنا حتى أرجع إليك » قال : فانطلق في الحرة حتى لا أراه فلبث عني فأطال اللبث، ثم إني سمعته يقول وهو مقبل : « وإن زنى وإن سرق »، قال : فلما جاء لم أصبر فقلت : يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلم في جانب الحرة؟ ما سمعت أحداً يرجع إليك شيئاً، قال : « ذاك جبريل عرض لي في جانب الحرة ، فقال :بشّر أمتك من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فقلت : يا جبريل وإن زنى وإن سرق، قال : نعم . قلت : يا رسول الله وإن سرق وإن زنى قال : وإن سرق وإن زنى قال: نعم وإن شرب الخمر. للشيخين.

أقول: متى سلم الإيمان والتوحيد فالظن بالرحمة الإلهية لا حدود له، ولكن مشيئة الله مطلقة فهل يعذب العاصي أو يتوب الله عليه؟ الأمر إلى المشيئة ولذلك شمر القوم عن ساق الجد وشدوا.

٤ ــ (صهيب) رفعه: « عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك

---

٣ ــ (٥/١) الموضع السابق رقم: ١٤.

ومعنى الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار.

٤ ــ (٧/١) كتاب الإيمان ــ فضل الإيمان ــ رقم: ٢١.

لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً » لمسلم.

ههنا كلام عن الصبر والشكر، ومن هذا الحديث وأمثاله أخذ القوم فكرة مقامات القلوب كالزهد والإخلاص والتوكل والخوف والرجاء، فليست الكتابة في هذه الشؤون بدعاً من القول بل هي من باب جمع النظير إلى النظير.

٥ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول : لا يا رب. فيقول : أَفَلَكَ عذر؟ فيقول : لا يا رب فيقول تعالى : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول : أحضر وزنك، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات قال : فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء » للترمذي. وقال حديث حسن غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

من هذا الحديث أخذ القوم فكرة احترام أهل لا إله إلا الله، وقبولهم على ما فيهم، فلعلهم يتعرضون بحضورهم مجالس العلم والذكر إلى رحمات الله ونفحاته.

٦ ــ (أبو أمامة) قال رجل : يا رسول الله ما الإيمان؟ قال : « إذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فأنت مؤمن » للكبير.

أخرجه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء في المختارة، قال الحاكم على شرطهما وأقره الذهبي، قال العراقي في أماليه : حديث صحيح، وقال الهيثمي: رجال الطبراني رجال الصحيح إلا أن فيه يحيى بن أبي كثير مدلس وإن كان من رجاله. ورواه أحمد أيضاً عن أبي موسى بإسناد رجاله ثقات لكن فيه

٥ ــ (٩/١) الموضع السابق رقم: ٣١.

٦ ــ (١٦/١) كتاب الإيمان ــ تعريف الإيمان والإسلام رقم: ٥٧.

انقطاع بلفظ « من عمل حسنة فسر بها ومن عمل سيئة فساءته فهو مؤمن » كذا في الفيض ١ ــ ٣٧٤ ومجمع الزوائد ١ ــ ٨٦.

٧ ــ (أنس) رفعه : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب أليه من والده وولده والناس أجمعين ». للشيخين والنسائي.

٨ ــ (وعنه) رفعه : « لا يؤمن أحد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ». للشيخين والترمذي والنسائي.

ومن ههنا ركّز القوم على الإيثار والخدمة ومحبة الخير للآخرين.

٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم ». للترمذي والنسائي.

وله وللبخاري وأبي داود عن عمرو بن العاص بدل « والمؤمن » إلى آخره « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ».

١٠ ــ (ابن عمرو بن العاص) « أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » للشيخين والنسائي.

١١ ــ (ابن مسعود) سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة فقالوا : إن أحدنا ليجد في نفسه مالأنْ يحترق حتى يصير حُمَمَة أو يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به قال : « ذلك محض الإيمان ». لمسلم.

وله ولأبي داود من طريق آخر « الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة ».

---

٧ ــ (١/١٧) كتاب الإيمان ــ خصال الإيمان وآياته ــ رقم: ٦٩.

٨ ــ (١/١٧) الموصع السابق رقم: ٧٠.

٩ ــ (١/١٨) الموضع السابق رقم: ٧٤.

١٠ ــ (١/١٨) الموضع السابق رقم: ٧٦.

١١ ــ (١/٩) الموضع السابق رقم: ٧٩. ومعنى حممة: قطعة من الرماد أو الفحم.

يعرض للسالك في أوائل سيره ــ وقد يتكرر ذلك معه ــ أنواع من الهواجس والوساوس، وعادة الشيوخ أن يداووا مثل هذا، إما بذكر الأدلة وتدريس علم التوحيد، وإما بمطالبة الذاكر بالإكثار من الذكر وتلاوة القرآن والتأمّل فيه حتى يقلع ذلك عنه، ولقد قال لي أحد شيوخنا : إذا ثقلت الوساوس على الصدر فإما يخرج الإنسان بسببها صدّيقاً أو زنديقاً فإن أكرمه الله فألقاه للربانيين خرج صدّيقاً، وإن ألقاه للملحدين خرج زنديقاً، وقد قال أهل السلوك : إن مما يداوى به هذا الحال الإكثار من قول الله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ﴾[1].

وكثرة الشكر على أن جعلنا من ذرية قوم مسلمين فعرّفنا على الإسلام.

١٢ ــ (عمرو بن عبسة) قلت : يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟ قال : « حر وعبد » قلت : ما الإسلام؟ قال : « طيب الكلام وإطعام الطعام ». قلت : ما الإيمان؟ قال : الصبر والسماحة » قلت : أي الإسلام أفضل؟ قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » قلت : أي الإيمان أفضل؟ قال : « خُلُق حسن » قلت : أي الصلاة أفضل؟ قال : « طول القنوت » قلت : أي الهجرة أفضل؟ قال : « أن تهجر ما كره ربك ». للكبير وأحمد بلفظه.

وروى مسلم منه « من معك على هذا الأمر قال : حر وعبد ». وفي إسناده شهر ابن حوشب وقد وثق على ضعف فيه كذا في مجمع الزوائد ١ ــ ٥٤.

١٣ ــ (علقمة) قال : قال عبد الله : الصبر نصف الإيمان واليقين الإيمان كله. للكبير.

رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ١ ــ ٥٧.

---

(١) سورة ابراهيم: (١٩ ــ ٢٠).

١٢ ــ (١٩/١) كتاب الإيمان ــ خصال الإيمان وآياته ــ رقم: ٨٣.

١٣ ــ (١٩/١) الموضع السابق رقم: ٨٤.

١٤ ــ (عوف بن مالك الأشجعي) كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال : « ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟ » وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله فعلى ماذا نبايعك؟ قال : « أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وتصلوا الصلوات الخمس، وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفية قال : ولا تسألوا الناس شيئاً » فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه. لمسلم وأبي داود والنسائي مطولاً.

هذا الحديث أصل أصيل في مراعاة أحوال السالكين واستعداداتهم فليس السالكون إلى الله سواء، وليس تحملهم سواء، من ثم يخص بعض السالكين بمزيد من التكليف يناسب حاله.

١٥ ــ (وقال رسول الله ﷺ : « ألا وإن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا ولكن ستكون له طاعة فيما تحتقرون من أعمالكم وسيرضى به ». للترمذي وللشيخين نحوه عن ابن عمر.

هذا الحديث أصل في اجتهاد أهل السير ألا يتساهلوا بالصغيرة والكبيرة، ومن ههنا يهتمون بالفرائض والواجبات والسنن والآداب والذوقيات والمروءات والأريحيات ويحذرون من الصغائر والكبائر، فالصغائر تجر إلى كبائر والكبائر تجر إلى كفر.

١٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » قال : وكان أبو هريرة يلحق : ولا ينتهب نهبة ذات شرف وهو مؤمن. للستة إلا مالكاً.

١٧ ــ (وعنه) رفعه : « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان وكان عليه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه الإيمان ». لأبي داود.

---

١٤ ــ (١/٢٠) كتاب الإيمان ــ أحكام الإيمان وذكر البيعة وغير ذلك ــ رقم: ٩٠.
١٥ ــ (١/٢٢) كتاب الإيمان ــ أحكام البيعة وغير ذلك رقم: ٩٨.
١٦ ــ (١/٢٣) الموضع السابق رقم: ١٠٥.
١٧ ــ (١/٢٣) الموضع السابق رقم: ١٠٦.

أخرجه أيضاً الحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي وقال العراقي في أماليه صحيح ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ١ / ٣٦٨.

هذا الحديث يدل على أن الإيمان شيء موجود له حقيقته في القلب ومهمة السالك أن يرعاه ويحافظ عليه وينميه ولا يفعل ما يخدشه أو يذهبه.

١٨ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم » للكبير.

أخرجه أيضاً الحاكم وقال رواته ثقات وأقره الذهبي كما أخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عمر بن الخطاب. قال الهيثمي وإسناده حسن. وقال العراقي في أماليه حديث حسن من طريقيه كذا في الفيض ٢ /٣٢٤.

١٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « جددوا إيمانكم » قيل : يا رسول الله كيف نجدد إيماننا؟ ! قال : « أكثروا من قول لا إله إلا الله » لأحمد.

وإسناده جيد وفيه سمير بن نهار وثقه ابن حبان كذا في مجمع الزوائد ١ /٥٢.

هذان دليلان على أن الإيمان بحاجة إلى تجديد مستمر وتجديده بالذكر والدعاء.

٢٠ ــ (ابن مسعود) رفعه: « إن الله عز وجل قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب فمن أعطاه الدين فقد أحبه، والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه. قلت: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب مالاً من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكنه يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث ».

---

١٨ ــ (٢٤/١) الموضع السابق رقم: ١٠٩.

١٩ ــ (٢٤/١) كتاب الإيمان ــ أحكام الإيمان وذكر البيعة وغير ذلك ــ رقم: ١١٠.

٢٠ ــ (٢٤/١) الموضع السابق رقم: ١١١. ومعنى بوائقه: ظُلَمه وغَشْمَه، وقال الكسائي: غوائله وشره.

رواه أحمد وغيره من طريق أبان بن إسحق عن الصباح بن محمد وقد حسنها بعضهم، والله أعلم كذا في الترغيب ٢/ ٥٥٠ وفي مجمع الزوائد ٥٣/١ رجال إسناده بعضهم مستور وأكثرهم ثقات.

في الحديث دليل على أن الإكرام الدنيوي ليس علامة على الكرامة عند الله بل قد يُمْتَحَنُ ويَسلَمُ الكافر والمنافق، وليُلاحِظ ذلك مريدو الربانيين فإذا رأوا الشيخ في محنةٍ أو فقرٍ أو من حوله في شدة فتلك سنن المرسلين وأصحابهم.

٢١ ـــ (أبو سعيد) رفعه : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط عليه غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم. فأي المدّتين غلبت على الأخرى غلبت عليه ». لأحمد والصغير بلين.

فيه ليث بن أبي سليم كذا في مجمع الزوائد ١ /٦٣.

هذا الحديث جوّد إسناده ابن كثير، وهو أصل أصيل في سير القلوب إلى الله ومحل ذلك في التكليف وما هو المطلوب شرعاً من كل مكلف في قضايا القلوب.

٢٢ ـــ (أبو هريرة) « مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كشجرة الأرز لا تهز حتى تستحصد » للبخاري والترمذي.

٢٣ ـــ (النواس بن سمعان) « إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، على كنفي الصراط زوران لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه، والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط

---

٢١ ـــ (٢٥/١) الموضع السابق رقم: ١١٥.

٢٢ ـــ (٢٥/١) كتاب الإيمان ـــ أحكام الإيمان وذكر البيعة وغير ذلك ـــ رقم ١١٨

٢٣ ـــ (٢٥/١) الموضع السابق رقم: ١١٩.

مستقيم، والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه » للترمذي.

من رواية بقية عن بجير بن سعد وقال حسن غريب كذا في الترغيب ٣/٢٤٤.

٢٤ ــ (علي) رفعه: « بعث الله يحيى بن زكريا إلى بني إسرائيل بخمس كلمات، فلما بعث الله عيسى، قال تعالى: يا عيسى قل ليحيى بن زكريا إما يبلّغ ما أرسلت به إلى بني إسرائيل وإما أن تبلغهم، فخرج يحيى حتى صار إلى بني إسرائيل فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ومثل ذلك كمثل رجل أعتق رجلاً وأحسن إليه وأعطاه فانطلق وكفر نعمته ووالى إلى غيره، وإن الله يأمركم أن تقيموا الصلاة، ومثل ذلك مثل رجل أسره العدو فأرادوا قتله فقال : لا تقتلوني فإن لي كنزاً وأنا أفدي نفسي فأعطاهم كنزه ونجا بنفسه، وإن الله يأمركم أن تصدقوا ومثل ذلك كمثل رجل مشى إلى عدوه وقد أخذ للقتال جُنّة فلا يبالي من حيث أتى، وإن الله يأمركم أن تقرأوا الكتاب ومثل ذلك كمثل قوم في حصنهم صار إليهم عدوهم، وقد أعدوا في كل ناحية من نواحي الحصن قوماً فليس يأتيهم عدوهم من ناحية من نواحي الحصن إلا وبين يديهم من يدرؤهم عن الحصن، فذلك مثل من يقرأ القرآن لا يزال في أحصن حصن » للبزار، وللترمذي نحوه عن الحارث الأشعري.

رواية الحارث الأشعري رواها الترمذي وقال حسن صحيح، والنسائي بعضاً منها، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم وقال صحيح على شرطهما، كذا في الترغيب ٢ /٣٩٧، ورواية البزار عن علي قال في مجمع الزوائد ١ /٤٤ رجاله موثقون إلا شيخ البزار الحسن بن محمد بن عباد فإني لم أعرفه.

٢٥ ــ (أبو موسى) قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور ــ وفي رواية النار ــ لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » لمسلم.

---

٢٤ ــ (١/٢٦) الموضع السابق رقم: ١٢٢.

٢٥ ــ (١/٢٦) كتاب الإيمان ــ أحكام الإيمان وذكر البيعة وغير ذلك ــ رقم: ١٢٣.

إن همّ أهل السلوك إلى الله عز وجل ترقيق الحجاب بين قلوبهم وبين الله عز وجل بسلوك طريق ذلك، وما دام الإنسان في الدنيا فلا بد من حجاب، ولكن شتان بين من على قلبه ران أو ختم، وبين من وصل إلى اليقين، ههنا تتفاوت درجات الصديقين.

٢٦ ــ (مالك) بلغني أن النبي ﷺ قال : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ».

٢٧ ــ (ابن مسعود) قال : عليكم بهذا القرآن فإنه مأدبة الله فمن استطاع منكم أن يأخذ مأدبة الله فليفعل فإنما العلم بالتعلم.

رواه البزار في حديث طويل ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١ /١٢٩.

٢٨ ــ (أنس) جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج رسول الله ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها قالوا : أين نحن من رسول الله ﷺ وقد غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » للشيخين وللنسائي نحوه.

٢٩ ــ (عائشة) صنع رسول الله ﷺ شيئاً فرخّص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال : « ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » للشيخين.

لاحظ كلمته عليه الصلاة والسلام « إني لاعلمهم بالله وأشدهم له خشية » لتعرف أن الناس يتفاوتون في العلم بالله وفي خشيته، والعلم الذي نتكلم عنه

---

٢٦ ــ (٢٧/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة رقم: ١٢٤.

٢٧ ــ (٢٩/١) الموضع السابق رقم: ١٤٠.

٢٨ ــ (٣٢/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ــ الاقتصاد في الأعمال ــ رقم: ١٥٨.

٢٩ ــ (٣٢/١) الموضع السابق رقم: ١٥٩.

يستهدف زيادة العلم بالله وزيادة الخشية، وهذا الأمر ليس عقلياً فكرياً نظرياً فحسب بل الجانب القلبي فيه مطلوب ومقصود وحول هذا يدندن العارفون.

٣٠ ـــ (أبو جحيفة) آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء مبتذلة فقال لها : ما شأنك؟ فقالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال : كُلْ، فإني صائم، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال : نم فنام، ثم ذهب يقوم فقال : نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن فصليا فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فأعط كل حق حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال : « صدق سلمان ». للبخاري والترمذي وزاد « ولضيفك عليك حقاً ».

٣١ ـــ (عائشة) كان لرسول الله ﷺ حصير يحجره بالليل فيصلي فيه ويبسطه بالنهار فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إليه يصلون بصلاته حتى كثروا فأقبل عليهم فقال : « أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قلّ » للستة.

وزاد في رواية : « وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه ».

٣٢ ـــ ومن رواياته : « سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة » قالوا : ولا أنت يا رسول الله. قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة ».

هذا الحديث في أصل معرفة أن رسول الله ﷺ ولآله ولأصحابه التزاماتهم اليومية الدائمة مع الله عز وجل، من ههنا يطالب أهل السلوك بترتيب الأوراد

---

٣٠ ــ (٣٣/١) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ــ الاقتصاد في الأعمال ــ رقم: ١٦٤. ومعنى متذلة: عير مهتمة بنفسها وثيابها.

٣١ ــ (٣٤/١) الموضع السابق رقم: ١٧٠.

٣٢ ــ (٣٤/١) الموضع السابق رقم: ١٧٢.

اليومية كل على حسب ما يطيق من الصلوات والأذكار وتلاوة القرآن والعلم والمطالعة والقيام بالحقوق.

٣٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن لكل شيء شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدد وقارب فارجوه وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه » للترمذي.

وقال : حسن صحيح غريب وفيه محمد بن عجلان وثقة أحمد وقال الحاكم : سيئ الحفظ كذا في الفيض ٢ /٥١٢.

هذا الحديث أصل في معرفة أن النفس تحتاج إلى حسن سياسة، فأحياناً تملّ وأحياناً تفتر وأحياناً تنقطع، وعلى صاحبها أن يعرف كيف يسوسها، وعلى الربانيين أن يعالجوا مثل هذا.

٣٤ ــ (حذيفة) رفعه : « فضل العلم خير من فضل العبادة وخير دينكم الورع » للأوسط وللبزار.

وفيه عبد الله بن عبد القدوس وثقه البخاري وابن حبان وضعَّفه ابن معين كذا في مجمع الزوائد ١ /١٢٠.

٣٥ ــ (أبو أمامة) ذكر للنبي ﷺ رجلان عالم وعابد فقال : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم؛ إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها والحيتان في البحر يصلّون على معلم الناس الخير » للترمذي.

قال الترمذي غريب وفي نسخة حسن صحيح قال الصدر المناوي : وفيه الوليد ابن جميل ليَّنه أبو زرعة كذا في الفيض ٤/٤٣٣. وفي الترغيب ١/١٠١ فقال رواه الترمذي وقال : حسن صحيح ورواه البزار من حديث عائشة مختصراً قال : « معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر ».

---

٣٣ ــ (١/٣٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة ــ الاقتصاد في الأعمال ــ رقم: ١٨٠. ومعنى شِرَّة: حرص ونشاط ورغبة، ومعنى فَتْرَة: وهن وضعف وسكون.

٣٤ ــ (١/٣٦) الموضع السابق رقم: ١٨٩.

٣٥ ــ (١/٣٦) الموضع السابق رقم: ١٩٠.

٣٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة » للترمذي وأبي داود.

وأخرجه مسلم أتم منه كذا في تخريج السنن ٥ /٢٤٤.

٣٧ ــ (معاذ بن أنس) رفعه: « من علم علماً فله أجر من عمل به لا ينقص من أجر العامل » للقزويني.

فيه سهل بن معاذ ضعفه كثيرون لكن الترمذي حسنه وصحح له واحتج به الحاكم وابن خزيمة وغيرهما وذكره ابن حبان في الثقات وهذا الخبر مما انفرد به ابن ماحه كذا في الفيض ٦ /١٨٢ والترغيب ٤/٥٧١.

٣٨ ــ (أبو أمامة) رفعه : « من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له أجر حاج تاماً حجته ».

إسناده لا بأس به كذا في الترغيب.

٣٩ ــ (سهل بن سعد) رفعه : « من دخل مسجدي هذا يتعلم خيراً أو يعلمه كان بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك من أحاديث الناس كان بمنزلة الذي يرى ما يعجبه وهو شيء لغيره ». هما للكبير.

وفيه يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه البخاري وابن حبان وضعفه النسائي وغيره ولم يستندوا في ضعفه إلا إلى أنه محدود وسماعه صحيح كذا في مجمع الزوائد ١ /١٢٣.

٤٠ ــ (ابن عباس) رفعه : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » للترمذي. وللشيخين عن معاوية مطولاً.

---

٣٦ ــ (٣٧/١) الموضع السابق رقم: ١٩٦.

٣٧ ــ (٣٨/١) الموضع السابق رقم: ٢٠٣.

٣٨ ــ (٣٨/١) كتاب العلم ــ فضله والحث عليه ــ رقم: ٢٠٤.

٣٩ ــ (٣٨/١) الموضع السابق رقم: ٢٠٥.

٤٠ ــ (٣٩/١) الموصع السابق رقم: ٢٠٩.

٤١ ــ (أنس) رفعه : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » للترمذي.

رواه أيضاً الضياء في المختارة وقال الترمذي : حسن غريب ولم يرفعه بعضهم وفيه خالد بن يزيد اللؤلؤي قال العقيلي: لا يتابع على كثير من حديثه ثم ذكر له هذا الخبر قال الذهبي رواه مقارب كذا في الفيض ٦ /١٢٤ وفي الترغيب رواه الترمذي وقال حسن ١ /١٠٥.

٤٢ ــ (ثعلبة بن الحكم) رفعه : « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لفصل عباده : إني لم أجعل علمي وحلمي فيكم إلا وأنا أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي » للكبير.

رواته ثقات كذا في الترغيب ١ /١٠١.

هذا الحديث أصل في أن طالب العلم يجب أن يجتمع له مع العلم الحلم وإلا فإنه لا يكون من العلماء، وهذا مما يغفل عنه أكثر الخلق.

٤٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من سئل علماً يعلمه فكتمه أُلجم بلجام من نار » للترمذي وأبي داود.

رواه أيضاً النسائي وابن ماجه والحاكم، قال الترمذي حسن، وقال الحاكم على شرطهما. وقال المنذري : في طرقه كلها مقال إلا أن طريق أبي داود حسن. وقال الذهبي في الكبائر إسناده صحيح رواه عطاء عن أبي هريرة وأشار بذلك إلى أن رجاله ثقات، لكن فيه انقطاع كذا في الفيض ٦/١٤٦، وفي الترغيب ١/١٢١، قال رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والبيهقي. ورواه الحاكم بنحوه وقال: صحيح على شرط الشيخين، ورواه ابن حبان والحاكم وقال : صحيح لا غبار عليه من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ « من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ».

---

٤١ ــ (١/٣٩) الموضع السابق رقم: ٢١١.

٤٢ ــ (١/٤٠) الموضع السابق رقم: ٢٢٢.

٤٣ ــ (١/٤٠) كتاب العلم ــ فضله والحث عليه ــ رقم: ٢٢٣.

٤٤ ـــ (سهل بن سعد) رفعه : « والله لأن يهدى بهداك رجل واحد خير لك من حمر النعم » لأبي داود.

وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي مطولاً في غزوة خيبر، وقوله هذا لعلي رضي الله عنه، كذا في تخريج السنن ٥/٢٥٣.

٤٥ ـــ (شقيق) كان عبد الله يُذَكِّرُ الناس في كل خميس فقالَ له رجل يا أبا عبد الرحمن لَوَددت أنكَ ذكَّرْتَنا كل يوم قال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملّكم وإني أتخولكم بموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا. للشيخين والترمذي.

٤٦ ـــ (عكرمة)أن ابن عباس قال : « حدِّث الناس مرة في الجمعة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاثاً، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه؛ فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك » للبخاري.

هذان أصلان في ترتيب حلقات العلم والوعظ والتذكير والذي أراه للرباني أن يجعل للحلقة ثلاث جلسات، جلسة للعربية ولعلوم القرآن وللقرآن، وجلسة للحديث والسيرة ولعلوم الحديث، وجلسة للفقه بأنواعه كلها.

٤٧ ـــ (علي) قال : حدِّثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله. للبخاري.

٤٨ ـــ وعنه قال : إن الفقيه حق الفقيه من لم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولا

---

٤٤ ـــ (٤١/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٤.

٤٥ ـــ (٤٢/١) آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا والكتابة ـــ رقم: ٢٣٤. ومعنى أتخولكم: أتعهدكم.

٤٦ ـــ (٤٢/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٣٥.

٤٧ ـــ (٤٢/١) آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا والكتابة ـــ رقم: ٢٣٦.

٤٨ ـــ (٤٢/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٣٧.

يؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يرخِّص لهم في معاصي الله، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها. للدارمي.

٤٩ ـــ (كثير بن مرة) قال : لا تحدث الباطل للحكماء فيمقتوك، ولا تحدّث الحكمة للسفهاء فيكذبوك، ولا تمنع العلم أهله فتأثم، ولا تضعه في غير أهله فتجهل، إن عليك في علمك حقّاً كما أن عليك في مالك حقّاً للدارمي.

٥٠ ـــ (ابن مسعود) قال: ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة. لمسلم.

هذان أصلان يحددان طبيعة العطاء العلمي، وأنه ينبغي أن يراعى فيه حال السامعين.

٥١ ـــ (وعنه) قال : لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم هلكوا. للكبير والأوسط.

ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١ /١٣٥.

هذا أصل في ضرورة أخذ العلم عن الناضجين، فذلك أدعى إلى الاتضاح والاقتداء والتنوير.

٥٢ ـــ (فضالة بن عبيد) كان إذا أتاه صاحبه قال : تدارسوا وانشروا وزيدوا زادكم الله خيراً وأحبكم وأحب من يحبكم، ردوا علينا المسائل فإن أجر آخرها كأجر أولها واخلطوا حديثكم بالاستغفار. للكبير.

ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١ /١٦١.

٥٣ ـــ (أبو نضرة) كان أبو سعيد يقول: تحدَّثوا فإن الحديث يذكِّر بعضه بعضاً.للأوسط، ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ١ /١٦١.

---

٤٩ ـــ (٤٢/١) الموصع السابق ـــ رقم: ٢٣٨.
٥٠ ـــ (٤٣/١) الموصع السابق ـــ رقم: ٢٣٩.
٥١ ـــ (٤٣/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٤٥.
٥٢ ـــ (٤٤/١) الموصع السابق ـــ رقم: ٢٥٠.
٥٣ ـــ (٤٤/١) آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا والكتابة ـــ رقم: ٢٥١.

٥٤ ــ (ابن عمر) قال : لقد عشت برهة من دهري وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلّم حلالها وحرامها وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده وينثره نثر الدقل. للأوسط.

ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ١ /١٦٥.

هذا اصل في أن نقطة البداية التي ينبغي التركيز عليها هي الإيمان علماً وحالاً.

٥٥ ــ (أبو هريرة) رفعه: « يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى : أبي تغترون أم عليَّ تجترئون! فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم منهم حيران » للترمذي.

رواه الترمذي من رواية يحيى بن عبيد سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة فذكره. ورواه مختصراً من حديث ابن عمر وقال حديث حسن كذا في الترغيب ١ /٦٦.

هذا أصل في أن يتخير الإنسان مَنْ يتتلمذ عليه، بأن يكون من اجتمع له علم صالح وحال صالح.

٥٦ ــ (جندل) رفعه : « مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه ». للكبير مطولاً.

ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١ /١٨٥.

٥٧ ــ (عمر) رفعه : « يظهر الإسلام حتى تختلف التجار في البحر وحتى

---

٥٤ ــ (٤٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٥٣.
٥٥ ــ (٤٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٥٨.
٥٦ ــ (٤٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٦١.
٥٧ ــ (٤٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٦٢.

تخوض الخيل في سبيل الله، ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن يقولون: من أقرأ منا، من أعلم منا، من أفقه منا، ثم قال لأصحابه : هل في أولئك من خير! قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : أولئك منكم من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار ». للأوسط والبزار.

بإسناد لا بأس به. ورواه أيضاً أبو يعلى والبزار والطبراني من حديث العباس بن عبد المطلب كذا في الترغيب ١ /١٣٠.

٥٨ ــ (ابن عباس) رفعه : « إن أناساً من أمتي سيتفقهون في الدين ويقرؤون القرآن ويقولون : نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا، ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم إلا...ــ قال محمد ابن الصباح: كأنه يعني الخطايا » للقزويني.

ورواته ثقات كذا في الترغيب ١ /١١٧.

أقول: هذا الموضوع يختلف باختلاف الأحوال والأمراء والعلماء وتحكمه الفتوى المبصرة من أهلها والحديث محمول على أمراء السوء الذين لا يرضيهم من العالم إلا أن يداهن وينافق ويفتي بما يوافق هواهم.

٥٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله » قال أبو هريرة وهو آخذ بيد رجل : صدق الله ورسوله سألني اثنان وهذا ثالث.

٦٠ ــ وفي رواية « يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته ».

٦١ ــ وفي أخرى : « لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خَلْقُ الله فمن خَلَق الله فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله ورسله ». للشيخين

---

٥٨ ــ (٤٦/١) آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا والكتابة ــ رقم: ٢٦٤.

٥٩ ــ (٤٧/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧١.

٦٠ ــ (٤٧/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧٢.

٦١ ــ (٤٧/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧٣.

٦٢ ــ ولأبي داود نحوه قال : « فإذا قالوا ذلك فقولوا : الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ من الشيطان ».

أقول: في كتابنا (الله جل جلاله) حاولنا أن نعطي الجواب على مثل هذه الأسئلة لأن السائلين على أنواع: فمنهم الحائر، ومنهم المتحذلق، والسائل الصادق ينبغي أن يجاب على سؤاله بما يزيل حيرته.

٦٣ ــ (المقداد بن الأسود) قلت للنبي ﷺ : شيء سمعته منك شككت فيه قال : « إذا شكّ أحدكم في الأمر فليسألني عنه » قال : قولك في أزواجك إني لأرجو لهن من بعدي الصديقين، قال : « ومن تعدون الصديقين »! قلنا : أولادنا الذين يهلكون صغاراً، قال : « لا، الصديقون هم المتصدقون ثلاثاً » للكبير.

رجاله ثقات كلهم إلا أن قرينة قال الذهبي تفرد عنها ابن أخيها موسى بن يعقوب الزمعي. كذا في مجمع الزوائد ١ /١٥٦.

٦٤ ــ (سليمان بن يسار) إن رجلاً قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عرجوناً فقال : من أنت! قال : أنا عبد الله صبيغ فأخذ عمر العرجون وقال : أنا عبد الله عمر، فجعل يضربه حتى دمي رأسه، فقال : يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي. للدارمي.

٦٥ ــ (ابن مسعود) قال : إن الذي يفتي الناس بكل ما يستفتونه فيه مجنون. للكبير.

رجاله موثقون. كذا في مجمع الزوائد ١ /١٨٣.

أقول : من مثل هذا أخذ العلماء الحكمة : ما كل ما يعلم يقال.

---

٦٢ ــ (٤٧/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧٤.

٦٣ ــ (٤٨/١) آداب العلم والسؤال والقياس والفتيا والكتابة ــ رقم: ٢٨٠.

٦٤ ــ (٤٨/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٢.

٦٥ ــ (٤٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٦.

٦٦ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « بلغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ». للبخاري والترمذي.

أفاد هذا الحديث أن تبليغ الإسلام ضروري في كَل الأحوال وعلى كل مسلم أن يكون داعية إلى الله.

٦٧ ــ (عن أبي هريرة) حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم. للبخاري.

هذا أصل في أن العالم قد يعلم حقائق فيكتمها لما يترتب على ذلك من أضرار ولكن هذا مخصوص فيما ليس مفروضاً أن يبلَّغ.

٦٨ ــ (أسامة الهذلي) رفعه : « إذا شهدت أمة من الأمم وهم أربعون رجلاً فصاعداً أجاز الله شهادتهم، أو قال: صدّق الله شهادتهم ». للكبير والأوسط وفيه صالح بن هلال.

رواه أيضاً الضياء في المختارة وقال الهيثمي فيه صالح بن هلال مجهول على قاعدة أبي حاتم دون غيره. ففي تجهيله خلاف فالأوجه تحسين الحديث. كذا في الفيض ١ /٣٨٨.

هذا أصل يمكن أن يستفاد منه في القضايا التنظيمية فأربعون من العدول يصلحون أن يكونوا حجة على استقامة طريق ويمكن أن يكونوا نواة لعمل خير.

٦٩ ــ (عمر بن عبد العزيز) كتب إلى بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً. للبخاري.

---

٦٦ ــ (١/٥٠) رواية الحديث ورواياته وكتابته وقبض العلم ــ رقم: ٢٩٤.

٦٧ ــ (١/٥٠) الموضع السابق ــ رقم: ٢٩٨.

٦٨ ــ (١/٥١) الموضع السابق ــ رقم: ٣٠٢.

٦٩ ــ (١/٥٤) رواية الحديث ورواته وكتابته وقبض العلم ــ رقم: ٣٢١.

٧٠ — (ابن عمرو بن العاص) رفعه : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. للشيخين والترمذي.

٧١ — (أبو الدرداء) كنا مع النبي ﷺ فشخص ببصره إلى السماء ثم قال : « هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدرون منه على شيء. فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن فوالله لنقرأنّه أبناءنا ونساءنا، فقال النبي ﷺ : « ثكلتك أمك زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوارة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم » قال جبير : فلقيت عبادة بن الصامت فقلت : ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته الذي قال، فقال : صدق إن شئت حدّثتك بأول علم يرفع، أول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً. للترمذي. وقال حسن غريب.

هذا يدل على أن الخشوع علم من العلوم وهو علم مرتبط بعلوم القلب الإيمانية، وقد كاد هذا العلم أن يموت وإحياؤه في مثل هذه الدراسات التي سجلناها في تربيتنا الروحية والمستخلص وهذا الكتاب.

٧٢ — (عمران بن حصين) سمعت من رسول الله ﷺ أحاديث وحفظتها ما يمنعني أن أحدّث بها إلا أصحابي يخالفوني فيها. للكبير.

ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١ /١٤١.

هذا أصل في ترك الكلام فيما يعتبره الناس شاذا وفي ذلك يقول علي رضي الله عنه : « لا تفعل ما يسبق إلى العقول إنكاره، وإن كان عندك اعتذاره » وقد سجلها ابن عطاء في الحكم.

٧٣ — (أبو مالك الأشعري) رفعه: « الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ

---

٧٠ — (٥٤/١) الموضع السابق — رقم: ٣٢٢.

٧١ — (٥٤/١) الموضع السابق — رقم: ٣٢٣.

٧٢ — (٥٦/١) الكذب على النبي ﷺ والاحتراز منه والتكذيب بما صح عنه — رقم: ٣٣٧.

٧٣ — (٥٨/١) كتاب الطهارة — رقم: ٣٤٣.

الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ــ أو تملأ ــ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها ». لمسلم والترمذي والنسائي.

٧٤ ــ (أبو سعيد) في رواية للأوسط ــ رفعه ــ : « من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة، ومن قرأ العشر الآيات من آخرها وخرج الدجال لم يضره، ومن توضأ فقال : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كتب في رق ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة » رفعه أبو سعيد.

ورجاله رجال الصحيح. كذا في مجمع الزوائد ١ /٢٣٩.

٧٥ ــ (معدان بن أبي طلحة) لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلني الجنة، أو قال : أحب الأعمال إلى الله فسكت ثم سألته الثالثة فقال : سألتُ عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك بها درجة وحط عنك بها خطيئة » قال معدان : ثم أتيت أبا الدرداء فسألته فقال مثله. لمسلم والترمذي والنسائي.

٧٦ ــ (أنس) رفعه : « من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » للترمذي.

وقال حديث حسن غريب ١ /٢٩٥.

٧٧ ــ (ابن عمر) أن النبي ﷺ ذكر الصلاة يوماً فقال : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وأبي بن خلف » لأحمد والكبير والأوسط.

---

٧٤ ــ (١/٨١) فضل الوضوء ــ رقم: ٥١٩.

٧٥ ــ (١/١٣٥) كتاب الطهارة (فضلها) ــ رقم: ٩٢٨.

٧٦ ــ (١/١٣٧) الموضع السابق ــ رقم: ٩٤٠.

٧٧ ــ (١/١٤٤) وجوب الصلاة أداء وقضاء ــ رقم: ٩٤٠.

٧٨ ــ (أبو مالك الأشجعي) عن أبيه: كان النبي ﷺ إذا أسلم الرجل أوّل ما يعلّمه الصلاة أو قال علمه الصلاة. للبزار والكبير.

ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ١ /٢٩٣.

هذا أدب عظيم يجب أن يتمسك به الربانيون فمتى بدأ المريد السير أحالوه على من يفقهه، وأول الفقه فقه الصلاة.

٧٩ ــ عن جابر : وقال أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها تدفع تسعة وتسعين باباً من الضر أدناها الهم.

للطبراني في الأوسط والصغير وفيه بلهط ضعفه العقيلي ووثقه ابن حبان كذا في مجمع الزوائد ١ /٣٠٦.

٨٠ ــ (أبو عمير بن أنس) عن عمومة له من الأنصار : اهتم رسول الله ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟ فقيل : انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً فلم يعجبه ذلك، فذكر له القنع وهو شبور اليهود فلم يعجبه، فقال : هذا من أمر اليهود، فذكر له الناقوس فقال : هو من أمر النصارى فانصرف عبد الله بن زيد الأنصاري وهو مهتم لهمِّ رسول الله ﷺ فأري الأذان في منامه فغدا على النبي ﷺ فقال : إني لبين نائم ويقظان إذ أتاني آت فأراني الأذان وكان عمر قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوماً ثم أخبر النبي ﷺ فقال له : ما منعك أن تخبرنا؟ فقال : سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت فقال ﷺ قم يا بلال فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعل فأذن بلال قال بعضهم : إن الأنصار تزعم لولا أن عبد الله بن زيد كان يومئذ مريضاً لجعله ﷺ مؤذناً. لأبي داود.

سكت عليه المنذري كذا في تخريج السنن ١ /٢٧٢.

---

٧٨ ــ (١٤٤/١) وجوب الصلاة أداءً وقضاءً ــ رقم: ٩٩٢.

٧٩ ــ انظر مجمع الزوائد ــ رقم: ٣٠٦/١.

٨٠ ــ (١٦١/١) بدء الأذان والإقامة وكيفيتهما وما يتعلق بهما ــ رقم: ١١٢١.

٨١ ــ (أنس) رأى النبي ﷺ نخامة في قبلة المسجد فشق عليه فقام فحكّه بيده وقال : « إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنما يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قِبَلَ قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبصق فيه ثم رد بعضه على بعض فقال : أو يفعل هكذا ». للشيخين.

٨٢ ــ (ابن عباس) قال : المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض. للكبير.

ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ٢ /٧.

٨٣ ــ (أبو الدرداء) رفعه : « المسجد بيت كل تقي وتكفّل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة » للكبير والأوسط والبزار.

إسناده حسن كذا في الترغيب ١ /٢٢٢ وفي مجمع الزوائد ٢ /٢٢ ورجاله البزار كلهم رجال الصحيح.

لا بد من العودة إلى المسجد إذا ما اردنا العودة إلى فطرة الإسلام وتجديد حيوية الإيمان.

٨٤ ــ (جبير بن مطعم) سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** ﴾[1] كاد قلبي أن يطير. للستة إلا الترمذي.

٨٥ ــ (علي) أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره: « اللّهم إني أعوذ

---

٨١ ــ (١٧٣/١) المساجد ــ رقم: ١٢٠١.

٨٢ ــ (١٧٨/١) المساجد ــ رقم: ١٢٤١.

٨٣ ــ (١٨٠/١) المساجد ــ رقم: ١٢٥٣.

٨٤ ــ (٢٠٢/١) القراءة في الصلوات الخمس ــ رقم: ١٠٤٢٩. (١) الطور: ٣٥ ــ ٣٧.

٨٥ ــ (٢٠٩/١) القنوت والركوع والسجود ــ رقم. ١٤٧٦.

برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » لأصحاب السنن.

رواه أيضاً أحمد كما أخرجه البيهقي والحاكم وصححه مقيداً بالقنوت. وأخرجه الدارمي وابن خزيمة وابن الجارود وابن حبان، وليس فيه ذكر الوتر. كذا في النيل ٣/ ٤٧.

٨٦ ــ (ابن مسعود) علمني رسول الله ﷺ التشهد ــ كفي بين كفيه ــ كما يعلمني السورة من القرآن : التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. للستة إلا مالكا.

ــ قال في الأصل : قال شريك : وفي رواية عنه مثله، قال : وكان يعلمناهن كما يعلمنا التشهد « اللّهم ألِّف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها قابليها وأتمها علينا ».

ــ ولفظ أبي داود هو هذا قال شريك : وحدثنا جامع عن أبي وائل عن عبد الله بمثله قال : وكان يعلمنا كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد اللهم ألف بين قلوبنا إلى آخره اهـ.

سكت عنه المنذري انظر تخريج السنن ١ /٤٥٠.

٨٧ ــ (ابن مسعود) كنا نسلّم على النبي ﷺ في الصلاة فيرد علينا فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا، فقلنا : يل رسول الله كنا نسلم عليك في الصلاة فترد علينا، فقال : « إن في الصلاة شغلاً ». للشيخين والنسائي وأبي داود.

---

٨٦ ــ (١/٢١٥) الجلوس والتشهد والسلام ــ أرقام: ١٥٢٦ ــ ١٥٢٩ ــ ١٥٣٠.

٨٧ ــ (١/٢٢١) الأفعال الممتعة في الصلاة والجائزة ــ رقم: ١٥٦٥.

٨٨ ــ (أبو الدرداء) قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول : « أعوذ بالله منك »، ثم قال : « ألعنك بلعنة الله تعالى » ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من صلاته قلنا : يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يديك، قال :« إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت : أعوذ بالله منك ثلاث مَرات، ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً تلعب به ولدان أهل المدينة » لمسلم والنسائي.

٨٩ ــ (عائشة)رفعته « إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه ». للستة.

٩٠ ــ (عائشة) كان النبي ﷺ يبيت فيناديه بلال فيغتسل، ثم يخرج فيصلي فأسمع بكاءه. للموصلي مطولا.

ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٢ /٨٩.

٩١ ــ (مطرف) عن أبيه : رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء. لأبي داود.

٩٢ ــ وللنسائي : ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.

رواه أيضاً أحمد والترمذي وصححه وابن حبان وابن خزيمة كذا في النيل ٢ /٣٣٥.

---

٨٨ ــ (٢٢٢/١) الموضع السابق ــ رقم: ١٥٦٩.
٨٩ ــ (٢٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ١٦٣٤.
٩٠ ــ (٢٣١/١) الأفعال الممتنعة في الصلاة والجائزة ــ رقم: ١٦٤٦.
٩١ ــ (٢٣١/١) الموضع السابق ــ رقم: ١٦٤٧.
٩٢ ــ (٢٣١/١) الموضع السابق ــ رقم: ١٦٤٨.

هذا الحال الذي كان عليه ﷺ وكان لأصحابه منه نصيب قد افتقدناه وعلينا أن نحييه بإذن الله بالعلم والعمل والحال والقدوة.

٩٣ ـــ (عثمان) رفعه : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » لمالك ومسلم بلفظه.

فمن خُيِّر أن يقوم الليل دون صلاة العشاء والصبح جماعة وبين صلاتها جماعة؛ فصلاتها جماعة أفضل والجمع بين الجميع أفضل.

٩٤ ـــ (بريدة) رفعه : « بشّر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » لأبي داود والترمذي.

قال الترمذي حديث غريب. قال المنذري ورجال إسناده ثقات كذا في الترغيب ٢ /٢١٢.

٩٥ ـــ (ابن عباس) رفعه : « أتاني الليلة آت من ربي فقال لي : يا محمد، قلت : لبيك ربي وسعديك، قال : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : لا أعلم فوضع يده بين كتفيّ حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض، أو قال ما بين المشرق والمغرب، قال : يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : نعم، في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه قال : يا محمد، قلت : لبيك وسعديك، فقال : إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال : والدرجات هو إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ». للترمذي.

---

٩٣ ـــ (١/٢٣٣) فضل صلاة الجماعة والمشي إلى المساجد وانتظار الصلاة ـــ رقم: ١٦٦١.

٩٤ ـــ (١/٢٣٥) الموضع السابق ـــ رقم: ١٦٧٦.

٩٥ ـــ (١/٢٣٥) الموضع السابق ـــ رقم: ١٦٧٩.

وقال حديث حسن غريب ١ /٢٦٢.

٩٦ ــ (شبيب بن روح) عن صحابي: أن النبي ﷺ صلى صلاة الصبح فقرأ الروم فالتبس عليه، فلما صلى قال : « ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور وإنما يلبس علينا القرآن أولئك ». للنسائي.

ورجاله رجال الصحيح.

هذا الحديث أصل في أن حال المأموم يتأثر به الإمام، وحال الإمام يتأثر به المأموم، وكما يكون هذافي الصلاة يكون في غيره، وهذا يقتضي سهرا من الربانيين على إخوانهم فلا يغفلون ولا يقصرون، وقد فطن عمر لهذا المعنى عندما تأخر الفتح على أحد جيوشه، فقال : ما كان هذا إلا لحدث أحدثته أو أحدثتموه.

٩٧ ــ (أبو مسعود البدري) كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبك، ليليني منك أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود : فأنتم اليوم أشد اختلافاً. لمسلم والنسائي وأبي داود.

هذا أصل في أن أدب الظاهر له صلة بأدب الباطن فعدم استواء الصف في الصلاة يؤدي إلى اختلاف القلوب.

٩٨ ــ (البراء) كان رسول الله ﷺ يتخلل الصفوف من ناحية إلى ناحية يمسح صدورنا ومناكبنا ويقول : « لا تختلفوا فتختلف قلوبكم » لأبي داود والنسائي.

رواه أيضاً ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما كذا في الترغيب ١ /٣٢٦.

---

٩٦ ــ (٢٤٢/١) أحكام الجماعة والإمام والمأموم ــ رقم: ١٧٢٦.

٩٧ ــ (٤٢٣/١) أحكام الصفوف وشروط الاقتداء ــ رقم: ١٧٣٨. ومعنى النهى: العقول.

٩٨ ــ (٢٤٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ١٧٦٠.

٩٩ ـــ (أبو الجعد الضمري) وكانت له صحبة رفعه : « من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه ». لأصحاب السنن.

رواه أيضاً أحمد وابن ماجه والبزار وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم على شرط مسلم وحسنه والترمذي كذا في الترغيب ١/٥٠٩.

١٠٠ ـــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين ». أخرجه أبو داود.

ورواه أيضاً ابن خزيمة في صحيحه كلاهما من حديث أبي سرية عن أبي حجيرة عن عبد الله بن عمرو، وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فإني لا أعرف أبا سرية بعدالة ولا جرح. ورواه ابن حبان في صحيحه من هذه الطريق إلا أنه قال : ومن قام بمائتي آية كتب من المقنطرين. كذا في الترغيب ١ /٤٤٠.

١٠١ ـــ (عبد الله بن حبشي) أن النبي ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال : « طول القيام ». لأبي داود.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٢ /٩٥.

١٠٢ ـــ (المغيرة بن شعبة) قال : قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » للترمذي والنسائي والشيخين.

١٠٣ ـــ ولهما عن عائشة نحوه وفيه قالت : فلما بدن وكثر لحمه صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

---

٩٩ ـــ (٢٥٦/١) فضل صلاة الجمعة ووجوبها إلا لعذر وغسلها وغير ذلك ـــ رقم: ١٨٥١.

١٠٠ ـــ (٣١٢/١) صلاة الليل ـــ رقم: ٢٢٣٧. ومعنى المقنطرين: أي ممن كتب له قنطار من الأجر.

١٠١ ـــ (٣١٢/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٣٨.

١٠٢ ـــ (٣١٢/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٣٩.

١٠٣ ـــ (٣١٢/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٤٠.

١٠٤ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته فإن أبت، نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » لأبي داود والنسائي.

رواه أيضاً ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال على شرط مسلم كذا في الترغيب ١ /٤٢٨.

١٠٥ ـــ (أبو سعيد وأبو هريرة) رفعاه : « إذا إيقظ الرجل أهله من الليل فصلّيا ركعتين جميعاً كتبا في الذاكرين والذاكرات ». لأبي داود.

رواه أبو داود وقال رواه ابن كثير موقوفاً على أبي سعيد ولم يذكر أبا هريرة. وروى النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم، وألفاظهم متقاربة والحديث صحيح على شرط الشيخين كذا في الترغيب للمنذري ١ /٤٢٩.

١٠٦ ـــ (حذيفة) صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع بها ثم افتتح آل عمران فقرأها، ثم افتتح النساء فقرأها، فقرأ مترسلاً إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم وكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال : سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد، ثم قام قياماً طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه. لمسلم والنسائي.

١٠٧ ـــ (سعد بن هشام) سئل ابن عباس عن وتر النبي ﷺ فقال : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بذلك؟ قال من؟ قال عائشة فاسألها ثم ائتني فأخبرني بردّها عليك، قال : أتيت حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال : ما أنا بقاربها لأني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً، فأبت إلا مضيا فأقسمت عليه فجاء فانطلقنا فاستأذنا عليها فأذنت فدخلنا فقالت : حكيم؟ فعرفته قال : نعم، قالت : من معك؟

---

١٠٤ ـــ (٣١٢/١) الموصع السابق ـــ رقم: ٢٢٤١.
١٠٥ ـــ (٣١٢/١) صلاة الليل ـــ رقم: ٢٢٤٢.
١٠٦ ـــ (٣١٣/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٥١.
١٠٧ ـــ (٣١٤/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٢٦٢.

قال : سعد بن هشام، قالت : من هشام؟ قال ابن عامر فترحمت عليه وقالت : خيراً قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد فقلت : يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلُق رسول الله ﷺ، قالت : ألستَ تقرأ القرآن؟ قلت : بلى، قالت : فإن خلقه كان القرآن، فهممتَ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت ثم بدا لي فقلت : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، قالت : ألست تقرأ يا أيها المزمل؟ قلت : بلى، قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام نبي الله ﷺ وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف وصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة قلت: يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله ﷺ، قالت : كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله متى شاء فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات لا يجلس إلا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعو ويسلم تسليماً يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو قاعد فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني، فلما أسن ﷺ وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بني وكان إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، ولا أعلمه قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح، ولا صام شهراً كاملا غير رمضانَ، قال : فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها فقال : صدقت ولو كنت أقربها لأتيتها حتى تشافهني به، قلت : لو علمت أنك لا تدخل عليها ما حدثتك حديثها. لمسلم وأبي داود والنسائي.

١٠٨ ــ وللستة عن الأسود عنها : قالت كان يصلي ثلاث عشرة من الليل، ثم إنه صلى إحدى عشرة وترك ركعتين ثم قبض وهو يصلي من الليل تسعاً.

١٠٩ ــ (علي)كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل ست عشرة ركعة سوى المكتوبة. لعبد الله بن أحمد.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٢ /٢٧٢.

هذا الحديث يشهد أن كثرة التنفّل في الصلاة في غير الأوقات المكروهة أو

---

١٠٨ ــ (٣١٥/١) صلاة الليل ــ رقم: ٢٢٦٤.

١٠٩ ــ (٣١٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٢٦٥.

المنهي عن الصلاة فيها لا حرج فيه، خاصة في الليل ومن ههنا سن عمر أن تكون صلاة التروايح عشرين ركعة. وذلك ثابت عنه رضي الله عنه راجع شرح السنة (٤/ ١١٦/ ١٢٣).

١١٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين ثم ليطول بعد ما شاء » لمسلم وأبي داود بلفظه.

١١١ ــ (عبد الرحمن بن عبد القارئ) خرجت مع عمر ليلة إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي بصلاته الرهط، فقال عمر : إني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر : نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون ــ يريد آخر الليل ــ وكان الناس يقومون أوله. لمالك والبخاري.

في قول عمر « نعمت البدعة هذه » وهو الذي أجرى الله على لسانه وقلبه الحق في محضر من الصحابة، ولم ينكروا عليه دليل على أن البدعة على أنواع فمنها الحسنة ومنها السيئة، فما وافق أصول الشريعة من كتاب أو سنة أو قياس أو إجماع أو مصلحة مرسلة أو استصحاب أو استحسان أو درء مفسدة أو جلب مصلحة ، فلا حرج فيه وإن قوماً تشددوا في مثل هذا فكانت حصيلة تشددهم أنهم اتهموا الأمة والأئمة، فأي إثم وقعوا فيه؟!.

١١٢ ــ (يزيد بن رومان) كان الناس يقومون في زمن عمر في رمضان بثلاث وعشرين ركعة. لمالك.

١١٣ ــ (عبد الله بن حبشي الخثعمي) سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ قال: « طول القيام. قيل: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل. قيل: فأي الهجرة

---

١١٠ ــ (٣١٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٢٦٦.

١١١ ــ (٣١٧/١) قيام رمضان والتراويح وغير ذلك ــ رقم: ٢٢٨٠.

١١٢ ــ (٣١٧/١) قيام رمضان والتراويح وغير ذلك ــ رقم: ٢٢٨٢.

١١٣ ــ (٣١٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٢٩٨.

أفضل؟ قال: من هجر ما حرم الله عليه قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من جاهد المشركين بماله ونفسه قيل: فأي القتل أفضل؟ قال: من أهريق دمه وعقر جواده ». للنسائي وأبي داود بلفظه. سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ١٣٢/٢.

هذا الحديث أصل يقاس عليه، فقد نقل الرسول ﷺ الهجرة من معناها إلى معنى مَجازي، وهذا الذي أكثر منه الصوفية فنقلوا كلمة السفر إلى السفر إلى الله والسير إلى السير إلى الله وهكذا.

١١٤ ـ (أنس) رفعه : « إن عظيم الجزاء مع عظيم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط ». أخرجه الترمذي.

رواه أيضاً ابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب كذا في الترغيب ٤ /٢٨٣.

١١٥ ـ (أبو هريرة) رفعه : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » لمالك والترمذي بلفظه.

قال الترمذي حسن صحيح. ورواه أيضاً الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم كذا في الترغيب ٤ /٢٨٦.

١١٦ ـ (مصعب بن سعد) عن أبيه : قلت : يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلاه على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » للترمذي.

---

١١٤ ـ (٣٢١/١) كتاب الجنائز ـ المرض والنوائب، موت الأولاد والطاعون وغير ذلك ـ رقم: ٢٣٠٦.

١١٥ ـ (٣٢٢/١) الموضع السابق ـ رقم: ٢٣٠٨.

١١٦ ـ (٣٢٢/١) الموضع السابق ـ رقم: ٢٣١٠.

قال الترمذي حسن صحيح. ورواه أيضاً ابن ماجه وابن أبي الدنيا كذا في الترغيب ٤ /٢٨١.

١١٧ ــ (أبو سعيد) قال النساء للنبي ﷺ : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن فكان فيما قال لهن : « ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار »فقالت امرأة : واثنين فقال : واثنين ». للشيخين.

١١٨ ــ (البراء بن عازب) رفعه : « ما اختلج عرق ولا عين إلا بذنب وما يعفو الله أكثر ». للصغير.

رواه أيضاً الضياء المقدسي قال الهيثمي في سند الطبراني الصلت بن بهرام ثقة لكنه كان مرجئاً كذا في الفيض ٥ /٤١٤.

١١٩ ــ (عطاء بن يسار) أرسله : إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال : انظرا ماذا يقول لعواده فإن جاءوه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك إلى الله وهو أعلم فيقول : لعبدي عليّ إن توفيته أن أدخله الجنة وإن أشفيته أن أبدله لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه وأن أكفر عنه سيئاته. لمالك.

١٢٠ ــ (خباب بن الأرت) شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون » للبخاري وأبي داود والنسائي.

---

١١٧ ــ (٣٢٣/١) المرض والنوائب وموت الأولاد والطاعون وغير ذلك ــ رقم: ٢٣١٤.
١١٨ ــ (٣٢٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٣٢٦.
١١٩ ــ (٣٢٩/١) الصبر على النوائب وتمني الموت ــ رقم: ٢٣٥٥.
١٢٠ ــ (٣٢٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٣٥٦.

١٢١ ــ (يحيى بن وثاب) عن شيخ من الصحابة رفعه : « المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ». للترمذي.

قال العراقي وابن حجر أسناده حسن كذا في الفيض ٦ /٢٥٦.

هذا يدل على أن الأصل في حياة المسلم الخلطة والصبر وأن العزلة والخلوة مرحليتان، ولكن خلطة المسلم خلطة دعوة وتعليم وهداية لا خلطة إثم وغيبة ونميمة، ومن الحديث نفهم أنه حيث كانت خلطة فلا بد من أذى إلا إذا كان الخلطاء صالحين، قال تعالى: ﴿ **وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم** ﴾[1] وأدب الصوفية أن يكون الإنسان مع إخوانه على نفسه.

١٢٢ ــ (أنس) رفعه : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » للستة إلا مالكاً.

١٢٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب » للشيخين والنسائي.

١٢٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن الله تعالى يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال : يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب

---

١٢١ ــ (٣٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٣٦١. (١) سورة صٓ: (٢٤).
١٢٢ ــ (٣٣٠/١) الصبر على النوائب وتمني الموت ــ رقم: ٢٣٦٣.
١٢٣ ــ (٣٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٣٦٤.
١٢٤ ــ (٣٣٣/١) عيادة المريض ــ رقم: ٢٣٨٤.

العالمين؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ». لمسلم.

١٢٥ ـــ (ابن مسعود) رفعه : « إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » وقال ﷺ : « حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ اعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله عليه وما رأيت من شر استغفرت الله لكم ». للبزار.

روى الشق الأول من الحديث أيضاً أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم، وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح. قال الحافظ العراقي الحديث متفق عليه دون قوله سياحين. والشق الثاني قال الهيثمي رجاله رجال الصحيح كذا في الفيض ٢ /٤٧٩و٣ /٤٠١ وفي مجمع الزوائد ٩ /٢٤ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

١٢٦ ـــ (عائشة) رفعته : « ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه ». لمسلم والترمذي والنسائي.

١٢٧ ـــ (جابر) أن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول أيهما أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد وقال : أنا شهيد على هؤلاء وأمر بدفنهم بدمائهم ولم يصل عليهم ولم يغسِّلهم. للبخاري وأصحاب السنن.

١٢٨ ـــ (وعنه) لما حضر أحد دعاني أبي ليلاً فقال : ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز عليّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن عليّ ديناً فاقض واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول

---

١٢٥ ـــ (٣٤٣/١) مرض النبي ﷺ وموته وغسله وكفنه ودفنه ـــ رقم: ٢٤٤٨.
١٢٦ ـــ (٣٥٩/١) الصلاة على الجنازة ـــ رقم: ٢٥٦٥.
١٢٧ ـــ (٣٦٣/١) تشييع الجنائز وحملها ودفنها ـــ رقم: ٢٥٩٦.
١٢٨ ـــ (٣٦٣/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٢٥٩٧.

قتيل فدفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته في قبر على حدة.

١٢٩ ــ وفي رواية : فما أنكرت منه شيئاً إلا شعيرات كُنَّ في لحيته مما يلي الأرض. للبخاري وأبي داود.

هذا الحديث يدل على أن الأرض لا تأكل بعض الأجساد، وقد وردت نصوص تدل على ذلك، وهذه الحادثة برهان ولم يزل في تاريخنا تكتشف أجساد لم يؤثر عليها الموت، وأتمنى لو تتبع هذا الموضوع أحد النجباء فكتب فيه لأنه من معجزات الإسلام.

١٣٠ ــ (أبو هريرة) « مروا على رسول الله ﷺ بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال: وجبت، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال: وجبت، ثم قال: إن بعضكم لبعض شهداء ». لأبي داود.

رواه أيضاً النسائي وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٤ /٣٤٦.

١٣١ ــ وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأدنين إنهم لا يعلمون إلا خيراً إلا قال الله: قد قبلت علمكم فيه، وغفرت له ما لا تعلمون. رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه.

هذا يدل على أن رتبة الشهادة على الخلق مستمرة في هذه الأمة والأصل في الشاهد أن يكون عدلا فشهادة العدول مما يستأنس به في الحكم على رجل أو جماعة.

١٣٢ ــ عن أبي هريرة: إن المؤمن تكون الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه

---

١٢٩ ــ (٣٦٤/١) الموضع السابق ــ رقم. ٢٥٩٨.

١٣٠ ــ (٣٦٧/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٦٢٢.

١٣١ ــ رواه الإمام أحمد (٢٤٢/٣) مسند أنس، وقال الهيثمي في المجمع (٤/٣) رواه أحمد وأبو يعلى، ورجال أحمد رجال الصحيح.

١٣٢ ــ راجع مجمع الزوائد (٥٢/٣).

والصوم عن شماله وفعل الخير والمعروف عند رجليه، فيؤتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة ليس من قبلي مدخل، وكذا من كل جهة يقول الذي فيه ليس من قبلي مدخل.

للطبراني في الأوسط، وإسناده حسن كذا في مجمع الزوائد ٣ /٥٢.

١٣٣ ـــ محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال لأهل البقيع: « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد ». لمسلم والنسائي.

١٣٤ ـــ (ابن عباس) أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال: « إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم وتردّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوقَّ كرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب ». للستة إلا مالكاً.

هذا الحديث يدل على أن حق الدعوة يقتضي الدعوة إلى الأهم فالمهم، أما حق التعليم لمن أسلم فيقتضي مراعاة فرض وقته.

١٣٥ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « بينما رجل في فلاة من الأرض فسمع صوتاً في سحابة : اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج وقد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبَّع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته فقال : يا عبد الله ما اسمك؟ قال : فلان للاسم الذي سمع في السحابة فقال : يا عبد الله لم سألتني عن اسمي؟ قال : سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان باسمك، فما تصنع فيها؟ قال :

---

١٣٣ ـــ رواه الإمام (٢/٦٦٩) كتاب الجنائز ـــ باب ما يقال عند دخول القبور ـــ حديث رقم: (٩٧٤).

١٣٤ ـــ (١/٣٧٥) كتاب الزكاة ـــ وجوبها وإثم تاركها ـــ رقم: ٣٦٧١.

١٣٥ ـــ (١/٣٩١) فصل الصدقة والنفقة والحث عليها وما يتعلق بذلك ـــ رقم: ٢٧٧٠.

أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيه ثلثه ». لمسلم.

١٣٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « سبق درهم مائة ألف درهم قالوا : وكيف؟ قال : كان لرجل درهمان فتصدق بأجودهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها ». للنسائي.

رواه ايضاً ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والحاكم وصححه على شرط مسلم كذا في الترغيب ٢ /٢٣.

هذا دليل على أن العمل القليل قد يسبق العمل الكثير لملحظ فيه، وقد أعطى ابن عطاء أهمية كبيرة لمثل هذه المعاني كما سنرى.

١٣٧ ــ (أبو أمامة) رفعه : « صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفيء غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر ». للكبير.

وإسناده حسن كذا في مجمع الزوائد ٣ /١١٥.

١٣٨ ــ (أبو هريرة)رفعه : « ما نقص مال من صدقة، أو قال : ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع عبد لله إلا رفعه الله ». لمسلم والترمذي والموطأ.

رواه مالك مرسلاً كذا في الترغيب ٢ /٥.

هذا الحديث أصل يجب أن يراعيه الربانيون، فهناك موازين إيمانية، وهناك موازين كفرية، وموازين للغافلين، والربانيون يقون، ويبقون أتباعهم في الموازين الإيمانية، وهذا موضوع يسري على الحياة الاقتصادية والجهادية والاجتماعية وغير ذلك.

---

١٣٦ ــ (٣٩٢/١) فصل الصدقة والنفقة والحث عليها وما يتعلق بذلك ــ رقم: ٢٧٧١.
١٣٧ ــ (٣٩٢/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧٧٥.
١٣٨ ــ (٣٩٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٧٩٨.

١٣٩ ــ (جابر) أتى النبي ﷺ قوم عراة مجتابي النمار والعباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعَّر وجه النبي ﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فنادى وأقام فصلى، ثم خطب فقال : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة** ﴾ إلى﴿ **رقيباً** ﴾[(١)] والآية التي في الحشر ﴿ **اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد** ﴾[(٢)] تصدق رجل مں ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: لو بشق تمرة، فجاء الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال ﷺ « من سنَّ في الإسلام سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » لمسلم والنسائي.

السنَّة الحسنة شيء لم يكن موجوداً في الأصل ثم وجد، فهي من الناحية اللغوية هي والبدعة الحسنة سواء، وقل مثل ذلك في البدعة السيئة، والسنة السيئة.

١٤٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قال رجل : لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على سارق فقال : اللهم لك الحمد على سارق لأتصدقن بصدقة فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية، فقال : اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقں بصدقة فحرج بصدقة فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تصدق على غني قال : اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني، فأتى فقيل له : أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما الزانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله ». للشيخين والترمذي.

---

١٣٩ ــ (٣٩٥/١) فصل الصدقة والنفقة والحث عليها وما يتعلق بذلك ــ رقم: ٢٧٩٩.

(١) سورة النساء: (١).

(٢) سورة الحشر: (١٨).

١٤٠ ــ (٣٩٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٠٠.

هذا الحديث يدل على أن العبرة في بعض الأعمال لأصل النية ولو تبين خطأ المراد.

١٤١ ــ وللطبراني في الكبير ولأحمد وللموصلي : «كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس».

رواه أيضاً ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما والحاكم على شرط مسلم (عن عقبة بن عامر).

١٤٢ ــ (ثوبان) رفعه : « من تكفَّل لي أن لا يسأل الناس شيئاً وأتكفل له بالجنة؟ فقال ثوبان : أنا، فكان لا يسأل أحداً شيئاً ». لأبي داود والنسائي.

رواه أيضاً أحمد وابن ماجه بإسناد صحيح كذا في الترغيب ١ /٥٨١.

١٤٣ ــ (ابن الفراس) أن أباه قال للنبي ﷺ : أسأل يا رسول الله؟ قال : « لا وإن كنت سائلاً لا بد فاسأل الصالحين ». لأبي داود والنسائي.

قال عبد الحق وابن الفراس لا يعلم أنه روى عنه إلا بكر بن سوادة كذا في الفيض ٣ /٣٥.

١٤٤ ــ (ابن مسعود) رفعه : « من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل ». للترمذي.

وقال حديث حسن صحيح ثابت كذا في الترغيب ١ /٥٩٣.

١٤٥ ــ ولأبي داود عن ابن مسعود : « أوشك الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل ».

---

١٤١ ــ (٣٩٩/١) الموصع السابق ــ رقم: ٢٨٢٣.
١٤٢ ــ (٤٠٠/١) المسألة والقناعة والعطاء ــ رقم: ٢٨٣٢.
١٤٣ ــ (٤٠١/١) الموصع السابق ــ رقم: ٢٨٣٤.
١٤٤ ــ (٤٠٢/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٤٤.
١٤٥ ــ (٤٠٢/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٤٥.

رواه أيضاً الحاكم وقال صحيح الإسناد إلا أنه قال فيه: أرسل الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل كذا في الترغيب ١ /٥٩٣.

١٤٦ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً، وقنّعه الله بما آتاه ». لمسلم والترمذي.

١٤٧ ــ (أبو هريرة)رفعه : « ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس ». للشيخين والترمذي.

١٤٨ ــ أبو أمامة) رفعه : « إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ». للشيخين.

١٤٩ ــ (عطاء بن يسار) « أن النبي ﷺ أرسل إلى عمر بعطائه، فرده عمر فقال له : لم رددته فقال : يا رسول الله أليس أخبرتنا أن خيراً لأحدنا أن لا يأخذ من أحد شيئاً فقال له ﷺ : إنما ذلك عن المسألة فأما ما كان من غير مسألة فإنما هو رزق يرزقكه الله فقال عمر: أما والذي نفسي بيده لا أسأل أحداً شيئاً، ولا يأتيني شيء من غير مسألة إلا أخذته ». لمالك.

رواه مالك هكذا مرسلاً. ورواه البيهقي عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول فذكر نحوه كذا في الترغيب ١/٥٩٨.

هذا أصل في قبول العطاء والهبة والهدية إذا جاءت من غير مسألة، ثم ليتصرف صاحب ذلك التصرف المناسب فيما يأتيه.

١٥٠ ــ وللشيخين والنسائي عن ابن عمر عن عمر : كان رسول الله ﷺ يعطيني العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر إليه مني، فقال : خذه فإذا جاءك من هذا

---

١٤٦ ــ (٤٠٣/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٤٩.
١٤٧ ــ (٤٠٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٥٤.
١٤٨ ــ (٤٠٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٥٩.
١٤٩ ــ (٤٠٤/١) المسألة والقناعة والعطاء ــ رقم: ٢٨٦١.
١٥٠ ــ (٤٠٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٦٢.

المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه فتموله فإن شئت كله وإن شئت فتصدق به، وما لا فلا تتبعه نفسك ».

١٥١ ــ (أنس عنه) قال : « إن كان الرجل ليأتي رسول الله ﷺ يسلم للشيء من الدنيا لا يسلم إلا له، فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما فيها ».

رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٣ /١٠٤.

هذا يدل على أن من وسائل الدعوة إلى الإسلام وتمكينه في الأرض قضاء حاجات الناس، وإعطاءهم مطالبهم الدنيوية، وهذا جزء مهم من السياسات النبوية، ولذلك جعل الله سهماً في الزكاة للمؤلفة قلوبهم، وقد غفل عن ذلك ناس جهلوا السنة والفقه، فصدوا بذلك عن سبيل الله.

١٥٢ ــ (أبو أمامة) « قلت : يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به، قال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له ».

رواه أيضاً الحاكم وصححه وابن حبان في صحيحه كذا في الترغيب ٢ /٨٥.

هذا أصل في اعتماد أهل السير إلى الله الجوع وسيلة لترويض النفس، والصوم مع تقليل الطعام في الفطور والسحور، وفيما بين ذلك، مفيد للغاية.

١٥٣ ــ (عقبة بن عامر) رفعه : « من صام يوماً في سبيل الله باعد الله منه جهنم مسيرة مائة عام ». للنسائي.

وفيه القاسم بن عبد الرحمن روى له الأربعة قيل : لم يسمع أحداً من الصحابة سوى أبي أمامة وثقه ابن معين والعجلي والترمذي، وقال يعقوب : ومنهم من يضعف روايته راجع سياق الحديث في النسائي ٤ /١٧٤.

---

١٥١ ــ (٤٠٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٨٦٦.
١٥٢ ــ (٤٠٦/١) فضل الصوم وفضل رمضان ــ رقم: ٢٨٧٠.
١٥٣ ــ (٤٠٦/١) فضل الصوم وفضل رمضان ــ رقم: ٢٨٧١.

١٥٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ». للبخاري وأبي داود والترمذي.

١٥٥ ــ (ابن عمر) رفعه : « ربَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر ».للكبير.

وإسناده لا بأس به هكذا في الترغيب ٢ /١٤٨.

هذا أصل للصوفية في دعواهم أن المعصية التي تورث ذلاً وانكساراً وتوبة قد تكون خيراً من طاعة توصل إلى العجب والاستكبار كما سنرى ذلك في حكم ابن عطاء، وكما ذكر ذلك ابن القيم في بعض كتبه.

١٥٦ ــ (ابن عمر) « أن النبي ﷺ نهى عن الوصال، قالوا : إنك تواصل، قال : إني لست كهيئتكم إني أطعم وأسقى ». للشيخين وأبي داود والموطأ.

١٥٧ ــ وللبخاري وأبي داود عن أبي سعيد رفعه : « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر، قالوا : فإنك تواصل » بنحوه.

هذا أصل في أن رياضة النفس ينبغي أن تكون في حدود الطاقة وإلا فإنها تسبب ردود فعل ضارة.

١٥٨ ــ وللستة عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر، ويفطر حتى نقول : لا يصوم، وما رأيته استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان ».

---

١٥٤ ــ رواه البخاري (١١٦/١) كتاب الصوم ــ باب من لم يدع قول الزور والعمل به ــ حديث رقم: (١٩٠٣).

١٥٥ ــ رواه الطبراني في الكبير وإسناده لا بأس به. راجع الترغيب ١٤٨/٢.

١٥٦ ــ (٤١٨/١) السحور والإفطار والوصال ــ رقم: ٢٩٦٤.

١٥٧ ــ (٤١٨/١) الموضع السابق ــ رقم: ٢٩٦٦.

١٥٨ ــ (٤٢٢/١) الأيام التي صيامها مستحب أو مكروه أو محرم ــ وأرقام: ٢٩٩٥ ــ ٢٩٩٦ ــ ٢٩٩٧ ــ ٢٩٩٨.

وفي رواية : بعد شعبان « كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلا ».

وفي أخرى : كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان.

وفي أخرى : كان يصوم شعبان كله.

١٥٩ ــ ولأصحاب السنن عن أم سلمة. قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان ».

قال الترمذي حديث حسن كذا في الترغيب ٢ /١١٨.

١٦٠ ــ (أسامة) قلت : يا رسول الله،لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟، قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » للنسائي.

رواه أيضاً أبو داود وصححه ابن خزيمة كذا في النيل ٤ /٢٦٠.

١٦١ ــ عن أبي قتادة سئل النبي ﷺ : عن صوم الاتنين، قال : « ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أَو أنزل عليّ فيه ». لمسلم وأبي داود والنسائي.

في هذا الحديث إشعار بأهمية يوم مولده عليه الصلاة والسلام، وهذا من الأدلة التي استأنس بها العلماء للدلالة على جواز الاحتفاء بيوم مولده عليه الصلاة والسلام.

١٦٢ ــ (عائشة) أن رسول الله ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه بعده. للستة.

هذا دليل على أن الأصل أن يكون للمسلم أيام في حياته يعتكف فيها، ويتفرغ

---

١٥٩ ــ (٤٢٣/١) الأيام التي صيامها مستحب أو مكروه أو محرم ــ رقم ٢٩٩٩.

١٦٠ ــ (٤٢٣/١) الموضع السابق ــ رقم: ٣٠٠٠.

١٦١ ــ (٤٢٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٣٠١١

١٦٢ ــ (٤٣١/١) الاعتكاف وليلة القدر وغيرهما ــ رقمص ٣٠٦٩.

فيها للعبادة، فخلوته عليه الصلاة والسلام قبل النبوة، واعتكافه بعد النبوة، وعباداته الكثيرة أصول ينبغي أن تأخذ محلها في حياة كل مسلم.

١٦٣ ــ عن عائشة : أن رسول الله ﷺ اعتكف عشرين من شوال. للستة.

١٦٤ ــ (أبو هريرة) أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين. للبخاري وأبي داود.

١٦٥ ــ (عائشة) قلت : « يا رسول الله نرى الجهاد أفضل الأعمال أفلا نجاهد؟ قال : « لكن أفضل الجهاد وأجمله حج مبرور، ثم لزوم الحصر قالت : فلا أدع الحج بعد إذ سمعت هذا من رسول الله ﷺ ». للبخاري والنسائي بلفظه.

١٦٦ ــ (سعيد بن المسيب) أرسله: « الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم ». لمالك.

١٦٧ ــ (عمرو بن شعيب) عن أبيه عن جده: « الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب ». لمالك وأبي داود والترمذي.

١٦٨ ــ (أبو سعيد) رفعه : « إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم ». لأبي داود.

رواه أيضاً الضياء في المختارة وأبو يعلى والبيهقي. وقال النووي في رياضه بعد عزوه لأبي داود حديث حسن. كذا في الفيض ١ /٣٣٣.

مما ينبغي أن يلحظه الربانيون أن أقل ما يعتصم به الإنسان من الشيطان هو العدد

---

١٦٣ ــ (٤٣٢/١) الموضع السابق ــ رقم: ٣٠٧٢.

١٦٤ ــ (٤٣٢/١) الموصع السابق ــ رقم: ٣٠٧٣.

١٦٥ ــ (٤٣٧/١) فضل الحج ــ رقم: ٣١١٣.

١٦٦ ــ (٤٤٦/١) السفر وآدابه والركوب والارتداف ــ رقم: ٣١٦٤

١٦٧ ــ (٤٤٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٣١٦٦.

١٦٨ ــ (٤٤٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٣١٦٧.

« ثلاثة » وهذا شيء ينبغي أن يلحظ في أشياء كثيرة، في السفر والاعتكافات الجماعية والخلوات الجماعية والمهمات الجهادية....

١٦٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله ». لمالك والشيخين.

تلحظ في الحديث موافقة الإسلام للفطرة فهو دين الفطرة، وهذا يقتضي من الربانيين دائماً أن يسوسوا النفوس من خلال الفطرة فذلك يريحها فيجعلها تستمر بالخير وتستقر عليه.

١٧٠ ــ (عائشة) رفعته : « إنما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله ». للترمذي وأبي داود بلفظه.

سكت عنه أبو داود وذكر المنذري أن الترمذي قال إنه حديث حسن صحيح كذا في النيل ٥ / ٥٠.

هذا دليل على أن كل العبادات استهدفت ذكر الله، وهذا يؤكد أهمية الذكر في حياة المسلم، ولقد كان ذلك هو حال رسول الله ﷺ كما وصفته عائشة « كان يذكر الله على كل أحيانه ».

١٧١ ــ (عمر) كان يكبر في مسجد منى ويكبر من في المسجد فترتج أسواق منى من التكبير حتى يصل التكبير إلى المسجد الحرام فيقولون : كبّر عمر فيكبرون. للبخاري في ترجمة وللموطأ نحوه.

هذا دليل على أن ليس كل جهر بالذكر بدعة، بل هناك صور ذكرتها السنة كان يجهر فيها بالذكر وهل يقاس على ذلك أو لا يقاس؟ الجمهور على القياس وجواز الجهر بالذكر في مجالس الذكر.

---

١٦٩ ــ (١/٤٤٨) الموضع السابق ــ رقم: ٣١٨٨.

١٧٠ ــ (١/٤٨٢) الطواف ــ رقم: ٣٤٢٣.

١٧١ ــ (١/٥٠٨) التكبير في أيام التشريق ــ رقم: ٣٦١٩.

١٧٢ ــ (حفصة وأسلم) قالا : قال عمر : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتي في بلد رسولك.

١٧٣ ــ (أبو سعيد) « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ». للشيخين والترمذي بلفظه.

هذا الحديث ورد في المساجد فتعميمه على غيرها من شد الرحال لشيء مباح يخرج عن مقتضى الحديث، فالسفر إلى مباح مباح، وتحكم أنواع السفر الفتوى من أهلها.

١٧٤ ــ (شداد بن أوس) «ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته ». لمسلم وأصحاب السنن.

في قوله عليه الصلاة والسلام « إن الله كتب الإحسان على كل شيء » دليل على أن الأصل تقديم الإحسان إلى كل خلق الله، إلا إذا اقتضى الحكم الشرعي شيئاً آخر بسبب جهاد أو أمر بمعروف ونهي عن منكر أو إقامة حدٍّ أو تنفيذ سياسة راشدة.

١٧٥ ــ (أبو هريرة) رفعه. « لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً، وإنما يستخرج به من البخيل ».

١٧٦ ــ وفي رواية. « إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئاً لم يكن الله قدّره، ولكن النذر يوافق القدر، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج ». للستة إلا مالكاً بلفظ مسلم.

---

١٧٢ ــ (٥٢٧/١) فضل المدينة وحرمها ــ رقم: ٣٧٤٩.
١٧٣ ــ (٥٣١/١) ما جاء في مسجد رسول الله ﷺ وزيارته ــ رقم: ٣٧٨١.
١٧٤ ــ (٥٤٤/١) كتاب الذبائح ــ رقم: ٣٨٨٨.
١٧٥ ــ (٥٦٤/١) كتاب النذور ــ رقم: ٤٠٤٠.
١٧٦ ــ (٥٦٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٠٤١.

١٧٧ ــ (ابن عمر) نهى النبي ﷺ عن النذر وأمر بالوفاء به. للكبير.

رواه الطبراني في الكبير بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٤ /١٨٥.

ومن ههنا أكره الالتزام للسالك إلى الله، فلا يعاهد، ولا يعاقد ولا يلزم نفسه إلا بما ألزمه به الشرع، ويبذل جهده في المندوبات وإذا عاهد فعلى بصيرة وبعد علم.

١٧٨ ــ (أبو هريرة) رفعه: « لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها » للترمذي.

وقال حديث حسن صحيح كذا في الترغيب ٣ /٥٦.

١٧٩ ــ وزاد البزار في أوله : أنه ﷺ دخل حائطاً فجاء بعير فسجد له، فقالوا : نحن أحق أن نسجد لك فقال : لو أمرت أحداً فذكره.

وإسناده حسن كذا في مجمع الزوائد ٩ /٧.

بهذه المناسبة نذكّر السائرات إلى الله علامة صلاحهن طاعتهن لأزواجهن قال تعالى : ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾.[1]

١٨٠ ــ (علي) قال لابن أعبد : ألا أحدثك عني وعن فاطمة؟ قلت : بلى. قال : إنها جرّت بالرحى حتى أثّر في يدها، واستقت بالقربة حتى أثّرت في نحرها، وكنست البيت حتى غبّرت ثيابها، فأتى النبي ﷺ خدم فقلت : لو أتيت أباك فسألته خادماً، فأتته فوجدت عنده حداثاً، فرجعت فأتاها من الغد فقال : ما كان حاجتك؟ وسكتت فقلت : أنا أحدثك يا رسول الله جرّت بالرحى حتى أثرت في يدها، وحملت بالقربة حتى أثرت في نحرها، فلما أن جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادماً يقيها حر ما هي فيه فقال : « اتقي الله يا فاطمة وأدي فريضة

---

١٧٧ ــ (٥٦٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٠٤٢.

١٧٨ ــ (٥٩٨/١) حق الزوج على الزوجة وحق الزوجة على الزوج ــ رقم: ٤٢٨٨.

١٧٩ ــ (٥٩٨/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٢٨٩. (١) سورة النساء: (٣٤).

١٨٠ ــ (٦٠٠/١) الموضع السابق ــ ارقام: ٤٣٠٤ ــ ٤٣٠٥ ــ ٤٣٠٦ ــ ٤٣٠٧ ــ ٤٣٠٨.

ربك واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك فسبحي ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبِّري أربعاً وثلاثين، فتلك مائة فهي خير من خادم ». فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله. ولم يُخْدِمْها.

..وفي رواية : وأوقدت القدر حتى دكنت ثيابها. وفيها فغدا علينا ونحن في لفاعنا فجلس عند رأسها فأدخلت رأسها حياء من أبيها، قال: ما كان حاجتك أمس أي آل محمد؟ فسكتت مرتين فقلت: أنا والله أحدثك.

وفي أخرى : فجاء فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري.

وفي أخرى : قال علي : فما تركتهن منذ سمعتهن من النبي ﷺ إلا ليلة صفين فإني ذكرتها من آخر الليل فقلتها.

وفي أخرى : التسبيح أربع وثلاثون وقال علي : فما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ قيل له : ولا ليلة صفين؟ قال : ولا ليلة صفين. للشيخين وأبي داود والترمذي.

١٨١ ــ (ابن عباس) لعن ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال : أخرجوهم من بيوتكم وأخرج فلانة وأخرج عمر فلاناً. للبخاري والترمذي وأبي داود.

١٨٢ ــ (أبو بكر) رفعه : « لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام ». للموصلي والبزار والأوسط.

١٨٣ ــ وله عن حذيفة رفعه : « لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى له ».

ورجال أبي يعلى ثقات وفي بعضهم خلاف كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٢٩٣.

---

١٨١ ــ (٦٠٩/١) الغيرة والحلوة بالنساء والنظر إليهن ــ رقم: ٤٣٥٥.

١٨٢ ــ (٦٣٤/١) الكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة ــ رقم: ٤٥٢٦.

١٨٣ ــ (٦٣٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٥٢٧.

١٨٤ ــ (وابصة) أنه أتى النبي ﷺ وأضمر في نفسه أنه يسأله عن البر والإثم فلما دنا منه قال النبي ﷺ : « أخبرك أم تخبرني؟ قال : لا بل أخبرني فقال : جئت تسألني عن البر والإثم؟ قلت : نعم فجمع أنامله الثلاثة فجعل ينكت بهن في صدري ويقول : يا وابصة استفت نفسك واستفت نفسك ثلاثاً، البر ما اطمأنت إليه النفس، والإثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك وإن أفتاك الناس وأفتوك ». لأحمد والموصلي بلين.

ورواه أيضاً الطبراني وأحد إسنادي الطبراني ثقات كذا في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٩٤.

الأصل عند أهل الله أنهم يتعرفوان على حكم الله في كل أمر يريدون أن يقدُموا عليه، فإذا كان الأمر من باب المشتبهات فإنه يهمهم فيه الفتوى، ويحرصون على الأحوط فيما اختلف فيه الناس، فإذا كان من باب المباحات فإنهم يستشيرون وينظرون إلى انشراح قلوبهم فيه، ويخافون من هوى أنفسهم.

١٨٥ ــ (المقدام) رفعه : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يديه ». للبخاري.

١٨٦ ــ (وعنه) رفعه : « أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم**﴾[1]، وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك ». لمسلم والترمذي.

١٨٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « كان زكريا نجاراً ». لمسلم.

---

١٨٤ ــ (٦٣٤/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٥٢٩.

١٨٥ ــ (٦٣٥/١) الكسب والمعاش وما يتعلق بالتجارة ــ رقم: ٤٥٣١.

١٨٦ ــ (٦٣٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٥٣٤. (١) سورة المؤمنون: (٥١). (٢) سورة البقرة: (١٧٢).

١٨٧ ــ (٦٣٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٤٥٧١.

هذا الحديث أصل في أن يكون للإنسان حرفة يكسب منها قوته. وقد اجتمع رسولنا عليه الصلاة والسلام الاحتراف والتجريد، فقد رعى الغنم وتاجر واستقر أمره التجريد.

١٨٨ ــ (أنس) رفعه : من سأل القضاء وُكِّل إلى نفسه، ومن أجبر عليه ينزل عليه ملكاً فيسدده ». لأبي داود والترمذي.

رواه أيضاً ابن ماجه وأحمد والطبراني في الأوسط والترمذي أخرجه من طريقين في أحدهما حسن غريب. وقال في الأخرى أصح كذا في النيل ٨ /٢٦٦.

الأصل في الولاية ألا يطلبها الإنسان إلا إذا تعين لها، فإذا تعين لها وجاءته وازن، ذا قبل فهو مُعانٌ بإذن الله.

١٨٩ ــ (حذيفة) حدثنا النبي ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الأخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : « ينام الرجل النومة القبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رحله فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد ردي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلاً أميناً حتى يقال للرجل : ما أجلده، أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من إيمان ولقد أتى علي زمان وما أبالي بكم بايعت لئن كان مسلماً ليردنه على دينه، وإن كان نصرانياً أو يهوديّاً ليردنه على ساعيه وأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً ». للشيخين والترمذي.

هذا الحديث أصل أصيل في قضايا القلوب وما ينبغي أن تكون عليه، وكيف أن بعض القلوب تعاقب بنزع بعض الأخلاق منها، وأحياناً بنزع الإيمان ﴿ **فلما زاغوا زاغ الله قلوبهم** ﴾[1] ومن ههنا كان أهل السير إلى الله ساهرين على قلوبهم.

---

١٨ ــ (٦٨٣/١) القضاء المذموم والمحمود وآدابه وكيفية الحكم ــ رقم: ٤٩٠٦.

١٨ ــ (٦٩٤/١) الوقف والصلح والأمانة ــ رقم: ٤٩٨٤.(١) سورة الصف: (٥).

١٩٠ ــ (ابن عمر) جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ فصمت ثم قال : يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال : « اعف عنه كل يوم سبعين مرة ». لأبي داود والترمذي.

قال المنذري في تخريج السنن ٨ / ٥٠ : هكذا وقع في سماعنا وفي غيره عن عبد الله بن عمر وأخرجه الترمذي كذلك وقال حسن غريب وقال روى بعضهم هذا عن عبد الله بن وهب وقال عن عبد الله بن عمرو وذكر بعضهم أن أبا داود أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو وأن الترمذي أخرجه من حديث عبد الله بن عمر.

١٩١ ــ (سهل بن سعد) رفعه : « إنما الأعمال بالخواتم أو بخواتيمها ». للشيخين.

ولذلك كان أكثر ما يخيف أهل الله سوء الخاتمة.

١٩٢ ــ (النعمان بن بشير) رفعه : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: أو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ». للبخاري والترمذي.

ولذلك نقول : لا ربانية بلا دعوة وتعليم وأمر بمعروف ونهي عن منكر، قال تعالى : ﴿ **لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون** ﴾[1].

---

١٩٠ ــ (٦٩٥/١) كتاب العتق فضله وآدابه ــ رقم: ٤٩٩٣.

١٩١ ــ أخرجه البخاري ــ كتاب الرقاق ــ باب الأعمال بالخواتيم ــ حديث (٦٤٩٣) وكذا في كتاب القدر ــ باب العمل بالخواتيم ــ حديث (٦٦٠٧).

١٩٢ ــ (٧٢٠/١) الحث على إقامة الحدود ودرئها والشفاعة فيها ــ رقم: ٥١٧٩. (١) سورة المائدة: (٦٣).

١٩٣ ــ (أنس) لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات. للبخاري.

هذا الأمر من باب السنن أو المباحات والأمر فيه واسع، والسنة دائما هي الخير والأفضل.

١٩٤ ــ (حذيفة) كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعاما لم نضع أيدينا حتى يبدأ ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاما، فجاءت جارية كأنها تدفع فذهبت لتضع يدها في الطعام فأخذ ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فذهب ليضع يده في الطعام فأخذ بيده، فقال ﷺ : إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، وانه جاء بهذه الجارية ليستحل بها، فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده، والذي نفسي بيده إن يده لفي يدي مع أيديهما ». لمسلم وأبي داود.

ومن ههنا كان الأدب ألا يمد الأصغر يده إلى الطعام قبل أن يمدها الأكبر سنا أو مقاما.

١٩٥ ــ (جابر) رفعه : « إذا دخل الرجل منزله، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإن ذكر الله عند دخوله ولم يذكره عند عشائه يقول : أدركتم العشاء. ولا مبيت لكم، وإذا لم يذكر الله عند دخوله ولا عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء ». لمسلم وأبي داود.

١٩٦ ــ (أبو هريرة) ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه. للشيخين وأبي داود والترمذي.

١٩٧ ــ (جابر) أنه كان مع النبي ﷺ في بعض حجر نسائه فقال ﷺ :

---

١٩٣ ــ (٧٦٥/١) آلات الطعام وآداب الأكل من تسمية وغيرها ــ رقم: ٥٤٥٦.
١٩٤ ــ (٧٦٥/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٤٦٠.
١٩٥ ــ (٧٦٦/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٤٦٥.
١٩٦ ــ (٧٧١/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٥٠٥.
١٩٧ ــ (٧٧٣/١) ما ورد في أطعمة مخصوصة من مدح وإباحة وكراهة وغير ذلك ــ رقم: ٥٥١٧.

« هل من غداء؟ فقالوا : نعم، فأتى بثلاثة أقرصة من شعير فوضعهن على بتى، فأخذ ﷺ قرصا فوضعه بين يدي، وأخذ آخر فوضعه بين يديه، ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي، فقال : هل من إدام؟ فقالوا : لا إلا شيء من خل، قال : فهاتوه فنعم الإدام هو ». لمسلم وأصحاب السنن.

١٩٨ ــ (عمرو بن حريث) رأيت النبي ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه.

١٩٩ ــ وفي رواية : طرفها. لمسلم وأبي داود والنسائي.

أرجو أن يأتي يوم لا يبقى مسلم إلا وكان لباس راحته العمامة والقميص، والأمر فيه سعة ولكن السنة هي الكمال، علينا أن نحرص على هيئة رسول الله ﷺ وزيِّه، ولا يكون ذلك إلا بكثرة الذكر، فالله عز وجل ربط بين الاقتداء برسول الله ﷺ وبين الذكر الكثير ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾[1].

٢٠٠ ــ (ابن عمر) رفعه : « انهكوا الشوارب وأعفوا اللحى ».

وفي رواية « خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب » وكان ابن عمر إذا حجّ أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه. للستة.

٢٠١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « الفطرة خمس : الختان والاستحداد وقصّ الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط ». للستة.

٢٠٢ ــ (أنس) وقّت لنا في قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة أن لا نترك أكثر من أربعين ليلة. لمسلم وأصحاب السنن.

---

١٩٨ ــ (٧٩٨/١) آداب اللبس وهيئته ــ رقم: ٥٧٠٩.

١٩٩ ــ (٧٩٨/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٧١٠.

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

٢٠٠ ــ (٨١٨/١) الشعور من الرأس واللحية والشارب ــ رقم: ٥٨٧٠.

٢٠١ ــ (٨٢٣/١) الختان وقص الأظفار ونتف الإبط والاستحداد ــ رقم: ٥٩٠٧.

٢٠٢ ــ (٨٢٣/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٠٨.

وفي رواية : أكثر من أربعين يوماً.

٢٠٣ ــ (أبو مريم الأزدي) دخلت على معاوية فقال : ما أنعمنا بك أبا فلان ــ وهي كلمة تقولها العرب ــ فقلت : حديث سمعته أخبرك به سمعت النبي ﷺ يقول : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة » قال : فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس. لأبي داود والترمذي.

رواه أيضاً الحاكم وقال صحيح الإسناد كذا في الترغيب ٣ /١٧٨.

٢٠٤ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم ما ولوا». لمسلم والنسائي.

٢٠٥ ــ (أبو سعيد) رفعه : « أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر ». للترمذي.

وقال : حسن غريب كذا في الترغيب ٣ /١٦٧.

٢٠٦ ــ (المقدام بن معد يكرب) أن النبي ﷺ ضرب على منكبيه ثم قال : « أفلحت يا قديم إن مت ولم تكن أميراً ولا كاتباً ولا عريفاً ». لأبي داود.

وفيه صالح بن يحيى المقدام فيه كلام قريب لا يقدح كذا في الترغيب ٣/١٥٩.

٢٠٧ ــ (أبو ذر) قلت : يا رسول الله ألا تستعملني؟ فضرب بيده على منكبي ثم قال: « يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه ». لمسلم.

---

٢٠٣ ــ (٨٢٩/١) كتاب الخلافة والإمارة وما يتعلق بذلك ــ رقم: ٥٩٦١.
٢٠٤ ــ (٨٢٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٦٢.
٢٠٥ ــ (٨٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٦٥.
٢٠٦ ــ (٨٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٦٦.
٢٠٧ ــ (٨٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٦٧.

٢٠٨ ــ (عبد الرحمن بن سمرة) رفعه : « يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ». للستة إلا مالكا.

٢٠٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ». للبخاري والنسائي.

٢١٠ ــ (أبو موسى) دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما : يا رسول الله أمِّرنا على بعض ما ولاك الله، وقال الآخر : مثل ذلك، فقال : « إنا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه ». للشيخين وأبي داود والنسائي.

لا بد للناس من إمارة، ولكن من عرف حسابها وآدابها وواجباتها زهد فيها، بل حاول دفعها إن لم تتعين عليه، ولو زهد الناس في الإمرة لنقصت خلافات الناس إلى قريب من العدم.

٢١١ ــ (عائشة) رفعته : « إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه ». لأبي داود والنسائي.

ورواه أيضاً ابن حبان في صحيحه كذا في الترغيب ٣ /٢١٩.

٢١٢ ــ (أبو هريرة وأبو سعيد) رفعاه. « ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله ». للبخاري والنسائي عن أبي هريرة.

---

٢٠٨ ــ (٨٣٠/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٦٩.
٢٠٩ ــ (٨٣١/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٧٠.
٢١٠ ــ (٨٣١/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٧١.
٢١١ ــ (٨٣١/١) كتاب الخلافة والإمارة وما يتعلق بدلك ــ رقم: ٥٩٧٤.
٢١٢ ــ (٨٣١/١) الموضع السابق ــ رقم: ٥٩٧٥.

٢١٣ ـــ (كعب بن عجرة) رفعه : « اسمعوا إنه سيكون من بعدي أمراء، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد عليَّ الحوض، ومن دخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد عليَّ الحوض ». للترمذي والنسائي.

وقال الترمذي حديث غريب صحيح كذا في ٣ /١٩٥.

هذه القضية دقيقة، وهناك حالات من الشفاعة لا بد من الدخول على الأمراء، فالرباني ينبغي أن يوازن ويستخير ويستشير.

٢١٤ ـــ (ابن عباس) رفعه : « ما من رجل ولِّي على عشرة إلا أتى يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يقضي بينه وبينهم ». للكبير والأوسط.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٠٦.

٢١٥ ـــ (معاوية) رفعه : « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع ». للكبير.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٠٩.

طاعة الإمام ولزوم الجماعة وملوك الجور :

٢١٦ ـــ (عقبة بن مالك) بعث النبي ﷺ سرية فسلحت رجلا منهم سيفاً فلما رجع قال: لو رأيت ما لامنا النبي ﷺ قال: « أعجزتم إذا بعثت رجلا فلم يمض لأمري أن تجعلوا مكانه من يمضي لأمري ». لأبي داود.

ذكر ابن عبد البر أن عقبة هذا روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٣ /٤٣٠.

---

٢١٣ ـ (٨٣١/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٥٩٧٦.
٢١٤ ـ (٨٣٣/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٥٩٨٦.
٢١٥ ـ (٨٣٣/١) الموضع السابق ـــ رقم: ٥٩٨٧.
٢١٦ ـ (٨٤٦/١) طاعة الإمام ولزوم الجماعة وملوك الجور ـــ رقم: ٦٠٣٨.

هذا أصل اعتمدناه في كتابنا عن الإمرة : أن الأمير مطالب بشيئين، أولا : أن يحسن سياسة من ولاه الله أمرهم، ثانيا : أن يقوم بما من أجله أمّر، فإذا عجز إما أن يستقيل أو يقال إذا لم تترتب على ذلك فتنة أكبر من بقائه.

٢١٧ ــ (ابن مسعود) : ستكون عليكم أمراء يدعون من السنة مثل هذه، فإن تركتموها جعلوها مثل هذه فإن تركتموها جاءوا بالطامة الكبرى. للكبير.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٣٠.

٢١٨ ــ (حذيفة) : ضرب لنا النبي ﷺ مثلا قال : « إن قوماً كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبُّر وعداء، فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه ». لأحمد بلين.

وفيه الأحلج الكندي وهو ثقة وقد ضعف وبقية رجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٣٣.

هذا الحديث فتوى للمستضعفين إذا انتصروا على الجبارين ألا يجعلوا لهم في الحكم محلا.

---

٢١٩ ــ (عابس الغفاري) سمعت النبي ﷺ يتخوف على أمته ست خصال : إمرة الصبيان، وكثرة الشرط، والرشوة في الحكم، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونشو يتخذون القرآن مزامير، يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أفضلهم يغنِّيهم غناء. للكبير وللبزار نحوه.

رواه أيضاً أحمد والطبراني في الأوسط وفي إسناده أحمد بن عثمان بن عمير البجلي وهو ضعيف وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٤٥.

---

٢١٧ ــ (٨٤٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٦٠٥٦.

٢١٨ ــ (٨٤٩/١) الموضع السابق ــ رقم: ٦٠٥٩.

٢١٩ ــ (٨٥١/١) الموضع السابق ــ رقم: ٦٠٧٢.

لنلحظ كلمة إمرة الصبيان، فنحاول ألا نقدم للإمرة إلا من اجتمع له عقل وسن وتجربة، والأمر له استثناءات يمكن أن تراعى.

٢٢٠ ـــ (سلمان) رفعه: « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً وقي من فتنة القبر، ونمي له عمله إلى يوم القيامة ». لمسلم والنسائي والترمذي بلفظه.

٢٢١ ـــ (سهل بن سعد) رفعه : » غدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها »، لمسلم والنسائي.

٢٢٢ ـــ (أبو هريرة) قيل : يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال : « لا تستطيعونه »، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول : « لا تستطيعونه »، ثم قال : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله ».

٢٢٣ ـــ في رواية : « كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد ». للستة إلا أبا داود.

٢٢٤ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم ». للترمذي والنسائي.

٢٢٥ ـــ رواه أيضاً الحاكم والبيهقي إلا أنهم قالوا : « ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا »، قال الحاكم صحيح الإسناد. وقال الترمذي حديث حسن غريب كذا في الترغيب ٢ /٢٧١.

---

٢٢٠ ـــ (٢/٣) فضل الرباط والجهاد في سبيل الله ـــ رقم: ٦٠٧٤.

٢٢١ ـــ (٢/٣) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٠٧٨.

٢٢٢ ـــ (٢/٥) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٠٨٤.

٢٢٣ ـــ (٢/٥) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٠٨٥.

٢٢٤ ـــ (٢/٥) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٠٨٨.

٢٢٥ ـــ رواه النسائي (٦/١٢) كتاب الجهاد ـــ فضل من يجاهد في سبيل الله على قدمه

٢٢٦ ــ (ابن عباس) رفعه : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله ». للترمذي وقال حديث حسن غريب كذا في الترغيب ٢ /٢٤٨.

٢٢٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافراً ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وقيح جهنم، ولا يجتمعان في قلب عبد مؤمن الإيمان والحسد ». لمسلم وأبي داود والنسائي بلفظه.

لاحظ خطورة الحسد حتى إنه لا يجتمع هو والإيمان مما يدل على أن الخلاص من أمراض القلوب فريضة.

٢٢٨ ــ (زيد بن خالد) رفعه :« من جهّز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا ». للستة إلا مالكا.

٢٢٩ ــ (أنس) رفعه : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من فضل الشهادة ». للشيخين والترمذي والنسائي.

٢٣٠ ــ (ابن مسعود) رفعه: « القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع ». للكبير.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٥ /٢٩٣.

لاحظ كلمات الأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم... مما يدل على أن المسلم

---

٢٢٦ ــ (٢/٦) فضل الرباط والجهاد في سبيل الله ــ رقم: ٦٠٩٠.
٢٢٧ ــ (٢/٦) الموضع السابق ــ رقم: ٦٠٩٢.
٢٢٨ ــ (٢/٨) فضل الرباط والجهاد في سبيل الله ــ رقم: ٦١٠٦.
٢٢٩ ــ (٢/١٠) فضل الشهاد والشهداء ــ رقم: ٦١١٨.
٢٣٠ ــ (٢/١١) الموضع السابق ــ رقم: ٦١٢٢.

ينبغي أن يؤدي ما كلف به على الكمال والتمام بقدر استطاعته من تحقيق الإخلاص والخشوع وترك المنافي.

٢٣١ ــ (المقدام بن معد يكرب) رفعه : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن ماجه وقال الترمذي حديث صحيح غريب كذا في الترغيب ٢ /٣٢٠.

٢٣٢ ــ (أنس) رفعه : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ». لأبي داود والنسائي.

إن سيراً إلى الله بدون دعوة، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وجهاد بالمال واللسان واليد متى وجب ذلك، سير مبتور.

٢٣٣ ــ (أبو أمامة) جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له؟ فقال : « لا شيء له » فأعادها ثلاث مرات يقول : « لا شيء له » ثم قال : إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه ».

للنسائي، رواه أيضاً أبو داود كذا في الترغيب ٢ /٢٩٨.

٢٣٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلونَ كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ». لأبي داود.

---

٢٣١ ــ (١١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦١٢٣.
٢٣٢ ــ (١٦/٢) وجوب الجهاد وصدق النية فيه وآدابه ــ رقم: ٦١٥٠.
٢٣٣ ــ (١٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦١٥٩.
٢٣٤ ــ (١٦٣/٢) فضل القرآن وفضل سور وآيات مخصوصة ــ رقم ٦٧٠٥.

سكت عنه المنذري، انظر تخريج السنن ٢ /١٣٤، وفي الترغيب ٢ /٣٤٣، وفي الفيض ٥ /٤٠٩ رواه أيضاً مسلم.

هذا يدل على أن أنواعاً من العمل إذا أُديت في جماعة لها فضلها الزائد على أدائها على انفراد، ومن ههنا طولب المسلم بالحرص على الجمع والجماعات، والجماعة والإخاء الخاص.

٢٣٥ ــ (عقبة بن عامر) رفعه : « أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطيعة رحم؟ » فقلنا : يا رسول الله نحب ذاك، قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل ». لأبي داود ومسلم بلفظه.

٢٣٦ ــ (ابن مسعود) رفعه :« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ». للترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب كذا في الترغيب ٢/٣٤٣.

٢٣٧ ــ (أبو سعيد) رفعه : « يقول الرب تعالى : من شغله قراءة القرآن عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ». للترمذي وقال حديث غريب كذا في الترغيب ٢ /٣٤٦.

من المعلوم أن الدعاء هو العبادة، فإذا كانت قراءة القرآن يُعطى بسببها الإنسان أفضل ما يُعطى السائلون؛ فذلك دليل على أنه لا أرقى من قراءة القرآن.

٢٣٨ ــ (أنس) رفعه : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا

---

٢٣٥ ــ (١٦٣/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٦٧٠٧.
٢٣٦ ــ (١٦٣/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٦٧٠٨.
٢٣٧ ــ (١٦٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٧١١.
٢٣٨ ــ (١٦٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٧١٨.

ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها. ومثل جليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه، ومثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه ». لأبي داود.

رواه أيضاً النسائي وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ١٨٥/٧.

من الحديث نعرف فضل اتخاذ الإنسان جلساء صالحين، فهذا من أشد ما يحرص عليه المسلم، وإذا ابتلى المسلم بجلساء سوء يأثم بسببهم فعليه أن يفارقهم.

٢٣٩ ـــ (أسيد بن حضير) بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريباً منها فأشفق أن تصيبه، ولما أخرّه رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فلما حدّث النبي ﷺ فقال : « اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير »، قال: أشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فانصرفت إليه ورفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال : « وتدري ما ذاك؟ قال : لا والله، قال : تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم ». للبخاري.

٢٤٠ ـــ (أبو الدرداء) رفعه : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِم من فتنة الدجال ».

وفي رواية : « من آخر الكهف ». لمسلم وأبي داود.

وقال حسن صحيح كذا في تفسير ابن كثير ٣ /٧٠.

٢٤١ ـــ (البراء) كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة بشطنين

---

٢٣٩ ـــ (١٦٧/٢) فضل القرآن وفضل سور وآيات محصوصة ـــ رقم: ٦٧٣١.

٢٤٠ ـــ (١٧٠/٢) الموضع السابق ـــ أرقام: ٦٧٤٦ ـــ ٦٧٤٧ ـــ ٦٧٤٨.

٢٤١ ـــ (١٧٠/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٧٤٩. ومعنى شطنين: الشَّطَنُ: الحبل، وقيل: هو الطويل منه.

فتغشته سحابة فجعلت تدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال : « تلك السكينة تنزلت للقرآن ». للشيخين والترمذي.

٢٤٢ ــ (البراء) وكان ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء** ﴾[١]، فتوجه نحو الكعبة، فقال السفهاء وهم اليهود: ﴿ **ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قُل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[٢]. للشيخين والترمذي والنسائي نحوه.

هذا نموذج على الطلب بلسان الحال بدلاً من لسان المقال وهو في محله أدب يربو على أدب الدعاء باللسان وقد ركز ابن عطاء كما سنرى على هذا الموضوع.

٢٤٣ ــ (النعمان بن بشير) رفعه : « الدعاء هو العبادة» وقرأ : ﴿ **ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾[٣] فقال أصحابه : أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزلت : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[٤]. لرزين وللترمذي وأبي داود بعضه.

رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الإسناد كذا في الترغيب ٢ /٤٧٧.

وإنما كان الدعاء هو العبادة لما يجتمع فيه من معرفة بالله وذلة له وافتقار وعبودية وهذه أرقى ما تتمثل فيها العبادة.

٢٤٤ ــ (عائشة) تلا رسول الله ﷺ : ﴿ **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات** ﴾ إلى ﴿ **أولي الألباب** ﴾[٥] فقال : « إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

---

٢٤٢ ــ (٢/١٧٥) من تفسير سورة البقرة ــ رقم: ٦٧٨٤. (١) سورة البقرة: (١٤٤). (٢) سورة البقرة: (١٤٢).

٢٤٣ ــ (٢/١٧٧) الموضع السابق ــ رقم: ٦٧٩٤. (٣) سورة غافر: (٦٠). (٤) سورة البقرة: (١٨٦).

٢٤٤ ــ (٢/١٨٥) من تفسير سورة آل عمران ــ رقم: ٦٨٣٩. (٥) سورة آل عمران: (٧).

منشأ فرق الضلال كلها من اتباع المتشابه وترك المحكم الذي لا يختلف في فهمه الراسخون في العلم.

٢٤٥ ــ (ابن مسعود) : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾[١] أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى. للكبير.

بإسنادين أحدهما رجال الصحيح ضعيف كذا في مجمع الزوائد ٣٢٦/٦.

٢٤٦ ــ (بهز بن حكيم) عن أبيه عن جده رفعه : « كنتم خير أمة أخرجت للناس أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله ». هي للترمذي.

رواه أيضاً أحمد وابن ماجه والحاكم وهو مشهور وقد حسنه الترمذي. كذا في تفسير ابن كثير ١ /٣٩٠.

وقد حدد الله سبب الخيرية في هذه الأمة على غيرها باجتماع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها مع الإيمان بالله ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾[٢].

٢٤٧ ــ (أبو أمامة) رفعه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم** ﴾ إلى ﴿ **تعقلون** ﴾[٣] قالوا : هم الخوارج. للكبير وإسناده جيد كذا في مجمع الزوائد ٦ /٣٢٧.

ومثل الخوارج كل فرقة زائغة أو ضالة لا ينبغي أن نتخذها بطانة من دون المؤمنين وحدهم هم بطانتنا.

٢٤٨ ــ (ابن عباس) : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** ﴾ إلى ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[٤] قالها إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم. للبخاري.

---

٢٤٥ ــ (١٨٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٨٥٠. (١) سورة آل عمران: (١٠٢).

٢٤٦ ــ (١٨٧/٢) من تفسير سورة آل عمران ــ رقم: ٦٨٥٢. (٢) سورة آل عمران: (١١٠)

٢٤٧ ــ (١٨٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٨٥٥. (٣) سورة آل عمران: (١١٨).

٢٤٨ ــ (١٨٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٨٦٢. (٤) سورة آل عمران: (١٧٣).

ومن ههنا فهم بعض السائرين إلى الله عز وجل أن هناك مقامات يكون الأدب مع الله فيها عرض الحال دون الطلب.

٢٤٩ ــ (ابن عباس) كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما تنافروا إليه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فنزل ﴿ **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك** ﴾ إلى ﴿ **وتوفيقاً** ﴾[1]. للكبير.

ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٧ /٦.

٢٥٠ ــ (عائشة) جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي ومن ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزل جبريل بهذه الآية : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾ إلى ﴿ **والصالحين** ﴾[2]. للأوسط والصغير.

ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد ٧ /٧.

ومن ههنا أخذ أهل السير إلى الله فكرة الحب القلبي لرسول الله ﷺ. فلم يكن حب الصحابة حبا عقليا تتبعه طاعة فقط، بل كان عقلياً قلبياً، تتبعه طاعة واتباع واقتداء.

٢٥١ ــ (طارق بن شهاب)جاء رجل من اليهود إلى عمر فقال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها، لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال فأي آية؟ قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾[3] فقال عمر : إني لأعلم اليوم الذي أُنزلت فيه، والمكان الذي أُنزلت فيه، نزلت على النبي ﷺ بعرفات في يوم جمعة. للشيخين والنسائي والترمذي.

---

٢٤٩ ــ (١٩٤/٢) من تفسير سورة النساء ــ رقم. ٦٨٩٤. (١) سورة النساء: (٦٠).
٢٥٠ ــ (١٩٥/٢) من تفسير سورة النساء ــ رقم: ٦٨٩٥. (٢) سورة النساء: (٦٩).
٢٥١ ــ (١٩٩/٢) من تفسير سورة المائدة ــ رقم: ٦٩١٦. (٣) سورة المائدة: (٣).

وكمال الإسلام بما أنزل الله من كتاب وسنة، وبما أحال عليه الكتاب والسنة ومن إجماع وقياس واستنباط من أهله فمن فاته معرفة ذلك فاته جزء من الهدى.

٢٥٢ ـــ (ابن عباس) قال رجل من اليهود : إن ربك بخيل لا ينفق، فنزلت : ﴿ **وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء** ﴾[١]. للكبير ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٧ /١٧.

٢٥٣ ـــ (ابن عباس) أن رجلا قال يا رسول الله : إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي فحرمت عليَّ اللحم، فأنزل الله: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم** ﴾ الى ﴿ **طيباً** ﴾[٢]. للترمذي.

وقال الترمذي : حسن غريب وقد روي من وجه آخر مرسلا وروي موقوفاً على ابن عباس كذا في تفسير ابن كثير ٢ /٨٧.

فمن التنطع إذن أن يحرم الإنسان على نفسه ما أحله الله له، لكن من أراد أن يخفف من الشهوات المباحة ترويضاً لنفسه ورغبة فيما عند الله فذلك له وتلك كانت سنة رسول الله ﷺ وسنة أصحابه وفي قصة عمر يوم احتج بقوله تعالى : ﴿ **أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا** ﴾[٣]، دليل.

٢٥٤ ـــ (ابن مسعود) لما نزلت : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾[٤] شق ذلك على المسلمين، وقالوا : أينا لا يظلم نفسه؟ فقال النبي ﷺ : « ذاك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : ﴿**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[٥].للشيخين والترمذي.

٢٥٥ ـــ (عمر) رفعه: يا عائشة ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾[٦]

---

٢٥٢ ـــ (٢٠١/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٩٢٥. (١) سورة المائدة: (٦٤).

٢٥٣ ـــ (٢٠١/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٩٢٧. (٢) سورة المائدة: (١٧). (٣) سورة الاحقاف: (٢٠).

٢٥٤ ـــ (٢٠٦/٢) من تفسير سورة الأنعام ـــ رقم: ٦٩٤٩. (٤) سورة الأنعام: (٨٢). (٥) سورة لقمان: (١٣).

٢٥٥ ـــ (٢٠٧/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٩٥٧. (٦) سورة الأنعام: (١٥٩).

هم أصحاب البدع والأهواء، ليس لهم توبة، أنا منهم بريء وهم مني براء. للصغير.

وإسناده جيد كذا في الزوائد ٢٢/٧.

ومن ههنا نقول: إنه لا سير إلى الله إلا على مذهب أهل السنة والجماعة فمن انحرف عن ذلك فإنما هو سائر إلى جهنم والعياذ بالله.

٢٥٦ ــ(أبو هريرة) رفعه : يقول الله : « إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها، اكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ». للشيخين والترمذي، ثم قرأ : ﴿ **من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها** ﴾[1].

٢٥٧ ــ ولابن أحمد عن أبي بن كعب :﴿ **وإذ أخذ ربك** ﴾[2] الآية، قال جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا : بلى، قال : فإني أشهد عليكم السموات السبع، وأشهد عليكم آباءكم أن تقولوا يوم القيامة : لم نعلم بهذا، واعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، قالوا : شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، ولا إله لنا غيرك، فأقروا ورفع عليهم آدم عليه السلام لينظر إليهم، فرأى الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال يا رب : لولا سويت بين عبادك؟ قال: إني أحب أن أشكر، ورأى الأنبياء فيهم مثل السرج عليهم وخصوا بميثاق آخر في الرسالة والنبوة وهو قوله: ﴿ **وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **عيسى بن مريم** ﴾[3] كان في تلك الأرواح فأرسله إلى مريم فحدث عن أُبيّ أنه دخل من فيها ». للترمذي.

---

٢٥٦ ــ (٢٠٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٦٩٥٨. (١) سورة الأنعام: (١٦٠).

٢٥٧ ــ (٢٠٩/٢) من تفسير سورة الأعراف ــ رقم ٦٩٦٨. (٢) سورة الأعراف: (١٧٢). (٣) سورة الأحزاب: (٧).

رواه عبد الله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي وهو مستور وبقية رجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٧/٢٥.

فالأصل إذن أن الروح عارفة بالله مقرة له بالعبودية، والسير إلى الله هذا منتهاه العودة إلى معرفة الله والتحقق بالعبودية ومظهر ذلك طاعة الجوارح وتسليم القلب.

٢٥٨ ـــ وللترمذي (عن أبي هريرة) رفعه: « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال أي رب: من هؤلاء؟ قال: ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال أي رب: من هذا؟ قال: داود، فقال: رب كم جعلت من عمره؟ قال: ستين سنة، قال رب: زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم إلا أربعين جاءه ملك الموت، فقال آدم: أو لم يبق من عمري أربعين سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته، وخطئ فخطئت ذريته ».

وقال الترمذي حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. كذا في تفسير ابن كثير ٢ /٢٦٣.

٢٥٩ ـــ (ابن الزبير) ما نزلت: ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾[1] إلا في أخلاق الناس. للبخاري وأبي داود.

٢٦٠ ـــ (حذيفة) قال: ما بقي من أصحاب هذه الآية يعني: ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم** ﴾[2] إلا ثلاثة، ولا بقي من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد تخبرونا أخباراً لا ندري ما هي، تزعمون أن لا منافق إلا أربعة فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده. للبخاري.

---

٢٥٨ ـــ (٢١٠/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٦٩٦٩. ومعنى وبيص: بريق.

٢٥٩ ـــ (٢١١/٢) من تفسير سورة الأعراف ـــ رقم: ٦٩٧٣. (١) سورة الأعراف: (١٩٩).

٢٦٠ ـــ (٢١٤/٢) من تفسير سورة التوبة ـــ رقم ٦٩٩٢. (٢) سورة التوبة: (١٢).

هذا دليل على أن الرسول ﷺ بسياسته الحكيمة استلّ النفاق من قلوب المنافقين، حتى لم يبق منهم عند وفاته إلا قليل، وهذا القليل أعطى سره لحذيفة حتى لا يضلوا الناس، ويبدو أن الفترة التي بقي فيها هؤلاء الأربعة فقط كانت متأخرة، ومن ههنا يندب للربانيين إذا خافوا من أحد فتنة دينية أن يخصوا بالسر واحدا فقط حتى إذا حدث لهم شيء حسم هذا الواحد مادة الشر المتوقعة، ولكن مثل هذه الأمور لا تبنى إلا على القطعيات ولا وحي بعد محمد ﷺ فلم يبق إلا العمل والبينات.

٢٦١ ــ (علي) سمعت رجلا يستغفر لأبوية وهما مشركان، فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال : استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنـزلت : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾[1]. للترمذي والنسائي. وقال الترمذي حديث حسن كذا في سننه ٢/ ١٣٦.

٢٦٢ ــ (ابن مسعود) أن رجلا أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار** ﴾[2]، فقال : يا رسول الله : ألي هذا؟ قال : « لمن عمل بها من أمتي ».

وفي رواية : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني عالجت امرأة في أقصى المدينة، وإني أصبت منها ما دون أن أمسها، فأنا هذا، فاقض في ما شئت، فقال له عمر : لقد سترك الله لو سترت على نفسك، ولم يرد النبي ﷺ شيئاً فقام الرجل فانطلق، فأتبعه النبي ﷺ رجلا فدعاه وتلا عليه هذا الآية : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار** ﴾إلى ﴿ **للذاكرين** ﴾[2]فقال رجل من القوم : يا نبي الله : هذا له خاصة؟ قال : بل وللناس كافة. للشيخين وأبي داود والترمذي.

٢٦٣ ــ (ابن عباس) : ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾[3] هم أهل الكتاب اليهود والنصارى جزؤوه أجزاء، آمنوا ببعض وكفروا ببعض. للبخاري.

---

٢٦١ ــ (٢١٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٠٠٣. (١) سورة التوبة: (١١٣).

٢٦٢ ــ (٢٢٣/٢) من تفسير سورة هود ــ رقم: ٧٠١٩. (٢) سورة هود: (١١٤).

٢٦٣ ــ (٢٢٧/٢) من تفسير سورة الحجر ــ رقم: ٧٠٤٠. (٣) سورة الحجر: (٩١).

٢٦٤ ــ (ابن مسعود) ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسلية** ﴾[١] كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن، فاستمسك الآخرون بعبادتهم فنزلت ﴿ **أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة** ﴾[١]. للشيخين.

٢٦٥ ــ (أبو هريرة) رفعه : « ﴿ **يوم ندعوا كل أناس بإمامهم** ﴾[٢] يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه الذين كانوا يجتمعون إليه، فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم ائتنا بهذا فيأتيهم فيقول: أبشروا لكل منكم مثل هذا المتبوع على الهدى، وأما الكافر فيعطى كتابه بشماله، ويسود وجهه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويلبس تاجاً من نار، إذا رآه أصحابه يقولون : نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتنا به، فيأتيهم فيقولون : اللهم اخزه فيقول لهم: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا ». للترمذي.

وقال حسن غريب كذا في سننه ٢ /١٤١.

ومن ههنا استحبت الإمامة للمتقين وحرمت إمامة الضلال.

٢٦٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال : اقرؤوا ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً** ﴾[٣]. للشيخين.

٢٦٧ ــ (عائشة) قلت يا رسول الله ﴿ **الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة** ﴾[٤] أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال : « لا يا ابنة الصديق : ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويخافون أن لا يقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات ».

---

٢٦٤ ــ (٢/٢٢٨) من تفسير سورة الإسراء ــ رقم: ٧٠٥٠. (١) سورة الإسراء: (٥٧).

٢٦٥ ــ (٢/٢٢٩) الموضع السابق ــ رقم: ٧٠٥٢. (٢) سورة الإسراء: (٧١).

٢٦٦ ــ (٢/٢٣٤) من تفسير سورة الكهف ــ رقم ٧٠٧٧. (٣) سورة الكهف: (١٠٥).

٢٦٧ ــ (٢/٢٣٧) من تفسير سورة المؤمنون ــ رقم: ٧٠٩٨. (٤) سورة المؤمنون: (٦٠).

رواه أحمد وابن حاتم وقال الترمذي وروي هذ الحديث من حديث عبد الرحمن ابن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة كذا في تفسير ابن كثير ٣ /٢٤٨.

٢٦٨ ــ (أنس) ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾[1] نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. للترمذي.

وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب كذا في الترغيب ١ /٤٠٥.

٢٦٩ ــ ولأبي داود : قال : كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء يصلون، وكان الحسن يقول : قيام الليل.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٢/٩٤.

٢٧٠ ــ (أبو سعيد) رفعه : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات** ﴾[2] « هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة ». للترمذي.

وقال حسن غريب كذا في سننه ٢ /١٥٤.

٢٧١ ــ ولأحمد عن أبي الدرداء رفعه : ﴿ **فمنهم ظالم لنفسه** ﴾ الآية : « فأما الدين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين ظلموا أنفسهم في طول المحشر تم هم الذين يتلافاهم الله برحمته، منهم الذين يقولون : ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور** ﴾ إلى ﴿ **لغوب** ﴾.

رواه احمد بأسانيد رجال أحدها رجال الصحيح وهي هذه إن كان علي بن عبدالله ` الأزدي سمع من أبي الدرداء فإنه تابعي. كذا في مجمع الزوائد ٧/٩٥.

---

٢٦٨ ــ (٢/٢٥١) من تفسير سورة السجدة ــ رقم: ٧١٥١. (١) سورة السجدة: (١٦).

٢٦٩ ــ (٢/٢٥١) الموضع السابق ــ رقم: ٧١٥٢.

٢٧٠ ــ (٢/٢٥٦) من تفسير سورة فاطر ــ رقم: ٧١٧٧. (٢) سورة فاطر: (٣٢).

٢٧١ ــ (٢/٢٥٦) الموضع السابق ــ رقم: ٧١٧٨.

ومن ههنا نعرف أهمية حفظ كتاب الله وفهمه والعمل بما فيه.

٢٧٢ ــ (ابن عباس) مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاءه النبي ﷺ وعند أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهل كي يمنعه من الجلوس فيه، وشكوه إلى أبي طالب فقال : يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال : « أريد منهم كلمةً تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم العجم الجزية » فقال : كلمة واحدة؟ قال :« يا عم قولوا لا إله إلا الله » فقالوا : إلهاً واحداً ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق، فنزل فيهم القرآن ﴿ **صٓ والقرآن ذي الذكر** ﴾ إلى ﴿ **إلا اختلاق** ﴾[1]. للترمذي.

رواه أيضاً النسائي وابن حاتم وابن جرير وروى أحمد ونحوه. وقال الترمذي حسن كذا في تفسير ابن كثير ٤ /٢٨.

ومن ههنا نعلم أن الداعية لا ييأس حتى يحول الموت بينه وبين المدعوين.

٢٧٣ ــ (ابن عباس) أن قوماً قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا وانتهكوا فأتوا النبي ﷺ فقالوا : يا محمد إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر** ﴾ إلى ﴿ **حسنات** ﴾.[2] قال : « يبدل الله شركهم إيماناً وزناهم إحصاناً » ونزلت : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾[3]. للنسائي.

٢٧٤ ــ (أبو سعيد) قرأ ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾[4] فقال : هذا « نبيكم يوحى إليه، وخيار أئمتكم، لو أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فكيف بكم ». للترمذي.

وقال غريب حسن صحيح قال علي بن المديني سألت يحيى القطان عن المستمر ابن الريان فقال ثقة كذا في سننه ٢/١٥٩.

---

٢٧٢ ــ (٢/٢٥٧) من تفسير سورة صٓ ــ رقم: ٧١٨٧. (١) سورة صٓ: (١ ــ ٧).

٢٧٣ ــ (٢/٢٥٨) من تفسير سورة الزمر ــ رقم: ٧١٩١. (٢) سورة الفرقان: (٦٨). (٣) سورة الزمر: (٥٣).

٢٧٤ ــ (٢/٢٦٤) من تفسير سورة الحجرات ــ رقم: ٧٢٢٩. (٤) سورة الحجرات: (٧).

٢٧٥ ــ (ابن عباس) أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها، يعني قوله : ﴿ **وأدبار السجود** ﴾.[١] للبخاري.

٢٧٦ ــ (أنس) في قوله تعالى : ﴿ **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** ﴾[٢] قال : كانوا يصلون بين المغرب والعشاء. ولأبي داود.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٢ /٩٥.

٢٧٧ ــ (ابن عباس) ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة : أن النبي ﷺ قال : « إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه ». للشيخين وأبي داود.

٢٧٨ ــ زاد في رواية : « والأذنان زناهما الاستماع، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا ».

وعلى المؤمن أن يجاهد نفسه في ذات الله، فلا يسترسل مع ما يغلبه، وإذا استرسل فليتب.

٢٧٩ ــ (ابن مسعود) ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بقوله : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾[٣] إلا أربع سنين. لمسلم.

نفهم من ذلك أن أربع سنين كافية لينضج المسلم ظاهراً وباطناً.

٢٨٠ ــ (ابن مسعود) ﴿ **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾[٤] قال : هي

---

٢٧٥ ــ (٢/٢٦٥) من تفسير سورة قٓ ــ رقم: ٧٢٣٣. (١) قٓ: (٤٠).

٢٧٦ ــ (٢/٢٦٥) من تفسير سورة الذاريات ــ رقم: ٧٢٣٤. (٢) سورة الذاريات: (١٧).

٢٧٧ ــ (٢/٢٦٦) من تفسير سورة النجم ــ رقم: ٧٢٤٤. ومعنى اللمم: صغائر الذنوب، وقيل: المتقارب من الذنوب.

٢٧٨ ــ (٢/٢٦٧) الموضع السابق ــ رقم: ٧٢٤٥.

٢٧٩ ــ (٢/٢٦٨) من تفسير سورة الحديد ــ رقم: ٧٢٥٧. (٣) سورة الحديد: (١٦).

٢٨٠ ــ (٢/٢٧٣) من تفسير سورة التغابن ــ رقم: ٧٢٧٩. (٤) سورة التغابن: (١١).

المصيبات تصيب الرجل، فيعلم أنها من عند الله، فيسلم ويرضى. للبخاري.

٢٨١ ــ (ابن مسعود) كنا نعد الماعون على رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر. لأبي داود. سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٢ /٢٤٧.

٢٨٢ ــ (ابن عباس) ﴿ **ويمنعون الماعون** ﴾[1] قال: العارية. للكبير.

ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٧ /١٤٣.

٢٨٣ ــ (ابن عباس) كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر : إنه من علمتم، فدعاه ذات يوم، فأدخله معهم، قال : فما رأيت أنه دعاني إلا ليريهم، قال : ما تقولون في قول الله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[2]؟ فقال بعضهم : أمرنا بأن نحمد الله، ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم، فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذا تقول يا ابن عباس؟ قلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ فذلك علامة أجلك، ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾[2] فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول.

٢٨٤ ــ وفي رواية : قال عبد الرحمن بن عوف : إن لنا أبناء مثله : فقال عمر : إنه من حيث تعلم. للبخاري والترمذي.

ومن ههنا نأخذ أن أدب المسلم إذا أحس بدنو الموت؛ أن يكون ورده الدائم « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله »، وأن الشورى تكون لأهل العلم إلا في قضية طابعها الاختصاص فالشورى فيها لأهل الاختصاص.

٢٨٥ ــ (ابن مسعود) قال لي النبي ﷺ : « اقرأ، قلت : يا رسول الله أقرأ

---

٢٨١ ــ (٢/٢٨٤) من تفسير سورة الماعون ــ رقم: ٧٣٣١.

٢٨٢ ــ (٢/٢٨٤) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٣٢. (١) سورة الماعون: (٧).

٢٨٣ ــ (٢/٢٨٥) من تفسير سورة النصر ــ رقم: ٧٣٣٨. (٢) سورة النصر: (١).

٢٨٤ ــ (٢/٢٨٦) من تفسير سورة النصر ــ رقم: ٧٣٣٩.

٢٨٥ ــ (٢/٢٨٩) الحث على تلاوة القرآن وأدب التلاوة ــ رقم: ٧٣٦٦.

عليك، وعليك أنزل؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء، حتى جئت إلى هذه الآية ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[1] قال: حسبك الآن » فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان. للشيخين والترمذي وأبي داود.

هذا هو حال الأنبياء والعارفين، البكاء إذا قرأوا القرآن أو سمعوه، وهذا حال ضعف في عصرنا كثيراً.

٢٨٦ ــ (ابن عباس) أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ﴿ **سبِّح اسم ربك الأعلى** ﴾[2] قال : « سبحان ربي الأعلى ». لأبي داود.

رواه أيضاً أحمد والحاكم وقال صحيح على شرطهما وأقره الذهبي كذا في الفيض ٥ /١٥٦.

٢٨٧ ــ (أبو هريرة) رفعه: « إذا قام أحدكم من الليل، فاستعجم القرآن على لسانه، فلم يدر ما يقول فليضطجع ». لمسلم وأبي داود.

٢٨٨ ــ (جندب بن عبد الله) رفعه : « اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا ». للشيخين.

٢٨٩ ــ (ابن عمرو بن العاص) قلت: « يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: اختمه في شهر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في عشرين، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: اختمه في خمسة عشر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في عشر، قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: اختمه في خمس قلت: إني أطيق أفضل من ذلك، فما رخصّ لي ».

وفي رواية: فاقرأه في سبع لا تزد على ذلك، قال: فشددت فشد علي، وقال: « إنك

---

٢٨٥ ــ (١) سورة النساء: (٤١)

٢٨٦ ــ (٢٨٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٧٠. (٢) سورة الاعلى: (١).

٢٨٧ ــ (٢٩٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٧١.

٢٨٨ ــ (٢٩٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٧٣.

٢٨٩ ــ (٢٩٠/٢) الحث على تلاوة القرآن وأدب التلاوة ــ رقم: ٧٣٧٤.

لا تدري لعلك يطول بك عمر » فصرت إلى الذي قال عليه الصلاة والسلام، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصته.

وفي أخرى فإنه لا يفقه من قرَأه في أقل من ثلاث. للشيخين والترمذي وأبي داود.

٢٩٠ ــ (أوس بن حذيفة) سألت أصحاب النبي ﷺ : كيف يحزِّبون القرآن؟ قال : « ثلاث وخمس وسبع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصّل وحده ». لأبي داود.

وأخرجه ابن ماجه وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٢ /١١٤.

٢٩١ ــ (عمر) رفعه : « من نام عن حزبه من الليل، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر، وصلاة الظهر، كتب له كأنه قرأه من الليل » للستة إلا البخاري ولفظ الموطأ : فقرأه حين تزول الشمس إلى صلاة الظهر ».

٢٩٢ ــ (أبي) « كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على النبي ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما ﷺ فقرآ فحسّن شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى ما قد غشيني، ضرب في صدري، فغضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقاً فقال لي: يا أُبي أُرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إلي الثانية أن أقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فرد إلي أن اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الناس كلهم حتى إبراهيم ».

---

٢٩٠ ــ (٢/٢٩٠) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٧٧.

٢٩١ ــ (٢/٢٩٠) الموضع السابق ــ رقم: ٧٣٧٩.

٢٩٢ ــ (٢/٢٩٢) جواز احتلاف القراءات وما جاء مفصلاً وترتيب القرآن وتاليفه ــ رقم: ٧٣٩١.

هذا نموذج على ما يمكن أن يحدث في القلب من وساوس وهواجس، كما أنه نموذج على الحال النبوي الذي يرقى بالإنسان من حال إلى حال.

٢٩٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث: فالرؤيا الصالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس، قال: وأحب القيد، أو أكره الغل » والقيد: ثبات في الدين، فلا أدري هو في الحديث أو قاله ابن سيرين.

٢٩٤ ــ وفي رواية نحوه وفيه : قال أبو هريرة فيعجبني القيد، وأكره الغل، والقيد ثبات في الدين. للشيخين وللترمذي وأبي داود.

من مثل هذه النصوص كان للرؤيا دورها في حياة المسلم ولكنها تبشره ولا تنفره ولا تضره وإذا كانت مفزعة تَفَلَ عن شماله ثلاثا واستعاذ بالله منها فإنها لا تضر.

٢٩٥ ــ (أبو قتادة) رفعه : « الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله منه، فلن يضره ».

وفي رواية : « فليتفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره ».

٢٩٦ ــ وفي أخرى: قال أبو سلمة: إن كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل، فلما سمعت هذا الحديث فما كنت أباليها. للستة إلا النسائي.

٢٩٧ ــ (جابر) رفعه : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره

---

٢٩٣ ــ (٢٩٩/٢) كتاب تعبير الرؤيا ــ رقم: ٧٤٤١.

٢٩٤ ــ (٢٩٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٤٢.

٢٩٥ ــ (٣٠٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٤٣.

٢٩٦ ــ (٣٠٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٤٥.

٢٩٧ ــ (٣٠٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٤٦.

ثلاثاً، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه ». لمسلم وأبي داود.

٢٩٨ ــ (أبو رزين العقيلي) رفعه : « رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءاً من النبوة، وهي على رجل طائر ما لم يتحدث بها، فإذا تحدث بها سقطت ــ وأحسبه قال ــ ولا تحدث بها إلا لبيباً أو حبيباً ». للترمذي وأبو داود.

وأخرجه ابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح كذا في تخريج السنن ٧ /٢٩٩.

٢٩٩ ــ وفي رواية : « جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ».

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي كذا في تخريج السنن ٧ /٢٩٧.

٣٠٠ ــ (ابن عمر) رفعه : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة ». للدارمي.

رواه أحمد وابن ماجه ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ٤ /٤٨.

٣٠١ ــ (أبو هريرة) رفعه: « لم يبق بعدي من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال : الرؤيا الصالحة ». لمالك وأبي داود والبخاري بلفظه.

٣٠٢ ــ (أبو سعيد) رفعه : » أصدق الرؤيا بالأسحار ». للترمذي.

رواه أيضاً أحمد وابن حبان والبيهقي في الشعب والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي في التلخيص كذا في الفيض ١ /٥٣٠.

---

٢٩٨ ــ (٢/٣٠٠) الموضع السابق ــ رقم. ٧٤٤٧.
٢٩٩ ــ (٢/٣٠٠) كتاب تعبير الرؤيا ــ رقم: ٧٤٤٨.
٣٠٠ ــ (٢/٣٠٠) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٤٩.
٣٠١ ــ (٢/٣٠١) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٥١.
٣٠٢ ــ (٢/٣٠١) الموضع السابق ــ رقم: ٧٤٥٢.

٣٠٣ ـــ (ابن عمر) رفعه : « من أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تريا ». للبخاري.

٣٠٤ ـــ (أبو هريرة) رفعه: « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

٣٠٥ ـــ (أبو قتادة) رفعه : « من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتراءى بي ». للشيخين.

٣٠٦ ـــ (أسامة بن شريك) رفعه : « تداووا؛ فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد وهو الهرم ». لأبي داود والترمذي.

ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح كذا في تخريج السنن ٥ /٣٤٦.

٣٠٧ ـــ (عمران بن حصين) رفعه : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب، قالوا : ومن هم يا رسول الله؟ قال : هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة فقال : ادع الله أن يجعلني منهم، فقال : أنت منهم، فقام رجل فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال سبقك بها عكاشة ». زاد في رواية ولا يتطيرون. لمسلم.

هذا نموذج على مقام يصل إليه أهله بترك مباحات، وبالتحقق بمقامات قلبية.

٣٠٨ ـــ (عائشة) أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله، يمسح بيده اليمنى،

---

٣٠٣ ـــ (٣٠١/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٤٥٤.

٣٠٤ ـــ (٣٠١/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٤٥٥.

٣٠٥ ـــ (٣٠١/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٤٥٦.

٣٠٦ ـــ (٣٠٦/٢) كتاب الطب وما يقرب منه ـــ رقم: ٧٤٧٦.

٣٠٧ ـــ (٣١٦/٢) الرقي والتمائم والعين ونحو ذلك ـــ رقم: ٧٥٥٦.

٣٠٨ ـــ (٣١٨/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٥٦٩.

ويقول : « اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً ».

٣٠٩ — وفي رواية : فلما مرض ﷺ وثقل، أخذت بيده لأصنع به نحو ما كان يصنع، فانتزع يده من يدي، ثم قال : « اللهم اغفر لي، واجعلني مع الرفيق الأعلى » فذهبت أنظر فإذا هو قد قضى. للشيخين.

٣١٠ — (عثمان بن أبي العاص) أنه اشتكى إلى النبي ﷺ وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل : باسم الله ثلاث مرات، وقل سبع مرات : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر، فقلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم ». لمسلم وأبي داود والترمذي.

٣١١ — (بريدة) أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، ورؤي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإذا أعجبه اسمها فرح ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه. لأبي داود.

وأخرجه النسائي وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٥ /٣٧٩.

٣١٢ — (زيد بن خالد) صلى بنا النبي ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل؛ فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم »؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب ». للستة إلا الترمذي.

---

٣٠٩ — (٣١٨/٢) الموضع السابق — رقم: ٧٥٧١.

٣١٠ — (٣١٩/٢) الموضع السابق — رقم: ٧٥٧٦.

٣١١ — (٣٢٢/٢) الطيرة والفأل والتشؤم والعدوى — رقم: ٧٥٩٤.

٣١٢ — (٣٢٥/٢) النجوم والسحر والكهانة — رقم: ٧٦١٧.

٣١٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قال الله تعالى : ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين، يقولون الكوكب وبالكوكب ». لمسلم والنسائي.

هذا الحديث يشير إلى أن الله هو خالق كل شيء.

٣١٤ ــ (عبادة بن الصامت) قال لابنه عند الموت : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب فقال : يا رب وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني إني سمعت النبي ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني ». لأبي داود.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧ / ٦٩.

٣١٥ ــ (ابن عباس) كنت خلف النبي ﷺ فقال لي : « يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف ». الترمذي.

٣١٦ ــ (علي) رفعه : « ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة، قالوا : يا رسول الله أفلا نتّكل على كتابنا؟ فقال : اعملوا، فكل ميسَّر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسيصير لعمل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير لعمل الشقاء، ثم قرأ : ﴿ **فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى** ﴾[1] الآيات . للشيخين وأبي داود والترمذي.

---

٣١٣ ــ (٣٢٦/٢) النجوم والسحر والكهانة ــ رقم: ٧٦١٨.

٣١٤ ــ (٣٢٨/٢) كتاب القدر ــ رقم: ٧٦٣١.

٣١٥ ــ (٣٢٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٣٥.

٣١٦ ــ (٣٣٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٣٨. (١) سورة الليل: (٥ ــ ٧).

٣١٧ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء ». للترمذي ومسلم بلفظه.

٣١٨ ــ (حذيفة) رفعه : « خلق الله كل صانع وصنعته ». للبزار.

ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين بن الكردي وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد ١٩٧/٧.

هذا من أصرح النصوص في أن الله تعالى خالق لعبده وما فعل كما قال تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾، وذلك لا ينفي الاختيار.

٣١٩ ــ (أنس) رفعه : « إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله، فقيل له : كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت ». للترمذي.

رواه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ٢٥٧/١ .

- **٣٢٠** ــ (أبو هريرة) رفعه : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان ». لمسلم.

٣٢١ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول : جف القلم على علم الله تعالى ». للترمذي.

---

٣١٧ ــ (٣٣٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٣٩.
٣١٨ ــ (٣٣١/٢) كتاب القدر ــ رقم: ٧٦٤٦.
٣١٩ ــ (٣٣٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٥٠.
٣٢٠ ــ (٣٣٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٥٢.
٣٢١ ــ (٣٣٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٥٣.

رواه أيضاً أحمد وابن حبان وصححه والحاكم، وقال : صحيح على شرط الشيخين، وقال الهيثمي : رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما ثقات وقال ابن حجر : إسناده لا بأس به كذا في الفيض ٢/٢٣٠.

٣٢٢ ــ (عائشة) رفعته : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، وقولوا ما شاء الله وحده ». للموصلي.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٧/٢٠٩.

٣٢٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إذا انتهى أحدكم إلى مجلس فليسلم، فإن بدا له أن يجلس فيجلس، ثم إذا قام فليسلم، فليس الأولى بأحق من الثانية ». لأبي داود والترمذي.

وأخرجه النسائي وقال الترمذي حسن كذا في تخريج السنن ٨/٧٨.

٣٢٤ ــ (ربعي بن حراش) جاء رجل فاستأذن على النبي ﷺ، فقال : أألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمه : « اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقال له : قل السلام عليكم أأدخل؟ فسمع الرجل ذلك فقال : السلام عليكم أأدخل؟ فأذن له ﷺ فدخل ». لأبي داود وأخرجه النسائي بنحوه كذا في تخريج السنن ٨/٥٧.

٣٢٥ ــ (جابر وأبو طلحة) رفعاه : « ما من مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع ينتهك فيه حرمته، وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موضع يحب نصرته ». لأبي داود. سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧/٢١٦.

---

٣٢٢ ــ (٢/٣٣٦) الموضع السابق ــ رقم: ٧٦٧٥.

٣٢٣ ــ (٢/٣٣٧) كتاب الآداب والسلام ــ رقم: ٧٦٧٧.

٣٢٤ ــ (٢/٣٤٥) الاستئذان ــ رقم: ٧٧٣٢.

٣٢٥ ــ (٢/٣٥٥) التعاضد بين المسلمين بالنصرة والحلف والإخاء والشفاعة وغير ذلك ــ رقم: ٧٧٩٨.

٣٢٦ ــ (أبو موسى) كان النبي ﷺ جالساً فجاء رجل يسأل، فأقبل علينا بوجهه، وقال : « اشفعوا تؤجروا، ويقض الله على لسان رسوله ما شاء ». للستة إلا مالكاً.

٣٢٧ ــ (معاوية) رفعه : اشفعوا تؤجروا، فإني لأريد الأمر فأؤخره كيما تشفعوا فتؤجروا فإن النبي ﷺ قال : اشفعوا تؤجروا. لأبي داود.

رواه أبو داود وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٨/٣٢.

٣٢٨ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ». لمسلم والترمذي وأبي داود.

ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه. وليس في حديث مسلم (ومن ستر على مسلم). كذا في تخريج السنن ٧ /٢٤٩.

٣٢٩ ــ (أبو موسى) رفعه : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه ». للشيخين والترمذي.

٣٣٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « للمؤمن على المؤمن ست خصال : يعوده إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمّته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد ». للستة إلا مالكاً بلفظ النسائي.

---

٣٢٦ ــ (٢/٣٥٦) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٠٥.
٣٢٧ ــ (٢/٣٥٦) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٠٦.
٣٢٨ ــ (٢/٣٥٦) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨١٠.
٣٢٩ ــ (٢/٣٥٧) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨١٢.
٣٣٠ ــ (٢/٣٥٧) التعاضد بين المسلمين بالنصرة والحلف والإخاء والشفاعة وغير دلك ــ رقم: ٧٨١٣.

٣٣١ ـــ (أبو ذر) رفعه : « لا يحقرن أحدكم شيئاً من المعروف، فإن لم يجد فليلق أخاه بوجه طلق، وإذا اشتريت لحماً أو طبخت قدراً فأكثر مرقته، واغرف لجارك منه ». للترمذي. وقال حديث حسن كذا في سنن الترمذي ٢ /٥.

٣٣٢ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

٣٣٣ ـــ (النعمان بن بشير) رفعه : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ». للشيخين.

٣٣٤ ـــ (المقدام) رفعه: « إذا أحبَّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه ». لأبي داود والترمذي.

وأخرجه أيضاً النسائي وقال الترمذي حسن صحيح غريب، كذا في تحريج السنن ٨/٢١.

٣٣٥ ـــ (أنس) أن رجلا كان عند النبي ﷺ فمر رجل فقال : يا رسول الله إني لأحب هذا، فقال له ﷺ: أعلمته؟ قال: لا قال: فأعلمه، فلحقه فقال: إني أحبك في الله، قال : أحبك الذي أحببتني له. لأبي داود.

فيه المبارك بن فضالة القرشي العجلي مولاهم البصري وثقه عفان بن مسلم واستشهد به البخاري. وضعفه أحمد وابن معين والنسائي وتكلم فيه غيرهم. كذا في تخريج السنن ٨ /٢٦.

---

٣٣١ ـ (٢/٣٥٧) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٨١٤.

٣٣٢ ـ (٢/٣٥٨) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٨١٧.

٣٣٣ ـ (٢/٣٥٨) التوادد وكتمان السر وصلاح ذات البين ـــ ... إلخ ـــ رقم: ٧٨١٨.

٣٣٤ ـ (٢/٣٥٨) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٨١٩.

٣٣٥ ـ (٢/٣٥٨) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٨٢٠.

٣٣٦ ــ (أبو هريرة) أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما. للترمذي وقال أراه رفعه.

وقال الترمذي غريب ضعيف والصحيح عن علي موقوفاً. كذا في الفيض ١٧٦/١.

٣٣٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « يقول الله تعالى يوم القيامة أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي ». لمالك ومسلم.

٣٣٨ ــ (معاذ) رفعه : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء ». للترمذي. قال : حسن صحيح كذا في الترغيب ٤ /١٩.

٣٣٩ ــ (أبو ذر) رفعه : « إن من عباد الله ناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا : يا رسول الله تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ : ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1]. لأبي داود.

سكت عنه المنذري. كذا في تخريج السنن ٥ /١٨٢.

٣٤٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن رجلا زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال : أين تريد؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما احببته فيه ». لمسلم.

---

٣٣٦ ــ (٣٥٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٢٢.
٣٣٧ ــ (٣٥٨/٢) التوادد وكتمان السر وصلاح ذات البين... إلخ ــ رقم. ٧٨٢٣.
٣٣٨ ــ (٣٥٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٢٤.
٣٣٩ ــ (٣٥٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٢٧. (١) سورة يونس: (٦٢).
٣٤٠ ــ (٣٥٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٢٨.

٣٤١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه فيبغضونه، ثم يوضع له البغضاء في الأرض ».

وفي رواية عن سهيل بن أبي صالح : كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه. فقلت لأبي : يا أبت إني أرى الله يحب عمر ابن عبد العزيز، قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس، قال: فأنبئك أني سمعت أبا هريرة وذكر الحديث. لمالك والشيخين والترمذي بلفظ مسلم.

٣٤٢ ــ (أنس) أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال : متى الساعة؟ قال : وما أعددت لها؟ قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال : أنت مع من أحببت، قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقوله ﷺ أنت مع من أحببت، فأنا أحب النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل أعمالهم.

وفي رواية : قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وذكره.

٣٤٣ ــ (أبو ذر) قال : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم، قال : أنت يا أبا ذر مع من أحببت، قال : فإني أحب الله ورسوله، قال : فإنك مع من أحببت، فأعادها أبو ذر، فأعادها ﷺ. لأبي داود.

وأخرجه الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوماً ولما يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ:المرء مع من أحب. كذا في تخريج السنن ٨ /٢٧.

---

٣٤١ ــ (٣٥٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٢٩.

٣٤٢ ــ (٣٦٠/٢) التوادد وكتمان السر وصلاح دات البين... إلخ ــ أرقام: ٧٨٣١ ــ ٧٨٣٢.

٢٤٣ ــ (٣٦٠/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٧٨٣٤.

٣٤٤ ــ (أبو الدرداء) رفعه : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا : بلى قال : صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ». لأبي داود والترمذي وزاد في رواية : « لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ».

وقال الترمذي صحيح كذا في تخريج السنن ٧/٢٣٥.

٣٤٥ ــ (أبو موسى) رفعه: « إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط ». لأبي داود. أبو كنانة هذا هو القرشي ذكر غير واحد أنه سمع من أبي موسى كذا في تخريج السنن ٧/١٩١.

أقول : إن ناسا دأبوا على احتقار الشيوخ والعلماء والحكام كائنا ما كانوا، وليس هذا دأب الصالحين، وليس كلامنا في حاكم كافر أو فاسق.

٣٤٦ ــ (عمرو بن شعيب) عن أبيه عن جده رفعه »: ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا ». لأبي داود والترمذي بلفظه.

رواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد وأحمد والحاكم وقال على شرط مالك وأقره الذهبي وقال العراقي سنده حسن. ورمز السيوطي لصحته. وقال النووي في الرياض حديث صحيح. كذا في الفيض ٥/٣٨٨.

٣٤٧ ــ (معاذ) كان آخر ما أوصاني به النبي ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن قال : « يا معاذ أحسن خلقك للناس ». للموطأ.

٣٤٨ ــ (مالك) بلغه : » أن النبي ﷺ قال : بعثت لأتمم حسن الأخلاق » لأبي داود.

---

٣٤٤ ــ (٢/٣٦١) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٤٠.

٣٤٥ ــ (٢/٣٦١) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٤١.

٣٤٦ ــ (٢/٣٦٢) الموصع السابق ــ رقم: ٧٨٤٤

٣٤٧ ــ (٢/٣٦٢) التوادد وكتمان السر وصلاح ذات البيں... إلخ ــ رقم: ٧٨٤٩.

٣٤٨ ــ (٢/٣٦٣) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥٠.

٣٤٩ ــ (عائشة) رفعته. « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ». لأبي داود.

رواه أيضاً ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما كذا في الترغيب ٣ /٤٠٤.

٣٥٠ ــ (وعنها) رفعته « إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله ». للترمذي

وقال حديث حسن ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة. كما رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما كذا في الترغيب ٣ /٤٠٢. وفي الفيض ٢ /٥٣٦ رواه أيضاً النسائي. وقال الذهبي متعقباً على الحاكم في تصحيحه قلت : فيه انقطاع.

٣٥١ ــ (أبو الدرداء) رفعه: « ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن حبان وقال الترمذي حديث حسن صحيح كذا في الترغيب ٣ /٤٠٣.

٣٥٢ ــ (جابر) رفعه : « إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال : المتكبرون ». للترمذي، وحسنه.

كما روى أحمد ورواته رواة الصحيح، والطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث أبي ثعلبة الخشني نحوه كذا في الترغيب ٣/٤١٢.

---

٣٤٩ ــ (٣٦٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥١.
٣٥٠ ــ (٣٦٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥٢.
٣٥١ ــ (٣٦٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥٣.
٣٥٢ ــ (٣٦٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥٤.

٣٥٣ ــ (النواس بن سمعان) رفعه: « البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس ». لمسلم والترمذي.

٣٥٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن حبان في صحيحه وأحمد ورجاله رجال الصحيح. وقال الترمذي حسن صحيح كذا في الترغيب ٣ /٣٩٨.

٣٥٥ ــ (أنس) رفعه : « ما كان الفحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه ». للترمذي.

رواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد وأحمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب ورمز السيوطي لحسنه كذا في الفيض ٥ /٤٦١.

٣٥٦ ــ (عائشة) كنت أدخل بيتي وإني واضع ثوبي فأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن عمر معهم فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودة على ثيابي حياء من عمر. لأحمد ورجاله رجال الصحيح كذا في مجمع الزوائد ٢٦/٨.

٣٥٧ ــ (أبو موسى) رفعه : « إذا مر أحدكم في مجلس أو سوق، وبيده نبل، فليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها »، فقال أبو موسى : والله ما متنا حتى سددناها بعضنا في وجوه بعض. للشيخين وأبي داود.

٣٥٨ ــ (سعد) رفعه: « إذا تنخّم أحدكم فليغيب نخامته، لا تصيب جلد مؤمن أو ثوبه ». للبزار. ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ١١٤/٨.

---

٣٥٣ ــ (٣٦٣/٢) التوادد وكتمان السر وصلاح ذات البين... إلخ ــ رقم: ٧٨٥٥.
٣٥٤ ــ (٣٦٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٥٨.
٣٥٥ ــ (٣٦٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٦٤.
٣٥٦ ــ (٣٦٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٦٥.
٣٥٧ ــ (٣٦٥/٢) الموضع السابق ــ رقم. ٧٨٧١.
٣٥٨ ــ (٣٦٦/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٧٨.

٣٥٩ ــ (أنس) لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوماً أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل، من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: « لا ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم عليهم ». لأبي داود والترمذي بلفظه.

وأخرجه أيضاً النسائي وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن /١٧٩.

٣٦٠ ــ (عائشة) رفعته : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه ».

٣٦١ ــ وفي رواية : «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه ». لمسلم وأبي داود.

٣٦٢ ــ (جرير) رفعه: « من يحرم الرفق يحرم الخير كله ». لمسلم وأبي داود.

٣٦٣ ــ (أبو بكر) يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية، وتقعونها على غير موضعها ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾[1] وإنا سمعنا رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب ». لأبي داود والترمذي.

وأخرجه أيضاً النسائي وابن ماجه بنحوه. وقال الترمذي حسن صحيح وذكر أن بعضهم رواه مرفوعاً وبعضهم رواه عن أبي بكر قوله ولم يرفعوه كذا في تخريج السنن ٦ /١٨٧.

---

٣٥٩ ــ (٣٦٧/٢) الثناء والشكر والمدح والرفق ــ رقم: ٧٨٨٨.
٣٦٠ ــ (٣٦٨/٢) الثناء والشكر والمدح والرفق ــ رقم: ٧٨٩٤.
٣٦١ ــ (٣٦٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٩٥.
٣٦٢ ــ (٣٦٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٨٩٦.
٣٦٣ ــ (٣٦٩/٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ــ رقم: ٧٨٩٩. (١) سورة المائدة: (١٠٥).

٣٦٤ ـ (حذيفة) رفعه: « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ». للترمذي وقال حسن غريب كذا في الترغيب ٢٢٧/٣.

٣٦٥ ـ (العرس بن عميرة الكندي) رفعه : « إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها، كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها ». لأبي داود.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٦ /١٩١.

٣٦٦ ـ (أسامة) قيل له : لو أتيت عثمان فكلمته، فقال إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، وإني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه، ولا أقول لرجل إن كان عليَّ أميراً إنه خير الناس بعد شيء سمعته من رسول الله ﷺ قالوا : ما هو؟ قال : سمعته يقول : « يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون يا فلان : ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه؟ وأنهاكم عن الشر وآتيه ». للشيخين.

وقال : إني سمعته يقول : « مررت ليلة أُسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون ». للشيخين.

كلام أسامة أصل نعتمده في ضرورة السرية للحاكم والمحكومين وللجميع فإنها أوقع وأدعى إلى القبول إلا إذا اقتضت الفتوى أو القضاء غير ذلك.

٣٦٧ ـ (ابن عمر) سمعت الحجاج يخطب فذكر كلاماً أنكرته، فأردت أن أغيره فذكرت قول النبي ﷺ : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قلت : يا رسول

---

٣٦٤ ـ (٣٦٩/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٧٩٠١.

٣٦٥ ـ (٣٦٩/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٧٩٠٢.

٣٦٦ ـ (٣٧٠/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٧٩٠٤.

٣٦٧ ـ (٣٧٠/٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ رقم: ٧٩٠٩.

الله كيف يذل نفسه؟ قال : يتعرّض من البلاء لما لا يطيق ». للبزار والكبير والأوسط.

وإسناد الطبراني في الكبير جيد ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيى بن أيوب الضرير ذكره الخطيب روى عنه جماعة ولم يتكلم فيه أحد كذا في مجمع الزوائد ٧ /٢٧٥.

٣٦٨ — (تميم الداري) رفعه : « إن الدين النصيحة، قلنا : لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم ». لمسلم وأبي داود والنسائي.

٣٦٩ — (جرير بن عبد الله) أتيت النبي ﷺ فقلت : أبايعك على الإسلام فشرط عليَّ والنصح لكل مسلم. للستة إلا مالكاً.

٣٧٠ — (أم سلمة) رفعته : « المستشار مؤتمن ». للترمذي.

وقال الترمذي هذا حديث غريب من حديث أم سلمة. وفي أسناده علي بن زيد ابن جدعان ولا يحتج بحديثه. كذا في تخريج السنن ٢٩/٨. ولأبي داود عن أبي هريرة مثله.

وأخرجه النسائي وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب كذا في تخريج السنن ٨ /٢٨.

٣٧١ — (أبو هريرة) رفعه : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم، ولكن إنما ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم ». للقزويني.

في الترغيب ١ /٥٨ عزى هذا الحديث إلى مسلم بلفظ : « إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم ». وفي الجامع الصغير وشرحه

---

٣٦٨ — (٣٧١/٢) الموضع السابق — رقم: ٧٩١٤.
٣٦٩ — (٣٧١/٢) الموضع السابق — رقم: ٧٩١٥.
٣٧٠ — (٣٧٢/٢) الموضع السابق — رقم: ٧٩١٨.
٣٧١ — (٣٧٣/٢) النية والإخلاص والوعد والصدق والكذب — رقم: ٧٩٢٣.

الفيض القدير ٢ /٢٧٧ عزاه إلى مسلم وابن ماجه بلفظ : « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ».

٣٧٢ ــ (ابن مسعود) رفعه : « إن الصدق يهدي الى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجوريهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً ».

وفي رواية : « وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً »، وقال في الكذب : « يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ».

٣٧٣ ــ (أبو الجوزاء السعدي) قلت للحسن بن علي : ما حفظت من النبي ﷺ؟ قال : حفظت منه : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة ». للترمذي والنسائي.

رواه أيضاً أحمد وابن حبان وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح وقال الذهبي سنده قوي ورمز السيوطي لصحته. كذا في الفيض ٣ /٥٢٩ والترغيب ٣ /٥٨٩.

٣٧٤ ــ (صفوان بن سليم) قلنا : « يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً؟ قال : نعم. فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال : نعم. فقيل له : أيكون المؤمن كذاباً؟ قال : لا ». لمالك رواه مالك هكذا مرسلا كذا في الترغيب ٣ /٥٩٥.

٣٧٥ ــ (أبو هريرة) رفعه : « كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع ». لمسلم والنسائي.

٣٧٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتون

---

٣٧٢ ــ (٣٧٤/٢) النية والإخلاص والوعد والصدق والكذب ــ رقم. ٧٩٢٩.

٣٧٣ ــ (٣٧٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٣١.

٣٧٤ ــ (٣٧٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٣٢.

٣٧٥ ــ (٣٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٣٦.

٣٧٦ ــ (٣٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٣٩.

من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم ». لمسلم.

٣٧٧ ــ (ابن مسعود) قال : إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب، فيتفرقون، فيقول الرجل منهم سمعت رجلا أعرف وجهه ولا أعرف اسمه يحدث كذا وكذا. لمسلم.

ومن هذا وغيره وجدت فكرة الإسناد في رواية الحديث والتثبت من النقل ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا.....** ﴾[1].

٣٧٨ ــ (أسماء بنت يزيد) رفعته : « يا أيها الناس ما يحملكم على أن تتابعوا على الكذب كتتابع الفراش في النار؟ الكذب كله على ابن آدم إلا في ثلاث خصال : رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب، فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما ». لرزين وللترمذي نحوه.

ولفظ حديث الترمذي « لا يحل الكذب إلا في ثلاث : يحدّث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس »، وقال حديث حسن لا نعرفه من حديث أسماء إلا من حديث ابن خثيم كذا في سننه ٢ /١٦.

٣٧٩ ــ وللترمذي والشيخين وأبي داود عن أم كلثوم بنت عقبة نحوه وذكر : « الثالث الرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها ».

٣٨٠ ــ (سعد) رفعه : « يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب » للترمذي.

وفي الترغيب ٣ /٥٩٥ رواه البزار وأبو يعلى ورواته رواة الصحيح. وذكره الدراقطني في العلل مرفوعاً وموقوفاً. وقال الموقوف أشبه بالصواب.

---

٣٧٧ ــ (٣٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٤٠. (١) سورة الحجرات: (٦).
٣٧٨ ــ (٣٧٦/٢) النية والإخلاص والوعد والصدق والكذب ــ رقم: ٧٩٤٢.
٣٧٩ ــ (٣٧٦/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٤٣.
٣٨٠ ــ (٣٧٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٤٧.

٣٨١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قال الله تعالى : أنفق أنفق عليك، قال ﷺ : يد الله ملآى، لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع ». للشيخين والترمذي.

٣٨٢ ــ (جابر) ما سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال لا. للشيخين.

٣٨٣ ــ (أنس) كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد. للترمذي.

من رواية قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال ابن عدي : كان قطن يسرق الحديث وهذا يعرف بسرقة قطن، قال الذهبي : هذا ظن وتوهم وإلا فقطن مكثر عن جعفر. قال المناوي سند الحديث جيد، ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ٥ /١٨٣.

استقرت سنته ﷺ أن يدخر قوت عياله لسنة، فكانت هذه سنة، وتلك سنة، وبعض أهل السلوك يحملون أنفسهم على السُّنة الأولى.

٣٨٤ ــ (عقبة بن الحارث) أنه صلى وراء النبي ﷺ العصر فسلّم ثم قام مسرعاً يتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه، ففزع الناس من سرعته فخرج عليهم، فرآى أنهم قد أعجبوا من سرعته، فقال : « ذكرت شيئاً من تبر عندنا، فكرهت أن يبيت عندنا فأمرت بقسمته ». للبخاري والنسائي.

٣٨٥ ــ (عمر) قسم النبي ﷺ قسماً فقلت : والله لغير هؤلاء كانوا أحق به منهم، قال : « إنهم خيروني بين أن يسألوني بالفحش، أو يبخلوني ولست بباخل ». لمسلم.

---

٣٨١ ــ (٣٧٧/٢) السخاء والكرم والبخل وذم المال والدنيا ــ رقم: ٧٩٤٩.
٣٨٢ ــ (٣٧٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٥٠.
٣٨٣ ــ (٣٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٥٤.
٣٨٤ ــ (٣٧٩/٢) السخاء والكرم والبخل وذم المال والدنيا ــ رقم: ٧٩٥٥.
٣٨٥ ــ (٣٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٥٦.

٣٨٦ ــ (أنس) إن الأنصار قاسموا المهاجرين على أن يعطوهم أنصاف ثمار أموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمؤنة، وكانت أم سليم أعطت عذاقاً للنبي ﷺ، فأعطاها أم أيمن، فلما فتح خيبر رد المهاجرون للأنصار منائحهم، فرد ﷺ إلى أم سليم عذاقها، وأعطى أم أيمن مكانهن من حائطه. للشيخين.

٣٨٧ ــ (ابن عمر) رفعه : « إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبكلم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا ». لأبي داود.

٣٨٨ ــ (أبو هريرة) رفعه: « إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا ». لأبي داود.

٣٨٩ ــ (عبد الرحمن بن عوف) وقد أتي بطعام وكان صائماً فقال : قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، وكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه، وقتل حمزة وهو خير مني، فلم يوجد ما يكفن به إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال : أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشيت أن يكون قد عجّلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. للبخاري.

٣٩٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي : حديث حسن كذا في الترغيب ١/ ٩٨.

---

٣٨٦ ــ (٣٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٥٧.
٣٨٧ ــ (٣٨١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٦٢.
٣٨٨ ــ (٣٨١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٦٨.
٣٨٩ ــ (٣٨٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٧٢.
٣٩٠ ــ (٣٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٧٣.

٣٩١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر ». لمسلم والترمذي.

٣٩٢ ــ (ابن مسعود) «ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » لمسلم وأبي داود.

وراه أحمد والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه والضياء في المختار والحاكم على شـرط البخاري أقره الذهبي وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن حبان وهو ثقة. كذا في الفيض ٥ /٤٦٥.

٣٩٣ ــ (قتادة بن النعمان) رفعه: « إذا أحب الله عبداً حماه الدنيا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء ». للترمذي.

رواه أيضاً البيهقي والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الترمذي حسن غريب، وقال المنذري حسن كذا في الفيض ١ /٢٤٦.

٣٩٤ ــ (علي) قال: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل. للبخاري.

٣٩٥ ــ (أبو هريرة) رفعه : « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ». للشيخين والموطأ.

٣٩٦ ــ (أبو هريرة) أن رجلاً قال النبي ﷺ: مرني بأمر وأقلله علي كي أعقله قال : « لا تغضب، فردد مراراً قال : لاتغضب ». للبخـاري والموطأ والترمذي.

---

٣٩١ ــ (٣٨٣/٢) السخاء والكرم والبخل وذم المال والدنيا ــ رقم: ٧٩٧٤

٣٩٢ ــ (٣٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٧٦.

٣٩٣ ــ (٣٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٨٠.

٣٩٤ ــ (٣٨٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٨١.

٣٩٥ ــ (٣٨٤/٢) الغضب والغيبة والنميمة والغناء ــ رقم: ٧٩٨٢.

٣٩٦ ــ (٣٨٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٧٩٨٨.

٣٩٧ ـــ (ابن عباس) رفعه : « علموا، ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت، وإذا غضب أحدكم فليسكت، وإذا غضب أحدكم فليسكت » لأحمد والكبير.

ورجال أحمد ثقات لأن ليثاً صرح بالسماع من طاوس كذا في مجمع الزوائد ٨ /٧٠.

٣٩٨ ـــ (محمد بن عطية) عن أبيه عن جده رفعه : « إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان ». لأحمد والكبير.

ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ٨ /٧١.

٣٩٩ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « أتدرون ما الغيبة؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكر أحدكم أخاه بما يكره، فقال رجل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته ». لأبي داود والترمذي.

رواه أيضاً مسلم والنسائي وانظر الترغيب ٣ /٥١٥ وتخريج السنن ٧ /٢١٢.

٤٠٠ ـــ (حذيفة) رفعه : « لا يدخل الجنة قتات ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

٤٠١ ـــ (بريدة) رفعه : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في دم خنزير ». لمسلم وأبي داود.

---

٣٩٧ ـــ (٣٨٦/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٩٩٣.

٣٩٨ ـــ (٣٨٦/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٧٩٩٤.

٣٩٩ ـــ (٣٨٦/٢) الغضب والغيبة والنميمة والغناء ـــ رقم: ٧٩٩٦.

٤٠٠ ـــ (٣٨٧/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٨٠٠٢. ومعنى قتَّات: نمَّام.

٤٠١ ـــ (٣٨٩/٢) اللهو واللعب واللعن والسب ـــ رقم: ٨٠١٧.

٤٠٢ ــ (أبو الدرداء) رفعه : « إن اللعانين لا يكونوا شهداء، ولا شف القيامة ». لمسلم وأبي داود.

٤٠٣ ــ (أنس) لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فاحشاً ولا لاعناً، كا لأحدنا عند المعتبة : ما له تربت يمينه. وفي رواية : تربت جبينه. للبخار

٤٠٤ ــ (ابن مسعود) رفعه : « سباب المؤمن فسوق، وقتاله للشيخين والترمذي والنسائي.

٤٠٥ ــ (أبو ذر) رفعه : « لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلا عليه إن لم يكن صاحبه كذلك ». للبخاري.

٤٠٦ ــ (النعمان بن مقرن) سب رجل رجلاً عند النبي ﷺ، المسبوب يقول : عليك السلام، فقال ﷺ « أما إن ملكاً بينكما يذب عنك شتمك هذا، قال له : بل أنت وأنت أحق به، وإذا قلت له : عليك السلام ق بل أنت وأنت أحق به ». لأحمد.

ورجاله رجال الصحيح غير أبي خالد اللوالي وهو ثقة. كذا في مجمع ٨/ ٧٥.

٤٠٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قالَ الله تعالى : يسب بنو آدم الده الدهر بيدي الليل والنهار ».

وفي رواية: « يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره » للشيخين والموطأ وأبو داود

---

٤٠٢ ــ (٢/٣٩٠) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٢٤.
٤٠٣ ــ (٢/٣٩٠) الموضع السابق ــ رقم. ٨٠٢٧.
٤٠٤ ــ (٢/٣٩١) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٢٨.
٤٠٥ ــ (٢/٣٩١) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٢٩.
٤٠٦ ــ (٢/٣٩١) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٣٣.
٤٠٧ ــ (٢/٣٩١) اللهو واللعب واللعن والسب ــ رقم: ٨٠٣٤.

٤٠٨ ــ (أبو هريرة) رفعه : « اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة ». للشيخين.

وفي رواية: « اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة، تقربه بها إليك يوم القيامة، واجعل ذلك كفارة له إلى يوم القيامة.

٤٠٩ ــ (ابن مسعود) رفعه : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ». للشيخين.

٤١٠ ــ (الزبير) رفعه: دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم، الحسد، والبغضاء وهي الحالقة، أما إني لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفشوا السلام بينكم ». للترمذي.

ورواه أيضاً أحمد والضياء المقدسي وفيه مولى آل الزبير قال المناوي : ومولى الزبير مجهول، ورواه أيضاً باللفظ المذكور من هذا الوجه البزار وقال الهيثمي كالمنذري سنده جيد كذا في الفيض ٥١٦/٣.

٤١١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولايخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا ــ ويشير إلى صدره ــ حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه

---

٤٠٨ ــ (٣٩٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٥٣.
٤٠٩ ــ (٣٩٤/٢) الحسد والظن والهجران وتتبع العورات ــ رقم: ٨٠٥٦.
٤١٠ ــ (٣٩٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٥٩.
٤١١ ــ (٣٩٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٦٠.

وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم وأعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم ».

٤١٢ ــ (أنس) رفعه : « لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ».

٤١٣ ــ (أبو أيوب) رفعه : لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهم الذي يبدأ بالسلام ». وهي للستة إلا النسائي.

٤١٤ ــ (أبو خراش السلمي) رفعه : « من هجر أخاه سنة، فهو كسفك دمه ». لأبي داود.

٤١٥ ــ (أبو هريرة) رفعه : « تعرض الأعمال كل خميس واثنين، فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا ». لمالك ومسلم وأبي داود والترمذي.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧ /٢٢٢.

٤١٦ ــ (ابن عمر) صعد النبي ﷺ المنبر، فادى بصوت رفيع فقال : « يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله »، قال نافع: ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة، فقال: ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك. للترمذي.

وقال حسن لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد كذا في سننه ٢ /٢٤.

---

٤١٢ ــ (٣٩٥/٢) الحسد والظن والهجران وتتبع العورة ــ رقم: ٨٠٦١.

٤١٣ ــ (٣٩٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٦٢.

٤١٤ ــ (٣٩٦/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٦٥.

٤١٥ ــ (٣٩٦/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٨٠٦٦.

٤١٦ ــ (٣٩٧/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٨٠٦٩.

٤١٧ ــ (معاوية) رفعه: « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم ». لأبي داود.

رواه أيضاً ابن حبان في صحيحه وسكت عنه المنذري انظر تخريج السنن ٧/٢١٨ والترغيب ٣/٢٤٠.

٤١٨ ــ (عقبة بن عامر) رفعه: « من رأى عورة فسترها، كان كمن أحيى موءودة ». لأبي داود.

ورواه أيضاً النسائي وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧ /٢١٩.

٤١٩ ــ (عائشة) كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل لم يقل : ما بال فلان؟ ولكن يقول : « ما بال أقوام يقولون كذا وكذا ». لأبي داود.

وأخرجه النسائي بمعناه وسكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧ /١٦٨.

٤٢٠ ــ (أبو سعيد وأبو هريرة) رفعاه : « يقول الله تعالى : العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني شيئاً منهما عذبته »، لمسلم ولأبي داود عن أبي هريرة.

٤٢١ ــ (ابن مسعود) رفعه : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً، قال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس ». لمسلم والترمذي ولأبي داود أوله.

٤٢٢ ــ (جبير بن مطعم) قال : يقولون فيَّ التيه، وقد ركبت الحمار،

---

٤١٧ ــ (٢/٣٩٧) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٧٠.

٤١٨ ــ (٢/٣٩٧) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٧١.

٤١٩ ــ (٢/٣٩٨) الحسد والظن والهجران وتتبع العورات ــ رقم: ٨٠٧٧.

٤٢٠ ــ (٢/٣٩٨) الكبر والرياء والكبائر ــ رقم: ٨٠٧٨.

٤٢١ ــ (٢/٣٩٨) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٧٩.

٤٢٢ ــ (٢/٣٩٩) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٨٥

ولبست الشملة، وحلبت الشاة، وقد قال النبي ﷺ : « من فعل هذا، فليس فيه الكبر شيء ». للترمذي.

وقال حسن غريب كذا في سننه ٢ /٢١.

هذا الحديث أصل عظيم في الأمر بأشياء لمعالجة أحوال النفس، ولقد كان هذا كثيراً عند الصحابة، فإذا رأوا من أنفسهم حالا لا يعجبهم تصرفوا تصرفات تخرجها من هذه الحال، وقد أخذ هذا المعنى كبار الربانيين، فعالجوا بعض أحوال مريديها بأنواع من المعالجات، ونبهوا على أنه لا تجوز معالجة النفس بارتكاب المكروه الحرام، وإنما هي دائرة المباح.

٤٢٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ». لمسلم.

٤٢٤ ــ (أبو بكرة) رفعه : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ألا وشهادة الزور، وقول الزور، وكان متكئاً فجلس، وما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ». للشيخين والترمذي.

٤٢٥ ــ (أبو هريرة) رفعه : « اجتنبوا السبع الموبقات، قيل : يا رسول الله وما هن؟ قال : الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، والزنا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات للشيخين وأبي داود والنسائي.

٤٢٦ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « أربع من كن فيه كان مناف خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ».

---

٤٢٣ ــ (٢/٤٠٠) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٨٨.

٤٢٤ ــ (٢/٤٠٠) الموصع السابق ــ رقم: ٨٠٩٠.

٤٢٥ ــ (٢/٤٠٠) الموصع السابق ــ رقم: ٨٠٩١.

٤٢٦ ــ (٢/٤٠١) النفاق والمزاح والمراء ــ رقم: ٨٠٩٥.

وفي رواية : إذا وعد أخلف. للستة إلا مالكاً، وقال الترمذي : معناه عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد النبي ﷺ.

لا صديقية ولا ربانية إلا بالتحرر من الكفر وأخلاقه، ومن النفاق وأخلاقه، ومن الفسق وأخلاقه، وكرم الله كبير، فإذا ما توجهت النية أعطى :
﴿ **كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك** ﴾[1].

وفي الحديث الصحيح لمسلم « لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من أبناء فارس ».

٤٢٧ ــ ولمسلم عن أبي هريرة : « آية المنافق ثلاثة، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم... ». بنحوه.

٤٢٨ ــ (ابن أبي ملكية) أدركت ثلاثين من الصحابة، قد شهدوا بدراً، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ولا يأمن المكر على دينه، ما منهم من أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل. للبخاري في ترجمة.

إذا كان هذا شأن البدريين فما حال الخطائين.

٤٢٩ ــ (أبو سعيد) رفعه: « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء، ليس لها باب ولا كوة، يخرج عمله للناس كائناً ما كان ». لأحمد والموصلي.

رواه أيضاً ابن حبان والحاكم وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الهيثمي إسناد أحمد وأبو يعلى حسن. كذا في الفيض ٣٠٦/٥.

إن من سنة الله عز وجل أن يظهر ما في البواطن فتشهد بها الظواهر. **قال** تعالى عن المنافقين: ﴿ **ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في**

---

(١) سورة الاسراء: (٢٠).
٤٢٧ ــ (٤٠١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٠٩٧.
٤٢٨ ــ (٤٠٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٠٧.
٤٢٩ ــ (٤٠٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١١٠.

لحن القول ﴾[1] وقال عن المؤمنين : **﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾**[2].

٤٣٠ ــ (أبو هريرة) قالوا : يا رسول الله إنك لتداعبنا، قال : « إني لا أقول إلا حقاً ». للترمذي.

وقال حسن صحيح في سننه ٢ /٢٠.

٤٣١ ــ (عبدالله بن السائب بن يزيد) عن أبيه عن جده رفعه: « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ». لأبي داود.

وأخرجه الترمذي وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي ذئب. كذا في تخريج السنن ٧ /٢٨٧.

٤٣٢ ــ (ابن أبي ليلى) حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون معه، فقام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه، ففزع، فقال ﷺ: « لا يحل لمسلم أن يروّع مسلما ». لأبي داود.

سكت عنه المنذري كذا في تخريج السنن ٧/٢٨٨.

٤٣٣ ــ (أبو أمامة) رفعه : « من ترك المراء وهو مبطل، بني له بيت في ربض الجنة، ومن تركه وهو محق، بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها ». للترمذي.

رواه أيضاً أبو داود وابن ماجه والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن. كذا في الترغيب ١ /١٣١.

---

(١) سورة محمد: (٣٠). (٢) سورة الفتح: (٢٩).

٤٣٠ ــ (٢/٤٠٤) النفاق والمزاح والمراء ــ رقم: ٨١١١.

٤٣١ ــ (٢/٤٠٥) الموضع السابق ــ رقم: ٨١١٦.

٤٣٢ ــ (٢/٤٠٥) الموضع السابق ــ رقم: ٨١١٧.

٤٣٣ ــ (٢/٤٠٥) الموضع السابق ــ رقم: ٨١١٨. ومعنى المِرَاء: الجدال.

٤٣٤ ــ (أبو أمامة) رفعه : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم تلا ﴿ **ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون** ﴾[1] ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن ماجه وابن أبي الدنيا وقال الترمذي حسن صحيح كذا في الترغيب ١ /١٣٢.

٤٣٥ ــ (عائشة) رفعته : « إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم ». للشيخين والترمذي والنسائي.

الجدال بالباطل أو بالحق بعد ما تبينت الحجج، والمزاح الذي يؤدي إلى إزعاج وليس إلى تطييب قلب بل قد يروع أو يؤذي، واللدد في الخصومة كل ذلك مما لايليق بأهل الإيمان فضلا عن أهل الولاية والصديقية.

٤٣٦ ــ (ابن عمر) رفعه: « إن عيسى عليه السلام قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه ». للكبير. ورجاله موثقون كذا في مجمع الزوائد ١/١٥٧.

٤٣٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن أخنع اسم عند الله رجل تسمَّى ملك الأملاك، لا ملك إلا الله » قال سفيان : مثل شاهنشاه. للشيخين وأبي داود والترمذي.

أدب المسلم التواضع في كل شيء حتى في الكنى والألقاب والأسماء.

٤٣٨ ــ (عائشة) أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح. للترمذي.

قال الترمذي وقال أبو بكر بن نافع وربما قال عمر بن علي المقدمي هشام بن

---

٤٣٤ ــ (٤٠٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١١٩. (١) سورة الزخرف: (٥٨).

٤٣٥ ــ (٤٠٥/٢) النفاق والمزاح والمراء ــ رقم: ٨١٢١. ومعنى الألدُّ: شديد الخصومة.

٤٣٦ ــ (٤٠٦/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٢٥.

٤٣٧ ــ (٤٠٦/٢) الأسماء والكنى ــ رقم: ٨١٢٨.

٤٣٨ ــ (٤٠٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٥١.

عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن عائشة. كذا في سننه ٢ /١٠٧.

الإسلام ذوق وجمال، ومن مظاهر الجوانب الذوقية والجمالية فيه تغيير الأسماء القبيحة.

٤٣٩ ــ (أبي) رفعه : « إن من الشعر حكمة ». للبخاري وأبي داود.

٤٤٠ ــ (جابر بن سمرة) جالست النبي ﷺ أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر، ويتذاكرون شيئاً من أمر الجاهلية، وهو ساكت، فربما تبسم معهم. للترمذي.

وقال حسن صحيح كذا في سننه ٢ /١٠٧.

٤٤١ ــ (أبو هريرة) أن عمر مر بحسان وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظ إليه شزراً[١] فقال : لقد كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي ﷺ يقول: « أجب عني اللهم أيده بروح القدس؟ » فقال : اللهم نعم. للشيخين وأبي داود.

٤٤٢ ــ (أنس) أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وعبدالله بن رواحة يمشي بين يديه، ويقول : خلوا بني الكفار عن سبيله، اليوم نضربكم على تنزيله، ضرباً يزيل الهام عن مقيله، ويذهل الخليل عن خليله، فقال له عمر : يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله، تقول الشعر؟ فقال رسول الله ﷺ : « خلِّ عنه يا عمر فلهو أسرع فيهم من نضح النبل ». للترمذي والنسائي.

وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه كذا في سننه ٢ /١٠٧.

---

٤٣٩ ــ (٤١٢/٢) الشعر ــ رقم: ٨١٧٦.

٤٤٠ ــ (٤١٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٨٣.

٤٤١ ــ (٤١٣/٢) الشعر ــ رقم: ٨١٨٤. (١) شَزْراً: من التشزر: نظر الغضبان بمؤخرة عينه.

٤٤٢ ــ (٤١٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٨٥.

٤٤٣ ــ (وعنه)كان النبي ﷺ في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له : أنجشة يحدو، فقال له ﷺ: « ويحك يا أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير ». للشيخين.

هذا أصل في جواز الإنشاد وسماعه وكنت ولا زلت أوصي إخواني أن يكون الإنشاذ في حياتهم قليلا كالملح في الطعام، وأن تتخير ألفاظه، وأن تراعى الآداب فيه.

٤٤٤ ــ (أبو هريرة) رفعه: « أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد، ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد ابن أبي الصلت يسلم ». للشيخين والترمذي.

هذا الحديث هو الأصل الذي بنى عليه الصوفيون مجازاتهم في تشبيه الكون بالعدم بالنسبة للذات الإلهية، وليس مرادهم نفي الخلق، فمن نفى الخلق فقد كفر إجماعاً، ومن قال بوحدة الوجود بمعنى أن الكون جزء من الذات الإلهية فقد كفر قال تعالى : ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين** ﴾[1].

وكان شيخنا الحامد ينشد :

ما عرف التوحيد من قال بالوحدة المطلقة.

وإنما كلام العارفين يدور حول أن الوجود الحق هو وجود الله، أما وجود الخلق فوجود عارض، والكون موجود بالله ابتداءً واستمراراً فنسبة هذا الوجود بالنسبة لوجود الحق أشبه بالعدم.

وكنت أذاكر أحد شيوخنا في هذه الأمور فقال ما معناه هذا كقول القائل : ما البلدة الفلانية إلا فلان فليس المراد أن البلدة هي فلان بل فلان هو زرمها وشرفها ومنه تستمد سمعتها وذاتيتها.

وعلى كل الأحوال فأنا من الذين لا ينشرح صدرهم لمثل هذه الملتبسات في كلام، أما وقد قالوا وما علمنا عنهم إلا خيرا فلا بد أن تحمل كلامهم على أحسن احتمالاته خاصة.

---

٤٤٣ ــ (٤١٣/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٨١٨٦.

٤٤٤ ــ (٤١٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨١٩٣. (١) سورة الزخرف: (١٥).

٤٤٥ ــ (٤١٥/٢) الشعر ــ رقم: ٨١٩٩.

٤٤٥ ــ (ابن عمر) رفعه : « الشعر بمنزلة الكلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام ». للأوسط. وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد ٨ /١٢٢.

٤٤٦ ــ (أبو هريرة) « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : أمك، قال : ثم من؟ قال : ثم أمك، قال ثم من؟ قال : ثم أمك، قال ثم من؟ قال : ثم أبوك ».

وفي رواية : « قال : أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم أدناك فأدناك ». للشيخين.

هناك ناس من أحسن الناس أخلاقاً مع الناس، ومن أكثرهم فظاظة مع أبيه وأمه وأرحامه، فهؤلاء منكوسة قلوبهم معكوسة بصائرهم مخالفون للفطرة.

٤٤٧ ــ (أبو هريرة) رفعه: « رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قيل: من؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ». لمسلم.

٤٤٨ ــ (ابن عمر) « قال رجل : يا رسول الله إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة؟ فقال : هل لك من أم؟ قال : لا، قال : فهل لك من خالة؟ قال : نعم، قال : فبرها ». للترمذي.

رواه أيضاً ابن حبان في صحيحه والحاكم إلا أنهما قالا : هل لك والدان بالتثنية وقال الحاكم صحيح على شرطهما. كذا في الترغيب ٣ /٣٢٣.

٤٤٩ ــ (أبو أسيد الساعدي) أن رجلا قال : يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال : « نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما ». لأبي داود.

---

٤٤٦ ــ (٤١٦/٢) كتاب البر والصلة (بر الوالدين) ــ رقم: ٨٢٠٤.
٤٤٧ ــ (٤١٧/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٨٢٠٨.
٤٤٨ ــ (٤١٨/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٨٢١٧.
٤٤٩ ــ (٤١٨/٢) كتاب البر والصلة (بر الوالدين) ــ رقم: ٨٢١٨.

رواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وزاد في آخره، « قال الرجل ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه، قال فاعمل به ». كذا في الترغيب ٣ /٣٢٣.

أي أدب يعلمنا إياه هذا الدين؟ وأي وفاء؟ فرحِم أبيك تصلها، وصديق أبيك تكرمه، وقد أوصى رسول الله بالقبط خيراً من أجل هاجر ومارية، وأرجع سبي هوازن ومن لف لفهم إكراماً لأمه التي أرضعته.

٤٥٠ ــ (أنس) انطلق النبي ﷺ إلى أم أيمن، فانطلقت معه فناولته إناء فيه شراب، فلا أدري أصادفته صائماً أو لم يرده، فجعلت تصخب عليه، وتذمر عليه. لمسلم.

أم أيمن هذه رضي الله عنها كانت حاضنته ﷺ فانظر أدبه عليه الصلاة والسلام معها إذ تعاتبه فتذمر وهو ساكت وهو من هو؟ إنه رسول الله ﷺ إلى العالمين فليتحمل الرباني من له عليه نوع تربية من أب أو أم أو شيخ إذا ما صخب عليه أو تذمر.

٤٥١ ــ (عائشة) رفعته : « خيركم، خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، وإذا مات صاحبكم فدعوه ». للترمذي. وصححه كذا في الفيض ٣ /٤٩٧.

ميزان الخيرية في الإنسان خيريته لأهله فتلك هي الفطرة، أما إذا لم يوجد هذا فالفطرة نفسها معكوسة.

٤٥٢ ــ (سهل بن سعد) رفعه : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئاً ». للبخاري والترمذي وأبي داود.

٤٥٣ ــ (أبو هريرة) أن رجلا شكى إلى النبي ﷺ قسوة قلبه، فقال : « امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين ». لأحمد.

---

٤٥٠ ــ (٤١٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٢١.
٤٥١ ــ (٤٢١/٢) بر الأولاد والأقارب وبر اليتيم وإماطة الأذى وغير ذلك ــ رقم: ٨٢٣٧.
٤٥٢ ــ (٤٢١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٣٨.
٤٥٣ ــ (٤٢١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٤٠.

ورجاله رجال الصحيح. كذا في الترغيب ٣ /٣٤٩.

هذا الحديث أصل أصيل يدل على أن أمراض القوب لها أدوية، وعلى الربانيين أن يعرفوا كيف يداوون القلوب، وإلا فاتتهم السنة النبوية، فأمراض القلوب كثيرة.

٤٥٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره فشكر الله له فغفر له ».

وفي رواية : « لقد رأيت رجلا ينقلب في الجنة في شجرة قطعها من طريق المسلمين، كانت تؤذي الناس ».

وفي أخرى : « نزع رجلٌ لم يعمل خيراً قط غصنَ شوك عن الطريق... ». بنحوه للستة إلا النسائي.

٤٥٥ ــ (أبو ذر) رفعه : « عرضت علي أعمال أمتي، حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة تكون في المسجد لا تدفن ». لمسلم.

٤٥٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وأحسبه قال : وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر ». للشيخين والترمذي والنسائي.

٤٥٧ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة »، قال الراوي: فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نصل إلى خمسة عشر خصلة. للبخاري وأبي داود.

---

٤٥٤ ــ (٤٢٢/٢) بر الأولاد والأقارب وبر اليتيم وغير ذلك ــ رقم: ٨٢٤٣.
٤٥٥ ــ (٤٢٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٤٦.
٤٥٦ ــ (٤٢٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٤٧.
٤٥٧ ــ (٤٢٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٤٨.

٤٥٨ ــ (أبو موسى) رفعه :« على كل مسلم صدقة، قيل : أرأيت إن لم يجد؟ قال : يعمل بيديه، فينفع نفسه، ويتصدق، قال : أرأيت إن لم يستطع؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: يأمر بالمعروف أو الخير، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: يمسك عن الشر فإنها صدقة ». لمسلم.

٤٥٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة ». لمسلم.

٤٦٠ ــ (جابر) رفعه : « لا تحقرنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك ». للشيخين والترمذي بلفظه.

هذا الحديث أصل في الأدب مع الإخوان ومع الناس وهذا الموضوع يستغرق حيزاً كبيراً من هذا الكتاب.

٤٦١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته ».

وفي رواية : « إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن، فقال : مه؟ قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال : نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى: قال : فذاك لك، ثم قال ﷺ : اقرءوا إن شئتم ﴿ **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** ﴾ إلى ﴿ **أقفالها** ﴾. للشيخين.

هذا أصل في باب السير إلى الله لمن كان قاطع رحم لأنه مقطوع عن الله.

---

٤٥٨ ــ (٤٢٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٤٩.

٤٥٩ ــ (٤٢٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٥٠.

٤٦٠ ــ (٤٢٣/٢) بر الأولاد والأقارب وبر اليتيم وغير ذلك ــ رقم: ٨٢٥٥.

٤٦١ ــ (٤٢٣/٢) صلة الرحم وحق الجار ــ أرقام: ٨٢٥٨ ــ ٨٢٥٩.

٤٦٢ ــ (عائشة) رفعته : « الرحم معلّقة بالعرش تقول : من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله ». للشيخين.

٤٦٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من سره أن يبسط الله في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه ». للبخاري.

٤٦٤ ــ (جبير بن مطعم) رفعه : « لا يدخل الجنة قاطع رحم ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

٤٦٥ ــ (أبو بكرة) رفعه : « ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي، وقطيعة الرحم ». للترمذي وأبي داود.

رواه أيضاً ابن ماجه وقال الترمذي صحيح كذا في تخريج السنن ٧ /٢٢٥.

٤٦٦ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل من إذا قطعت رحمه وصلها ». للبخاري وأبي داود والترمذي.

٤٦٧ ــ (أبو هريرة) أن رجلا قال : يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، قال : لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولن يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك ». لمسلم.

٤٦٨ ــ (سلمان بن عامر) رفعه : « الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلة رحم ». للنسائي.

---

٤٦٢ ــ (٤٢٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٦٠

٤٦٣ ــ (٤٢٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٦١.

٤٦٤ ــ (٤٢٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٦٣.

٤٦٥ ــ (٤٢٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٦٤.

٤٦٦ ــ (٤٢٤/٢) صلة الرحم وحق الجار ــ رقم: ٨٢٦٥.

٤٦٧ ــ (٤٢٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٦٦.

٤٦٨ ــ (٤٢٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٧٢.

رواه أيضاً ابن ماجه وأحمد والترمذي وحسنه الحاكم وصححه وأقره الذهبي كذا في الفيض ٤ /٢٣٧.

٤٦٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم ». لأحمد ورجاله ثقات كذا في مجمع الزوائد ١٥١/٨.

٤٧٠ ــ (عائشة) رفعته : « ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

٤٧١ ــ (ابن عمرو بن العاص) ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال : أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت النبي ﷺ يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه ». لأبي داود والترمذي بلفظه.

وقال الترمذي حسن غريب من هذا الوجه. كذا في تخريج السنن ٨ /٤٤.

الجار الكافر له حق الجوار، والجار المؤمن له حقان، والجار المؤمن القريب له ثلاثة حقوق، فيا ويح من يؤذي جاره، ويا خسارة من لم يكرم جاره.

٤٧٢ ــ (أنس) رفعه : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به ». للكبير والبزار.

وإسناد البزار حسن كذا في مجمع الزوائد ١٦٧/٨.

٤٧٣ ــ (فضالة بن عبيد) رفعه : « ثلاثة من الفواقر[1] : إمام إن أحسنت لم يشكر، وإن أسأت لم يغفر، وجار سوء إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أذاعه، وامرأة إن حضرت آذتك، وإن غبت عنها خانتك ». للكبير.

---

٤٦٩ ــ (٤٢٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٧٣.

٤٧٠ ــ (٤٢٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٧٤.

٤٧١ ــ (٤٢٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٧٥.

٤٧٢ ــ (٤٢٦/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٢٨١.

٤٧٣ ــ (٤٢٦/٢) صلة الرحم وحق الجار ــ رقم: ٨٢٨٣. (١) الفَواقِر: الدَّواهي. واحدتها فاقِرَة.

وفيه محمد بن عصام بن يزيد ذكره ابن حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله وثقوا كذا في مجمع الزوائد ٨ /١٦٨.

٤٧٤ ـــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ». للترمدي وأبي داود بلفظه.

وقال الترمذي حسن صحيح. كذا في تخريج السنن ٧ /٢٤٦.

٤٧٥ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « لا تنزع الرحمة إلا من شقي ». لأبي داود والترمذي بلفظه، وقال الترمذي حسن. كذا في تخريج السنن ٧/٢٤٦.

٤٧٦ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خُفَّة ماء ثم أمسكه بفيه، حتى رقي، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فقالوا : يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر ».

وفي رواية : « أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له موقها[1] فغفر لها ». لمالك والشيخين وأبي داود.

٤٧٧ ـــ (ابن عمر) رفعه : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض ». للشيخين.

قال تعالى : ﴿ **وقولوا للناس حسنا** ﴾[2] فالأصل بالمسلم أن يحسن إلى كل إنسان، إلا ما استثني في حالات القتال وأمثاله، وأن يحسن إلى الحيوان مع حق

---

٤٧٤ ـــ (٤٢٧/٢) الرحمة والضيافة والزيارة ـــ رقم: ٨٢٨٥.

٤٧٥ ـــ (٤٢٧/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٨٢٨٦.

٤٧٦ ـــ (٤٢٨/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٨٢٩٣ ـــ ٨٢٨٤. (١) موقها: المُوق: الخف، فارسي معرب.

٤٧٧ ـــ (٤٢٨/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٨٢٩٥. (٢) سورة البقرة: (٨٣).

المسلم في التسخير والاستفادة ضمن حد الشرع وكان أحد شيوخنا يوصينا بالإحسان حتى في التعامل مع الأشياء كلها.

٤٧٨ ــ (أبو شريح العدوي) سمعت أذناي وأبصرت عيناي ووعاه قلبي، حين تكلم به النبي ﷺ فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قالوا : وما جائزته يا رسول الله؟ قال : يومه وليلته، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ».

وفي رواية : « ولا يحل لرجل مسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه، قالوا : يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال : يقيم عنده ولا شيء له يقريه به ». للستة إلا النسائي.

كثيرون من الناس يفهمون الأخوة فهماً خاطئاً؛ فيثقلون على إخوانهم في الله إثقالاً يحرجهم، فههنا تأديب لمثل هؤلاء ألا يغفلوا عن ذلك، وفي الحديث إشارة إلى أدب اللسان، ومن ههنا اعتبر أهل السير إلى الله أن من أركان المجاهدة الصمت إلا عن خير لا بد منه.

٤٧٩ ــ (أنس) رفعه : « ما من عبد مسلم أتى أخاه يزوره في الله، إلا ناداه مناد من السماء أن طبت وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه، عبدي زار فيّ وعليّ قراه، فلم يرض له بثواب دون الجنة ». للبزار والموصلي.

ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة كذا في مجمع الزوائد ٨ /١٧٣.

ما ورد في ذكر الأنبياء :

٤٨٠ ــ (أنس) رفعه : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون ». للموصلي والبزار.

---

٤٧٨ ــ (٢/٤٣٠) الرحمة والضيافة والزيارة ــ رقم: ٨٣٠٦.

٤٧٩ ــ (٢/٤٣١) الموضع السابق ــ رقم: ٨٣١١.

٤٨٠ ــ (٢/٤٣٨) ما ورد في ذكر بعض الأنبياء ــ رقم: ٨٣٤٧.

ورجال أبي يعلى ثقات. كذا في مجمع الزوائد ٨ /٢١١.

من فضائل النبي ﷺ :

٤٨١ ــ (ابن مسعود) رفعه : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الجن، زاد في رواية: وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير ». لمسلم.

٤٨٢ ــ (أنس) رفعه : « ما منكم من أحد يسلِّم عليَّ إلا ردَّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام ». لأبي داود.

رواه أيضاً أحمد لكن لفظه إلي بدل علي. قال في الأذكار والرياض إسناده صحيح وقال ابن حجر رواته ثقات. ولم يخرجه من الستة غير أبي داود. كذا في الفيض ٥ /٤٦٧.

٤٨٣ ــ (وعنه) لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وما نفضنا الأيدي من دفنه وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا. للترمذي.

وقال صحيح غريب. كذا في سننه ٢ /٢٠٤.

لاحظ قوله : « حتى أنكرنا قلوبنا » مما يدل على أن إحساساتهم القلبية في حياته عليه الصلاة والسلام كانت قوية، ومن ههنا نقول : إن وراث النبوة الكاملين هم من ورثوا عن رسول الله ﷺ الحال مع غيره...

٤٨٤ ــ (ابن عمرو بن العاص) قال: تلا النبي ﷺ قول الله: ﴿ **رب إنهن أضللن كثيراً من الناس** ﴾ إلى ﴿ **رحيم** ﴾. وقول عيسى :﴿ **إن تعذبهم فإنهم**

---

٤٨١ ــ (٤٤١/٢) من فضائل النبي ﷺ ــ رقم: ٨٣٦٥.
٤٨٢ ــ (٤٤١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٣٦٧.
٤٨٣ ــ (٤٤١/٢) من فضائل النبي ﷺ ــ رقم: ٨٣٦٨.
٤٨٤ ــ (٤٤١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٣٦٩.

عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ فرفع يديه وقال : « اللهم أمتي، اللهم أمتي وبكى »، فقال الله تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم، فاسأله ما يبكيك، فأتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال وهو أعلم، فقال تعالى : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك ». لمسلم.

٤٨٥ ــ (جابر) كان النبي ﷺ إذا مشى مشى أصحابه أمامه وتركوا ظهره للملائكة. للقزويني. رواه أيضاً الحاكم ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ٥ /١٦١.

٤٨٦ ــ (عائشة) أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه. للشيخين والترمذي وأبي داود.

هذا في غير الخطبة، أما في الخطبة فكان للرسول ﷺ شأن آخر كأنه منذر جيش.

٤٨٧ ــ (أنس) كان النبي ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه. للترمذي. سكت عنه المندري. كذا في تخريج السنن ٧ /١٨٩.

٤٨٨ ــ (عائشة) كان كلام رسول الله ﷺ كلام فصل، يفهمه كل من سمعه. لأبي داود.

فيه محمد بن إسحاق تقدم الاختلاف فيه. كذا في تخريج السنن ٧ /١٨٨.

٤٨٩ ــ (عائشة) ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم ﷺ لنفسه في شيء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم. لمالك والشيخين وأبي داود.

---

٤٨٥ ــ (٤٤٥/٢) من صفاته وشعره وخاتم النبوة ومتبه... ــ رقم: ٨٣٩٣

٤٨٦ ــ (٤٤٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٣٩٤.

٤٨٧ ــ (٤٤٥/٢) الموضع السابق ــ رقم. ٨٣٩٧.

٤٨٨ ــ (٤٤٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٣٩٨.

٤٨٩ ــ (٤٤٦/٢) من صفاته وشعره وخاتم النبوة ومتبه ــ رقم. ٨٤٠٨.

عدم الانتقام للنفس من أرقى مقامات الصديقين، وكان رسول الله ﷺ أكثر من ذلك، فلقد كانت شدة الجهل لا تزيده إلا حلماً، فأين مثل هذه الأخلاق؟ نسأل الله أن يحققها.

٤٩٠ ــ (الأسود) سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة. لمسلم والترمذي.

٤٩١ ــ (عبد الله بن الحارث بن جزء) ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من النبي ﷺ. للترمذي.

وقال صحيح غريب لا نعرفه من حديث ليث بن سعد إلا من هذا الوجه. كذا في سنن الترمذي ٢ /٢٠٧.

٤٩٢ ــ (أبو هريرة) كان النبي ﷺ يجلس معنا في المسجد يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه، فحدثنا يوماً فقمنا حين قام، فنظرنا إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه، فحمّر رقبته، وكان رداؤه خشناً فالتفت إليه، فقال له الأعرابي : احملني على بعيري هذين، فإنك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك، فقال ﷺ : «لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا أحملك حتى تقيدني من جبذتك التي جبذتني، فكل ذلك يقول الأعرابي : والله لا أقيدكها فذكر الحديث، قال : ثم دعا رجلا فقال له : احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيراً، وعلى الآخر تمراً، ثم التفت ألينا فقال : انصرفوا على بركة الله ». لأبي داود والنسائي.

وقال الدراقطني : تفرد به محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة. وسئل أحمد عن محمد بن هلال فقال ثقة وقال مرة ليس به بأس. قيل أبوه قال لا اعرفه. وسئل

---

٤٩٠ ــ (٤٤٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٤١٣

٤٩١ ــ (٤٤٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٤١٥.

٤٩٢ ــ (٤٤٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٨٤١٦..

أبو حاتم عن محمد بن هلال قال صالح وأبوه ليس بمشهور كذا في تخريج السنن ٧/ ١٦٢.

٤٩٣ ــ (أنس) خدمت النبي ﷺ عشر سنين، والله ما قال أف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا، وهلا فعلت كذا.

وفي رواية : كان النبي ﷺ من أحسن الناس خلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا النبي ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي فنظرت إليه وهو يضحك، فقال : « يا أنس ذهبت حيث أمرتك؟ قلت : نعم، أنا أذهب يا رسول الله » قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا. للشيخين وأبي داود والترمذي.

من يطيق هذا الخلق؟ عشر سنوات في الخدمة وأنس صغير السن وقتذاك والصغير يتوسع في الكلام أكثر، ومع ذلك لم يوجه له رسول الله ﷺ كلمة تأنيب أو عتاب، ولا شك أن الحديث يدل فيما يدل على نجابة أنس رضي الله عنه.

٤٩٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من أصبح اليوم منكم صائماً؟ قال أبو بكر : أنا، قال : فمن تبع اليوم منكم جنازة؟ قال أبو بكر : أنا، قال : فمن أطعم اليوم منكم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن عاد اليوم منكم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا، قال ﷺ : ما اجتمعن في رجل إلا دخل الجنة ». لمسلم.

٤٩٥ ــ (عمر) أمرنا النبي ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مني مالاً، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته، فجئت بنصف مالي، فقال ﷺ : « ما أبقيت لأهلك؟ قلت : مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال : يا أبا بكر : ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً ». لأبي داود والترمذي.

---

٤٩٣ ــ (٢/٤٤٨) من صفاته وشعره وخاتم النبوة ومشيه ــ رقم: ٨٤١٩.

٤٩٤ ــ (٢/٥٠١) مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ــ رقم: ٨٦٠٦.

٤٩٥ ــ (٢/٥٠١) الموضع السابق ــ رقم: ٨٦٠٨.

وقال الترمذي صحيح. كذا في تخريج السنن ٢ /٢٥٥.

هذه سيرة الصديق الأول، فمن أراد الصديقية فهذا طريقها.

٤٩٦ ــ (عقبة بن عامر) رفعه : « لقد كان فيمن كان قبلكم ناس محدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر ». للشيخين.

٤٩٧ ــ (أبو سعيد) رفعه: « إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، ومنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للواحد حتى يدخلوا الجنة ».

للترمذي وقال حديث حسن كذا في سننه ٢/٦٧.

٤٩٨ ــ (عبد الله بن أبي الجدعاء) رفعه : « يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم، قلنا : سواك يا رسول الله؟ قال : نعم سواي ». للترمذي.

وقال حسن صحيح غريب. كذا في سننه ٢ /٦٧.

٤٩٩ ــ (معاوية بن قرة) عن أبيه رفعه : « إذا فسد أهل الشام فلا خير لكم، ولا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة »، قال ابن المديني : هم أصحاب الحديث للترمذي. وقال حسن صحيح. كذا في سننه ٢ /٤٢.

٥٠٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله تعالى أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال : لون حسن وجلد حسن، ويذهب عني الذي قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال : فأي المال أحب إليك؟ قال : الإبل أو

---

٤٩٦ ــ (٢/٥٠٤) مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ــ رقم: ٨٦٢٦.

٤٩٧ ــ (٢/٥٨٥) فضائل هذه الأمة ــ رقم: ٩٠٥٩.

٤٩٨ ــ (٢/٥٨٥) الموضع السابق ــ رقم: ٩٠٦١.

٤٩٩ ــ (٢/٥٨٦) الموضع السابق ــ رقم: ٩٠٦٦.

٥٠٠ ــ (٢/٦٠٤) كتاب القصص ــ رقم: ٩١٦٢.

قال البقر، شك إسحاق إلا أن الأبرص أو الأقرع قال أحدهما : الإبل، وقال الآخر : البقر، فأعطي ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها، فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، قال فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً، قال : فأي المال أحب إليك؟ قال : البقر فأعطي بقرة حاملا، قال : بارك الله لك فيها، فأتى الأعمى قال : أي شيء أحب إليك؟ قال : أن يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال : فأي المال أحب إليك؟ قال الغنم، فأعطي شاة والداً فأنتج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلَّغ عليه في سفري، فقال : الحقوق كثيرة، فقال له : كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس؟ فقيراً فأعطاك الله؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال : وأتى الأقرع في صورته، فقال : مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت، قال : وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال رجل مسكين وابن سبيل : انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلَّغ بها في سفري، فقال : قد كنت أعمى فردَّ الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي عنك وسخط على صاحبيك ». للشيخين.

(أبو هريرة): « إن النبي ﷺ ذكر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يقدم عليه للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً فاتخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها، ثم أتى بها البحر فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلا، فقلت: كفى بالله كفيلا فرضي بك، وسألني شاهداً فقلت: كفى بالله شهيداً فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو

في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال فأخذها لأهله حطباً فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بألف دينار، فقال: والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركباً قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله تعالى قد أدى عنك الذي بعثته في الخشبة فانصرف بالألف دينار راشدا ». للبخاري.

في هذا الحديث إشارة إلى نوع من التوكل يغلب على أهل الأحوال فإذا صادفت مثل هذا في عمل أهل السير إلى الله فلا تنكره.

٥٠١ ـ (عمران بن حصين) أن ناساً من أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئنا لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال : « كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء ». للبخاري والترمذي مطولاً.

٥٠٢ ـ (أبو هريرة) رفعه : « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى، تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : ما يقول عبادي؟ قال : يقولون : يسبّحونك ويكبّرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول : هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك، فيقول: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تحميداً وأكثر لك تسبيحاً، فيقول : فما يسألون؟ فيقولون : يسألونك الجنة، فيقول : وهل رأوها؟ فيقولون : لا والله يا رب ما رأوها، فيقول : كيف لو رأوها؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال : فمم يتعوذون؟ فيقولون : يتعوذون من النار، فيقول : هل رأوها؟ فيقولون : لا والله ما رأوها، فيقول : فكيف لو رأوها؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة، فيقول : أشهدكم أني قد غفرت لهم، قال : يقول ملك من

---

٥٠١ ـ (٦٠٦/٢) كتاب بدء الخلق وعجائبه ـ رقم: ٩١٦٩.

٥٠٢ ـ (٦١١/٢) كتاب الأذكار والأدعية (فضل الذكر والدعاء) ـ رقم: ٩١٩٤.

الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم ». للشيخين.

هذا الحديث من أقوى الأدلة على جواز الاجتماع على الذكر وهو القول الراجح عند ابن حجر العسقلاني وغيره.

٥٠٣ ــ أبو هريرة : رفعه : « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه، كانت عليه من الله ترَّة، ومن اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، وما مشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه، إلا كانت عليه من الله ترة ». لأبي داود والترمذي.

رواه أيضاً أحمد وابن أبي الدنيا والنسائي وابن حبان في صحيحه كلهم بنحوه. كذا في الترغيب ٢ /٤١٠.

٥٠٤ ــ أبو هريرة: رفعه: « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا من مثل جيفة حمار، وكان عليهم حسرة ». لأبي داود.

رواه أيضاً الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. كذا في الترغيب ٢ /٤١٠.

٥٠٥ ــ (عبد الله بن بسر) أن رجلاً قال : يا رسول الله إن أبواب الخير كثيرة، ولا أستطيع القيام بكلها، فأخبرني عن شيء أتشبث به ولا تكثر علي فأنسى قال : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله ».

رواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الترمذي حديث حسن غريب. كذا في الترغيب ٢ /٣٩٤.

لذلك كان السير إلى الله ركنه الركين هو الذكر.

٥٠٦ ــ (أبو موسى) رفعه : « مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت ». للشيخين بلفظ مسلم.

---

٥٠٣ ــ (٦١٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩١٩٦. ومعنى تِرَّة: نقص ومساءلة.

٥٠٤ ــ (٦١٢/٢) كتاب الأذكار والأدعية (فضل الذكر والدعاء) ــ رقم: ٩١٩٧.

٥٠٥ ــ (٦١٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩١٩٩.

٥٠٦ ــ (٦١٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٢٠١.

٥٠٧ ـ (أبو هريرة) كان النبي ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له جمدان، فقال : « سيروا هذا جمدان سبق المفردون، قال : وما المفردون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيراً ». لمسلم.

وفي رواية للترمذي : «وما المفردون؟ قال : المستهترون لذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون الله يوم القيامة خفافاً » وقال الترمذي حسن غريب. كذا في سننه ٢ /٣٠١

٥٠٨ ـ أبو هريرة رفعه : « يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ». للشيخين والترمذي.

٥٠٩ ـ (أنس) رفعه : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا : وما رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر ». للترمذي.

وقال حديث حسن غريب. كذا في الترغيب ٢ /٤٠٨.

٥١٠ ـ (أبو الدرداء) رفعه: « ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، قال : فجثى أعرابي على ركبتيه فقال : يا رسول الله : جلِّهم لنا نعرفهم، قال : هم المتحابون في الله من شتى قبائل وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه ». للكبير.

بإسناد حسن كذا في الترغيب ٢ /٤٠٦ ومجمع الزوائد ١٠ /٧٧.

لذلك كان البحث عن إخوان في الله يجتمع معهم على الذكر من أهم ما يحرص عليه المسلم.

---

٥٠٧ ـ (٦١٣/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٩٢٠٢.

٥٠٨ ـ (٦١٣/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٩٢٠٤.

٥٠٩ ـ (٦١٣/٢) الموضع السابق ـ رقم: ٩٢٠٦.

٥١٠ ـ (٦١٤/٢) كتاب الأذكار والأدعية (فضل الذكر والدعاء) ـ رقم: ٩٢٠٩.

٥١١ ــ (أبو الدرداء) رفعه : ألا أخبركم بخير أعمالكم وأرفعها في درجاتكم وأركاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الورق والذهب، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا : بلى، قال : ذكر الله. للترمذي وللموطأ موقوفاً.

رواه أيضاً أحمد بإسناد حسن وابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال صحيح الإسناد ورواه أيضاً أحمد من حديث معاذ بإسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا كذا في الترغيب ٢ /٣٩٥.

وإنما كان للذكر هذا الفضل لأن به يتحقق الإخلاص الذي هو شرط قبول العمل وبه تنتفي أمراض القلب التي تحبط العمل.

٥١٢ ــ (النعمان بن بشير) رفعه : « الدعاء هو العبادة، ثم قرأ : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾[١] ». لأبي داود والترمذي بلفظه.

رواه أيضاً النسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد. وقال الترمذي حسن صحيح كذا في الترغيب ٢ /٤٧٧.

٥١٣ ــ (أبو أمامة) « قيل يا رسول الله : أي الدعاء أسمع؟ قال : جوف الليل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات». للترمذي وقال حديث حسن كذا في الترغيب ٢ /٤٨٩.

٥١٤ ــ (أنس) رفعه : « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد » لأبي داود والترمذي.

ورواه أيضاً النسائي وابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما كذا في الترغيب ١ /١٩٠.

---

٥١١ ــ (٦١٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٢١٣

٥١٢ ــ (٦١٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٢١٧. (١) سورة غافر: (٦٠).

٥١٣ ــ (٦١٦/٢) وقت الدعاء وحال الداعي وكيفية الدعاء وغير ذلك ــ رقم: ٩٢٢٧

٥١٤ ــ (٦١٦/٢) الموضع السابق ــ رقم. ٩٢٢٨

٥١٥ ــ (سهل بن سعد) رفعه. « ثنتان لا تردان أو قلما تردان عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً » رواه أيضاً ابنا خزيمة وحبان في صحيحيهما بنحوه.. كذا في الترغيب ١ /١٩١.

وفي أخرى : « وتحت المطر ». للموطأ وأبي داود بلفظه.

وفي أسناده موسى بن يعقوب الزمعي قال النسائي ليس بالقوي وقال ابن معين ثقة. وقال أبو داود صالح وله مشايخ مجهولون.. كذا في تخريج السنن ٣ /٣٨٤ وعلق عليه أحمد شاكر بأن الإسناد صحيح وموسى الزمعي ثقة وثقة ابن القطان وغيره وترجمة البخاري في الكبير فلم يذكر فيه جرحا.

٥١٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « أقرب ما يكون العبد من ربه تعالى وهو ساجد فأكثروا الدعاء ». لمسلم وأبي داود والنسائي.

هذا أصل لكثير من كلام القوم في موضوع القرب من الله كما سنرى في كلام ابن عطاء، لكنه قرب ليس كمثله شيء.

٥١٧ ــ (أبو الدرداء) رفعه : « إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة : آمين ولك بمثل » لمسلم وأبي داود.

٥١٨ ــ (علي) كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت

---

٥١٥ ــ (٦١٦/٢) وقت الدعاء وحال الداعي وكيفية الدعاء وغير ذلك ــ رقم: ٩٢٢٩.
٥١٦ ــ (٦١٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٣٢١.
٥١٧ ــ (٦١٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٢٣٧.
٥١٨ ــ (٦٢٦/٢) أدعية الصلاة ــ رقم: ٩٢٨٠.

أستغفرك وأتوب إليك، وإذا ركع قال : اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي، فإذا رفع رأسه قال : اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، وإذا سجد قال : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ». لمسلم وأبي داود والترمذي والنسائي.

انظروا إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي » لتعرف مظهراً من مظاهر الخشوع وتبحث عن الطريق الذي يحققك بذلك.

٥١٩ ــ (عوف بن مالك) قمت مع النبي ﷺ، فلما ركع مكث قدر سورة البقرة ويقول في ركوعه : « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ». للنسائي رواه أبو داود والترمذي وسكت عنه المنذري. كذا في تخريج السنن ١ /٤١٩.

٥٢٠ ــ (ابن عباس) سمعت النبي ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته: « اللهم إني أسالك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري وتلم شعثي، وترد بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها ألفتي، وتعصمني بها من كل سوء. اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء، وعيش السعداء والنصر على الأعداء، اللهم إني أنزل بك حاجتي وإن قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور، أن تجيرني من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور، اللهم وما قصر عنه رأيي و لم تبلغه مسألتي، و لم تبلغه نيتي، من خير وعدته أحداً من

---

٥١٩ ــ (٢/٦٢٦) أدعية الصلاة ــ رقم: ٩٢٨٢.

٥٢٠ ــ (٢/٦٣٠) الموضع السابق ــ رقم: ٩٣٠٣.

خلقك، أو أنت معطيه أحداً من عبادك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألك برحمتك يا رب العالمين، اللهم ذا الحبل الشديد، والأمر الرشيد، أسألك الأمن يوم الوعيد، والجنة يوم الخلود، مع المقربين والشهود الركع السجود، الموفين بالعهود إنك رحيم ودود، وإنك تفعل ما تريد. اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلماً لأوليائك حرباً لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك : اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة، وهذا الجهد وعليك التكلان، اللهم اجعل لي نوراً في قلبي، ونوراً في قبري، ونوراً من بين يدي، ونوراً من خلفي، ونوراً عن يميني، ونوراً عن شمالي، ونوراً من فوقي، ونوراً من تحتي، ونوراً في سمعي، ونوراً في بصري، ونوراً في شعري، ونوراً في بشري، ونوراً في لحمي، ونوراً في دمي، ونوراً في مخي، ونوراً في عظامي، اللهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطّف بالعز وقال به، سبحان الذي لبس المجد وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي المجد والكرم، سبحان ذي الجلال والإكرام ». للترمذي.

رواه أيضاً محمد بن نصر والطبراني والبيهقي كلهم من حديث داود بن علي بن عبد الله بن عباس. وداود هذا عم المنصور ولي المدينة والكوفة للسفاح حدث عنه الكبار كالثوري والأوزاعي ووثقه ابن حبان وغيره وقال ابن معين : أرجو أنه لا يكذب إنما يحدث بحديث واحد. كذا روى عثمان بن سعيد وقد أورده ابن عدي في الكامل وساق له بضعة عشر حديثاً ثم قال عندي لا بأس بروايته عن أبيه عن جده احتج به مسلم وخرج له الأربعة. كذا في الفيض ٢ /١١٦.

وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام : « اللهم اجعل لي نوراً في قلبي... » وما بعدها لتبحث عن الطريقة التي تصل بها إلى أن يكون لك هدا النور وفي رواية لمسلم « واجعلني نوراً » فانظر كيف تكون نوراً خالصاً وقد ورد في بعض تفاسير قوله تعالى ﴿ **يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾(النور : ٣٥) إنه الرجل الصالح فهو الذي يمد القلب بمدد النور.

٥٢١ — (كعب بن عجرة) رفعه : « معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن د،ر

---

٥٢١ — (٦٣١/٢) أدعية الصلاة — رقم: ٩٣٠٦

كل صلاة : ثلاث وثلاثون تسبيحة، وثلاث وثلاثون تحميدة، وأربع وثلاثون تكبيرة ». لمسلم والترمذي والنسائي.

٥٢٢ ـــ (ابن عباس) كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: « اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق ولقاؤك حق وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدّمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك ». للستة.

إن من قرأ هذا النص لا يستغرب العبارات التي سترد في حِكَم ابن عطاء وهو يتكلم عن الذات الإلهية، فالله قيوم السموات والأرض، والله نور السموات والأرض، والله مالك السموات والأرض، فما الذي يحجبك عنه أيها الإنسان!؟...

٥٢٣ ـــ (أنس) « أن النبي ﷺ مَرَّ بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول : يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وعدد الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، ولا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه، فوكل النبي ﷺ بالأعرابي رجلا فقال : إذا صلى فأتني به، فلما صلى أتاه وقد كان أهدي له ذهب من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال : ممن أنت يا أعرابي؟ قال : من بني عامر بن صعصعة، قال هل تدري لم وهبت لك الذهب؟ قال للرحم بيننا وبينك، قال : إن للرحم حقاً، ولكن وهبت لك الذهب بحسن ثنائك على الله تعالى ». للأوسط.

---

٥٢٢ ـــ (٦٣٤/٢) الموضع السابق ـــ رقم: ٩٣٢٧.

٥٢٣ ـــ (٦٣٥/٢) أدعية الصلاة ـــ رقم: ٩٣٣٢.

ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /١٥٨.

٥٢٤ ــ (أبو هريرة) كان النبي ﷺ يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : « اللهم رب السموات ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوارة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغننا من الفقر ». لمسلم والترمذي وأبي داود.

٥٢٥ ــ (أم سلمة) إن أكثر دعاء النبي ﷺ إذا كان عندها : « يا مقلب المقلوب ثبت قلبي على دينك »، قالت فقلت : يا رسول الله ما أكثر دعاءك بهذا، قال : « يا أم سلمة ليس آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ ». للترمذي. وقال حسن. كذا في سننه ٢ /١٩٢.

انظر كم يحتاج القلب إلى تثبيت حتى كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ في ذلك. ألا ترى أن أكثر الخلق غافلون عن قضية القلب؟!

٥٢٦ ــ (طارق بن أشيم) كان الرجل إذا أسلم علَّمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات : « اللهم أغفر لي وارحمني، واهدني وعافني وارزقني ». لمسلم.

٥٢٧ ــ (أم سلمة) رفعته : « اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر فلا شيء بعدك، أعوذ بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل وعذاب القبر، وفتنة الغنى وفتنة الفقر، وأعوذ بك من المأثم والمغرم،اللهم نقني من خطاياي كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، اللهم باعد بيني وبين

---

٥٢٤ ــ (٦٤٢/٢) أدعية الصباح والمساء والنوم والانتباه ــ رقم: ٩٣٦٧.
٥٢٥ ــ (٦٦١/٢) أدعية غير موقتة وفيها الاستعاذة ــ رقم: ٩٤٧.
٥٢٦ ــ (٦٦١/٢) أدعية غير موقتة وفيها الاستعادة ــ رقم: ٩٤٧١.
٥٢٧ ــ (٦٦٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٤٧٤.

خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، هذا ما سأله محمد ربَّهُ : اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء، وخير النجاح وخير العمل، وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات، وثبتني وثقّل موازيني، وارفع درجتي وتقبل صلاتي واغفر خطيئتي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك الجنة آمين، اللهم إني أسألك خير ما فعل وخير ما عمل، وخير ما بطن وخير ما ظهر، والدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري وتضع وزري، وتصلح أمري وتطهر قلبي، وتحفظ فرجي وتنور قلبي وتغفر ذنبي، وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين، اللهم نجني من النار » للأوسط.

ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زنبور وعاصم بن عبيد وهما ثقتان. كذا في مجمع الزوائد ١٠/١٧٦.

انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام « وتطهر قلبي... وتنور قلبي » لتعرف محل تطهير القلب وتنويره في الإسلام.

٥٢٨ ــ (ابن عمرو بن العاص) رفعه : « اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، أعوذ بك من هؤلاء الأربع ».

للترمذي والنسائي : وقال الترمذي حسن غريب. كذا في الفيض ٢ /١٠٨.

انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام « ....من قلب لا يخشع ....ومن نفس لا تشبع » ليتأكد لك محل التركيز على القلب وعلى تزكية النفس في دين الله تعالى.

٥٢٩ ــ (ابن عمرو بن العاص) « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك ». لمسلم وأبي داود.

---

٥٢٨ ــ (٢/٦٦٥) الموضع السابق ــ رقم: ٩٤٩١.

٥٢٩ ــ (٢/٦٦٥) أدعية غير موقتة ــ رقم. ٩٨٩٢.

٥٣٠ ــ (سفينة) رفعه : « بخ بخ لخمس ما أثقلهن في الميزان، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وفرط صالح يفرطه الرجل ». للأوسط.

ورجاله رجال الصحيح. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٨٩.

٥٣١ ــ (سعد) أنه دخل مع النبي ﷺ على امرأة وبيدها نوى أو حصى تسبّح به وتعد، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ قالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال قولي : سبحان الله عدد ما خلق في السموات والأرض وما بينهما، سبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ». للترمذي وأبي داود بلفظه.

رواه أيضاً النسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الترمذي حسن غريب. كذا في الترغيب ٢ /٤٣٩.

لاحظ أن الرسول ﷺ لم ينكر عليها استعمال النوى في عدِّ وردها، وإنما دلها على ما هو أخف وأفضل وذلك دليل على أن استعمال السبحة لعد الأوراد لا حرج فيه.

٥٣٢ ــ (أبو ذر) أن النبي ﷺ سئل أي الكلام أفضل؟ قال : « ما اصطفى الله لملائكته، سبحان الله وبحمده ». لمسلم والترمذي.

٥٣٣ ــ (أنس) أن النبي ﷺ مرَّ على شجرة يابسة الورق، فضربها بعصاه فتناثر الورق، فقال : « إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر تساقط ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة ». للترمذي.

---

٥٣٠ ــ (٦٦٩/٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير... ــ رقم: ٩٥١٩. ومعنى فرط صالح: ولد يُتوفى.

٥٣١ ــ (٦٧٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٢١.

٥٣٢ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٢٢.

٥٣٣ ــ (٦٧٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٢٤.

وقال غريب ولا نعرف للأعمش سماعاً من أنس إلا أنه قد رآه ونظر إليه. ورواه أحمد أيضاً بنحوه ورجاله رجال الصحيح. قال المنذري لم يروِه أحمد من طريق الأعمش. كذا في الترغيب ٢ /٤٣٤.

لهذا الحديث ولأمثاله ذكرنا في وصيتنا آخر الكتاب أن كل ذكر مطلق ندبنا إليه أن يقيمه السالك آلاف المرات، ثم ينتقل إلى غيره حتى يحصل آثار هذه الأذكار كلها.

٥٣٤ ــ (جابر) رفعه : « أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله » للترمذي.

رواه أيضاً النسائي وابن حبان والحاكم، وقال صحيح وأقره الذهبي وقال الترمذي حسن غريب كذا في الفيض ٢ /٣٤.

٥٣٥ ــ (أغر مزينة)رفعه : « إنه ليغان[1] على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مائة مرة ». لمسلم وأبي داود.

الغين في حق رسول الله ﷺ على القلب غير الغين على قلوبنا، ومع ذلك نأخذ من الحديث أنه إذا كان رسول الله ﷺ يتعاهد قلبه بالاستغفار يومياً ليزول الغين عن قلبه فكيف نغفل نحن، لذلك كان من الأوراد التي دعونا إليها في آخر الكتاب أن يكون للمسلم مائة مرة استغفار مع غيره من الأذكار.

٥٣٦ ــ (ابن عباس) رفعه: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب ». لأبي داود.

رواه أيضاً النسائي وابن ماجه وفي إسناده الحكم بن مصعب ولا يحتج به كذا في تخريج السنن ٢ /١٥٢ وعلق عليه الشيخ أحمد شاكر قائلا : هذا غلو من

---

٥٣٤ ــ (٢/٦٧٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير . ــ رقم: ٩٥٣٠.
٥٣٥ ــ (٢/٦٧٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٣٥. (١) لُيغان: الغَيْن: الغم والمراد في الحديث: ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر
٥٣٦ ــ (٢/٦٧٣) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٣٨

المنذري والحكم ذكره ابن حبان في الثقات وترجمه البخاري فلم يذكر فيه جرحاً ولم يذكره وهو ولا النسائي في الضعفاء. والحديث رواه أحمد وإسناده صحيح.

هذا أصل في ملازمة العبد نوعاً من أنواع الأذكار المطلقة لما في ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية.

٥٣٧ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة، كانت له عِدْل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة، حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر ». للشيخين والموطأ والترمذي.

لذلك ندبنا في آخر الكتاب أن يكون للسالك في ورده اليومي مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأن يكون له مائة مرة سبحان الله وبحمده يوميا.

٥٣٨ ــ (أبو أيوب) رفعه: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل ». للشيخين والترمذي.

٥٣٩ ــ (أبو هريرة) رفعه : « ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر ». للترمذي.

وقال حديث حسن غريب. كذا في الترغيب ٢ /٤١٤.

---

٥٣٧ ــ (٦٧٣/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٩٥٤٠.

٥٣٨ ــ (٦٧٣/٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير... ــ رقم: ٩٥٤١.

٥٣٩ ــ (٦٧٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٤٦.

٥٤٠ ــ (جويرية) أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال : « ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت : نعم، فقال : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ». لأبي داود والترمذي والنسائي ومسلم بلفظه.

٥٤١ ــ (أبو هريرة) رفعه: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » للشيخين والترمذي.

٥٤٢ ــ(أبو أمامة) أن النبي ﷺ قال له : أفلا أخبرك بشيء إذا قلته، ثم دأبت الليل والنهار لم تبلغه؟ قلت : بلى، قال تقول : الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد ما في كتابه، والحمد لله عدد ما أحصى خلقه، والحمد لله ملء ما في خلقه، والحمد لله ملء سماواته وأرضه، والحمد لله عدد كل شيء، وتسبح مثل ذلك وتكبر مثل ذلك ». للكبير. من طريقين وإسناد أحدهما حسن. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٩٣.

٥٤٣ ــ (أبو موسى) كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال : » أيها الناس أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم، قال وأنا خلفه وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله فقال يا عبد الله بن قيس : ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت : بلى يا رسول الله قال قل: لا حول ولا قوة إلا بالله ».

وفي رواية : « والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم ». للشيخين وأبي داود والترمذي.

---

٥٤٠ ــ (٦٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٥٠.

٥٤١ ــ (٦٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٥١.

٥٤٢ ــ (٦٧٥/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٥٢.

٥٤٣ ــ (٦٧٦/٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير ــ رقم: ٩٥٥٨.

لاحظ قوله عليه الصلاة والسلام « والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم »

فهذا يدل على أن رسول الله ﷺ كان يربي أصحابه على الشعور بقرب الله ولكنه قرب ليس كمثله شيء.

٥٤٤ ــ (أبو مسعود البدري) أتانا النبي ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟ فسكت حتى تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد والسلام كما علمتم ».

وفي رواية : « وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ». وفي أخرى : « اللهم صل على محمد الأمي وعلى آل محمد ». للستة إلا البخاري.

٥٤٥ ــ (ابن أبي ليلى) لقيني كعب بن عجرة فقال : ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ». للستة إلا مالكاً.

٥٤٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».

لم يذكر المصنف من أخرجه فقد أخرجه أبو داود وسكت عنه المنذري. كذا في النيل ٢ /٣٠٢.

---

٥٤٤ ــ (٦٧٧/٢) الموضع السابق ــ رقم ٩٥٦٣.

٥٤٥ ــ (٦٧٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٦٥

٥٤٦ ــ (٦٧٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٦٦.

٥٤٧ ــ (أبو سعيد) قلنا يارسول الله : هذا السلام عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ». للبخاري والنسائي.

٥٤٨ ــ (طلحة) أن رجلا قال : كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد » للنسائي.

ورجاله رجال الصحيح ما عدا عثمان بن موهب فهو شيخ صالح، وقال أبو حاتم صالح الحديث. راجع سياق الحديث في النسائي ٣ /٤٨.

٥٤٩ ــ (أبو حميد الساعدي) قالوا يا رسول الله : كيف نصلي عليك؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد ». للستة إلا الترمذي.

٥٥٠ ــ (أنس) رفعه : « من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات ». للنسائي.

رواه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم. كذا في الترغيب ٢ /٤٩٥.

لذلك جعلنا في وصيتنا آخر الكتاب أن تكون الصلاة على رسول الله ﷺ جزءاً من أوراد المسلم اليومية وجزءا من أوراده المطلقة.

٥٥١ ــ (أبو طلحة)أن النبي ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا إنا لنرى البشرى في وجهك، قال : « إنه أتاني الملك فقال : يا محمد إن ربك يقول :

---

٥٤٧ ــ (٦٧٨/٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير... ــ رقم: ٩٥٦٧.
٥٤٨ ــ (٦٧٨/٢) الموصع السابق ــ رقم. ٩٥٦٨.
٥٤٩ ــ (٦٧٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٦٩.
٥٥٠ ــ (٦٧٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧١.
٥٥١ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧٢.

أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلّم عليك أحد إلا سلمت عليه عشراً ». للنسائي.

رواه أيضاً أحمد وابن أبي شيبة ورمز السيوطي لصحته كذا في الفيض ١ /١٠٤.

٥٥٢ ــ (ابن مسعود) رفعه : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة » للترمذي.

رواه أيضاً البخاري في التاريخ وابن حبان وصححه وقال الترمذي : حسن غريب وفيه موسى الزمعي قال النسائي : ليس بقوي لكن وثقه ابن معين وأبو داود وساق له ابن عدي عدة أحاديث استنكرها وعد هذا منها. كذا في الفيض ٢ /٤٤٢.

٥٥٣ ــ (علي) رفعه: « البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ » للترمذي.

وقال حسن صحيح غريب وقال ابن حجر في الفتح أخرجه الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وإسماعيل القاضي وأطنب في تخريج طرقه وبيان الاختلاف فيه من حديث عليّ ومن حديث ابنه الحسين ولا يقصر على درجة الحسن. وقد صححه ابن حبان والحاكم من حديث الحسين انظر الفيض ٣/٢١٦.

٥٥٤ ــ (ابن مسعود) رفعه : « إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام ». للنسائي.

ورواه أيضاً أحمد وابن حبان والحاكم وصححه وأقره الذهبي، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وقال العراقي الحديث متفق عليه دون قوله سياحين. كذا في الفيض ٢ /٤٧٩.

---

٥٥٢ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧٣.

٥٥٣ ــ (٦٧٩/٢) الاستغفار والتسبيح والتهليل والتكبير... ــ رقم: ٩٥٧٤.

٥٥٤ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧٥.

٥٥٥ ــ (عبد الله بن دينار) رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر، لمالك.

٥٥٦ ــ (محمد بن يحيى بن حبان) عن أبيه عن جده : أن رجلاً قال : يا رسول الله أجعل ثلث صلاتي عليك؟ قال : نعم إن شئت، قال : الثلثين؟ قال : نعم، قال : فصلاتي كلها؟ قال : إذاً يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك. للكبير.

وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /١٦٠.

٥٥٧ ــ (كعب بن عجرة) أن النبي ﷺ خرج يوماً إلى المنبر فقال حين ارتقى درجة :آمين، ثم رقي درجة أخرى فقال : آمين، ثم رقي الثالثة فقال : آمين، فلما نزل عن المنبر وفرغ، قلنا : يا رسول الله لقد سمعنا منك كلاماً اليوم، قال : وسمعتموه؟ قلنا : نعم، قال : إن جبريل عرض لي حين ارتقيت درجة فقال : بعد من أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما لم يدخل الجنة؛ قلت آمين، وقال : بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك؛ فقلت : آمين، ثم قال : بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له؛ فقلت : آمين. للكبير.

٥٥٨ ــ (أبو هريرة) رفعه : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ».

(وفي أخرى) : كفافاً. للشيخين والترمذي.

هذا نموذج على ما كان رسول الله ﷺ يحبه لنفسه وعياله وهو شيء حرص عليه بعض أئمة القوم.

٥٥٩ ــ (ابن عمرو بن العاص) « قال له رجل : ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال : ألك امرأة تأوي إليها؟ قال : نعم، قال : ألك مسكن تسكنه؟ قال :

---

٥٥٥ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧٦.

٥٥٦ ــ (٦٧٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٧٧.

٥٥٧ ــ (٦٨٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٨١.

٥٥٨ ــ (٦٨١/٢) كتاب الزهد والفقر والأمل والرجاء والحرص ــ رقم: ٩٥٨٦

٥٥٩ ــ (٨٦٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٩٠.

نعم،قال : فأنت من الأغنياء، قال : فإن لي خادماً، قال : فأنت من الملوك » قال أبو عبد الرحمن الحبلي : وجاء ثلاثة نفر إلى ابن عمرو فقال لهم : ما شئتم؟ إن شئتم رجعتم إلينا فأعطيناكم ما يسر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أموركم إلى السلطان، وإن شئتم صبرتم، فإني سمعت النبي ﷺ يقول : « إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً، قالوا : نصبر لا نسأل شيئاً ». لمسلم.

٥٦٠ ــ (مصعب بن سعد) أن سعداً ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: « إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ». للبخاري والنسائي بلفظه.

٥٦١ ــ (سهل بن سعد) « مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما رأيك في هذا؟ فقال رحل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفّع، فسكت ﷺ، ثم مر رجل فقال له ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حريّ إن خطب أن لا ينكح وإن شفع لا يشفّع، وإن قال لا يسمع لقوله، فقال ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا ». للشيخين.

٥٦٢ ــ (أبو هريرة) رفعه : « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره ». لمسلم.

وهذا يقتضي من المسلم ألا يحقر مسلماً مهما رأى من بذاذته ورثاثته وحاله.

٥٦٣ ــ (عائشة)كان يأتي علينا الشهر لا نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء، إلا أن يؤتى باللحم.

ومن رواياته : ما شبع محمد من خبز البر ثلاثاً حتى مضى لسبيله.

---

٥٦٠ ــ (٦٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٩٤.
٥٦١ ــ (٦٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٩٥.
٥٦٢ ــ (٦٨٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٥٩٦.
٥٦٣ ــ (٦٨٤/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٠٤.

ومنها : ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض ﷺ.

ومنها : ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا إحداهما تمر.

ومنها قالت لعروة : والله يا ابن أختي إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات النبي ﷺ نار، قال قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت : الأسودان التمر والماء، إلا أنه كان للنبي ﷺ جيران من الأنصار وكانت لهم منايح، وكانوا يرسلون إليه من ألبانها فيسقيناه.

ومنها : قالت توفي النبي ﷺ حين شبع الناس من الأسودين التمر والماء.

وفي أخرى : وما شبعنا من الأسودين.

ومنها قالت : لقد مات النبي ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين. للشيخين والترمذي.

٥٦٤ ــ (عائشة) توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير. للشيخين والترمذي.

٥٦٥ ــ (علي) لقد خرجت من بيتي في يوم شات من عند بنت رسول الله ﷺ، وقد أخذت إهاباً معطوناً فجوبت وسطه فأدخلته في عنقي وشددت وسطي فحزمته بخوص النخل، وإني لشديد الجوع، ولو كان في بيت النبي ﷺ طعام لطعمت منه، فخرجت ألتمس شيئاً، فمررت بيهودي في مال له وهو يستقي ببكرة له، فاطلعت عليه من ثلمة الحائط، فقال : ما لك يا أعرابي، هل لك في دلو بتمرة؟ فقلت نعم، فافتح الباب حتى أدخل، ففتح فدخلت فأعطاني دلوه، فكلما نزعت دلواً أعطاني تمرة، حتى إذا امتلأت كفي أرسلت دلوه وقلت حسبي فأكلتها، ثم جرعت من الماء فشربت، ثم جئت المسجد فوجدت النبي ﷺ فيه. للترمذي وقال حسن غريب. كذا في سننه ٢ /٧٠.

---

٥٦٤ ــ (٢/٦٨٦) كتاب الزهد والفقر والأمل والرجاء والحرص ــ رقم: ٩٦٢٣

٥٦٥ ــ (٢/٦٨٦) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٢٤.

هذا دليل على أن الأمر في العمل الدنيوي واسع، ولا يدخل في المفاصلة الشعورية التي أمر بها الله المسلم، فلو عمل الإنسان عند يهودي أو نصراني أو مجوسي، أو دولة كافرة في غير ما هو حرام فلا حرج عليه.

٥٦٦ ــ (أبو هريرة) خرج النبي ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر ، فقال : « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ قالا : الجوع يا رسول الله، قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوموا، فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته، فلما رأته المرأة قالت : مرحباً وأهلاً، فقال لها : أين فلان؟ قالت : ذهب يستعذب لنا الماء، إذ جاء الأنصاري، فنظر إلى النبي ﷺ وصاحبيه ثم قال : الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر رطب، فقال : كلوا، وأخذ المدية، فقال له ﷺ : إياك والحلوب، فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا، قال ﷺ لأبي بكر وعمر : والذي نفسي بيده لتسألن عن النعيم يوم القيامة، أخرجكم الجوع من بيوتكم ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم » لمالك والترمذي ومسلم بلفظه.

٥٦٧ ــ (عتبة بن غزوان) لقد رأيتني سابع سبعة مع النبي ﷺ ما طعامنا إلا ورق الحبلة حتى قرحت أشداقنا. لمسلم.

٥٦٨ ــ (ابن مسعود) قال : « خط رسول الله ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط، وخط خطاً خارجاً منه، وخط خطوطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا ». للبخاري.

---

٥٦٦ ــ (٦٨٦/٢) كتاب الزهد والفقر والأمل والرجاء والحرص ــ رقم: ٩٦٢٥.

٥٦٧ ــ (٦٨٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٢٦.

٥٦٨ ــ (٦٩٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٤٩.

٥٦٩ ــ (أنس) « خط رسول الله ﷺ خطاً، وقال : هذا الإنسان، وخط إلى جنبه خطاً، وقال : هذا أجله، وخط آخر بعيداً منه، وقال : هذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب ». للبخاري.

٥٧٠ ــ (ابن عمر) أخذ النبي ﷺ بمنكبي وقال: « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك. للبخاري والترمذي، وزاد بعد أو عابر سبيل، وعد نفسك من أهل القبور.

هذه أصول في التربية على قصور الأمل وتوقع الأجل في كل لحظة والعمل الأخروي على أساس ذلك.

٥٧١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغ ستين سنة ». للبخاري.

٥٧٢ ــ (أبو هريرة) رفعه : « قلب الشيخ شاب على حب اثنين : حب العيش أو قال طول الحياة، وحب المال ».

٥٧٣ ــ (أنس) رفعه : « يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان : الحرص على المال، والحرص على العمر ».

٥٧٤ ــ (أنس) رفعه : « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب ». وهي للشيخين والترمذي.

---

٥٦٩ ــ (٦٩٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٥٠.
٥٧٠ ــ (٦٩٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٥١.
٥٧١ ــ (٦٩١/٢) كتاب الزهد والفقر والأمل والرجاء والحرص ــ رقم: ٩٦٥٢.
٥٧٢ ــ (٦٩١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٥٣.
٥٧٣ ــ (٦٩١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٥٤.
٥٧٤ ــ (٦٩١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٥٥.

٥٧٥ — (حنظلة بن الربيع الأسيدي أحد كتاب النبي ﷺ) قال : « لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة؟ قلت : نافق حنظلة، قال : سبحان الله ما تقول؟ قلت : نكون عند النبي ﷺ يذكّرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، وإذا خرجنا من عنده عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً، قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل ذلك، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على النبي ﷺ، فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله، فقال : وما ذاك؟ قلت : نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً، فقال ﷺ : والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات ». للترمذي ومسلم بلفظه.

هذا أصل كبير في إمكانية الكشف في حق غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٥٧٦ — (أبو ذر) رفعه : « قال الله تعالى يا عبادي : إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي : كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي : كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي : كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد وسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا دخل البحر، يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ». للترمذي بلفظه ومسلم.

---

٥٧٥ — (٦٩٢/٢) كتاب الخوف والرقائق والمواعظ — رقم: ٩٦٦٢.

٥٧٦ — (٦٩٢/٢) الموضع السابق — رقم: ٩٦٦٣.

٥٧٧ ـــ (أبو هريرة) رفعه : « يقول الله تعالى : إبن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك » للترمذي.

وقال حسن ورواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان باختصار إلا أنه قال : « ملأت يديك شغلا ». والحاكم وقال صحيح الإسناد والبيهقي في الزهد. كذا في الترغيب ٤ /١١٨.

هذا أصل فيما يذكر عن أهل السير إلى الله في ضرورة الإقبال على الله وتعليق القلب به وحده.

٥٧٨ ـــ (ابن مسعود) كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى، أحلاس البيوت سرج الليل، جدد القلوب، خَلِقين الثياب، تُعرَفون في أهل السماء وتخفون في أهل الأرض. للدارمي.

انظر إلى قول ابن مسعود « جدد القوب » فهذا يدل على أن تجديد حياة القلب وحيويته ونورانيته كان محل تركيز الصحابة.

٥٧٩ ـــ (عمر بن عبد العزيز) من تعبد بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، ومن عد كلامه من عمله قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه، ومن جعل دينه غرضاً للخصومات كثر تنقله. للدارمي، وقال : يعني أن يتنقل من رأي إلى رأي.

٥٨٠ ـــ (أبو ذر) رفعه :« اتق الله حيث ما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن ». للترمذي.

وقال حسن صحيح ورواه أيضاً أحمد والحاكم، وقال على شرطهما وأقره الذهبي وأخرجه البيهقي في الشعب والضياء في المختارة والدارمي. كذا في الفيض ١ /١٢١.

---

٥٧٧ ـــ (٢/٦٩٣) كتاب الخوف والرقائق والمواعظ ـــ رقم: ٩٦٦٨.
٥٧٨ ـــ (٢/٦٩٥) الموضع السابق ـــ رقم: ٩٦٧٧. ومعنى أحلاس البيوت: لزومها.
٥٧٩ ـــ (٢/٦٩٥) الموضع السابق ـــ رقم: ٩٦٧٨.
٥٨٠ ـــ (٢/٦٩٦) الموضع السابق ـــ رقم: ٩٦٨٥.

٥٨١ ــ (أبو بكرة) أن رجلا قال : يا رسول الله أي الناس خير؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله، قال : فأي الناس شر؟ قال : من طال عمره وساء عمله ». للترمذي.

وقال حسن صحيح ورواه أيضاً الطبراني بإسناد صحيح والحاكم والبيهقي في الزهد. كذا في الترغيب ٤ /٢٥٤.

٥٨٢ ــ (حذيفة) رفعه : « لا يكن أحدكم إمعة يقول : أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا أن لا تظلموا ». للترمذي.

وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. كذا في سننه ٢/٢١.

قال ابن مسعود في صحيح عنه : الجماعة أن تكون على الحق ولو كنت وحدك فأدب المسلم أن يتحرى الحق ويكون معه في كل الظروف بصرف النظر عن القلة والكثرة ﴿ **قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾[1].

٥٨٣ ــ (حذيفة) رفعه : « لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا : وكيف يذل نفسه؟ قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق ». للترمذي.

وقال حسن غريب كذا في سننه ٢ /٤٩.

٥٨٤ ــ (أبو هريرة) رفعه : « من يضمن لي ما بين رجليه وما بين لحييه، ضمنت له الجنة ». للبخاري والترمذي.

٥٨٥ ــ (وعنه) رفعه : « شر هالع، وجبن خالع ». لأبي داود.

---

٥٨١ ــ (٦٩٦/٢) كتاب الخوف والرقائق والمواعظ ــ رقم: ٩٦٨٦.
٥٨٢ ــ (٦٩٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٩٠. ومعنى إمعة: لا رأي له، يتابع كل أحد على رأيه.
٥٨٣ ــ (٦٩٧/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٩١. (١) سورة المائدة: (١٠٠).
٥٨٤ ــ (٦٩٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٩٨.
٥٨٥ ــ (٦٩٨/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٦٩٩.

رواه أيضاً البخاري في التاريخ، قال محمد بن طاهر وهو إسناد متصل وقد احتج مسلم بموسى بن علي عن أبيه عن جماعة من الصحابة وقال العراقي إسناده جيد. كذا في تخريج السنن ٣ /٣٦٩ والفيض ٤ /١٦٠.

٥٨٦ ــ (ابن عباس) رفعه : « أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرام، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرئ بغير حق ليهرق دمه ». للبخاري.

٥٨٧ ــ (المغيرة) كتب إليه معاوية أن اكتب لي بشيء سمعته من النبي ﷺ، فكتب إليه أن النبي ﷺ قال : « إن الله حرَّم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعاً وهات، وكره لكم ثلاثاً : قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال ». للشيخين.

٥٨٨ ــ (أبو سعيد) رفعه : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تستكفي اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا ». للترمذي. ورواه أيضاً ابن خزيمة والبيهقي في الشعب. ورواه الترمذي موقوفاً على حماد، وقال : هذا أصح ومع ذلك إسناد الرفع جيد لكن الموقوف أجود. كذا في الفيض ١ /٢٨٧.

٥٨٩ ــ (أم حبيبة) رفعته : « كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وذكر الله ». للترمذي.

وقال : غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن حنيش. قال المنذري : رواته ثقات. وفي محمد بن يزيد كلام قريب لا يقدح وهو شيخ صالح. كذا في الترغيب ٣ /٥٣٨.

---

٥٨٦ ــ (٦٩٩/٢) كتاب الخوف والرقائق والمواعظ ــ رقم: ٩٦٨٦.
٥٨٧ ــ (٦٩٩/٢) الموصع السابق ــ رقم: ٩٧٠٣.
٥٨٨ ــ (٦٩٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٠٦.
٥٨٩ ــ (٦٩٩/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٠٨.

٥٩٠ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً،يهوي بها في النار ». لمالك والشيخين والترمذي.

٥٩١ ــ (عائشة) أن رجلا استأذن على رسول الله ﷺ، فلما رآه قال : « بئس أخو العشيرة، أو بئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلق في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق قلت : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه، فقال : يا عائشة متى عهدتني فحاشاً، إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره ».

وفي رواية : « اتقاء فحشه ». للستة إلا النسائي.

٥٩٢ ــ (أبو هريرة) رفعه : « إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس، فهو أهلكهم ». لمسلم وأبي داود والموطأ. وقال أبو إسحاق : سمعته بالنصب والرفع، وفسره مالك إذا قال ذلك معجباً بنفسه مزريا بغيره، فهو أشد هلاكاً منهم، وأما إذا قاله وهو يرى نفسه معهم وهو لنفسه أشد احتقاراً منه لغيره فلا بأس به.

٥٩٣ ــ (أبو هريرة) رفعه : « كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، قد عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، فيصبح يكشف ستر الله عنه » للشيخين.

٥٩٤ ــ (عياض بن حمار) أن النبي ﷺ قال في خطبته : « ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل ما نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم في دينهم، وحرَّمَتْ

---

٥٩٠ ــ (٧٠٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٠٩.

٥٩١ ــ (٧٠٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧١٢

٥٩٢ ــ (٧٠٠/٢) كتاب الحوف والرقائق والمواعظ ــ رقم: ٩٧١٤.

٥٩٣ ــ (٧٠١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧١٧.

٥٩٤ ــ (٧٠١/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧١٩.

عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا أهل الكتاب؛ وقال : إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت إليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً، فقلت : ربي إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خُبْزَةً، قال : استخرجهم كما أخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسننفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة له، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال : وأهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبع، لا يتبعون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل والكذب، والشنظير: الفحاش » لمسلم.

٥٩٥ ــ (ابن عمر) رفعه : « إنما الناس كإبل المائة لا تجد فيها راحلة ». للشيخين والترمذي.

وله في رواية : « لا تجد فيها إلا راحلة ».

هذا الحديث أصل في فقه الدعوة في ضرورة التركيز على أناس بأعيانهم يصلحون أن يكونوا أئمة في الخير يحملون هذا الدين.

٥٩٦ ــ (أبو هريرة) رفعه : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا ». لمسلم.

٥٩٧ ــ (ابن عباس) رفعه : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ ». للبخاري والترمذي.

---

٥٩٥ ــ (٧٠٢/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٢٠ ــ ٩٧٢١.

٥٩٦ ــ (٧٠٣/٢) كتاب الحوف الرقائق والمواعظ ــ رقم: ٩٧٢٧.

٥٩٧ ــ (٧٠٣/٢) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٢٩.

٥٩٨ ــ (أنس) رفعه : « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ». للبـزار والأوسط.

وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٢٦٨

٥٩٩ ــ وللكبير عن أبي أمامة رفعه : « أتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ».

وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٢٦٨

٦٠٠ ــ (سهل بن سعد) رفعه : « المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ». لأحمد والكبير وإسناده جيد. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٢٧٣

هذا ميزان آخر للخيرية في هذه الأمة القدرة على الألفة مع أهل الخير، وقد شدد بعض الصوفية على مبدأ النفور من الخلق فإن كان ذلك مرحلياً حتى لا تكثر عوائقهم فينقطعوا عن الحق فهذا طيب، وإلا فإنه خلاف الأصل.

٦٠١ ــ (ابن عمر) قال رجل يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم الناس؟ قال : « أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ». للصغير.

وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد ١٠ /٣٠٩.

٦٠٢ ــ (الحارث بن سويد) قال : حدثني عبد الله حديثين، أحدهما عن رسول الله ﷺ والآخر عن نفسه قال : « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت

---

٥٩٨ ــ (٢/٧٠٣) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٣٠.

٥٩٩ ــ (٢/٧٠٣) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٣١.

٦٠٠ ــ (٢/٧٠٤) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٣٧.

٦٠١ ــ (٢/٧٠٥) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٤١.

٦٠٢ ــ (٢/٧٠٥) كتاب التوبة والعفو والمغفرة ــ رقم: ٩٧٤٤. ومعنى أرض دوية: صحراء لا نبات فيها.

جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه، فقال به هكذا بيده فذبه عنه »، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها، حتى إذا اشتد عليه الجوع والعطش، قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده ». للشيخين والترمذي.

انظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام « إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر... » لترى الفارق بين النفسية المؤمنة والنفسية الفاجرة فابحث عن أصحاب المقام الأول وكن معهم.

٦٠٣ ــ (أنس) رفعه : « قال الله تعالى : يا ابن آدم : إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم : لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم : إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة » للترمذي.

وقال حسن غريب كذا في الترغيب ٢ /٤٦٧.

٦٠٤ ــ (ابن عمر) شبك النبي ﷺ أصابعه وقال : « كيف أنت يا عبد الله ابن عمرو إذا بقيت في حثالة قد مرجت عهودهم وأمانتهم، واختلفوا فصاروا هكذا؟ قال : فكيف يا رسول الله؟ قال : تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتقبل على خاصتك وتدعهم وعوامهم ». للبخاري.

أقول : لعل في هذا الحديث فتوى عصرنا فعلى المسلم أن يكون في الصف الإسلامي، ولا يجوز أن يكون في غيره إلا لمصلحة إسلامية وبفتوى، ثم هو بالنسبة للصف الإسلامي كله يأخذ ما يعرف ويدع ما ينكر، ويقبل على خاصته ويدعهم وعوامهم.

---

٦٠٣ ــ (٧٠٧/٢) كتاب التوبة والعفو والمغفرة ــ رقم: ٩٧٥٦.

٦٠٤ ــ (٧٠٩/٢) كتاب الفتن أعاذنا الله منها ــ رقم: ٩٧٦٤. ومعنى حثالة: أراذل الناس.

٦٠٥ ــ (أبو سعيد) رفعه: « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن ». لمالك والبخاري وأبي داود والنسائي.

٦٠٦ ــ (معقل بن يسار) رفعه : « العبادة في الهرج كهجرة إلي ». لمسلم والترمذي.

ولعل هذا الحديث كذلك فتوى عصرنا فليكثر المرء من العبادة.

٦٠٧ ــ (المقداد) رفعه : « إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهاً. لأبي داود. سكت عنه المنذري. كذا في تخريج السنن ٦ /١٤٨.

٦٠٨ ــ (جابر) رفعه : » إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا، فيقول : ما صنعت شيئاً، ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويلتزمه، ويقول: نعم أنت ». لمسلم.

فليعرف المسلم أن أعظم انتصار يحققه الشيطان هو التفريق بينه وبين زوجته.

٦٠٩ ــ (ابن مسعود) رفعه : « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ». للشيخين. والترمذي والنسائي.

٦١٠ ــ (سويد بن غفلة) قال : قال عليّ : إذا حدثتكم عن النبي ﷺ حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما

---

٦٠٥ ــ (٢/٧٠٩) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٧٠.
٦٠٦ ــ (٢/٧١٠) كتاب الفتن أعاذنا الله منها ــ رقم: ٩٧٧٤.
٦٠٧ ــ (٢/٧١٠) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٧٥.
٦٠٨ ــ (٢/٧١٣) الموضع السابق ــ رقم: ٩٧٩٢.
٦٠٩ ــ (٢/٧١٤) الموضع السابق ــ رقم: ٩٨٠١.
٦١٠ ــ (٢/٧٢٢) بعض ما ورد من فتن مسمّاة ــ رقم: ٩٨٤١. ومعنى حدثاء الأسنان: كناية عن الشباب وأول العمر.

بيني وبينكم فإن الحرب خدعة، وإني سمعت النبي ﷺ يقول : « سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يقرأون القرآن، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً عند الله يوم القيامة ». للشيخين وأبي داود والنسائي.

هذا نموذج على ناس قولهم من قول خير البرية... لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، وإذن فما لم يواطئ القلب واللسان فالأمر خطير، وهذا الحديث في الخوارج والخارجية اعتقاد وعمل ولا بد من تصحيح الاعتقاد وتصحيح العمل للوصول إلى إيمان القلب.

٦١١ ــ (أبو هريرة) رفعه : « لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفها بالمكاره، فقال : اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال : وعزتك لخشيت أن لا يدخلها أحد، ولما خلق الله النار قال لجبريل : اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فحفها بالشهوات، فقال اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فلما رجع فقال : وعزتك لقد خشيت أن لا يسلم منها أحد إلا دخلها ». لأبي داود والترمذي والنسائي.

٦١٢ ــ (أبو هريرة) رفعه : « حُفت النار بالشهوات وحُفت الجنة بالمكاره ». للشيخين.

٦١٣ ــ (ابن مسعود) رفعه : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك ». للبخاري.

---

٦١١ ــ (٧٦٠/٢) كتاب الحنة والنار وما فيهما ــ رقم: ١٠٠٤٦.

٦١٢ ــ (٧٦٠/٢) كتاب الجنة والنار وما فيهما ــ رقم: ١٠٠٤٧.

٦١٣ ــ (٧٦٠/٢) الموضع السابق ــ رقم: ١٠٠٤٨.



خاتمة القسم الأول

لقد جمعت هذه الأحاديث وجعلتها في أوائل هذا الكتاب لتلقي أضواءً على المعاني التي ستمر معنا، فما من شيء تحدّث عنه فقهاء السير إلى الله ممن اجتمعت لهم شريعة وتحقيق إلا وله أصله الأصيل في الكتاب والسنة، وإذ كان هذا الكتاب في منازل الصديقين والربانيين فقد حرصت من خلال هذا القسم أن أريه هذه المنازل من خلال النصوص، فإذا ما أقبل على الكتاب فيما بعد زاد رسوخه في هذه المنازل على ضوء تجربة المتحققين وبيان العارفين، وسيجد القارئ في هذا الكتاب بأقسامه ما يدعوه إلى الجدّ في طلب الآخرة، فإذا حقّق هذا الكتاب ذلك المطلب فإننا نرجو أن نكون أدينا بعض الذي علينا من نصيحة لإخواننا وأخواتنا، مسلمين ومسلمات.

* * *

القسم الثاني

وهو للمتوجهين إلى الله
وفيه
مقدمة وبابان

الباب الأول : مختارات من كلام القوم تناسب حال المتوجهين.
الباب الثاني : وفيه ستة فصول من الحِكَم.



تقديم

ما من مسلم يقيم الفرائض ويجتنب المحرمات إلا وهو في الطريق إلى الله، وقد تمر على المسلم غفلة أو قصور أو تقصير ثم ينتبه، وعلى قدر انتباهه يبدأ التوجه إلى الله، وبقدر ما يكون صادقاً في توجهه إلى الله فهو إلى خير، وفي ابتداء هذا التوجه قد لا يكون هناك وضوح عند السائر إلى الله فيما ينبغي فعله، أو قد يقع في أسر جهل، أو أسر أهل بدعة، أو يغلب عليه حال يفسد عمله، وإنما يستقيم أمر المتوجه إلى الله إذا اجتمع له ثلاثة أمور:

أولاً : صدق التوجه إلى الله.
ثانياً : الشيخ الرباني العارف العالم العامل.
ثالثاً : المنهج العلمي والعملي القائم على الكتاب والسنة والمنضبط بهما.

وإنما يؤتى الإنسان من الضعف في الصدق أو الانحراف أو الخطأ أو القصور أو التقصير أو بدعة الاعتقاد أو بدعة العمل أو من عدم صدق الشيخ أو كذبه، أو من ضعف صدق التوجه أو انعدامه أو الكذب فيه.

ولذلك كان المتوجه يحتاج إلى توجيهات، وقد حاول الشيخ ابن عطاء في فصوله الستة الأولى أن يضع معالم للمتوجهين تكون باعثة على السير ومهيجة له؛ فتحدث عن المعاني والأعمال التي ينبغي أن يحترس منها المتوجه إلى الله في بداية سيره، وما هي المعاني التي تحول بين القلب وبين المعرفة الذوقية لله عز وجل؟ وما هي المعاني التي تساعد على التخلص من حجب القلوب؟ وما هي المثبِّطات عن

السير والقواطع فيه؟ وما هي البدايات الصحيحة للسير؟ وما هي البدايات الخاطئة في الانحراف؟ وجعل ذلك مقدمة للسير الكامل بالأصول، فصدق التوجه يوصلك إلى المرشد الكامل وإلى الطريق المستقيم، وهذا الذي سيتحدث عنه في فصول لاحقة.

وقد رأيت أن أتخيّر من كلام أهل السير إلى الله بعض عبارات تفيد المتوجهين، وتوضّح لهم المعالم، ومن ههنا جعلت هذا القسم في بابين : باباً خصصته لهذه المختارات، وباباً للفصول الستة الأولى من كلام ابن عطاء رحمه الله.

الباب الأول

مختارات من كلام القوم تناسب المقام



قال الشيخ أحمد الزروق في قواعد التصوف :

(حُدّ التصوف ورُسم وفسِّر بوجوه تبلغ نحو الألفين، مرجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هي وجوه فيه

والاختلاف في الحقيقة الواحدة إن كثر دلّ على بعد إدراك جملتها، ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن جملة ما قيل فيها، كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله.

واعتبار كل واحد على حسب مناله منه علماً، أو عملاً، أو حالاً، أو ذوقاً أو غير ذلك.

والاختلاف في التصوف من ذلك، فمن ثم ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله ــ بغالب أهل حليته عند تحليته كل شخص ــ قولاً من أقواله يناسب حاله قائلاً : وقيل : إن التصوف كذا.

فأشعر أن من له نصيب من صدق التوجه، له نصيب من التصوف، وأن تصوف كل أحد صدق توجهه.

وصدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه﴿ **لا يرضى لعباده الكفر** ﴾[1] فلزم تحقيق الإيمان ﴿ **وإن تشكروا يرضه لكم** ﴾[2] فلزم العمل بالإسلام.

---

(١) سورة الزمر. (٧).

(٢) سورة الزمر: (٧).

فلا تصوف إلا بفقه ؛ إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه.

ولا فقه إلا بتصوف؛ إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه.

ولا هما إلا بإيمان؛إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع، لتلازمها في الحكم، كتلازم الأرواح للأجساد.

ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها.

ومنه [قول بعض الأئمة] : « من تصوَّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسَّق، ومن جمع بينهما فقد تحقق ».

قلت : تزندق الأول لأنه قال بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام.

وتفسق الثاني، لخلو عمله من التوجه الحاجب عن معصية الله، ومن الإخلاص المشترط في العمل لله.

وتحقق الثالث، لقيامه بالحقيقة في عين التمسك بالحق، فاعرف ذلك).

وقال صاحب الرسالة القشيرية : (التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين).

قال ابن مسروق : (من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه وقال : تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى وبه يصل العبد إلى محل حقيقة التقوى، وقال : شجرة المعرفة تسقى بماء الفكر وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الإنفاق والموافقة، وقال : متى طمعت في المعرفة ولم تتب فأنت في جهل، ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة فأنت في غفلة عما تطلب.

فإذا فكَّر بقلبه في سوء ما يصنعه، وأبصر ما هو عليه من قبيح الأفعال سنح في قلبه إرادة التوبة والإقلاع عن قبيح المعاملة، فيمده الحق سبحانه بتصحيح العزيمة والأخذ في جميل الرجعى والتأهب لأسباب التوبة، فأول ذلك هجران إخوان السوء، فإنهم هم الذين يحملونه على رد هذا القصد ويشوشون عليه صحة هذا العزم، ولا

يتم ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التي تريد رغبته في التوبة، وتوفر دواعيه على إتمام ما عزم مما يقوي خوفه، ورجاءه، فعند ذلك تنحل من قلبه عقدة الإصرار على ما هو عليه من قبيح الأفعال فيقف عن تعاطي المحظورات، ويكبح لجام نفسه عن متابعة الشهوات، فيفارق الزلة في الحال، ويبرم العزيمةعلى أن لا يعود إلى مثلها في الاستقبال.

فإذا ترك المعاصي وحل عن قلبه عقدة الإصرار وعزم على أن لا يعود إلى مثله، فعند ذلك يخلص إلى قلبه صادق الندم فيتأسف على ما عمله، ويأخذ في التحسر على ما صنعه من أحواله وارتكبه من قبيح أعماله ؛ فتتم توبته وتصدق مجاهدته، واستبدل بمخالطته العزلة، وبصحبته مع أخدان السوء التوحش عنهم والخلوة ويصل ليله بنهاره في التلهف، ويعتنق في عموم أحواله بصدق التأسف، يمحو بصوب عبرته ويأسو بحسن توبته كلوم حوبته، يعرف من أمثاله بذنوبه ويستدل على صحة حاله بنحولِه ولن يتم له شيء من ذلك إلا بعد فراغه من إرضاء خصومه والخروج عما لزمه من مظالمه، فإن أول منزلة من التوبة إرضاء الخصوم بما أمكنه، فإن اتسع ذات يده لإيصال حقوقهم إليهم أو سمحت أنفسهم بإحلاله والبراءة عنه وإلا فالعزم بقلبه على أن يخرج عن حقوقهم عند الإمكان، والرجوع إلى الله بصدق الابتهال والدعاء لهم).

أقول : هناك ذنوب بين العبد وبين الله يجب عليه سترها، وهناك مظالم لأهلها لو كشفها لسالت دماء، وأدّى ذلك إلى منكرات، فهذه يكتفي في شأنها بالتوبة والندم، والصدقات والدعوات لأصحاب المظالم﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾[1].

وقال صاحب الرسالة عن أبي بكر الطمستاني :

الطريق واضح والكتاب والسنة قائم بين أظهرنا وفضل الصحابة معلوم لسبقهم إلى الهجرة ولصحبتهم، فمن صحب منا الكتاب والسنة وتغرب عن نفسه والخلق وهاجر بقلبه إلى الله فهو الصادق المصيب.

وقال النصر أباذي : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواء

---

(١) سورة هود: (١١٤).

والبدع وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

وقال ابن عطاء ــ وهو غير السكندري ــ :يقال من ألزم نفسه آداب الشريعة نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب ﷺ في أوامره وأفعاله وأخلاقه.

وقال أبو حمزة : من علم طريق الحق تعالى سهل عليه سلوكه، ولا دليل على الطريق إلى الله تعالى إلا متابعة الرسول ﷺ في أحواله وأفعاله وأقواله.

وقال أبو حفص : أحسن ما يتوسل به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال.

وقال الأزدي : سمعت الخوّاص يقول : دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبير، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وكان عبد الله بن منازل يقول : لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله تعالى بتضييع السنن، ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدع.

وقال معروف : قال لي بعض أصحاب داود الطائي : إياك أن تترك العمل فإن ذلك الذي يقربك إلى رضا مولاك فقلت : وما ذلك العمل؟ فقال : دوام طاعة ربك وخدمة المسلمين والنصيحة لهم.

وقال صاحب الرسالة : فمن أمارات استقامة أهل البداية أن لا تشوب معاملتهم فترة، ومن أمارات استقامة أهل الوسايط ألّا يصحب منازلتهم وقفة، ومن أمارات استقامة أهل النهاية أن لا تتداخل مواصلتهم حجبة.

وقيل : ثلاث خصال ليس معهم غربة : مجانبة أهل الريب، وحسن الأدب، وكف الأذى، وأنشدنا الشيخ أبو عبد الله رضي الله عنه في هذا المعنى :

يزيــن الغــريب إذا ما اغتــرب ثلاث فمنهـــن حسن الأدب
وثانيـــه حسن أخلاقـــه وثالثـــه اجتنـــاب الـــريب

وقال الشيخ زروق في قواعده :

(اعتبار المهم وتقديمه أبداً، شأن الصديقين في كل شيء.

فكل من طلب من علوم القوم رقيقها قبل علمه بجملة أحكام العبودية منها، وعدل عن جليّ الأحكام إلى غامضها، فهو مخدوع بهواه، لا سيما إن لم يحكم الظواهر الفقهية للعبادات، ويحقق الفارق بين البدعة والسنة في الأحوال أو يطالب نفسه بالتحلي قبل التخلي، أو يدعي لها ذلك.

وقال: ولا يجوز لأحد أن يقدم على أمر، حتى يعلم حكم الله فيه.

قال الشافعي : إجماعاً لقوله عليه الصلاة السلام : « العلم إمام العمل، والعمل تابعه ». فلزم كل أحد تعلم علم حاله، حسب وسعه بوجه إجمالي، يبزأ من الجهل بأصل حكمه. إذ لا يلزمه تتبع مسائله، بل عند النازلة والحالة ما يتعلق بها.

وما وراء ذلك من فروض الكفاية، الذي يحمله من قام به.

ولا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، فلا عذر، فافهم).

أقول : وعلى المتوجه أن يعرف ما إذا كان يتعيّن في حقه فرض كفاية فهو في حقه فرض عين.

وقال الشيخ زروق مبينا أن الطرق إلى الله واسعة الأبواب والأعمال :

(وفي اختلاف المسالك راحة السالك، وإعانة له على ما أراد من بلوغ الأرب والتوصل بالمراد.

فلذلك اختلفت طرق القوم، ووجوه سلوكهم.

فمن ناسك يؤثر الفضائل بكل حال.

ومن عابد يتمسك بصحيح الأعمال.

ومن زاهد يفر من الخلائق.

ومن عارف يتعلق بالحقائق.

ومن ورع يحقق المقام بالاحتياط.

ومن متمسك يتعلق بالقوم فيّ كل مناط.

ومن مريد يقوم بمعاملة البساط.

والكل في دائرة الحق، بإقامة حق الشريعة والفرار من كل ذميمة وشنيعة).

وقال أيضاً : (تمييز الخواطر، من مهمات أهل المراقبة، لنفي الصوارف عن القلوب.

فلزم الاهتمام بها، لمن له في ذلك أدنى قدم.

والخواطر أربعة : رباني بلا واسطة، ونفساني وملكي، وشيطاني، وكل إنما يجري بقدرة الله تعالى، وإرادته، وعلمه.

فالرباني : لا متزحزح ولا متزلزل، كالنفساني، ويجريان لمحبوب وغيره فما كان في التوحيد الخالص، فرباني، وفي مجاري الشهوات، فنفساني.

وما وافق أصلاً شرعياً، لا يدخله رخصة ولا هوى، فرباني، وغيره نفساني.

ويعقب الرباني برودة وانشراح، والنفساني يبس وانقباض.

والرباني كالفجر الساطع، لا يزداد إلا وضوحاً.

والنفساني كعمود قائم، إن لم ينقص بقي على حاله.

فأما الملكي والشيطاني فمترددان.

ولا يأتي الملكي إلا بخير، والشيطاني قد يأتي به، فيشكل.

ويفرق بأن الملكي، تعضده الأدلة، ويصحبه الانشراح، ويقوى بالذكر، فأثره كغبش الصبح، وله نفاذ ما.

بخلاف الشيطاني فإنه يضعف بالذكر ويعمى عن الدليل، وتعقبه حرارة، ويصحبه اشتعال وغبار، وضيق، وكزازة في الوقت، وربما تبعه كسل.

فالشيطاني، من يسار القلب، والملكي من يمينه، والنفساني من خلفه والرباني مواجه له).

وقال في الرسالة القشيرية :

(وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان : بأن النفس إذا طالبتك بشيء لحَّت فلا تزال تعاودك ولو بعد حين، حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم إنها تعاودك وتعاودك، وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة فخالفته بترك ذلك يوسوس بزلة أخرى، لأن جميع المخالفات له سواء إنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلة ما، ولا غرض له تخصيص واحد دون واحد، وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه، وربما يخالفه، فإما خاطر يكون من الحق سبحانه فلا يحصل خلاف من العبد له).

وإنما يظهر التقدم على المتوجه بوجود الإحساس القلبي قال تعالى: ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** ﴾[1] وقال صاحب القواعد:

(علامة الحياة، الإحساس بالأشياء، والميت لا يحس بشيء).

فقلب ساءته السيئة، وسرته الحسنة، حتى كان ذلك نصب عينيه، بالنظر لثوابها وعقابها، أو للعبودية بها، أو لنيل الكمال بسببها، أو غير ذلك.

ثم هو إن نهض به الحال للعمل فصحيح وإلا فمريض، تجب معالجته بخوف إن قبله، أو بفرح تأثر به، وهو مقدم بحسن الظن به تعالى أو بميراث الحياء والخشية، وهو أتم.

وعند نهوضه فلا يقف لطلب شيخ، ولا غيره، بل يعمل ويطلب وسع العلم الظاهر، حتى يهديه باطن الأمر الذي يعضده الحق الواضح من ظواهر الأمر.

إذ كل باطن ـــ على انفراده ـــ باطل، وجيده من الحقيقة عاطل.

والرسول هو الإمام عليه الصلاة والسلام.

---

(١) سورة ق: (٣٧).

وكل شيخ لم يظهر بالسنة، فلا يصح اتباعه، لعدم تحقق حاله، وإن صح في نفسه، وظهر عليه ألف ألف كرامة، من أمره فافهم).

وعلى المتوجه وهو يتعرف على الشيوخ ويحاول الاستفادة منهم أن يدخل عليهم بالأدب والافتقار، والرغبة في الاستفادة دون الرغبة في الاعتراض والانتقاد، **ولكنه يحاكم ما يراه ويسمعه للعلم الشرعي، فهو القاضي على الجميع، وما دام للإباحة محل أو للاحتمال مكان فالأصل حسن الظن.**

قال ممشاد: (ما دخلت على أحد من شيوخي إلا وأنا خال من جميع حالي أنتظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته وكلامه، فإن من دخل على شيخ بحظه انقطع عن بركات رؤيته ومجالسته وكلامه).

وأخطر ما يواجه المتوجه ما ذكره صاحب الرسالة القشيرية بأسانيده.

(قال عبد الله الرازي : وقد سئل ما بال الناس يعرفون عيوبهم ولا يرجعون إلى الصواب؟ فقال : لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم ولم يشتغلوا باستعماله واشتغلوا بالظواهر ولم يشتغلوا بآداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم وقيد جوارحهم عن العبادات).

وفي الرسالة: طول الاستماع إلى الباطل يطفىء حلاوة الطاعة من القلب.

قال أبو علي الروذباري: دخلت الآفة على الخلق من ثلاثة: سقم الطبيعة، وملازمة العادة، وفساد الصحبة. فسألته ما سقم الطبيعة؟ فقال : أكل الحرام فقلت : ما ملازمة العادة؟ فقال : النظر والاستماع بالحرام والغيبة، قلت : فما فساد الصحبة؟ قال : كلما هاجت في النفس الشهوة تبعتها.

وقال القشيري :

ومن غوامض آفات النفس ركونها إلى استحلاء المدح؛ فإن من تحسى منه جرعة حمل السموات والأرضين على شفر من أشفاره، وأمارة ذلك أنه إذا انقطع عنه ذلك الشرب آل حاله إلى الكسل والفشل.

وفي الرسالة : من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال ذو النون: لم أر شيئاً أبعث على الإخلاص من الخلوة.

فالتقوى جماع الخيرات وحقيقة الاتقاء : التحرز بطاعة الله عن عقوبته، يقال : اتقى فلان بترسه. وأصل التقوى اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات ثم تدع بعده الفضلات كذلك.

قال الأستاذ الإمام رضي الله عنه: أما الورع فإنه ترك الشبهات كذلك قال إبراهيم بن أدهم : الورع ترك كل شبهة وترك ما لا يعنيك هو ترك الفضلات.

الفضلات : أي ما لا تدعو إليه حاجة دينية ويقال له الزهد.

الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلهما في طلب الرياسة.

وروى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب، ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله، وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدياً ولا يحتقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان هين المؤنه لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساماً غير ضحك محزوناً من غير عبوسة، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير إسراف رقيق القلب رحيماً بكل مسلم، لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده إلى طمع.

وكان الجنيد يقول: سمعت السري يقول: مارست كل شيء من أمر الزهد فنلت منه ما أريد إلا الزهد في الناس فإني لم أبلغه ولم أطقه.

قال الأستاذ رحمه الله : الصمت سلامة وهو الأصل وعليه ندامة إذ ورد عنه الزجر، فالواجب أن يعتبر فيه الشرع والأمر والنهي والسكوت في وقته صفة الرجل كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال.

وقال القشيري بسنده إلى الأستاذ أبي عليّ الدقاق يقول : الخوف على مراتب : الخوف الخشية والهيبة، فالخوف من شرط الإيمان وقضيته قال الله تعالى :

﴿ **وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾[1] والخشية من شرط العلم قال تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[2] والهيبة من شرط المعرفة قال الله تعالى : ﴿ **ويحذركم الله نفسه** ﴾[3].

وقال ابن خبيق : الرجال ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها، ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة، والثالث الرجل الكاذب يتمادى في الذنوب ويقول : أرجو المغفرة، ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون خوفه غالباً على رجائه، وقيل والرجاء ثقة الجود من الكريم الودود، وقيل : الرجاء رؤية الجلال بعين الجمال، وقيل : هو قرب القلب من ملاطفة الرب، وقيل : سرور الفؤاد بحسن المعاد، وقيل : هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول : سمعت منصور بن عبد الله يقول : سمعت أبا علي الروذباري يقول : الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، واذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت.

وقال القشيري : واعلم أن الذي يتصف به العبد أفعال وأخلاق فالأفعال تصرفاته باختياره، والأخلاق جبلة فيه ولكن تتغير بمعالجته على مستمر العادة، والأحوال ترد على العبد على وجه الابتداء لكن صفاؤها بعد زكاء الأعمال فهي كالأخلاق من هذا الوجه لأن العبد إذا نازل الأخلاق بقلبه فينفي بجهده سفسافها مَنَّ الله عليه بتحسين أخلاقه، فكذلك إذا واظب على تزكية أعماله ببذل وسعه منّ الله عليه بتصفية أحواله بل بترقية أحواله، فمن ترك مذموم أفعاله بلسان الشريعة يقال إنه فني عن شهواته فإذا فني عن شهواته بقي بنيته وإخلاصه في عبوديته، ومن زهد دنياه بقلبه يقال فني عن رغبته فإذا فني عن رغبته فيها بقي بصدق إنابته، ومن عالج أخلاقه فنفى عن قلبه الحسد والحقد والبخل والشح والغضب والكبر وأمثال هذا من رعونات النقص يقال فني عن سوء الخلق، فإذا فني عن سوء الخلق بقي بالفتوة والصدق، ومن شاهد جريان القدرة في تصاريف الأحكام يقال : فني عن حسبان

---

(١) سورة آل عمران: (١٧٥).

(٢) سورة فاطر: (٢٨).

(٣) سورة آل عمران: (٢٨).

الحدثان من الخلق، فإذا فني عن توهم الآثار من الأغيار بقي بصفات الحق، ومن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً يقال إنه فني عن الخلق وبقي بالحق، ففناء العبد عن أفعاله الذميمة وأحواله الخسيسة بعدم هذه الأفعال، وفناؤه عن نفسه وعن الخلق بزوال إحساسه بنفسه وبهم، فإذا فني عن الأفعال والأخلاق والأحوال فلا يجوز أن يكون ما فني عنه من ذلك موجوداً.

وإذا قيل فني عن نفسه وعن الخلق فنفسه موجودة والخلق موجودون ولكنه لا علم له بهم ولا به ولا إحساس ولا خبر فتكون نفسه موجودة والخلق موجودين ولكنه عن نفسه وعن الخلق أجمعين غير محس بنفسه وبالخلق، وقد ترى الرجل يدخل على ذي سلطان أو محتشم فيذهل عن نفسه وعن أهل مجلسه هيبة و يذهل عن ذلك كالمحتشم حتى إذا سئل بعد خروجه من عنده عن أهل مجلسه وهيآت ذلك الصدر لم يمكنه الإخبار عن شيء، قال الله تعالى: ﴿ **فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن** ﴾لم يجدن عند لقاء يوسف عليه السلام على الوهلة ألم قطع الأيدي وهن أضعف الناس وقلن ﴿ **ما هذا بشراً** ﴾ولقد كان بشراً وقلنا ﴿ **إن هذا إلا ملك كريم** ﴾[1] ولم يكن ملكاً فهذا تغافل مخلوق عن أحواله عند لقاء مخلوق، فما ظنك بمن تكاشف بشهود الحق سبحانه فلو تغافل عن إحساسه بنفسه وأبناء جنسه فأي أعجوبة فيه.

قال الأستاذ : والدعاء مفتاح الحاجة، وهو مستروح أصحاب الفاقات وملجأ المضطرين ومتنفس ذوي المآرب، وقد ذم الله تعالى قوماً تركوا الدعاء.

قال سهل بن عبد الله : أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال، ودعاء الحال أن يكون صاحبه مضطراً لا بد له مما يدعو لأجله.

واختلف الناس في أن الأفضل الدعاء أم السكوت والرضا : الدعاء في نفسه عبادة قال النبي ﷺ : « الدعاء مخ العبادة » فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركه، ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى فإن لم يستجب للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه

---

(١) سورة يوسف: (٣١).

فلقد قام بحق ربه لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية، ولقد قال أبو حازم الأعرج : لأن أحرم الدعاء أشد علي من أن أحرم الإجابة، وطائفة قالوا : السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم، والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى ولهذا قال الواسطي: اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال ﷺ خبراً عن الله تعالى: « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً والأولى أن يقال : إن الأوقات مختلفة ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك في الوقت لأن علم الوقت إنما يحصل في الوقت، فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء له أولى، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت له أتم، ويصح أن يقال : ينبغي للعبد أن لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى في حال دعائه، ثم يجب عليه أن يراعي حاله فإن وجد من الدعاء زيادة بسط في وقته فالدعاء له أولى، وإن عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالأولى ترك الدعاء في هذا الوقت، وإن لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان، فإن كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة، وإن كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة والحال والسكوت فالسكوت أولى، ويصح أن يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب أن للحق سبحانه فيه حق فالدعاء أولى وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم.

* * *

الباب الثاني
وفيه
شرح الفصول الستة الأولى من الحكم
في
المقدمات والمهيِّجات والبواعث
على السير إلى الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الشيخ) الإمام المحقق أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري.

الفصل الأول
في بدايات السير إلى الله

(من علامة الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزلل * إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية * سوابقُ الهممِ لا تخرق أسوار الأقدار * أرح نفسك من التدبير، فما قام به غيرُك عنك لا تقم به لنفسك * اجتهادُك فيما ضُمِنَ لك وتقصيرُك فيمَا طُلِبَ منك، دليل على انطماس البصيرة منك * لا يكن تأخُّر أمدِ الإعطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك. فهو ضَمنَ لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك. وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد * لا يُشككنّك في الوعد عدمُ وقوع الموعود وإن تعين زمنه، لئلا يكونَ ذلك قدحاً في بصيرتك وإحماداً لنور سريرتك * إذا فُتِح لك وجهةٌ من التعرف فلا تبال معها إن قلَّ عملُكَ، فإنه ما فَتحَها لك إلا وهو يريدُ أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو موردُهُ عليك * والأعمال أنتَ مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك، تنوّعت أجناس الأعمال، لتنوّعْ واردات الأحوال * الأعمال صور قائمة، وأرواحُها سر الإخلاص فيها).

مقدمة

يبدأ السير إلى الله عز وجل بصدق التوجه، ثم بالعمل الصالح، فأعمال الإسلام هي مقدمة وصول أنوار الإيمان إلى القلب، قال تعالى : ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[1] أي هو لم يدخل ولكنه على وشك الدخول بسبب أعمال الإسلام، هذا ما يقتضيه استعمال ﴿ **لما** ﴾ في هذا السياق.

والسالك إلى لله عز وجل إذا صدقت نيته وبدأ العمل يحتاج إلى وصايا ليتجنب أخطار البدايات، ومن أخطار البدايات المحتملة أن يعتمد على عمله أو ييأس إذا زلّ، وأن يتطلع إلى ترك الأعمال الدنيوية، وأن يتطلع إلى تحقيق معان خيالية أو غير مطلوبة منه ولا مفروضة عليه فيجهد ويدبر، وأن يتطلع إلى الوصول السريع فإذا فاته ذلك يئس وترك الدعاء، وقد يكشف له عن شيء يتوهم أنه سيعطاه في وقت محدد، أو يرى رؤيا في ذلك ثم لا تقع فيحدث عنده إحباط وشكوك في أصل ما هو فيه، وقد يقل عمله وتكثر معرفته فلا يعرف فضل الله عليه في هذا المقام، وقد يقتصر على عمل ويترك أعمالاً أخرى هي مطلوبة منه، وقد يطرأ على عمله الرياء فيفتقد الإخلاص، كل ذلك يعتبر منعطفات خطيرة في السير إلى الله.

ويحاول الشيخ علاجها في الفصل الأول قال رحمه الله :

---

(١) سورة الحجرات: (١٤).

الشرح

(علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل)

المسلم مكلف بالعمل المطلوب لنيل رضوان الله، ومكلف في الوقت نفسه ألا يعتمد على عمله هذا للوصول إلى رضوان الله لأنه مهما عمل فهو لا يؤدي حق الله عز وجل ولا يقوم بحق شكره ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾[1] ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[2] لذلك هو مكلف بألا يعتمد على عمله وقد جاء في الحديث :

« سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة ». رواه الستة.

وفي ترك الاعتماد على العمل حكم كثيرة مرتبطة بالفهم عن الله ومرتبطة بتزكية النفس، فالاعتماد على العمل يولد غروراً وعجباً ودالة على الله وسوء أدب معه واستشعاراً أن لصاحبه حقوقاً عند الله عز وجل، وكل ذلك خطير، وإذا كان الاعتماد على العمل محل الخطأ والخطر ويتنافى مع مقامات الصديقين فقد بدأ ابن عطاء بمعالجة هذا الأمر بأن أعطانا علامة نتعرف بها على ما إذا كنا نعتمد على أعمالنا الصالحة فننسى التكليف الثاني في هذا الشأن.

---

(١) سورة عبس: (٢٣).

(٢) سورة ابراهيم: (٣٤).

ما هي العلامة التي تدل على أنك تعتمد على عملك أو أنك تعتمد على الله عز وجل؟ طبعاً لا يقول الشيخ : اتركوا العمل بل هو يحضنا على العمل، لكن أراد أن يلفت نظرنا إلى قضية بعينها من خلالها نعرف أننا نعتمد على الله، أو نعتمد على أعمالنا وذلك أن المسلم في كلّ أحواله يجب أن تبقى ثقته بالله تعالى كاملة وأن تبقى وتيرة هذه الثقة متصاعدة متنامية.

عندما تجد نفسك قد زللت أو أخطات فقلّت ثقتك بالله نتيجة لذلك، وقلّ اعتمادك عليه فهذا دليل على أنك في الأصل كنت معتمداً على أعمالك لا على الله عز وجل لذلك قال : (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل)، فإذا كانت ثقتك بالله كاملة وإذا كان رجاؤك بالله كاملاً فكل ما يحدث لا يؤثّر على أصل الرجاء وعلى أصل الثقة وعلى أصل التوكل على الله عز وحل، تقع في الزلل تتوب إلى الله عز وجل والثقة على كمالها، والدنيا تتغير عليك تبقى الثقة بالله والتوكل عليه على وتيرة متنامية، فإذا حدث نتيجة لانتقاض الأمور الدنيوية أو لضعف الأسباب أو إذا وقعت في الزلل أو في المعصية، إذا حدث أن وقعت في مثل هذا فخفّ رجاؤك وقل اعتمادك على الله وقلّ توكلك عليه، فأنت في الأصل عندك غلط هو أنك كنت معتمداً على عملك لا على الله، فعليك أن تراجع نفسك وتؤكد الاعتماد على الله في شأنك كله، مع القيام بحق الشريعة في التوبة أو المحاسبة أو الأخذ بالأسباب.

(إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية)

الإنسان الذي يضع قدمه في الطريق إلى الله عز وجل تصبح عنده رغبة في أن يترك الأسباب أي يترك العمل الدنيوي، تجد هذا المنحى عند أصناف من الناس، تجده عند عابد وزاهد وداعية إلى الله عز وجل وعالم، هؤلاء كلهم متى وضعوا أقدامهم في الطريق إلى الله عز وجل يصبح عندهم نوع من التطلع إلى أن يتركوا الأعمال الدنيوية ليتفرغوا لأمثال هذه القضايا الأخروية.

والشيخ رحمه الله يلفت نظرنا إلى أن هذه الرغبة قد تكون أثراً عن شهوة نفس وليست أثراً عن رغبة أخروية خالصة، فالشيخ يحذرنا ونحن نضع أقدامنا في الطريق إلى الله سواء كنا عباداً أو زهاداً أو دعاة أو علماء أو مريدي ولاية وإرشاد أن نفكر هل هذا المطلب أثر عن حظ نفسي كأن أريد أن أستريح بحجة الدعوة إلى الله عز

وجل، أو بحجة العلم والتعليم، أو بحجة العبادة بينما الدافع الحقيقي للتطلع إلى التفرغ هو حظ النفس، لذلك قال :

(أرادتك التجريد مع أقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية).

المراد بالتجريد هنا انقطاع الإنسان عن أعماله الدنيوية، فالشيخ يرى أنه عندما يقيمك الله في الأسباب وتتطلع إلى التجريد فهذا أثر عن شهوة خفية عندك، بل ينبغي أن تبقى في الأسباب حتى يخرجك الله عز وجل منها، تبحث ها هنا وها هنا عن العمل الدنيوي فلا تجده أو لا تجد أسبابه أو يخرجك أصحابه أو يأتي دون إرادة فعندئذ تجد نفسك متفرغاً بالضرورة، هذا النوع من التجريد لا حظ للنفس فيه لأن الله عز وجل أقامك فيه.

فالشيخ يلفت نظرنا إلى أدب في العمل، أن الله عز وجل إذ أقامك في الأسباب تبقى في الأسباب، وما تستطيع أن تفعله في العلم والدعوة والعبادة فافعله، لكن لا تحاول أن تترك الأسباب، أما إذا كانت المسألة خارجة عن إرادتك فليكن ذلك، فأحياناً قد يحبس الله عز وجل الأسباب عنك ،فتجدها مقطوعة، فههنا التجريد، أو يأتي التجريد من جهة لا تملك مخالفتها، كأن تأمرك بقطع الأسباب للتفرغ لما هو فريضة عينية أو كفائية، فمثل هذا الإنسان الذي أقامه الله في التجريد من دون قصد منه ولا طلب منه أغلق عليه باب الأسباب الدنيوية، وفتح له طرق الأسباب الأخروية المتمثلة في العلم والعبادة والدعوة والخدمة العامة وهي أرقى أنواع الأعمال الأخروية فهذا هو التجرد الخالص الطيب الذي لا غبار عليه.

فإذا أقام الله إنساناً هذا المقام وفكر في الأسباب الدنيوية فما محل تفكيره من الصحة؟

عندما انتقل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مهاجراً وبدأت عملية الجهاد المستمر وقام الصحابة بهذا الأمر فتعطلت مصالحهم وتعطلت بساتينهم وخطر ببالهم في يوم ما أن يفكروا في مصالحهم أنزل الله عز وجل : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾[1].

(١) سورة البقرة: (١٩٥)

فما هي التهلكة التي نهاهم الله عز وجل أن يلقوا أنفسهم بها؟ التهلكة : هي أن يتركوا ما أقامهم الله عز وجل فيه من مقام الجهاد والعمل الأخروي والدعوة والعلم والتعليم والخدمة العامة وأمثال هذه القضايا.

فالمقام الأرقى إذا أقامك الله بالتجريد أن تبقى بالتجريد، ولا تفكر بالأسباب وهذا الكلام لطبقة من الناس وليس لكل الناس بل هو لطبقة الصديقين فالعامة لا تخاطب بمثل هذا النوع من الخطاب، لأنه يختلط عندهم ما هو دنيوي وما هو أخروي ولو طالبنا كل الناس مطلبا واحداً لخربت الحياة الدنيا، لذلك قال الشيخ:

(وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية)

فعندما تقام مقام التجريد وتنفتح لك أسباب الدعوة والعلم والخدمة العامة فتفكر أن تترك التجريد وترجع إلى أمور الحياة الدنيا فذلك انتكاس وهبوط ونزول.

فانحطاط عن الرتبة العليا أن يكون الإنسان في التجريد ثم يحاول أن ينزل إلى عالم الأسباب لغرض دنيوي.

إن الدعوة إلى الله تحتاج إلى تفرغ، وإن إرشاد الخلق إلى الله يحتاج إلى تفرغ، وإن التعليم يحتاج إلى تفرغ، وإن إتقان هذه الأمور يحتاج إلى تفرغ، وإن ارتقاء الإنسان الروحي للقيام بمثل هذه الكمالات يحتاج إلى تفرغ.

فإذا أقامك الله عز وجل مقام المتفرغ في مثل هذه الشؤون فاعكف على القيام بحقوقها ولا تفكر في الدنيا، ولكن إذا أقامك الله بالأسباب فلا تتركها بمجرد الرغبة في التفرغ فقد تفوتك بذلك الدنيا والآخرة. الدنيا لتركك العمل والآخرة لعدم سلامة النية.

فالصديقون أدبهم مع الله إذا أرادوا شيئاً أن يرفعوا أمرهم إلى الله بلسان الحال ولسان الافتقار ويتركوا لله عز وجل أن يخرجهم من وضع إلى وضع آخر، من وضع لا يرتاحون فيه أو إليه إلى وضع يرتاحون فيه أو إليه، ولا يتطلعون إلا إلى ما يجتهدون أنه هو الأكمل وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾[1].

(١) سورة البقرة: (١٤٤).

قال ابن عباد عند شرحه لقضية التجريد والأخذ بالأسباب :

وعلامة إقامته إياه في الأسباب أن يدوم له ذلك وأن تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بأن يجد عند تشاغله بالأسباب سلامة في دينه وقطعاً لمطعمه عن غيره وحسن نيته في صلة الرحم أو إعانة فقير معدم إلى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين.

وعلامة إقامته إياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك : طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق وملاطفتهم.

وافهم رحمك الله أن من شأن العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيحقره عندك بتطلب غير ما أقامك الله فيه، فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك، وذلك أنه يأتي للمتسببين فيقول لهم: لو تركتم الأسباب وتجردتم لأشرقت لكم الأنوار، ولصفت منكم القلوب والأسرار قائلاً: وكذلك صنع فلان وفلان، ويكون هذا العبد ليس مقصوداً بالتجريد ولا طاقة له به إنما صلاحه في الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ويذهب إيقانه ويتوجه إلى الطلب من الخلق وإلى الاهتمام بأمر الرزق فيرمى في بحر القطيعة، وذلك قصد العدو منه لأنه إنما يأتيك في صورة ناصح كما أتى أبويك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى : ﴿ **وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين** ﴾[1] كماتقدم بيانه وكذلك يأتي المتجردين ويقول لهم : إلى متى تتركون الأسباب ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما في أيدي الناس، ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الإسعاف والإيثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظراً لما يفتح به عليك من الخلق، فلو دخلت في الإسباب بقي غيرك منتظراً ما يفتح به عليك منك إلى غير ذلك، ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه

---

(١) سورة الأعراف: (٢٠).

ظلمتها، ويعود الدائم في سببه أحسن حالا منه، لأن ذلك ما سلك طريقاً ثم رجع عنها ولا قصد مقصداً ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم** ﴾[1]، وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم إلى مختارهم لأنفسهم وما أدخلك الله فيه تولى إعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك إليه ﴿ **وقل رب أدخلني مُدخَل صدق وأخرجني مُخرَج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾[2] فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضاً كذلك فافهم، والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجك كما يتولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب.

وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء مباح حتى يكون الحق سبحانه وتعالى هو الذي يتولى إخراجهم.

(سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار)

بعض الناس لهم همم عالية كبيرة وبعض هؤلاء يتخيلون أن باستطاعتهم أن يغيروا نظام العالم بطرفة عين، هذا النوع من التفكير، التفكير الذي يحاول التغيير دون تقدير دقيق للأسباب والممكنات، الذي لا يعرف ما يحتاجه التغيير من زمان ومن أعمال ومن أسباب، تفكير خاطئ من الناحية الإيمانية ومن الناحية العملية، وفي الغالب أمثال هؤلاء لا يخرج معهم شيء.

لقد قضى الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً لم يستجب له فيها إلا أفراد، ويقال إنّه بإسلام عمر رضي الله عنه تم عدد الصحابة أربعين وكان ذلك على القول الراجح في السنة الخامسة، فخلال خمس سنوات من العمل المتواصل للرسول عليه الصلاة والسلام استجاب للدعوة أربعون.

(١) سورة آل عمران: (١٠١).

(٢) سورة الإسراء: (٨٠)

وكان مجموع الذين هاجروا إلى الحبشة حوالي المائة ما بين رجل وامرأة، ولقد خرج إلى الحبشة كل إنسان ليس له حماية، وإذا كان أبو بكر بالذات فكر أن يهاجر فهذا يعني أن أكثر المسلمين لم تكن لهم حماية.

ونلاحظ أن مجموع الجيش يوم بدر كان ثلاثمائة ونيّفاً، وكان أكثرهم من الأنصار فمعنى ذلك أن نسبة المهاجرين كانت قليلة.

فالأهداف الكبرى تحتاج إلى زمن وإلى عمل متواصل، ومع تقدير الزمن اللازم للهدف والأسباب اللازمة يجب أن يبقى الإنسان مستيقناً أن هناك قدراً أعلى.

الإيمان يقتضي منك تسليماً للقدر، والعقل يقتضي منك تسليماً للواقع الذي أنت فيه، مع محاولتك التطوير بالقدر الممكن والمتاح، التفكير الذي لا يلحظ ذلك إن وجد عند القادة فهو خطير، وإن وجد عند الأتباع فهو خطير لأن أمثال هؤلاء لا يعجبهم شيء ومهما كان هناك من إنتاج فهم يعتبرونه قليلاً، وفي كثير من الأحيان يصاب أمثال هؤلاء باليأس ولا يستطيعون الاستمرار والمتابعة، وأحياناً ـ والعياذ بالله ـ يفقدون إيمانهم نتيجة لمثل هذا النوع من التفكير الخاطئ.

الذين يعملون في العمل العام يجب أن يضعوا في ذهنهم التسليم للقدر، التسليم لله أولاً وأخيراً، وأن يضعوا في ذهنهم أنهم لا يستطيعون أن يتجاوزوا عالم الأسباب ولا يستطيعون أن يخترقوه.

هذه العقلية هي العقلية الإيمانية الواقعية.

والشيخ هنا يقول : سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، فمهما كانت همتك عالية فهناك قدر لا تستطيع الهمة أن تخرقه، فلا بد من التسليم لله عز وجل وأن تعرف أن هناك قدراً هو الذي يحكم، وأن هناك أسباباً هذه الأسباب هي التي تحكم، وأن هناك مسرى للأقدار ومجرى لا يستطيع أحد تغييره، وعليك أن تعمل قياماً بالتكاليف ومراعيا الأهداف وعلى قدر الطاقة، وهذا يجعلنا نطالب بعضنا ضمن حدود، فمهما كانت فينا من قيادات علية ورفيعة فهناك قدر لا يستطيع أحد أن يخرج عنه.

والشيخ في هذه الحكمة لا يقول : لا تتحرك هممكم نحو المعالي فليس هذا

مراداً ولكن يقول : سلّموا لله بعد أن تبذلوا كل جهودكم في تحقيق المطلوب الشرعي مع التسليم لله عز وجل إذا لم يتحقق المطلوب.

قال ابن عجيبة في شرحه لقول المؤلف (سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) :

السوابق جمع سابقة وهي المتقدمة، والهمم جمع همة والهمة: قوة انبعاث القلب في طلب الشيء والاهتمام به.

فهمّة العارف تتوجه للشيء فإن وجدت القضاء سبق به كان ذلك بإذن الله، وإن وجدت سور القدر مضروبا عليه لا تخرقه بل تتأدب معه وترجع لوصفها وهي العبودية، فلا تتأسف ولا تحزن بل ربما تفرح لرجوعها لمحلها وتحققها بوصفها وقد كان شيخ شيوخنا سيدي عليّ رضي الله عنه يقول : نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وذلك لتحققه بمعرفة الله (قيل) لبعضهم بماذا عرفت ربك؟ قال : بنقض العزائم.

(أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به بنفسك)

(اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك)

هذه الحكمة يفهمها كثير من الناس فهما خاطئا، ونتيجة للفهم الخاطئ وجد نوع من التصورات الخاطئة أثرت تأثيراً سيئاً على الحياة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، وكان لذلك انعكاساته الخطيرة على إقامة حق الله عز وجل، وعلى المدنية الإسلامية، وعلى-الحضارة الإسلامية بشكل عام، بعض الناس فهموا من هذه الحكمة : أن عليك أيها المسلم أن لا تدبر، وبالتالي فقد أصبح عند بعض المسلمين الكمال أن لا تدبر والنقص أن تدبر بمعنى أن الكمال : أن تترك الأمور كلها للعفوية، وهذ في الأصل يتنافى مع التكليف الإلهي، والحكمة كما هو ظاهر من السياق لا تريد ذلك، فالأصل أن المسلم مطالب بإحكام التدبير فيما كلف به، لذلك ورد : « إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه » رواه أبو يعلى والعسكري، فالأصل هو إتقان العمل، وعندما تدرس حياة الرسول ﷺ تلاحظ أن

حياته سلسلة من إحكام التدبير في الجانب العلمي والتربوي والسياسي والعسكري، إنك لا تجد في حياة الرسول ﷺ شيئاً لا يرافقه إحكام التدبير، وكذلك في حياة أصحاب الرسول ﷺ فهم كانوا يحكمون التدبير في كل قضية هم مكلفون بها، فالأصل إذاً هو إحكام التدبير في كل قضية نحن مكلفون بها، وإحكام التدبير يستتبع التنظيم في حياة المسلم وأي إهمال لقضية التنظيم يعني أنه هناك إحكام في التدبير، وعندئذ فلا إنجاز في أمر الدنيا أو في الآخرة، إن الإنسان في حياته الشخصية أو العائلية أو الاجتماعية أو الدعوية إذا لم ينتبه إلى إحكام التدبير التي من جملتها إحكام التنظيم لا يستطيع أن ينجز شيئاً، ويفرط كثيراً.

هل نقدّر بأن العالم يستطيع أن يتقدم هذا التقدم الكبير مدنيا، إنه لولا إحكام التدبير من ناحية ولولا التنظيم من ناحية ثانية ما كان بالإمكان أن يكون شيء من ذلك.

إن الذي يعرف الإسلام لا يمكن أن يخطر بباله أن ترك التدبير هو الأساس في الإسلام أو أنه الكمال، ولا يمكن أن يخطر بباله أن ترك التنظيم هو الأساس في الإسلام.

إذاً ما المقصود بالعبارة؟

إن الشيخ يريد أن ينقلنا إلى مقامات الصدّيقية في العمل، ومقام الصدّيقية ليس هو ترك التدبير وإنما هو انصباب التفكير على نوع من التدبير وترك نوع من التدبير.

الصدّيق يتصرف في كل الأمور على أنها جزء من تكليف إلهي، وبالتالي فحياته إنما يحقق فيها تكليف إلهي، فأنت بدلاً من أن تدبر ويكون المراد من التدبير حظ نفسك دبر وأنت تفعل ذلك قياماً بالتكليف.

إنسان نزل إلى السوق لتدبير شؤونه الدنيوية وهو غافل عن الله عز وجل في ذلك، فهذا يدبر لحظ دنيوي مباح، لكنّ الصديق يعمل في السوق وهو يلحظ التكليف الإلهي، فالله كلفه أن يعيل نفسه، وأن يعيل عياله، وكثير من الأعمال التي يعملها المسلمون إنما هي في الحقيقة تحقيق لفروض الكفايات، فالطبيب مثلاً يؤدي فرض كفاية، هناك فارق بين طبيب ينزل إلى عيادته وليس له إلا هم واحد هو أن يكسب مالاً يضيفه إلى ماله، وبين الطبيب الذي يعتبر نفسه في طبه قائماً بتكليف

إلهي هو فرض كفاية، والصدّيقون يزيدون على ذلك أنهم يحبون أن يكون لهم في أي تصرف من تصرفاتهم مجموعة نيات بدلاً من أن تكون لهم فيه نيه واحدة.

فالناس أنواع، إنسان بلا نية، وإنسان يعمل بنية دنيوية، وإنسان يعمل بنية أخروية لكنها واحدة، وإنسان يعمل العمل الواحد وفيه نيات متعددة.

مقام الصديقية مقام يجعل صاحبه يعمل العمل الواحد وهو ينوي فيه عدة نيات صالحة، يذكر ابن الحاج رحمه الله في المدخل حادثة : أن أحد الشيوخ كان جالساً ومعه أحد تلاميذه فقرع الباب فأراد التلميذ أن يقوم ويفتح الباب فمنعه الشيخ وقام بنفسه، ثم بيَّن له لماذا منعه قال : عندما قمت لتفتح الباب كم نية نويت؟ فذكر شيئاً قليلاً فقال الشيخ : أما أنا فقد نويت كذا وكذا نية.

هناك فارق بين أن يفتح الإنسان الباب بحكم العادة وبيں أن يفتحه وهو ناوٍ أنه إذا جاءه ملهوف أن يسد لهفته، وإذا جاءه محتاج أن يعطيه حاجته، وإذا جاءه جائع أن يطعمه، فهو ينوي عدداً من النيات وهو مأجور على عدد هذه النيات التي نواها، فالقصد أن الصديقين يرغبون أن لا يكون عمل من أعمالهم إلا وهو تحقيق لتكليف من ناحية، ويرغبون أن يكون لهم في العمل الواحد نيات صالحة متعددة.

في مثل هذه القضايا يجب أن يكون التدبير، فتدبير الصديقين ينحصر في أن تكون أعمالهم كلها تكليفاً، وأن يكون لهم في العمل الواحد نيات متعددة.

فالشيخ رحمه الله كأنه أراد من هذه الحكمة مثل هذا المعنى، هناك نوع من الناس لا يدبرون إلا لدنياهم، يدبرون لصحتهم، يدبرون لطعامهم، يدبرون لشرابهم، يدبرون لرزقهم، هذا النوع من التدبير تدبير مباح، والشيخ لا يمنعنا من التدبير لأن التدبير تقوم به الحياة البشرية، وإذا ترك الناس التدبير، تفنى الحياة البشرية، فليس من المعقول أن يريد الشيخ أن لا ندبر حتى لإقامة الحياة الدنيا، ولكن أنت أيها الإنسان مكفول لك الرزق ومكفول لك الحياة.

فإذاً لا تجعل تدبيرك في هذه القضايا المكفولة لك، اجعل تدبيرك فيما طلب منك، إنك عندما تقرأ الحكمة اللاحقة ترى أن هذا هو مقصود الشيخ : (أرح نفسك من التدبير. فما قام بـه غيرك عنك لا تقم به لنفسك. اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك)، ضمن لك الرزق،

فاجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك، إذاً من علامات انطماس البصيرة أن يشتغل الإنسان في الأشياء التي ضمنها الله عز وجل له ويقصر في الأشياء المطلوبة، فالشيخ يحصر المسألة في زاوية معنية وهي أن تعمل فيما طلب منك، وأن تجعل كل تدبيرك منبثقاً عن هذا المعنى، بمعنى : أن لا تجعل عملاً من أعمالك إلا في شيء هو مطلوب منك هو الشيء الذي يسع الدنيا والآخرة، لكن هناك فارق بين أن تدبر من خلال قيامك بتكليف رباني وبين أن تدبر لتحصّل حظاً دنيوياً لنفسك.

إحكام التدبير هو الأساس في الحياة الإنسانية، وهو الأساس في الحياة الإسلامية والنظام والتنظيم جزء من حياة المسلم.

وبدون النظام والتنظيم لا يمكن أن تقوم الحياة، وبدون إحكام التدبير لا يمكن أن يقوم شيء وهذا الرسول ﷺ بعد الهجرة، ينظم المسجد، يؤاخي بين أصحابه رضوان الله عليهم حتى يحل مشكلة الهجرة التي هي من أعقد المشاكل في العالم، يقيم عقداً بين المسلمين وبين اليهود وبين المشركين لترتيب الحياة، بحيث يتعايش الناس مع بعضهم.

وإذا أراد القتال أحكم الأمر، فعندما أراد محاربة خيبر أرسل مجموعة إلى نجد ومجموعة باتجاه غطفان بحيت تثبت في مكانها فلا تجتمع مع اليهود على رسول الله ﷺ. وهكذا شأنه كله فما من قضية إلا وللإحكام فيها حظ.

من نماذج التطور الكبير في هذا العالم الاتصال الهاتفي بحيث تستطيع أن تتصل في أي مكان وأنت جالس في مكانك، مثل هذه القضايا لو كان فيها خلل واحد بالمليارلتعطلت. هل يمكن أن يصل العالم إلى متل هذا التطور لو لم يكن هناك إحكام في التدبير؟

قال تعالى: ﴿ **أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها..** ﴾[1] فالله تعالى طلب منا أن نعمر الأرض، فهل الإعمار يكون بأن نترك التدبير ونترك التنظيم ليكون ذلك للكافرين؟!!!

---

(١) سورة هود: (٦١).

فالحياة بدون إحكام وبدون تدبير وبدون تنظيم ليست ممكنة.

والإسلام ما جاء لينقض السنن الكونية وما جاء لينقض حكم العقول لكنه جاء مؤكداً لحكم العقل وجاء من أجل أن نتعامل بإحسان مع السنن الإلهية، لذلك كان من غير الممكن أن يكون جزء من التفكير الإسلامي أن تترك التدبير وأن تترك النظام والتنظيم.

إن الشيخ يقول : إن علامة انطماس البصيرة عندك أن تجتهد في المكفول لك وتترك المطلوب منك، من هٰذه العبارة ندرك ما هو مراده من ترك التدبير أن لا ينصب تفكيرك على حظوظك الدنيوية والنفسية.

من الحظوظ النفسية أن يصبح الإنسان رئيساً أو أميراً، فعندما يكون تدبير الإنسان منصباً كيف يتزعم وكيف يقود وكيف يرأس دون أن يلحظ التكليف الرباني، وبالتالي يكيد ويدبر لهذا الكيد، هذا النوع من التدبير لا يجوز، فالشيخ يريد أمثال هذا المعنى.

* * *

إن هناك نوعاً من الخطاب لا يسع كل إنسان ولكنه يوجه الى الأمة بمجموعها ليكون فيها أفراد يتحققون به فيكونوا قدوة وحجة وداعية وارتقاء، فمثلاً أخذ الرسول ﷺ عهداً على عدد محدود من أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً وذكر في صفات السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب أنهم : « لا يكتوون ولا يرقون ولا يسترقون» متفق عليه، فعندهم تسليم لله في شأن أنفسهم وشأن غيرهم، وقال عليه الصلاة والسلام : « لو أنكم تتوكلون على اللهحق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا » رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

هذه معان لا تسع كل الناس ولا يستطيعها كل الناس مع ذلك ندبنا إليها لحكم ولمصالح، وهكذا الشأن في بعض عبارات الشيخ ابن عطاء، إنه لا يسع الناس جميعاً ألا يدبروا أمورهم الدنيوية ولكن أنت أيها السائر إلى الله أيها الصديق ليكن تدبيرك في تحقيق المطلوب الشرعي منك قياماً بواجب العبودية ولا يكن لك تدبير آخر

والنتيجة واحدة، ولكن شتان بين المقامين. لنتصور أن صديقاً أصبح بحاجة للإنفاق على نفسه وعياله فهذا واجبة الشرعي أن يدبر لتحقيق هذا المطلب فإذا دبر وهو ينوي القيام بحق الشارع فإنه في هذه الحالة يكون في الدرجة العليا من الأجر، أما إذا دبر التدبير دون نية فهو مأجور دون أجر الأول، فإذا دبر حراماً أو للحرام دون اضطرار يبيح له المحظور الذي فعله فهو مأزور.

إن الحكمة التي ذكرها الشيخ جاءت بين حكم أخرى فهي في سياقها لا تؤدي إلا المعنى الذي ذكرناه، لقد سبقت بالحكمة التي تطالبنا بألا نترك الأسباب إلا إذا إخرجنا منها، والإقامة في الأسباب الدنيوية تطلب تدبيراً وجاء بعدها الكلام عن التدبير للمطلوب وترك التدبير للمكفول كل ذلك يؤكد أن المراد بالحكمة الا تدبر لحظ دنيوي أو نفسي، وأن تدبر قياماً بحق الربوبية وأنت في مقام العبودية.

ومن كلام ابن عجيبة في شرحه لقضية التدبير الواردة في الحكم:

التدبير في اللغة : هو النظر في الأمور وأواخرها، وفي الاصطلاح : هو كما قال الشيخ زروق رضي الله عنه تقدير شؤون يكون عليها في المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض فإن كان مع تفويض وهو أخروي فنية خير، أو طبيعي فشهوة، أو دنيوي فأمنية اهـ.

وأما القسم المطلوب : فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات وما ندبت إليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر إلى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه السلام : « نية المؤمن خير من عمله »، وقال أيضاً حاكيا عن الله سبحانه : « إذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة » الحديث. وهذا مفهوم قول الشيخ (فما قام به غيرك) إذ مفهومه : أن ما لم يقم به عنك وهو الطاعة لا يضرك تدبيره ولذلك قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه : العلم كله في كلمتين (لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت).

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : وكل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء إنما هو مختار الله لك واسمع وأطع وهذا محل الفقه الرباني والعلم الإلهامي.

وأما القسم المباح : فهو التدبير في أمر دنيوي أو طبيعي مع التفويض للمشيئة والنظر لما يبرز من القدرة غير معوّل على شيءٍ من ذلك.

(فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله، والتدبير المحمود هو الذي يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله).

أقول : إن إحكام التدبير في كل شيء من المباحات أو المندوبات أو الواجبات أو الفرائض هو المطلوب من المسلم ففي الحديث « إن الله يحب من العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه » ولكن عمل الصديقين ينبغي أن يكون بنية والنيات تجعل العادات قربات فالمستنكر تدبير ما يحرم أو يضر أو التدبير لحظ نفسي أو دنيوي والأخير إذا كان مباحاً لا نية فيه لا حرج فيه ولكنه ليس أدب الصديقين.

(لا يكن تأخر أمد الإعطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك. وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد)

(لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه. لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك)

المسلم عندما يقوم بالتكليف قد لا تظهر ثمرة عاجلة للأعمال التي يقوم بها وهذا أكثر ما يظهر في العمل العام، في الدعوة إلى الله عز وجل، في الجهاد، في التغيير الإسلامي الذي يطلبه المسلم ويريده بحيث يكون هناك تطور وتحسن دائم، فطبيعة الإنسان العجلة ﴿ **وكان الإنسان عجولاً** ﴾[1] فالإنسان يريد أن يزرع اليوم ويحصد غداً، لكن الله عز وجل له سنن فبعض القضايا تزرعها اليوم وتحصدها غداً وبعضها تزرعها اليوم فلا تعطيك ثمرة إلا بعد خمسة عشر عاماً كالزيتون مثلاً، فهناك نوع من الثمر لا يمكن أن يكون إلا بعد فترة من الزمن فمهما استعجلت فلا فائدة بل لو استعجلت من أجل أن تقطف الثمر قد تميت الشجر، فهناك سنن إلهية علينا أن نلحظها لأن الله عز وجل جعل التكليف الإلهي مرتبطاً بالأسباب لا بالخوارق.

---

(١) سورة الإسراء: (١١).

هل أنت أيها الإنسان مكلف على أن هناك خوارق؟ أم أنك مكلف ضمن عالم الأسباب وقد يأتي الله بخارقة؟

أصل التكليف ضمن عالم الأسباب، قد يخرق الله لك الأسباب وقد لا يخرقها، وإذاً فعندما تعمل قياماً بالتكليف عليك أن تلحظ سنن الله عز وجل والسنن قد تقتضي أن تتأخر بعض القضايا.

كثيراً ما يحدث أن الإنسان ــ وخاصة الذين يعملون بالحقل العام في الدعوة والتربية والجهاد والسياسة ــ يستعجلون الثمرة، واستعجالهم للثمرة ليس هو الأصل في حياة المسلم فقضية الثمرات منوطة بالله عز وجل، ولله عز وجل حكم.

يحشر الرسول ومعه الرجل ويحشر الرسول ومعه الرجلان ويحشر الرسول وليس معه أحد.

ونحن إذ نشتغل في العمل العام قد نجد كثيراً من الثمرات لا تأتي بل تتأخر فكيف نتعامل مع هذا في هذه الحالة؟ هل نتعامل مع هذا باليأس والقنوط ونترك العمل مع هذا بالصبر وإحكام العمل، وننظر هل هناك تقصير قال تعالى : ﴿ **وكأين من نبي قاتل معه رِبِّيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[1] يناقشون أنفسهم ويحكمون العمل لله وبالله مع الصبر، هذا هو أدب المسلم في حياته، أن لا يستعجل الثمرة قبل أوانها (من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه) يتعاملون مع إبطاء الثمرات بإحكام العمل ومحاسبة النفس وبالصبر، وليس هناك بديل إلّا ترك العمل وذلك لا يجوز، أو اليأس وذلك لا يجوز.

فالشيخ ينبهنا ونحن نعمل أن لا نيأس، وأن لا نترك العمل، وأن نستمر في العمل في كل الظروف مهما أبطأت النتائج. يقول : (لا يكن تأخر أمد الإعطاء مع الإلحاح في الدعاء.. لئلا يكون ذلك قدحاً في بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك).

---

(١) سورة آل عمران: (١٤٦ ــ ١٤٧).

فالله عز وجل وعد المؤمنين بالنصر ﴿ **وكان حقاً علينا نصر المؤمنين** ﴾[1] فإذا عملنا ولم يأت النصر، فعلينا أن لا نشك في وعد الله بل نبقى مستمرين في العمل، وأحياناً يحدث أننا نظن أننا موعودون بشيء ضمن زمن معين ولكن كيف يكون مثل هذا الوعد؟

في حق الأنبياء إما أن يكون بوحي جازم قاطع فهذا لا يتخلف لكن قد يفهم فاهم أن هناك وعداً محدداً عن الله ولا يكون تحديد فيكون هناك خطأ في الفهم مثل يوم الحديبية رأى الرسول ﷺ رؤيا بأن الصحابة قد إعتمروا، وبعض الصحابة فهموا بأن العمرة ستكون في ذلك العام لكن حدث في عام الحديبية الصلح ولم تحدث العمرة، وكانت العمرة في عام لاحق وعندئذ تساءل عمر رضي الله عنه، سأل الرسول ﷺ وسأل أبا بكر، فقال أبو بكر : أقال لك في هذا العام؟ قال : لا. وقد اعتمروا في العام المقبل، فالقصد قد يتوهم متوهم أن هناك وعداً ربانياً محدداً، فيأتي الزمن الذي توهمه ولا يحدث هذا الشيء.

القصد أن الأعمال التي يقوم بها المسلم يقوم بها كأثر عن تكليف وعليه أن يستمر في العمل مهما كانت الظروف والأحوال، وأصلاً هذا هو الفارق بين الصادق وغير الصادق، الصادق هو الذي يستمر في العمل مهما كانت الظروف أقبلت أو أدبرت، أمطرت أو حبست، هو مستمر في العمل، أذكر مرة أنني سألت أحد شيوخنا إذاحدث لك حادث فإلى أين أذهب؟ قال : الأولياء كثيرون لكن حجابهم سوء الظن بهم.

فإذا أردت أن تعرف الصادق من الكاذب فعلامة ذلك الاستمرار في العمل لله عز وجل في كل الظروف والأحوال، غير الصادق يعمل يوماً أو يومين فإذا أقبل الناس عليه تابع وإلا ترك.

دليل الكذب أن يكون الإنسان في الدعوة إلى الله مقيداً بالإقبال، كأن أعمل بالتدريس، فإذا حضر درسي ألف إنسان، تابعت وإذا لم يحضر إلا القليل فأنا لا أقيم درساً، الصادق لا يبالي إلا بفتح حوانيت الدعوة إلى الله عز وجل والبقية على الله.

---

(١) سورة الروم: (٤٧).

كنا نرى بعض شيوخنا يأتيه الرجل البسيط ويطلب منه درساً فما كان يرده، ويقبل عليه كإقباله على أرقى الناس.

إن العامل الذي يعمل لله عز وجل يستمر في عمله في كل الظروف، ويستمر على وتيرة واحدة سواء حدث إقبال أو إدبار، سواء حدثت نتائج وحدثت ثمرات أو لم تحدث، سواء كان هناك قطف ثمرات سريع أو لم يكن، حتى لو أن هناك بشارات أو إشارات ظهرت له ثم تبين له أن فهمه لهذه الإشارات والبشارات غير صحيح، فهو لا يدخل في اليأس ولا يقع فيه.

وهناك نقطة أخرى.. وهي أن الإنسان يلحّ أحياناً على الله بالدعاء الكثير ثم الله عز وجل لا يعطيه كما أراد أو لا يعجل له الإجابة، يذكر بعض المفسرين أن بين دعاء موسى وهارون ــ عليهما السلام ــ وقد أجيبت دعوتها لّما دعوا على فرعون كما قال الله تعالى :﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾[1] وبين التنفيذ كان أربعين سنة والله أعلم.

العاملون لله عز وجل سواء تأخر أمد استجابة الدعاء أو تقدم، وظهرت النتائج أو لم تظهر كل ذلك يبقيهم على وتيرة واحدة.

ومن كلام ابن عباد رحمه الله أثناء شرحه للحكم التي تعرضنا لها: فقد علمت أيها العبد أن الدنيا مضمونة لك، أي مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك، أي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى :﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾[2] فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضُمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طُلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم إن الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب الآخرة.

وعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سأل أو كف عنه من السوء مثله، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم ».

(١) سورة يونس: (٨٩).

(٢) سورة البقرة: (١٩٧).

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله له دعوته أو صرف عنه مثلها سوء أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ».

فإذاً الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع حسبما ورد الوعد الصدق إلا أن الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء، وقد يكون المنع وتأخُّر العطاء إجابة وعطاء لمن فهم عن الله تعالى فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً وإن ألح في دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله: « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي ».

(إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك. فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف إليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها إليه وأين ما تهديه إليه مما هو مورده عليك)

الإنسان بطبيعته يحب أن تكون أعماله كثيرة كبيرة والله عز وجل حضنا على كثرة عمل الخير، لذلك يتمنى المسلم أن تكون أعماله الخيرية كثيرة، « بادروا بالأعمال.. » رواه مسلم، ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة..** ﴾[1] فالمسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها ممّا حضّنا الله عز وجل ورسوله ﷺ عليهما، والدخول إلى مقام الولاية إنما يكون من خلال العمل الصالح فرائض ونوافل، ففي الحديث الشريف الصحيح « ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه » أخرجه البخاري وأحمد، فباب الوصول إلى الولاية القيام بالفريضة والإكثار من النافلة مع ملاحظة الفهم الصحيح لقضية الفريضة، فكثير من الناس يقصرون بالفرائض العينية ويقبلون على النوافل.

لنتصور أن مسلماً قد قام بكل فروض العين وأقبل على الله عز وجل بالنوافل فهذا مظنة أن يكون قد وضع قدمه في طريق الولاية وهو واصل إليها بإذن الله.

---

(١) سورة آل عمران: (١٣٣).

وإذن فمهما استطعت أن تكثر من العمل الصالح فعليك أن تفعل فهذا مطلب شرعي، وعلى ضوئه يجب أن نفهم الحكمة التي قدمناها، فالشيخ لا يريد أن نترك العمل الصالح أو نقلل منه، أو نزهد فيه، وإنما يريد أن يلفت نظر السالك إلى أنه قد يسلب نوعاً من النوافل ويفتح الله على قلبه أنواعاً من الهداية والمعرفة الذوقية فعليه أن يعرف ويشكر ويعود إلى العمل، ولكن مراده أن السالك إلى الله عز وجل يحدث معه شيء من الفتور وفي الوقت نفسه تنفتح على قلبه واردات وإلهامات تزيد من معرفته بالله عز وجل، ففي هذه الحالة يريد الشيخ الذي تعطاه أفضل من الشيء الذي سلبته، فاعرف نعمة الله عز وجل عليك واشكرها وأقبل على العمل.

فقلة العمل مع ازدياد الواردات والإلهامات فيه حكمة فعندما تقبل على الأعمال الصالحة وتأتيك الواردات قد يصبح عندك نوع من الشعور بالعجب وأن هذه الواردات هي أثر من عملك، لكن عندما يسلبك الله عز وجل بعض الأعمال الصالحة وتنصب الواردات على قلبك تشعر في قلبك عجب، فالشيخ أراد أن يلفت نظرنا إلى هذا المعنى.

(تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال)
(الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها)

إن أي عمل من الأعمال الصالحة إما أن يكون ميتاً عند الله وأما أن يكون حياً، يكون حياً إذا كان فيه إخلاص، ويكون ميتاً إذا لم يكن فيه إخلاص، وهذه القضية في الدرجة القصوى من الأهمية، وخاصة فيما له علاقة بالدعوة إلى الله عز وجل.

فالذين يشتغلون بالدعوة إلى الله عز وجل وما يستتبع الدعوة إلى الله من علم وتعليم عندما يكونون مخلصين تكون أعمالهم حية.

ما هو مظهر الحياة في هذه الحالة؟ مظهر الحياة يظهر عند الآخرين، فمن يدعو إلى الله عز وجل وهو مخلص يكون في دعوته حياة لقلوب الناس، فعندما يسمع إنسان الدعوة إلى الله عز وجل من قلب مخلص يأخذ الدعوة وفيها حياة وحيوية، فتأتير المخلص في القلوب أكبر وأكثر وأصفى.. وبشكل عام فلا حياة لعمل إلا إذا كان هناك إخلاص لله عز وجل فيه، هذه هي العبارة الأخيرة في هذه الفصل.

ومع أن الشيخ لم يعرّف لنا ما هو الإخلاص لكنه نبهنا على ذلك في سياقات أخرى

فكثير من كلامه يؤكد أو يعمق معاني الإخلاص في أنفسنا، ومما يعمق الإخلاص في أنفسنا أن يناقش كل واحد منا نفسه قبل العمل، هل هو مقدم على العمل وهو يريد ثواب الله عز وجل في الآخرة أم أن المسألة فيها حظ نفسي، فيها شيء دنيوي، ومن ثم فعليه أن يصحح نيته ابتداء وينطلق، وليحذر أن يترك العمل وهذه نقطة مهمة فكثير من الناس يمنعهم الخوف من الرياء فلا يعملون وهذا من مداخل الشيطان على الإنسان ليمنعه من العمل الصالح، ولذلك اعتبر بعضهم ترك العمل من أجل الناس هو الرياء، قالوا : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك، إنك عندما تترك العمل تكون قد حققت مراد الشيطان، فأنت مكلف بالعمل مع الإخلاص فاعمل وعليك أن تجاهد نفسك لتحقق الإخلاص وعملك هو الذي يوصلك إلى الإخلاص.

لنفرض فرضاً أن القلب ضعيف وبالتالي فنور الإخلاص فيه ضعيف، فما الذي يجعل الإخلاص يكبر؟ إنه العمل الصالح، فأنا عندما أقرأ القرآن وأعمل الأعمال الصالحة وأتصدق وأنفق فهذا يقوي نور الإيمان وهذا الذي ينمي في قلبي الإخلاص.

المسلم مكلف بالعمل ومكلف بأن يحقق الإخلاص فيه، والشيطان يريد منا أن نترك العمل الصالح ونترك الإخلاص فيه.

وأن يختم الشيخ كلامه في هذا الفصل عن الأعمال بمثل هذه التوصية أو بمثل هذه العبارة فواضح المعنى والدلالة، وقبل ذلك نبهنا الشيخ على الحكمة في تعدد الأعمال الصالحة التي كلفنا بها.

فنحن نلحظ أن العبادات في الإسلام كثيرة، والأعمال الصالحة كثيرة فالحديث الشريف يقول : « الإيمان بضع وسبعون شعبة.. » متفق عليه، إنك بمجرد أن تدخل في الإسلام وتقول أشهد أن لا إله إلا لله وأشهد أن محمداً رسول الله، ينبغي أن ينبثق عن إيمانك حوالي سبعين خُلقاً، وكلها طاعات أو قربات.

إذاً فالأعمال الصالحة كثيرة ومتنوعة فعندك الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك عبادات لسانية وهناك عبادات مالية، فالعبادات متنوعة والأعمال الصالحة كذلك، فما الحكمة في ذلك؟ إن لكل

نوع من أنواع العبادات تأثيراً خاصا على القلب يختلف عن تأثير الآخر، وقلبك بحاجة إلى مجموع التأثرات.

فمثلاً عندما يدفع الإنسان مالاً فتأثير ذلك يختلف عن تأثير الصلاة في النفس، وللصوم تأثير في قلبك يختلف عن تأثير دفع المال.

النفس البشرية مبتلاة بالشح، والله تعالى قال : ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح** ﴾[1] هذا تعبير معجز يفيد أن الشح ملازم للنفس البشرية حاضر فيها، فلا تصرف إلا والشح ملازم للنفس البشرية فيه ومعه.

لو خطر في بالك أنك اليوم ستتصدق ترى الشح حاضراً يقول لك أخرها، فالشح موجود في القلوب ولكن بعض الناس يغلب شحّه وبعضهم يغلبهم الشح، عندما تدفع الزكاة ما هو التأثير المباشر لذلك؟ إنك بذلك تكون قد تغلبت على الشح الذي في قلبك: ﴿ **يؤتي ماله يتزكى** ﴾[2] فالأثر المباشر لذلك أن تزكي نفسك من الشح.

عندما تصلي وتسجد لله عز وجل تخرج نفسك من الكبر قال تعالى: ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض** ﴾[3] عندما يقبل الإنسان أن يمرغ وجهه على التراب لله يخلّص نفسه من مرض الكبر على الله عز وجل، فتأثير الصلاة على القلب يختلف نوعاً ما عن تأثير الزكاة على القلب، فما من نوع من أنواع الأعمال الصالحة إلا وله تأثير خاص على القلب.

فالشيخ يلفت نظرنا في هذه الحكمة إلى هذا الموضوع، يلفت نظرنا إلى أن الله عز وجل نوّع الأعمال الصالحة ونوّع التكليف لنا بأخلاق الإيمان لأن كل خلق من هذه الأخلاق، وكل عمل صالح له تأثيره الخاص على القلب.

---

(١) سورة النساء: (١٢٨)

(٢) سورة الليل: (١٨).

(٣) سورة الأعراف: (١٤٦).

والنتيجة هي الوصول إلى قلب سليم : ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[1] فهذه هي الحكمة من تنوع التكليفاتَ الإلهية.

وإذا فالإنسان الذي لا يقوم بحق الله عز وجل في التكليف يبقى قلبه مريضاً، فمثلاً عندما يكون الجهاد فريضة ولا يقوم به الإنسان فمعنى ذلك أن في قلبه مرضاً، وفي الحديث الشريف : « من لم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » أخرجه مسلم وغيره، فالقلب لا يصفو إلا بمجموع الأعمال التي كلفنا بها الشيخ هنا يريد أن ينبهنا إلى الحكمة الإلهية من تعدد الأعمال لنقوم بحق ذلك.

بهذه المناسبة يربط الشيخ ما بين العمل والواردات التي ترد على القلب، وكلمة الوارد ستمر معنا كثيراً ولها أصلها في الشريعة كما سنرى فأي عمل صالح تفعله له وارد على قلبك، هذا الشيء الذي ينصب في القلب كأثر عن الأعمال الصالحة يسميه الصوفية وارداً.

يقول الشيخ : (تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال) قلبك بحاجة إلى أنواع من الواردات لذلك كلفك الشارع بمجموعة من الأعمال لأن كل عمل له وارد، وكل وارد يحتاجه قلبك بشكل من الأشكال.

* * *

---

(١) سورة الشعراء: (٨٩).

خلاصة الفصل

انصب الكلام في هذا الفصل على العمل :
لا تترك العمل الدنيوي حتى يخرجك الله عز وجل منه.
لا تعتمد في طلبك رضوان الله على أعمالك.
لا تبذل جهداً في غير محله.
دبر فيما طُلب منك في أمر دنياك وأخراك.
لا تدبر لحظوظ نفسك فذلك مقطوع البركة.
لا تستعجل إجابة الدعاء ولا تيأس إذا تأخر المطلوب.
لا تبق عملاً صالحاً إلا وقد فعلته من فرائض ونوافل.
اجمع مع العمل الإخلاص.
ألا ترى أن هذه المعاني لا يفطن لها إلا السائرون نحو مقامات الصديقين.

فوائد :
قال ابن عباد : قال بعض المشايخ : صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة.

وبمناسبة قول المؤلف (تنوعت واردات الأحوال) قال ابن عجيبة :

والواردات والأحوال عبارة عن حركة القلب، فالخاطر والوارد والحال محلها واحد وهو القلب، لكن ما دام القلب تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية سمي ما يخطر فيه خاطراً، وإن انقطعت عنه الخواطر الظلمانية سمي ما يخطر فيه وارداً أو حالاً، فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة بيانية وكلاهما يتحولان فإن دام ذلك سمي مقاماً.

الفصل الثاني

العزلة المرحلية وضرورتها للسائرين إلى الله

(ادفن وجودك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه * ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة * كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحلُ إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتبْ من هفواته * الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه. فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عندَه أو قَبلَه أو بعدَه فقد أعوزَه وجودُ الأنوار، وحُجبَتْ عنه شموسُ المعارف بسحب الآثار * مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حَجَبَك عنهُ بما ليس بموجودٍ معه * كيف يُتصوّر أن يحجبه شيء وهوَ الذي أظهر كل شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر في كل شيء * كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء * كيف يتصوّر أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء * يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبتُ الحادثُ مع من له وصفُ القِدَمِ * ما تركَ من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

مقدمة

هذا الفصل يتحدث فيه الشيخ عن العزلة المرحلية وضرورتها للسائرين إلى الله ودواعيها : فالقلب يبتلى بانطباع صور الأكوان في مرآته وتكبله الشهوة وتغلب عليه الغفلة وتغلفه الهفوة، وهذا كله يؤدي إلى الحجاب عن الله عز وجل، ولولا ذلك لم يحجب الله عن القلب شيء، فالحجاب علامة على وجود المرض والطريق للخروج من المرض للوصول إلى الشهود هو الخلوة والعزلة، وإنما يعكر على الاعتزال المؤقت الرغبة في الإنجاز وتحقيق الأهداف، ولا إنجاز ولا هدف أرقى من أن تفعل ما فيه صلاح نفسك ولذلك ختم الشيخ هذا الفصل بقوله :

(ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه)، فالأمور منضبطة بقدر الله.

الشرح

في الفصل السابق تحدث الشيخ رحمه الله عن دقائق في الأعمال سواء كانت هذه الأعمال دنيوية أو أخروية، هذا مضمون الفصل الأول، وأما الفصل الثاني فله صلة بنقطة واحدة هي محل الخلوة والعزلة في السير إلى الله عز وجل.

فالفصل يبدأ بقول الشيخ رحمه الله : (ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه).

فنقطة البداية كما ترون لها صلة بالخلوة والعزلة، ثم يقول : (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) فكذلك نلحظ أن الحكمة الثانية لها علاقة بقضية العزلة ثم بعد ذلك يتكلم فيما يخدم هذه الفكرة يقول : (كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته).

ما هي الأشياء التي تمنع القلب من معرفة الله عز وجل المعرفة الكاملة؟ الهفوات، الغفلات، الشهوات، الزلات، وكلها لها علاقة بالقلب وبالمعاني التي تحجب هذا القلب.

ثم بعد ذلك يقول : (الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار. وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار. مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حَجَبَكَ عنهُ بما ليسَ بموجودٍ معه، كيف يُتَصوّر أن يحجِبَه شيء وهوَ الذي أظهر كل شيء، كيف يتصوّر أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء. كيف يُتَصوّر

أن يحجبه شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء، كيف يُتَصوّر أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء، كيف يُتَصوّر أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء، كيف يُتَصوّر أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء، كيف يتصوّر أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء، يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبتُ الحادثُ مع من له وصفُ القِدَمِ، ما تركَ من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

كل العبارات هذه تنصب في نقطة واحدة هي أن الأصل أن لا يحجب الله شيء عن قلبك، فإذا حجب الله عز وجل عن قلبك فذلك لعلة فيه، هذه العلة هي : الهفوات والشهوات والغفلات. هذه المعاني هي التي تحجب قلبك عن الله عز وجل، وإلا فالمفروض أن لا يكون هناك شيء يحجبك عن الله عز وجل، فما دام هناك شيء يحجبك عن الله فهذا علامة أن قلبك فيه شيء ما وهذا الشيء هو ما ذكر فيما سبق : الهفوات والغفلات والشهوات، ما الذي يطهرك من الهفوات والغفلات والشهوات؟ الذي يطهرك من ذلك هو العزلة والخلوة، وإذاً فعليك بالعزلة والخلوة، فالكلام كله متسلسل يصب في قضية واحدة وهي أنك في مرحلة من مراحل حياتك بحاجة أن تكون لك عزلة وأن تكون لك خلوة، وأن يكون لك شيء من الانقطاع عن الخلق من أجل جلاء قلبك من أجل أن يكون قلبك منوراً.

يقول : (يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم).

هذا الكون الذي هو أشبه بالعدم هو الذي يحجبك عن الله عز وجل فكيف تغفل عن الله عز وجل الذي وجوده هو الوجود الحقيقي بينما هذا الكون الذي هو أشبه بالعدم يحجبك عن الله عز وجل، كل ذلك تدليل على أن الأصل أن لا يحجب الله عز وجل عنا شيء من الأشياء، فإذا وجدنا قلوبنا في غفلة أو في حجاب، فالسر في ذلك هو مرض القلوب، فماذا نفعل لتخليص قلوبنا من أمراضها؟ تخلصنا العزلة والخلوة التي ندخل بها ميدان الفكرة التي هي ههنا التعرف على الله عز وجل ثم يختم هذه المعاني بعبارة مرتبطة بهذه النقطة فيقول (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه).

هذه الحكمة يردّ فيها على فكرة من الأفكار التي تراودنا نحن الذين يشتغلون

بالعلم والتعليم والدعوة، فلسان الحال يقول : كيف أعتزل والدنيا في خراب؟ والإسلام إلى انحسار؟ لو اعتزلت سيترتب على ذلك من الفساد ما يترتب.

وقد أشار الإمام الغزالي في الإحياء إلى مثل هذا : أن العالِمَ كلما أراد أن يتفرغ لنفسه ولقلبه تثور عنده هواجس ووساوس تقول له : كيف تتفرغ لنفسك والناس هلكى وكأن هلاك هذا العالَم يتوقف عليه. هذه الفكرة تغلب على الناس كثيراً وخاصة على الذين يقومون بشأن الدعوة إلى الله، لذلك ختم الشيخ هذا الفصل بهذه العبارة : (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه). لا تظنّ أن العالم سيخرب إذا أنت قررت أن تعطي لنفسك فرصة لإصلاح قلبك، لا تفكر بهذا لأن الأمور كلها مقيدة والله عز وجل مدبر الأمور والله عز وجل كلفك أن تنقذ نفسك أولاً.

أنت عندما تفكر أن تظهر شيئاً غير ما أراد الله عز وجل تكون مخطئاً، تريد أن تجعل الدنيا كلها خيراً وتخلصها من الشر، لا تستطيع ذلك، لن يخرج في هذا الكون إلا ما أراده الله، ولن يكون إلا ما أراده الله تفكر إذن بالتكليف الإلهي، أن تصلح نفسك وأن تصلح قلبك، فإذا كان صلاح قلبك وصلاح نفسك يتوقفان على أن تعتزل فافعل هذا الأمر ولا تفكر في شيء آخر لأن هذا هو تكليف الله عز وجل إياك، هذا هو مضمون هذا الفصل وكله يصب في نقطة واحدة الخلوة والعزلة، أراد الشيخ رحمه الله بهذا الفصل أن يقنعنا بأنه إذا اقتضى صلاح قلوبنا أن نخلو وأن نعتزل فعلينا أن نفعل ذلك ولا نبالي بشيء آخر لأن كل شيء آخر ينطوي لصالح هذه القضية. هذا هو المسرى العام لهذا الفصل والمجرى العام له.

(ادفن وجودك في أرض الخمول).

(ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة).

أهل السلوك إلى الله عز وجل يرون أن الإنسان في حياته يحتاج إلى مرحلة يكون فيها خالياً ومعتزلاً تكون علائقه مع الناس قليلة، ويكون متوجهاً بقلبه كله إلى الله عز وجل، هذا الموضوع يكاد يكون قاسماً مشتركاً عند أهل السير إلى الله عز وجل، لذلك عندما يذكرون أركان السير إلى الله عز وجل يذكرون أن من أركان السير إلى الله عز وجل : العزلة، الصمت، السهر، الجوع، الأوراد.

فمن أركان السير الصمت من أجل أن يعود الإنسان نفسه أن يكون قادراً على ضبط لسانه فلا يتكلم إلا الكلمة التي تكون موزونة شرعاً وعقلاً، نذكر كلمة العقل لا على أنه يناقض الشرع ولكن فيما جعله الشرع مكملاً، فالصمت عندهم من أركان السير، والعزلة كذلك من أركان السير إلى الله عز وجل يعني أن تخفف علائقك مع الخلق بأقصى قدر ممكن، فانقطاع العلاقة غير ممكن، فلا بدّ للإنسان في أي صورة من الصور أن تكون له نوع علاقة مع الخلق ولكن أن تخفف علائقك إلى أقصى حد ممكن، فذلك يعتبرونه جزءاً من السير وكذلك الجوع: وهو أن يتحكم الإنسان في طعامه، وذلك من خلال تعويد نفسه على الجوع فإذا اعتاد على الجوع يستطيع بعد ذلك أن يتحكم بطعامه وبشرابه، وأن يعتاد على السهر بحيث يستطيع أن يتحكم بنومه فلا يغلبه النوم عن أداء الواجبات، يعود نفسه على السهر، لا كهدف ولكن بحيث يستطيع أن يتحكم بنومه فلا يشغله النوم عن واجب، ترى مسلماً يسهر كثيراً فتذهب عليه صلاة الفجر، يسهر كثيراً فلا يستطيع أن يستيقظ قبل الفجر للاستغفار والتهجد، فمن أركان السير أن يعتاد الإنسان أن يتحكم في نومه بحيث يستطيع أن يؤدي النوافل والواجبات.

ما من مسلم من المسلمين إلا وله سير إلى الله عز وجل، عندما يصلي ويزكي ويذكر الله عز وجل وعندما يقرأ القرآن، فهو سائر إلى الله عز وجل، لكن هناك فارق بين السير الأصولي والسير الذي لا يخضع للأصول، فلا سيرَ أصولياً إذا لم يخضع الإنسان نفسه لنوع من العزلة الهادفة التي يصل من خلالها إلى معان معينة، وقد أشار الشيخ إلى هذه المعاني في هذا الفصل، وهل للخلوة أو العزلة أصل من السنة؟

الأصلان اللذان يستند إليهما أهل السلوك هما خلوة الرسول ﷺ قبل النبوة، والثاني الاعتكاف الذي هو سنة من سنن رسول الله، ويمكن أن يدخل أصل ثالث وهو أن الله كلف الجيل الأول بأوائل المزمل التي طالبتهم أن يقوموا من الليل فريضة ثم بعد ذلك نسخ الله الفريضة وأبقى الندب وفي هذه السورة يرد قوله تعالى : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتَّل إليه تبتيلاً** ﴾ أي وانقطع إليه انقطاعاً.

فإذا قال قائل : إن خلوة النبي ﷺ في الغار إنما كانت قبل النبوة، يقال : إن الرسول عليه الصلاة والسلام، محل القدوة قبل النبوة وبعدها إلا إذا جاء بعد النبوة ما ينقض شيئاً من أفعاله أو أقواله قبل النبوة ولا ناقض.

لكن الأصل الأكبر الذي شرعه لنا الرسول ﷺ هو الاعتكاف فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يعتكف سنوياً عشرة أيام وفي العام الذي توفي فيه ﷺ اعتكف عشرين يوماً، ولقد اعتكف في رمضان وفي غير رمضان فهذا يوحي : أن الانقطاع المؤقت بما لا يعطل فريضة قائمة له أصل في الشريعة.

من هنا يقول الشيخ (ادفن وجودك في أرض الخمول. فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) إن الحبوب إذا أُلقيت في الأرض ولم تدفن دفناً كاملاً يكون نتاجها ضعيفاً أو لا يتم أصلاً، وكأنه يريد أن يقول : لا ينتفع منك الخلق انتفاعاً كاملاً، لا من دعوتك ولا من علمك، إلا إذا مرت عليك مرحلة في حياتك دفنت نفسك فيها في أرض الخمول، بمعنى : انقطعت عن الناس، اعتزلتهم، ولم يشعر الناس بوجودك، وهده العملية ليست هدفاً بحد ذاته بل للوصول إلى شيء هو الذي ذكره بعد ذلك بقوله : (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) فليس الهدف هو الانقطاع عن الناس ودفن الإنسان وجوده في أرض الخمول وإنما الهدف أن تنقطع لصلاح قلبك، وصلاح قلبك يكون إذا دخل ميدان الفكرة.

ما هو الجانب العملي لمثل هذا المعني، وما هو الزمن لتحقيق ذلك؟ هذا شيء يقدره الشيخ الكامل فكيفية تحقيق هذا المعنى يترك عادة للشيخ الذي تم له علم وعمل وحال وسير إلى الله عز وجل من بداية الطريق إلى نهايته، وقد أذنه أشياخه فما كل إنسان يعتبر شيخاً مرشداً، فمن شروط المرشد الكامل عند بعضهم أن يكون عالماً بالمذاهب الأربعةحتى يستطيع أن يفتي المريد بما يناسب حاله في مجتمعه وفي عصره.

مثل هذا النوع من الشيوخ هو الذي يقدر احتياج الإنسان لأن يدخل خلوة ويحدّد له مقدارها، هو الذي يعرف أن يدخله في ميدان الفكرة.

هذه المعاني يترك تقديرها للشيخ، فهو الذي ينظر لحال المريد وأوضاعه وكيف يحقق هذه المعاني دون إخلال بواجبات الشريعة أو بواجبات الحياة.

هل العزلة هدف أو هي وسيلة للوصول إلى هدف؟ لا بل هي وسيلة، فالهدف بشكل عام شيئان هما : أن يضبط الإنسان علائقه مع الناس ضبطاً محكماً على أصول الشريعة، فالإنسان الذي يكون دائم الخلطة قد تستجره الخلطة إلى مواقف

غير شرعية وموقف يجره لموقف آخر وهكذا حتى لو أراد أن يضبط نفسه على أمر الشرع لا يستطيع فعندما يدفن نفسه في أرض الخمول بأن ينقطع عن الناس ويعتزل، يتحكم في هذا الموضوع تحكماً كاملاً، بحيث لو أراد أن يفتح علاقة مع الناس يكون قادراً على أن تكون هذه العلاقة ضمن حدود معينة هي الحدود الشرعية، فهذا هدف.

قد يكون الإنسان في الأصل في بيئة سيئة، فهذا يجب عليه أن يتخلص من شرورها وسيئاتها فما دام هو فيها ويخالطها فهو عاجز وأكبر مثال على ذلك (حادثة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً..) أخرجه البخاري ومسلم فعندما جاء للعالم قال له : من يحول بينك وبين التوبة، لكن العالم نظر لواقع حاله ما هو السبب الذي يجعله يقتل مائة نفس ما دام عنده هذه النزعة من الخير بدليل أنه يستفتي هل لي توبة؟ إلا أن هذا الخير الذي عنده مغلوب بالبيئة ولذلك أمره أن ينتقل من أرضه إلى أرض أخرى، فأحياناً تكون البيئة سيئة فلا حلّ إلاّ أن يعتزل الإنسان للخلاص منها.

وقد تكون البيئة بيئة عادية فيها خير وفيها شر لكنه ما دام فيها فهو ينجذب إلى مواقف، فالخلاص من هذا يقتضي نوعاً من أنواع الانقطاع.

المفروض في المسلم أن تكون حياته كلها مسخرة للعلم، والدعوة، مسخرة لإقامة فروض عين، وإقامة فروض كفاية هذا هو الأصل في المسلم، فإذا أصبح في ظرف لا يسمح له أن يتحكم بهذه المعاني إلا بانقطاعه عن الخلق ـــ للتحكم بما يناسب ذلك ـــ فلا بد له من الانقطاع لكنه انقطاع لا يعطل واجباً شرعياً ولا واجباً أدبياً هذا هو الهدف الأول للعزلة والخلوة.

لكن الهدف الأهم عندهم هو أنه من خلال الانقطاع إلى الله عز وجل ومن خلال العزلة ينتقل القلب من حالة إلى حالة، من كونه مشوشاً أو محل وسوسة أو محل غفلة أو محل خضوع للشهوة إلى حالة أخرى هي أن يدخل ميدان الفكرة لذلك يقول الشيخ: (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) كان هذا تعليلاً للطلب الذي هو دفن الإنسان نفسه في أرض الخمول، القلب قبل أن يجتمع على الله عز وجل تراه مشتتاً، فيه وساوس وهواجس وخواطر، ومطالب للنفس، وتداعي أفكار وأشياء كثيرة تستجرّ هذا القلب استجراراً كاملاً ليكون في أودية كثيرة، قال

تعالى : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾[1] فالقلب ما لم يجتمع على الله تجره خواطره إلى ميادين، فتجده مشدوداً إلى ألف ميدان وميدان إلا الميدان الرئيسي الذي ينبغي أن يعيشه القلب وهو أن يكون مجتمعاً على الله عز وجل، ما الذي يجعل القلب مجتمعاً على الله؟ يقول الشيخ : (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) عبارة الشيخ تشير إلى أن هناك أشياء أخرى تنفع القلب لكن لا ينفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة.

فلا شيء ينفع القلب مثل العزلة والخلوة التي تنقل الإنسان من أن يكون قلبه مشتتاً في هذه الأودية المختلفة، ولكن هناك أشياء أخرى تنفع مثل الاجتماع مع الصالحين ومثل أن يستمع كلمة الحكمة، ومثل الإقبال على العبادة والذكر والشكر.

من ههنا نقول : إن الإنسان قد يعتزل، ولكن تأثير ذلك على قلبه يبقى ضعيفاً لأن قلبه مغلوب فالشيطان يشغله ونفسه تشغله ومن ثم فهم عندما يطالبون بالعزلة أو بالخلوة يلحظون أن تكون نقلاً للقلب من مثل هذه الوساوس والخواطر إلى أن يدخل ميدان الفكرة وهو أن يجتمع القلب على الله، وهذا يحتاج إلى نوع من المذاكرة، فليست الخلوة مجرد أن أعتزل في مسجد من المساجد أو في بيت، بل يجب أن يرافق ذلك نوع من المذاكرة من ناحية، ونوع من توجيه الإنسان إلى معان بعينها لينتقل من كونه أسيراً إلى أن يصبح هذا القلب يتأمل التأملات الجديرة به، فلذلك يلحظون أن تكون الخلوة بإشراف الشيخ لتكون خلوة موجهة تنقل قلب الإنسان إلى وضع معين هو التفكير في المعاني التي ينبغي أن يتفكر فيها القلب، والانقطاع والعزلة والخلوة شيء مرحلي لا شيء دائم، فالرسول ﷺ انقطع في مرحلة من حياته.

هذا النوع من الانقطاع إلى الله عز وجل هو المراد، أما الانقطاع التام عن البشر من بداية الحياة إلى نهايتها فليست هي السنة الأصلية وإن كان الرسول عليه الصلاة والسلام ندبنا إلى هذا النوع من الانقطاع إذا وجدت أمراض بعينها أو ظروف بعينها

---

(١) سورة الشعراء: (٢٢٤ ـ ٢٢٦).

لكن الأصل أن لا يكون المسلم منقطعاً انقطاعاً تاما عن الحياة وإنما يمارس حياته كاملة كما هي سيرة الرسول ﷺ. هذه القضية المرحلية يطالبنا بها الشيخ ويحاول أن يقنعنا بها بأن يدلل عليها بشكل ثم بشكل آخر وهكذا.

وها هوذا يدلل على ضرورة الخلوة والعزلة بقوله:

(كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته، أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله ولم يتطهر من جنابة غفلاته، أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهولم يتب من هفواته).

هذا الكلام تدليل وتوجيه، تدليل على صحة طلب العزلة وتوجيه إلى المعاني التي ينبغي أن نحصلها بالعزلة، يقول في التدليل : ما دامت صور الأكوان منطبعة في مرآة قلوبنا لا يشرق القلب، فما هو الطريق لتنجلي مرآة قلوبنا فلا تظهر فيها صور الأكوان وتشرق فيها الأنوار؟ الطريق هو العزلة والقلب لا يرحل إلى الله عز وجل ما دام مكبلاً بالشهوات أسيرا لها فكيف يصبح حراً لا تعلق له إلا بالله عز وجل؟ الطريق هو العزلة والخلوة.

وما دام القلب غافلاً عن الله عز وجل، فكيف يدخل حضرة الله؟ وما هو الطريق ليخرج الإنسان من الغفلة؟ الطريق هو العزلة والخلوة.

وما دام القلب يهفو أي يزل ويخطئ ويقع في الإثم لا تصل إليه دقائق الأسرار، من استشعار لأسماء الذات الإلهية وصفاتها، فطريقه للخلاص والتحقق هو الخلوة والعزلة.

فكلام الشيخ هنا تدليل على الشيء الذي طالبنا به (ادفن وجودك في أرض الخمول. فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) وكأنه يقول لنا : لا تنجلي مرآة قلبك ولا يخرج من أسر شهواته، ولا يخرج قلبك عن غفلته، ولا يخرج قلبك عن هفواته إلا من خلال هذه العزلة، وإذاً فعليك بالعزلة لأنها الطريق الوحيد للخلاص.

ومن خلال هذه الحكم نفهم ما هي الفكرة التي ينبغي أن ندخل ميادينها إنها إخراج صور الأكوان من قلوبنا للتعرف على أسماء الله عز وجل وصفاته، فإذا حققنا

هذه المعاني بالعزلة والخلوة نكون قد استفدنا من عزلتنا ومن خلوتنا، فالقلب عالم عجيب.

قال تعالى :﴿ **أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى** ﴾[1] فكما أن الجسد يمتحن فالقلب يمتحن، يمتحن الجسد بالمرض وعلى الإنسان أن يصبر، ويمتحن القلب بالفتنة ــ والعياذ بالله ــ وعليه أن يخرج منها، والحديث الشريف يقول : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكته بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخِّيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » أخرجه مسلم.

وبلفظ آخر « عَوْدا عَوْدا » يعني مرة بعد مرة فالقلب في عملية امتحان مستمر، والله عز وجل قال عن الذين يكتمون الشهادة : ﴿ **ومن يكتمها فإنه آثم قلبه** ﴾[2] فالقلب قد يقع في الهفوات، وعلامة نجاحنا في خلوتنا دخولنا ميادين الأفكار التي نحرر فيها قلوبنا من الزلة والشهوة والغفلة فتشرق بها الأنوار، فإن نجح الإنسان فيما ذكرنا يكون قد استفاد من عزلته وخلوته وعلى كل الأحوال فإن الانقطاع إلى الله له ثمراته، فالإنسان عندما ينقطع إلى الله عز وجل لا بد أن يتحسن بشكل من الأشكال ولكن الشيخ يشير هنا إلى الكمال، والكمال هو أن يصل الإنسان إلى مثل تلك المعاني.

ومن خلال ما مَرَّ نعرف أهم أمراض القلوب : انطباع الأكوان في مرآة القلب والشهوات والغفلات والهفوات وبعد ذلك ينقلنا الشيخ نقلة ثانية يحدثنا عن واقع الأمر بالنسبة لهذا الكون، وما محله بالنسبة للوجود الإلهي؟ هذا الكون محله بالنسبة للوجود الإلهي كالعدم.

وفي الحديث الصحيح الشريف الذي أخرجه البخاري « أصدق بيت قاله

---

(١) سورة الحجرات: (٣).

(٢) سورة البقرة: (٢٨٣).

شاعر : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وإذا كان هذا الكون محله بالنسبة للوجود الإلهي كذلك، ومع ذلك فهو في الوقت نفسه يستغرق علينا حواسنا وأفكارنا وقلوبنا وكل شيء فينا فنحن إذن في وضع غير صحيح والخلاص منه بالعزلة والخلوة.

(الكون كله ظلمة، وإنما أناره ظهور الحق فيه، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار) جاء عن رسولنا عليه الصلاة والسلام قوله: « إن الله عز وجل خلق الخلق في ظلمة ثم رشَّ عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور فقد اهتدى » أخرجه البخاري ومسلم.

الكون كله فيما هو عليه الآن بالنسبة للقلب المؤمن يدل على الله فالقلب المؤمن المنور كل شيء في هذا الكون يدل على الله، ولولا النور الذي رشه الله عز وجل على الكون بعد أن خلقه، ولولا النور الذي رشه الله عز وجل على القلوب لما كانت هناك هداية.

فبسبب من النور المبثوث يجد المؤمن كل شيء يهديه إلى الله عز وجل.

وفي كل شيء له آية   تدلُّ على أنه واحد

عندما أنظر إلى شيء دخلته يد الصنعة البشرية أقول : لا بد أن يكون لصانع هذا إرادة وقدرة وعلم، فلولا أن الذي صنعه عنده علم بكيفية صناعته، وتوجهت إرادته للصناعة وتوجهت بعد ذلك قدرته للإبراز لما صار هذا الشيء.

وعندما أنظر لهذا الكون، يدلني كل جزيء من جزئياته وكل ذرة من ذراته، على أن هناك علما وإرادة، وقدرة، فبسبب من وجود ذات متصفة بالعلم والإرادة والقدرة وجد هذا الكون ولكن لولا النور الذي رشه الله عز وجل فأصاب قلب المؤمن ولولا النور الذي رشه في هذا الكون ما كانت هداية، ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله**

بكل شيء عليم ﴾[1] انظر إلى الواقع الملحد الذي لم يصبه من نور الله عز وجل ينظر إلى الكون فلا يرى إلا المادة، وبالتالي فلا يؤمن إلا بها لأنه ليس في قلبه نور، وبالتالي هو لا يرى إلا الظلمة فهو لا يؤمن إلا بالمادة، وإذاً فبسبب من النور الإلهي الذي أصاب قلب المؤمن وأصاب الكون صار هناك نوع من الهداية الخاصة عند المسلم فآمن بالله عز وجل وآمن بصفاته وبالتالي صار يرى آثار المكون في الكون، والمفروض أن يكون النور من القوة في قلب المؤمن بحيث يكون استشعاره بالصفات الإلهية من القوة بحيث تترك آثارها، وهذه أهم النقاط التي ينبغي أن يحققها السالك إلى الله عز وجل من خلال الخلوة والعزلة.

الله عز وجل من أسمائه القيوم، والقيوم هو القائم بذاته والذي يقوم غيره به، وإذاً فهذا الكون كله قائم بالله، ولولا الله لفني **﴿ إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾**[2] هذا الكون يتألف من جزيئات وكل جزيء فيه ذرات وهذه قائمة بالله، فلولا الله لما كان لها وجود.

إن نظرة إيمانية خالصة تنظر بها إلى هذا الكون لا بد أن تجد بها هذا الكون قائماً بالله، عندما ننظر إلى كل حركة وكل سكون ونعلم أن الإرادة الإلهية تتعلق بذلك بشكل مباشر، فإننا نرى إرادة الله عز وجل في كل شيء. قال الشيخ :

(نعمتان لا ينفك مخلوق عنهما ــ كما سيأتي ــ نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، فأصل وجودك بالله، واستمرار وجودك بالله عز وجل)، ونضرب لك مثلاً ــ ولله المثل الأعلى ــ :التيار الكهربائي نوعان : متناوب ومستمر، ولولا المولد ما كان نور، ولله المثل الأعلى لولا أن الله عز وحل يمد هذا الكون بشكل مستمر لا يبقى هذا الكون، فعندما تنظر إلى أن الكون كله قائم بالله، وأن كل ما فيه بإرادة الله وبقدرة الله، وعندما تنظر إلى الكون بهذه الرؤية ترى الله عز وجل قبل أن ترى هذا الكون، هذا هو الأصل، لذلك تلحظ أن القرآن الكريم خاطبنا بقوله :

---

(١) سورة النور: (٣٥).

(٢) سورة فاطر: (٤١).

﴿ألم تَرَ أن الله أنزل من السماء ماءً﴾[1] الأصل أن ترى صفات الله عز وجل بقلبك أولاً ثم ترى المطر ثم تتذكر، الأصل أن يكون عندك وضوح في قلبك أن الله عز وجل هو الذي أنزل المطر، فيكون في قلبك استشعار لقدرة الله وإرادته وقيوميته، إن شعورك بأن الله عز وجل هو الخالق ينبغي أن يسبق شعورك بالخلق، هذا هو الوضع الفطري للقلب المؤمن، عندما لا ترى هذه الحالة في قلبك مع أنها هي الأصل، فسبب ذلك ما مرَّ معنا من أمراض القلب أن تكون صور الأكواب منطبعة في مرآته، أو أنه مكبَّل بشهواته، أو غارق في غفلاته وهفواته، هذه المعاني التي تصيب القلب هي التي تحول بينك وبين مقام الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »، متفق عليه، كيف تصل إلى الخلاص من هذه الأمراض والحجب، وتتحقق بتلك المعاني؟ الجواب (أن تدفن نفسك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) أن تكون لك خلوة وعزلة فإذا لم يكن لك مثل هذا فوصولك إلى هذه المعاني متعذر.

الأصل في قلب المؤمن أن يرى صفات الله عز وجل عبر الكون، فإما أن يراها قبل التأمل في الكون أو بعد النظر في الكون أو فيه أو معه، فإذا لم يكن عنده حالة من هذه الحالات، فالقلب مطموس البصيرة والعياذ بالله تعالى، الحالة الأرقى أن ترى المكون قبل أن ترى الكون ﴿ ألم تَرَ أن الله أنزل من السماء ماء ﴾[2] ﴿ ألم تَرَ ربك كيف مد الظل ﴾[3] هذا أعلى المقامات،لكن لنفرض فرضاً أنك لم تكن في أعلى المقامات، فلتكن في المقام الآخر وهو أن تنظر إلى الكون ثم تتذكر الله عز وجل، أو تنظر إلى الكون فترى فيه آثار الله عز وجل ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾[4] ليس المراد بكلمة (فيه) هنا الحلول والعياذ بالله فهذا كفر، بل المراد أن ترى كيف يقوم الكون بالله، أن ترى في كل ذرة من ذراته إرادة وقدرة الله عز وجل، هذا الكون مخلوق لله تعالى ومعيته مع الله ليست معية الشريك، وليست معية المماثلة في الوجود، فمعية الكون مع الله عز وجل معية خلق مع خالقه، فإذا وجد

---

(١) سورة الحج: (٦٣).

(٢) سورة الحج: (٦٣).

(٣) سورة الفرقان: (٤٥).

(٤) سورة الروم: (٥٠).

مسلم ينظر إلى الكون ولا يرى الله عز وجل فقد وصل إلى حالة من حالات الرمد أو العمى (فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه وجود الأنوار، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار) فآثار الله عز وجل حجبته عن الله، إذن فأنواره ضعيفة، فكيف تقوّي هذه الأنوار؟ ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه، فكل الكلام موجه في هذا الإطار يا مسلم ليكن لك انقطاع إلى الله عز وجل ومن خلال العزلة ومن خلال الخلوة تدخل ميدان مثل هذه الأفكار.

وبعد ذلك تأتي مجموعة هي تأكيد لهذا المعنى أن الأصل ألا تحجب الأشياء قلبك عن الله، فإذا كان قلبك محجوباً عن الله عز وجل، فهذه علامة على أن قلبك مريض أن تبذل جهداً لتخلص قلبك، فما هو الطريق لذلك؟ هو ما ذكره الشيْخ في الابتداء (ادفن نفسك في أرض الخمول، فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه).

قال الشيخ : (مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه)، وههنا تأتي العبارات التي يدلل لنا بها الشيخ على أن الكون ليست له معية حقيقية مع الله عز وجل قال: (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء)، يعني هو الذي أظهر الأشياء، (كيف يتصور أن يحجبه شيء؟ وهو الذي ظهر بكل شيء)، الله سبحانه وتعالى من أسمائه الظاهر بمعنى أن كل شيء خلقه الله عز وجل فهو ظاهر به، فلا شيء في هذا الكون إلا ويقول : إرادة الله عز وجل خصصتني، وقدرة الله أبرزتني، وعلم الله سبقني، فلا شيء إلا ويؤدي هذه الشهادة، فالله عز وجل ظاهر بالأشياء كلها، (كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الذي ظهر لكل شيء)، قال تعالى : ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾[1]فالمخلوقات كلها تعرف الله عز وجل حتى الحيوانات ففي الحديث : « بهمت البهائم إلا عن أربع : عن خالقها وحانقها ورازقها وسفادها » فما من شيء إلا ويعرف الله عز وجل إلا القلب الكافر.

(كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) من أسماء الله الأول وأي تأمل لهذا الكون يشعرك أن الله عز وجل كان ولم يكن معه شيء.

---

(١) سورة الإسراء: (٤٤).

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أظهر من كل شيء. كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء) المراد ليس معه شيء معية حقيقية، يعني معية مستقلة، مستغنية عن الله عز وجل أو لا تدخّل لإرادته وقدرته فيها.

(كيف يتصور أن يحجبه شيء وهو أقرب إليك من كل شيء) ولكنه قرب ليس كمثله شيء،﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[1] ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[2] وما دام هو أقرب إلينا من كل شيء فكيف تحجبه الأشياء عنا (كيف يتصور أن يحجبه شيء ولولاه ما كان وجود كل شيء) فلا شيء في هذا الكون يصح له الوجود لولا الله عز وجل، هذه كلها أدلة على أن الأصل أن لا يحجب الله شيء عن قلبك، فإذا حجبك فذلك من آثار قهره. ولكن عليك أن تبذل جهدا في أن تجعل قلبك يحس بصفات الله وأسمائه « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فكيف تصل إلى ذلك؟ (ادفن وجودك في أرض الخمول. فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه).

هذا هو المسرى العام للكلام في هذا الفصل ثم قال الشيخ : (يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم) الكون بالنسبة للذات الإلهية كالعدم، لأنه لا شيء في هذا الكون مستغن عن القدرة والإرادة، فالأصل أن الوجود الإلهي هو الذي يجب أن يكون ظاهراً للقلب وأن يكون الكون بالنسبة له كالعدم، فالأصل أن لا نستدل بالأشياء على الله عز وجل، لأن وجود الله هو الأساس ووجود هذه أشبه بالعدم لذلك قال : (يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القِدَم) هذا الكون حادث والذي له القدم هو الله عز وجل والحادث المحتاج للخالق في وجوده وفي إمداده أشبه العدم، كل هذه المعاني تصب كما قلنا في نقطة واحدة أن الأصل أيها الإنسان أن ترى الله في كل شيء، وأن ترى الله قبل كل شيء وأن يكون قلبك مجموعاً على الله عز وجل، وأن يكون مستغرقاً بالله عز وجل.

فأن لا يكون الأمر كذلك فذلك علامة على أن قلبك مريض، فكيف تتخلص من

---

(١) سورة ق: (١٦).

(٢) سورة الحديد: (٤).

أمراض هذا القلب، الطريق لذلك انقطاعك إلى الله عز وجل (أن تدفن نفسك في أرض الخمول) ثم تأتي العبارة الأخيرة التي يعالج فيها الشيخ اعتراضاً على العزلة المرحلية فيقول: (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) هذه العبارة نوع من المعالجة لنفسية الإنسان، فكثيراً ما تقول للإنسان نفسه : إنك إذا اعتزلت يخرب العالم تقف الدنيا يقف العمل، تقف الدعوة إلى الله، يقف العلم والتعليم، يتوقف الجهاد. هذه المعاني كلها تراود الإنسان عندما يفكر أن ينقطع لله عز وجل لإصلاح قلبه، فكأن الشيخ يقول : لا تتصور أنك إذا انقطعت إلى الله عز وجل من أجل صلاح قلبك بأنّ العالم سيخرب لأن العالم منضبط المسير، فالله تعالى هو الذي يدبر الأمور فكر في نفسك وفي كيفية إخراجها من أمراضها، وتأكد أن شيئاً ما من هذا الكون لن يخرب نتيجة لذلك، بل على العكس من ذلك سيعمر هذا الكون إذا صلح قلبك وعرفت طريقك إلى الله وانطلقت بعد ذلك على بصيرة، حدثنا أحد إخواننا أنه اجتمع مرة مع بعض القائمين على بعض الثورات فطالبهم أن ينقطعوا فترة من الزمان لصالح التخطيط، فاعتذروا وقالوا : إن الأوضاع والأحوال لا تسمح لنا فقال لهم : موتوا شهراً أي افترضوا أنكم متم شهراً، فهل يخرب العالم، موتوا شهراً واجلسوا مع بعضكم وخططوا للمستقبل تخطيطاً صحيحاً ثم بعد ذلك انطلقوا على ضوء خريطة للعمل فالذي يعمل دون خريطة للبناء الذي يريد بناءه، لا تستقيم أموره ولا يقوم بناؤه قياماً صحيحاً. قدر لو أن إنساناً يريد أن يبني بناء لم يصنع خريطته، إنه يبني من هنا حائطاً ومن هناك حائطاً ثم يفكر كيف يقيم السقف فإذا أقام السقف ثم خطر له أن تكون في الجدار نافذة فإن عليه أن يخرب بعض ما بناه، وكل يوم يخرج معه جديد، أما إذا كانت المعالم واضحة لديه من البداية فالأمر مختلف.

فالانقطاع يحتاجه العمل نفسه أحياناً، وإذن فليس الانقطاع إلى الله عز وجل في مرحلة مضيعة للوقت بل هو توفير للجهد والوقت ثم هو الانطلاق من خلال وضع قلبي سليم.

إن الانقطاع إلى الله هو الذي يعطيك الفرصة للتأمل فلا تبني في فراغ ولا تعمل في فراغ ولا تنطلق على خلاف السنن الإلهية فتريد إظهار ما يستحيل وجوده، ثم إنك تنطلق والقلب مطمئن والصدر منشرح وهذه هي البداية الصحيحة ﴿ **ألم**

نشرح لك صدرك ﴾[1] ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[2] وهذا فهمي للفصل، وبذلك يبقى الفصل متسلسلاً ويصب في فكرة واحدة.

إذا لم تفهم العبارة الأخيرة على هذه الشاكلة، يصير عندنا إشكال، فالأصل أن مراد الله مجهول وبالتالي أنا أعمل ولا أعرف ماذا يريد الله أن يظهره والله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول :﴿ **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾[3] فأنا المسلم مكلف بأن أعمل في كل الظروف وكل الأحوال وفي النهاية أعرف أن هذا الشيء يريده الله وهذا الشيء لا يريده، فالشيء الذي لا يريده لا يظهر على يدي مهما عملت وبذلت من جهد، وأنا لا أطالب مسبقا أن أعرف الشيء الذي يريد الله أن يظهره لأن هذا المجهول لدي، فالعبارة لا تفهم إلا بالشكل الذي عرضته، وهو أن الشيخ أراد أن يعالج حالة قلبية هي الحالة التي تراود أذهان بعض الناس وهم يفكرون بالعزلة والخلوة.

إن العالم سيخرب إذا اعتزلتم وانقطعتم وأكثر ما ينطبق هذا الحال على الذين يعملون في الدعوة إلى الله عز وجل، مع أنه كثيراً ما تضيع الأوقات في غير طائل والذي أراه أن يحاول كل مسلم أن يعطي لإصلاح قلبه وفكره عاماً كاملاً، فقد بقي التكليف بقوله تعالى :﴿ **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً** ﴾[4] بقي عاماً فلو أن كل مسلم أعطى لنفسه عاماً للعلم والذكر والانقطاع إلى الله عز وجل من خلال برنامج يومي جاد دون أن يضيع فريضة، فالمرجو أن يكون ذلك بداية طيبة.

* * *

(١) سورة الشرح: (١).

(٢) سورة الزمر: (٢٢).

(٣) سورة الأعراف: (١٨٨).

(٤) سورة المزمل: (١ ــ ٣).

خلاصة الفصل

١ ــ عليك أن تزيل الحجاب عن قلبك فتكون في شهود لله أو مراقبة له.

٢ ــ لا يزول الحجاب إلا بأن تخرج من الشهوات والغفلات والهفوات، وإلا بأن تجلو مرآة قلبك من صور الأكوان.

٣ ــ ولا يتم لك هذا إلا بعزلة وخلوة تدخل بها ميدان المعرفة الإلهية ومن خلال ذكر وفكر.

٤ ــ وعليك من أجل هذا أن تطوي كل شيء إلا ما افترضه الله عليك، وما افترضه عليك يساعدك فيما أنت فيه.

فوائد :

١ ــ ومن كلام الشرقاوي في قول الشيخ (ادفن نفسك في أرض الخمول) :

(وكذلك السالك إذا تعاطى أسباب الشهرة في بدايته قل أن يفلح في نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الإخلاص فمبنى أمره في الابتداء على الفرار من الخلق وإخماد الذكر وعدم حب الشهرة حتى إذا فنيت أوصافه وبقي بربه كان مع مولاه إن شاء أظهره وإن شاء أخفاه، قال سيدي أبو العباس قدس الله سره : من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اهـ).

وفي الحديث « رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ».

قال ابن عباد : فواجب على المعتزل أن يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به منهمكون فيه ومنكبون عليه، ويصون سمعه عن الإصغاء إلى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الأحوال التي ذكرناها وليحرص على أن لا يغشاه في خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع في منطقه، ولا يضبط لسانه عن الاسترسال في دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم، فإن ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه إلى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه فراره من الأسد ولا يجتمع معه في مكان البته وليتنكر إلى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين إلى الدين فضلاً عن غيرهم.

وقال ابن عجيبة :

واعلم أن في الخلوة عشر فوائد :

الأولى :السلامة من آفات اللسان.

الثانية :حفظ البصر والسلامة من آفات النظر.

الثالثة :حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض.

الرابعة :حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها وفي ذلك شرف العبد وكماله وسبب محبته عند مولاه لقوله ﷺ : « ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس ».

الخامسة :السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأرذال.

السادسة :التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر.

السابعة وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيذ المناجاة لفراغ سره.

الثامنة :راحة القلب والبدن.

التاسعة :صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التي توجبها الخلطة.

العاشرة :التمكن من عبادة التفكر والاعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة.

(فإن أضاف المريد إلى العزلة الصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار).

٢ ـ وعند قول الشيخ (ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) :

وقال كعب : من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر، وقيل لأم الدرداء : ما كان أفضل عمل أبي الدرداء قالت : التفكر، وذلك لأنه يصل به إلى معرفة حقائق الأشياء وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار، ويطلع به أيضاً على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا، ويتعرف به وجوه الحيل في التحرز عنها والطهارة معها، قال الحسن البصري رضي الله عنه : الفكرة مرآة تريك حسنك من قبيحك ويطلع أيضاً بها على عظمة الله تعالى وجلاله إذا تفكر في آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضاً على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالاً سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه.

ومما استأنس به ابن عجيبة لأهمية الفكرة في ميدان التوحيد : المعنى الوارد في الحديث : أن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وأن الإيمان يخلق ـ أي يبلى ـ كما يخلق الثوب الجديد، (وفي حديث آخر) « لكل شيء مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله » وقال أيضاً ﷺ : « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر صقلت وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله » ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقَدَرها فاحتمل السيل زبداً رابياً** ﴾[2] الآية، شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من السماء فكما أن المطر تعمر منه الأودية والغدران وتجري منه العيون والأنهار كل على قدر سعته وكبره، كذلك العلم النافع نزل من سماء عالم الغيب إلى أرض عالم الشهادة فسالت به أودية القلوب كل على قدر طاقته وحسب استعداده، وكما أن المطر يطهر الأرض من الأوساخ وهو معنى قوله تعالى : ﴿ **فاحتمل السيل زبداً رابياً** ﴾أي مرتفعاً على وجه الماء، كذلك العلم النافع يطهر النفوس من الأدناس، والقلوب من الأغيار، والأرواح من الأكدار، والأسرار من لوث الأنوار.

---

(١) سورة المطففين: (١٤).

(٢) سورة الرعد: (١٧).

٣ ـــ ومما استأنس به ابن عجيبة لعبارات الشيخ عن الذات الإلهية قوله :

قال تعالى :﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾[1] واسم الفاعل حقيقة في الحال وقال تعالى :﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾[2] وقال تعالى :﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾[3] وقال تعالى :﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس** ﴾[5] وقال تعالى :﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[6] وقال تعالى: ﴿ **إن الذي يبايعونك إنما يبايعون الله** ﴾[7] وقال ﷺ: « أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل » وقال ﷺ :« يقول الله تعالى يا عبدي مرضت فلم تعدني فيقول : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول الله : أما إنه مرض عبدي فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده، ثم يقول: يا عبدي استطعمتك فلم تطعمني ثم يقول استسقيتك فلم تسقني.. » الحديث.

٤ ـــ وعند قول الشيخ : (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه). قال الشرقاوي : (فإذا كان المريد في حال بدني أو قلبي لا يذمه الشرع لزمه حسن الأدب في اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى ينقله الله عنه، فإذا كان متجرداًوتعلق قلبه بالتكسب أو كان في صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الأدب مع مولاه، جاهلا بما يناسب حضرته، كذا إن كان في حال قبض وأراد الانتقال عنه إلى البسط قال بعضهم : لي منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني إلى غيره فسخطته. وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فإن سخط تلك الحال وتشوف إلى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه، وإساءة الأدب في حضرته، وهذا من

---

(١) سورة القصص: (٨٨).

(٢) سورة الحديد: (٣).

(٣) سورة البقرة: (١١٥).

(٤) سورة الحديد. (٤).

(٥) سورة الإسراء: (٦٠).

(٦) سورة الأنفال: (١٧).

(٧) سورة الفتح: (١٠).

معارضة حكم الوقت الذي تشير إليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة).

قال ابن عجيبة : ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئاً حيث عارض القدر ونازع القادر وقد قال تعالى :﴿ **إن ربك فعال لما يريد** ﴾[1] ﴿ **ولو شاء ربك ما فعلوه** ﴾[2] ﴿ **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾[3].

أقول : كل ذلك فيما ليس للشارع حكم فيه، فإذا كان للشارع حكم فيه فلا بد من الصيرورة إليه فإذا تسلط الكفر فالحكم الشرعي العمل بالقدر المستطاع لإنهاء سيطرته، وإذا وجد المنكر فالعمل بالقدر المستطاع من أجل إنهائه وإلا أصبحت الشريعة معطلة، ولكن قد تمر حالات وظروف لا يكون أمام المسلم إلا الصبر والتسليم.

﴿ **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾[4] ففي هذه الظروف التي يعجز الإنسان فيها عن أن يفعل شيئاً يسلم ويتربص وينتظر فرصة العمل.

* * *

---

(١) سورة هود: (١٠٧).

(٢) سورة الأنعام: (١١٢).

(٣) سورة يونس: (٩٩).

(٤) سورة الأعراف: (١٢٨).

الفصل الثالث

آداب العزلة

(إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس. لا تطلب منه أن يخرجَكَ من حالة ليستعملَكَ فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج * ما أرادَت همةُ سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونَادَتهُ هواتفُ الحقيقة: الذي تطلب أمامك. ولا تبرّجَتَ ظواهر المكوّنات إلا ونَادَتْكَ حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر * طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبة منك عنه. وطلبُكَ لغيره لقلة حيائك منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه * ما من نَفَسٍ تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه * لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه * لا تستغرب وقوع الأكدار، ما دامت في هده الدار، فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها، ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسِكَ).

مقدمة

طالبنا الشيخ في الفصل الثاني بالعزلة والخلوة، وقد افترض أن الناس قسمان :

قسم رفض نصيحته بحجة عدم الفراغ فهؤلاء خاطبهم خطاباً، وقسم تجاوب معه فهؤلاء خاطبهم خطاباً، بيّن للنوع الأول أن إحالته الأعمال على الفراغ من رعونات النفس، وبيّن للنوع الثاني آداب السالك في عزلته، وفيما بعد خلوته، فمن آداب التسليم لله عز وجل حيثما أقامه الله عز وجل، وعدم الفرار من مقام أخروي إلى غيره إلا بإخراج الله عز وجل، وأن الأدب في هذه الحالة هو الدعاء بلسان الحال ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها** ﴾[1]، وإن أدب السالك ألا ينشغل بالكون عن المكوِّن وألا يقف عندما كشف له وألا يشتغل بالأغيار عن الله عز وجل منتظراً ذهاب الأغيار عن قلبه، بل يديم المراقبة لتزول الأغيار، وعليه ألا يفترض أنه ما دام قد سار في الطريق إلى الله فإن الدنيا ستصفو له فهذه ليست طبيعتها، ثم ختم الفصل بتنبيه المريد ألا يطلب معتمداً على نفسه بل ينبغي أن يطلبها معتمداً على الله عز وجل متوكلاً عليه.

ومما مر ندرك أن هذا الفصل مبني على الفصل السابق، فالخطاب ههنا لمن سار وانقطع عن الأغيار وأقبل على الملك الجبار، هذا وفي الفصل عبارات ملتبسات مثل (طلبك منه اتهام له) فإذا فهمنا هذه العبارة على ظاهرها وهو أنك عندما تطلب من الله عز وجل فكأنك تتهمه، وهذا يعني بالضرورة إلغاء الدعاء مع أن الله عز وجل

---

(١) سورة البقرة: (١٤٤).

قال: ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1] فإذا فهم إنسان أن المراد بالعبارة تحريم الدعاء فهذا كفر لأنه تحريم للحلال القطعي، وليس مراد الشيخ ذلك كما سنرى، ولكن المتقدمين دأبوا أن تكون عباراتهم معقدة وقد يتعمدون أن تكون عباراتهم مشكلة. الفقهاء يتعمدون التعقيد وبعض الصوفية يتعمدون الإشكال، فما هدف الفقيه من ذلك؟ وما هو هدف الصوفي من ذلك؟ هدف الفقيه والصوفي واحد وهو أن يبقى التلميذ على صلة بالشيخ والكتب، وذكر ابن عابدين سببا آخر لتعقيدات كتب الفقه وهو ألا يأخذ العلم من ليس أهلاً له.

عندما تكون العبارة مشكلة يضطر طالب العلم أن يراجع أكثر من كتاب، وأن يراجع الشيوخ فيأخذ مع العلم الأدب والتقوى وحسن السمت فليس الهدف دنيوياً.

عندما يقرأ الإنسان الكتب دون أن يتتلمذ على العلماء لا يسري إليه حال العلماء ولا يظهر عليه سمت العلم ولا أدب العلم، لكن عندما يكون على صلة بالعلماء يأخذ سمت العلم وأدب العلم ونور العلم، ففي مرحلة من المراحل كان العلم في الصدور ولم يكن أمام الإنسان الذي يريد علما إلا أن يأتي العلماء ليأخذ عنهم، فترى طالب العلم ينتقل من بلد لبلد ليأخذ العلم عن أهله وقد يبقى خمس سنوات وعشر سنوات في المرحلة الواحدة لطلب العلم، كان هذا كله عندما كان العلم في الصدور فلما انتقل العلم إلى أن أصبح في الكتب أصبح الكثيرون يستطيعون أن يستغنوا بالكتب عن العلماء والشيوخ، لذلك قالوا: كان العلم في الصدور وكان الإنسان يحتاج لأن يأخذه من أهله، فلما أصبحت الكتب موجودة بيد الناس أصبح الإنسان يحتاج إلى المفاتيح، فحاول العلماء أن يبقوا مفاتيح كل علم بيدهم، فلكي يستطيع الإنسان أن يحصل العلم فتنفتح أمامه آفاقه فهو بحاجة إلى الشيخ، فقضية الإشكالات من ناحية أو قضية التعقيدات من ناحية كانت نوعاً من أنواع حبس المفاتيح بيد العلماء من أجل أن يبقى للمريد نوع صلة بالشيخ، فمن ثم نتوقع ونحن نقرأ كتب القدماء التعقيد والإشكال، وعلينا أن نبحث عن حل لهذا الإشكال من خلال الفهم الصحيح والدقيق دون المسارعة إلى إساءة الظن ولكن مع الاعتصام

---

(١) سورة غافر: (٦٠).

بالشريعة، بمعنى : إذا رأيت عبارة من العبارات ظاهرها يخالف حكماً شرعياً فكن مع حكم الشرع وابحث عن الفهم الصحيح لهذه العبارة بما يتفق مع الحكم الشرعي، وذلك لا يضرك أن تحسن الظن بالعلماء العدول، ونحن سنحاول أن نحمل عبارات الشيخ على محاملها الصحيحة.

الشرح

(إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) هده قضية مهمة كل منا يحس بها، تقول للمسلم : هل تطالع؟ يقول : لا يوجد فراغ وإن شاء الله عز وجل يصبح عندي فراغ فأطالع، تقول : هل تقرأ أوراداً؟ يقول : لا يوجد فراغ..

كثير من الناس يؤخرون العمل ليوجد الفراغ، والإنسان من طبيعته أن ينتقل من طور ضيق إلى طور أوسع في علاقاته وتعلقاته فهو دائما مشغول فمن أحال الأعمال الأخروية على وجود الفراغ فلن يفعل شيئاً لذلك كان من أدبهم أن يحتال الإنسان للعمل الأخروي (الأذكار وقراءة القرآن، والعلم..) وأن ينظم وقته، فأعمال الآخرة لا بد أن ترتبها وترتب أوقاتك على ضوئها وتسرق من أوقاتك من أجلها فمثلا ترتب برنامجك اليومي وذلك من سنة رسول الله ﷺ وأصحابه، (كان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما داوم عليه صاحبه) (وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه) يفهم من النصين أن لكل واحد من الصحابة نوعاً من الالتزامات، صلواته وقيام ليله ونوافل من الأذكار وقراءة القرآن هذا دأب الصحابة.

والمفروض أن يكون لكل واحد منا التزامه الخاص به على ضوء احتياجات قلبه ووضعه (ذكر وقراءة قرآن ومطالعة وصلوات نافلة مع ترتيبه لإقامة فرائضه) ثم إن عليه أن يحتال لإقامة هذه الأوراد، فمثلاً قد أكون في عملي فإذا أتيحت لي فرصة أن أخرج مصحفي وأقرأ ما استطعت بما لا يزعج أحداً فعلي أن أفعل.

المهم أن ترتب لنفسك برنامجاً يومياً وتكيف حياتك على ضوئه، ولا يحملّ

الإنسان نفسه ما لا تطيق فإن ذلك يسبب ردة فعل : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها** ﴾[1] فإذا وجد مسلم لا يقوم بأعمال الآخرة وكلما ذكّرته يحتج بعدم الفراغ فتلك علامة على عدم تهذيب النفس وأثر من آثار رعوناتها والرعونة فيها معنى المراهقة، وكأن هذا الإنسان عنده مراهقة نفسية وبالتالي لا يعرف كيف يتصرف الحكيم.

(لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها، فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج).

هاتان العبارتان يمكن أن تفهما فهما مشكلاً، فمثلاً عندي أمراض قلبية ألا يحق لي أن أطلب من الله عز وجل أن يخرجني من هذه الحالة إلى ما سواها؟ حتما لا يقول بذلك أحد نحن في كل صلاة نقول ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾[2]وهذا الدعاء يدخل فيه أن يخرجنا الله من حالة أرقى فما هو الفهم الصحيح الذي يتفق مع النصوص لهذه العبارة؟

عندنا حالة هي المقصودة هنا، وهي الحالة التي يندب للإنسان فيها أن يطلب بلسان الحال بدلاً من لسان المقال وذلك كأن يكون في مقام يؤدي فيه فرضاً كفائياً أو فرضاً أخروياً لكن نفسه تتطلع إلى شيء آخر، فأدبك في هذه الحالة أن لا تطلب وتفوض الأمر لله عز وجل، وإذا أردنا صورة من السنة النبوية على هذا فعندنا قول الله تعالى : ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينَّك قبلة ترضاها** ﴾[3] فالرسول عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً أن يصلي إلى بيت المقدس وكان قلبه يميل أن يتوجه نحو الكعبة، لكنه لم يطلب اكتفاء بعلم الله فكان أن حقق له الله ما أراد قال : ﴿ **فلنولينَّك قبلة ترضاها** ﴾[3] فعبارة الشيخ تشير إلى مثل هذه الأحوال، كأن يكون الإنسان في مقام وتهوى نفسه مقاماً أرقى، ولكن فيه نوع حظ للنفس، ففي هذه الحالة أدبه أن لا يطلب، ويترك الأمر لله عز وجل مستسلماً ومسلماً، هذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول ما معناه: إن لي نفساً تواقة إلى الإمرة

---

(١) سورة البقرة: (٢٨٦).

(٢) سورة الفاتحة: (٦).

(٣) سورة البقرة: (١٤٤).

فنالتها، ثم تاقت إلى الخلافة فنالتها وها هي تتوجه إلى الجنة. كل الذين يشتغلون بالعمل العام يمكن أن تكون عندهم تطلعات لأن الواحد منهم يرغب أن ينتقل من أدنى إلى أعلى وفي ذلك نوع حظ نفس.

العارفون يقولون : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة، وبعضهم يقول : حتى الصديقون لا يخرج من قلوبهم حب الرئاسة لكن يتحول فبدلاً من أن يكون دنيوياً يصبح أخروياً، فبدلاً من أن يحب الرئاسة من أجل الجاه والقضايا الدنيوية التافهة يصير يطلب الرئاسة لمعنى أخروي كأن يكون أكثر أجراً ﴿ **الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1] أي أجعلنا مأمومين بأن نكون وراءهم، أو اجعلنا قدوة للمتقين.

فعلى المعنى الثاني: هم راغبون بأن يكونوا أئمة لكن لا يريدون الإمامة لمعنى دنيوي فهذا لا يجوز، قال تعالى: ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** ﴾[2] فالأصل أن المسلم لا يطلب علواً في الأرض.

وإذن فهناك حالات يقيم الله عز وجل فيها عبداً من عباده في مقام ويتطلع إلى مقام آخر للنفس فيه حظ، فالشيخ يريد أن ينبهنا على مثل هذا، إن أدبنا في هذا المقام التفويض والتسليم فليس المراد بالعبارة أن أي حالة من الحالات تكون فيها النفس البشرية لا يصح أن تطلب تغييرها من الله، فهذا لا يصح لأنه يجب عليك أن تطلب من الله عز وجل أن يرقيك من الحالة السفلى إلى الحالة العالية من حالة المعصية إلى حالة الطاعة وأن تتطلع إلى ذلك.

فالمقصود من عبارة الشيخ إذا كنت في موقع تقيم فيه تكليفاً ربانياً فلا تطلب موقعاً للنفس فيه حظ، لأنه يخشى أن يكون في الطلب نزول عن المقام الأرقى، فإذا أقامك الله في موقع تحقق فيه فريضة عينية أو فرض كفاية فقد يكون ما تتطلع إليه تعطيلاً لهذه الفريضة نتيجة لشهوتك النفسية.

---

(١) سورة الفرقان: (٧٤).

(٢) سورة القصص: (٨٣).

إذا تطلعت نفسك إلى شيء من مثل هذه المعاني فداوم على ما أنت فيه واترك الأمر لله عز وجل، فإذا أراد أن يستعملك في حالة أخرى فالأمر له.

(ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة : الذي تطلب أمامك، ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر).

لقد أدب الله رسوله ﷺ بقوله :﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾[1] فالمفروض بالمسلم أن يكون في ترقٍّ مستمر في العلم، والعلم الأرقى ما ذكره الحديث الحسن « العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع وعلم في اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » أخرجه ابن أبي شيبة والخطيب وحسنه السيوطي وقال العراقي والمنذري : إسناده صحيح، فالترقي العلمي القلبي هو أعلى أنواع الترقي على الإطلاق، ولا بد للمسلم أن يبذل جهداً في هذا.

ثم قال الشيخ : (ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادتك حقائقها : إنما نحن فتنة فلا تكفر).

فالمكونات نفسها تقول بلسان الحال لا تقف عندي بل انتقل بقلبك إلى المكون بأن تستشعر صفاته وأسماءه، وفي السياق المطالبة لنا بأن نطلب الله عز وجل وحده ﴿ **يريدون وجهه** ﴾[2] فلا تغرنا ظواهر الكون عنه، يحاول الشيخ أن يبين لنا أن هذا هو الأصل الذي لا يصح غيره ويحاول أن يدلنا على قربه والتسليم له من خلال عبارات متلاحقة، ولكنه يصوغ بعضها صياغة مشكلة عند الذين لا يعرفون المقام الذي يتحدث عنه ، فالله تعالى قريب ـــ وقربه ليس كمثله شيء ـــ وعليك أن تستشعر قربه من خلال الدعاء والطلب فكأنه عندما قال في الحكمة السابقة : (الذي تطلب أمامك) أراد أن يقول : ولكن لا تظن أن الله بعيد عنك أو أنه غافل عنك، فلولا أنه تعبّدك بالدعاء وحجبك وأباح لك الأخذ بالأسباب المباحة لكان الأمر : (طلبك منه اتهام له، وطلبك له غيبة منك عنه، وطلبك لغيره لقلة حيائك

---

(١) سورة الكهف: (٢٨).

(٢) سورة طه: (١١٤).

منه، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) ولا شك أن بعض هذه العبارات فيها إشكال كقوله : طلبك منه اتهام له فأنت عندما تطلب من الله عز وجل فكأنك تتهمه ظنا منك بأنه غافل عنك، فما مراد الشيخ من هذا؟ هل مراده أن لا تطلب من الله؟

حتماً لا، فذلك منقوض شرعاً، بل مراده هنا أن عليك أن تلحظ وأنت تدعو أن الله ليس بغافل عنك، فاطلب منه على جهة العبودية له اطلب منه تحقيقاً للأمر : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1] فعليك أن تلحظ وأنت تدعو أن الله يعلم احتياجاتك ويعلم أوضاعك ويعلم أحوالك.

فعبارة الشيخ رحمه الله تفيد أن طلبك منه اتهام له في أصل المسألة فعليك وأنت تطلب منه أن لا تستشعر أنه غافل عنك بل تطلب منه قياماً بالتكليف الإلهي وقياماً بواجب العبودية كما ورد في الحديث الشريف « الدعاء هو العبادة » أخرجه الترمذي وصححه غيره وفي رواية « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي وضعفة. ثم قال الشيخ :

(طلبك له غيبة منك عنه) وهذه كذلك عبارة مشكلة، فنحن مطلوب منا أن نطلب الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾[2] فطلب وجه الله عز وجل وطلب الله هذا ما كلفنا به، وقد جعل حسن البنا رحمه الله كلمة (الله غايتنا) أحد الشعارات الرئيسية للدعوة الإسلامية المعاصرة، والله عز وجل جعل طريق الوصول إلى هذا المطلب التقوى قال تعالى : ﴿ **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** ﴾[3] فأنت عندما تذبح لله فإنك لا تنال الله باللحم والدم، وإنما تقواك هي التي تنيلك وجه الله، فالأصل أنك مكلف أن تطلب رضوان الله عز وجل حتى تناله ولكن فكرة الطلب لله تشعر بأن هناك شيئاً من البعد بين القلب وبين الله عز وجل، فالشيخ هنا أراد أن ينبهنا إلى هذا المعنى يقول : (وطلبك له غيبة منك عنه) فالله تعالى قريب إليك :

---

(١) سورة غافر: (٦٠)

(٢) سورة الكهف (٢٨).

(٣) سورة الحج: (٣٧).

﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[1] فالشيخ لا يريد أن ينفي أن نطلب الله، بل علينا أن نطلب الله وهذا تكليف رباني لنا ولكن ينبهنا على قصورنا فما دمت في الطلب فهذا يعني أنك لا زلتِ غائباً عن الله.

السير إلى الله كله طلب لله وللوصول إليه، فالشيخ لا يريد منك أن لا تطلبه ولكن يريد أن ينبهك أنك ما دمت في الطلب فإنك لا زلت غائباً عن الله ولا زلت بعيداً عن المطلوب فعليك أن تبذل جهداً للوصول.

(وطلبك لغيره لقلة حيائك منه) فلو كان الإنسان يستحي من الله حق الحياء ما كان عنده مطلب إلا الله وكل ما سوى ذاك يأتي تبعاً، اطلب الله ولا تطلب غيره ولا يكن لك مطلب إلا الله.

(وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) عندما تطلب من المخلوقات ما تحتاجه، الحظ أن قلوب هذه المخلوقات بيد الله فإذا لم يسخرها الله تعالى لك لا تصل إلى شيء وإذن فأنت عندما تطلب من المخلوق لاحظ الخالق، عندما تذهب لإنسان تريد عملاً تذكّرْ الله عز وجل لأن الله هو المعطي، ماذا تعني كلمة الحمد لله، الألف واللام هنا تفيد الاستغراق فالحمد كله لله فما من نوع من أنواع الحمد إلا وهو في النهاية لله، حتى عندما أحمد مخلوقاً فالحمد في النهاية لله لأن هذا المخلوق ما حمدته إلا على شيء ما كان لولا الله، عندما تطلب من المخلوق لاحظ أنك تطلب من الله أما إذا غفلت عن هذا فذلك دليل البعد (وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) فعلامة قربك من الله عز وجل أن تطلب منه وإذا طلبت من غيره أن تلحظه.

(ما من نَفَسٍ تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه فسلم لله في كل حال).

(لا تترقب فروغ الأغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه).

ما سوى الله غير، وأنت بين حالتين : الحالة الأولى أن تكون مراقباً لله عز وجل والحالة الثانية أن يكون في قلبك أغيار.

---

(١) سورة ق: (١٦).

إما أن يسيطر علي قلبك الأغيار وإما أن تسيطر على قلبك مراقبة الله ومشاهدته، فالأصل أن تبذل جهداً لتسيطر على قلبك مراقبة الله عز وجل، فالسالكون إلى الله عز وجل يصلون إلى حالة لا يغيب عنهم الله عز وجل أبداً حتى في أكلهم حتى في شربهم حتى في مخاطبتهم للناس، وهذا أرقى درجات الوصول إلى الله عز وجل، قال الجنيد رحمه الله : (صار لي ثلاثون عاماً أخاطب الخلق وأنا أخاطب الحق) بمعنى أنه منذ ثلاثين سنة لم يغب الله عز وجل عنه لحظة واحدة حتى وهو يخاطب الخلق.

وهذه حالة لا يصل إليها الإنسان إلا بعد مجاهدة، فهذه الحالة في ابتداء الأمر تمر ثم تغيب فإذا بقي الإنسان مستمراً في السير إلى الله عز وجل فإنه يصل إلى كمال هذه الحال، وعلى كل فالأمر يدور بين حالين :

إما أن يسيطر الغير على القلب فلا مراقبة وإما أن تسيطر المراقبة على القلب فلا غير، وأحياناً يحدث للسالك أن يصير عنده نوع من المراقبة لقلبه فينتظر كيف ستذهب هذه الأغيار عنه، كيف يصفو قلبه، هذه العملية هي التي ينبهنا عليها الشيخ : إن إرادتك أن تذهب الأغيار عن قلبك نوع من أنواع الحجاب عن المراقبة لله عز وجل فبدلاً من أن تفكر متى سيذهب الغير عن قلبك، اخط الخطوة اللاحقة، وجِّه قلبك إلى الله عز وجل بحيث تستشعر المراقبة، وذلك لا يكون إلا بعد ذكر كثير ومع ذكر كثير: ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[1] ليس هناك وسيلة أخرى للوصول إلى طمأنينة القلب، فالجار والمجرور عندما يتقدم على الفعل في اللغة العربية يفيد الاختصاص.

ثم بعد ذلك ينبهنا الشيخ إلى قضية يخطئ فيها الكثيرون وهي أن بعض الناس يظن أنه كلما تقرب إلى الله، فذلك يقتضي أن تصفو له الدنيا فلا مصيبة ولا مشكلة، ويتوقع أن تكون الدنيا مفتوحة له والأمور سهلة عليه ولا إزعاج، هذا المعنىٰ يقع في قلوب العامة وكثيراً ما يحدث أن السالك إلى الله يقع في خلده أنه ما دام سائراً إلى الله وما دام يرتقي في الطريق إلى الله عز وجل، فالمفروض أن لا يكون هناك مزعج، هذا الوهم خطأ. ليس هناك أرقى من مقام الرسول ﷺ وليس أكرم على الله عز وجل

---

(١) سورة الرعد : (٢٨).

منه، ومع ذلك ابتلي وأوذي أشد أنواع الابتلاء والإيذاء فكلما كبر الإنسان في الشرف كان الإيذاء في حقه أشد، والرسول ﷺ هو من هو في الشرف ونبل الأصل، ومع ذلك لا ترى نوعاً من أنواع الإيذاء إلا وقد أصابه، جرح، اتهم، وضعت النجاسات على ظهره، أخذ بتلابيبه وهذا بعض ما أصابه، فإذا كان الرسول ﷺ أصابه ذلك فكيف يتصور المسلم أن هذه الدار لا مشكلة فيها ولا إزعاج، لذلك قال الشيخ :

(لا تستغرب وقوع الأكدار ما دمت في هذه الدار فإنهاما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) الدنيا هذا وصفها وهذا نعتها، دار كدر، أما الآخرة فهي دار الصفاء، فهذه الدنيا التي هذه صفتها لا تتوقع إطلاقاً وأنت فيها أن لا يصيبك كدر، تجد الكدر من أقرب المقربين إليك قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً** ﴾[1] موسى عليه السلام أودي والرسول عليه الصلاة والسلام أوذي، هذه طبيعة الحياة الدنيا فعليك أن توطن نفسك بأن تقوم بحق الله عز وجل في كل حال.

ثم نبه الشيخ على خلق عظيم من أخلاق الصديقين هو أنهم يطلبون ما يريدون من خير بالله ولا يعتمدون على أنفسهم قال الشيخ:

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) كل شيء تطلبه بالله سهل، وكل شيء تطلبه بنفسك صعب، فلا تطلب شيئاً إلا بالله مع ملاحظة الأدب الذي ذكره لنا الشيخ من خلال الفصل.

فالقضية ظاهرها سهل لكن من حيث الواقع العملي التطبيقي فإنها تحتاج إلى تذكر دائم فأنت يومياً عندك مطالب لنفسك، لزوجتك، لعملك وفي كثير من الأحيان يصبح عند الإنسان نوع من الاعتداد بنفسه بحيث يشعر أن كل المشكلات يستطيع أن يحلها بأبسط من شرب الماء فهو يستطيع أن يعمل كل عمل وأي عمل.

فالشيخ هنا ينبهنا أن لا تطلب طلباً إلا بالله مهما كان صغيراً، ولقد علّمنا رسول

---

(١) سورة الأحراب: (٦٩).

الله ﷺ أن ندعو الله عز وجل في الصغيرة والكبيرة حتى إذا انقطع شسع نعلنا، وعلمنا رسول الله عليه الصلاة والسلام ألا نعتمد على أنفسنا في أمر الدنيا والآخرة وهذا مقتضى قولنا : لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا ما ختم الشيخ به الفصل.

* * *

خلاصة الفصل

التحقق بالعبودية أرقى مقامات السالكين.

والعبودية تقتضي قياماً بالتكليف لا تسويفاً.

وتقتضي طلباً مستمراً لله من الله، فالدعاء مخ العبادة لأنه معرفة بالله وافتقار له وتذلل بين يديه.

وأدب الدعاء أن تستشعر أن الله ليس غافلاً عنك ولا غائباً عنك.

والعبودية تقتضي أن تستشعر وأنت تطلب من غير الله أن تعرف أن مرجع الأمور إليه وأن قضاء الحاجات بيده.

والعبودية تقتضي التسليم للأقدار وتقتضي المراقبة لله في كل حال.

وتقتضي معرفة الدنيا والزهد فيها والصبر على ما يجري عليك فيها من أوضار.

والعبودية تقتضي أن تطلب الأشياء بالله لا بنفسك.

هذه المعاني بعض ما جاء في هذا الفصل.

فوائد

١ ــ بمناسبة قول الشيخ (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها...).

قال ابن عباد : إذا أقام الله تعالى العبد في حال من الأحوال التي لا يذمها الشرع، فليلتزم حسن الأدب في اختيار بقائه عليها ورضاه بها، وليراقب الله تعالى في مراعاة آدابها، وليوافق مراد الله تعالى في ذلك حتى يكون هو الذي ينقله عنها.

كما أنه إذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين أو بالدنيا لا ينبغي له أن يروم الخروج منها بنفسه، ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه، كما تقدم في قوله: (ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه) مع الشرط المتقدم، وهو أن لا يكون في ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي فينبغي له أيضاً أن لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها، لأن هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له في ذلك، بل ينبغي له حسن الأدب معه وإيثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتعرف فيها محبة الله تعالى وإرادته له فيستعمله استعمالاً محبوباً عنده مع بقائه على حالته التي هو عليها، فيكون إذ ذاك بمراد الله تعالى لا بمراده لنفسه، وهو خير مما اختاره.

٢ ــ وقال ابن عجيبة :

من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله والاستغناء به عما سواه، فإذا أقامه الله تعالى في حالة من الأحوال فلا يستحقرها ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى، فلو أراد الحق تعالى أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير أن يطلب منه أن يخرجه، بل يمكث على ما أقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذي يتولى إخراجه كما تولى إدخاله : ﴿ **وقل رب أدخلني مُدْخَل صدق وأخرجني مُخْرَج صدقٍ** ﴾[1] فالمدخل الصدق هو أن تدخل فيه بالله والمخرج هو أن تخرج منه بالله.

---

(١) سورة الإسراء: (٨٠).

فإذا تجلى في العارف شيء من هذه الأمور ـــ أعني : الانتقال من حال إلى حال ـــ فليتأن وليصبر حتى يفهم أنه من الله بإشارة ظاهرة أو باطنة أو هاتف حسي أو معنوي ولينصت إلى الهواتف فإن الله تعالى يخاطبه بما يفعل، وهذا أمر مجرب صحيح عند العارفين حتى أنهم لا يتصرفون ألا بإذن من الله ورسوله، إذ لا فرق عند أهل الجمع جعلنا الله منهم آمين، وهذا كله إذا كان الحال الذي هو فيه موافقاً للتريعة وإلا فليطلب الخروج منه بما يمكن.

وقال الشيخ الشرقاوي في شرح العبارة: (فإذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه، وكانت مباحة في الشرع لا ينبغي أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر في قوله : (ما ترك من الجهل شيئاً) إلخ.. وكذا لا ينبغي له أن يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها، لأن هذا من التخيير على الله ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي أن يطلب حسن الأدب معه وإيثار مراده على اختياره، فإذا علم منه مولاه ذلك استعمله استعمالاً محبوباً عنده مع بقائه على ما هو عليه، فيكون إذا ذاك بمراد الله له لا بمراده لنفسه، وهو خير له مما اختاره ولو قال لحصل لك المطلوب من غير إخراج لكان أولى، أما لو كان على حالة لا توافق الترع فيجب عليه المسارعة إلى الانتقال والطلب من مولاه أن ينقله إلى ما يرضيه).

أقول: هذا المقام من مقامات الصديقين فهم يعتبرون الخروج من حالة الى حالة لا يصح بلا إذن في حقهم، وذلك سنة الرسل مع الله عز وجل، وسنة أصحاب الرسل مع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ألا ترى أن رسول الله ﷺ لم يهاجر إلا بإذن خاص من الله، وأن أبا بكر لم يهاجر إلا بإذن خاص من رسول الله ﷺ، وأن يونس عليه الصلاة والسلام عندما فارق قومه بلا إذن خاص عوقب، ولكن الإذن الخاص بواسطة الوحي قد انتهى، فلم يبق إلا الاستخارة والرؤيا الصالحة والاستشارة لأهل الكمال، فمن علامة الإذن التيسير أو الإخراج القهري من الله عز وجل، وذلك كله حيث لا حكم شرعياً واضحاً، أما إذا كان الحكم الشرعي بوجوب الانتقال أو بحرمة البقاء فلا كلام.

٣ ـــ بمناسبة قول الشيخ (طلبك منه اتهام...) قال ابن عجيبة: (طلبك منه يكون بالتضرع والابتهال، وطلبك له بالبحث والاستدلال، وطلبك لغيره يكون

بالتعرف والإقبال، وطلبك من غيره يكون بالتملق والسؤال) وذلك الأخير علامة على قلة الحياء من الله.

﴿ وما الله بغافل عما تعملون ﴾[1] ﴿ أليس الله بكاف ٍ عبده ﴾[2].

قال ﷺ: « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ».

وإذا ورد منهم الدعاء فإنما هو عبودية وحكمة.

وحقيقة الرضى : هو تلقي المهالك بوجه ضاحك، وحقيقة التسليم : استواء النقمة والنعيم بحيث لا يختار في أيهما يقيم.

٤ ـ بمناسبة قول المؤلف: (لا تستغرب وقع الأكدار ما دمت في هذه الدار)
قال ابن عجيبة : من آداب العارف أن لا يستغرب شيئاً من تجليات الحق، ولا يتعجب من شيء منها كائنة ما كانت جلالية أو جمالية، فإن نزلت به نوازل قهرية أو وقعت في هذه الدار أكدار وأغيار جلالية فلا تستغرب وقوع ذلك، لأن تجليات هذه الدار جلها جلالية لأنها دار أهوال ومنزل فرقة وانتقال.

* * *

(١) سورة البقرة: (٨٥).
(٢) سورة الزمر. (٣٦).

الفصل الرابع

الحث على إحكام البدايات ورفع الهمة نحو النهايات

(من علامات النجاح في النهايات، الرجوع إلى الله تعالى في البدايات. من أشرقت بدايته، أشرقت نهايتهُ * ما استودع في غيب السرائر، ظهر في شهادة الظواهر * شتان بين من يُسْتَدلُّ به أو يَستدِل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله، فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه. وإلا فمتى غاب حتى يُستدل عليه، ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه * لينفق ذو سعة من سعته: الواصلون إليه، ومن قُدر عليه رزقه: السائرون إليه * اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأوّلون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لا لشيء * دونه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون).

المقدمة

في هذا الفصل تشجيع على إحكام البدايات ورفع همة السالك نحو النهايات، وإشارة إلى ضرورة الدعوة إلى الله في البدايات والنهايات، واحتياج المريدين إلى توجيهات الشيوخ في السير وتوجهاتهم، واحتياج الواصلين إلى التجليات الإلهية للاهتداء في ظلماء الطريق، وفيما بين ذلك يدلنا الشيخ على أصول : إن الظاهر عنوان الباطن، وإن وجود ألله أظهر من كل ظاهر، وفي هذا كله رفع همة السالك للسير إلى معرفة الله عز وجل، وتكاد الفصول الأولى كلها أن تكون من باب التعريف على كمالات السائرين والواصلين، وذلك بين يدي أن يدلنا الشيخ على الطريق من بدايته إلى نهايته في القسم الثاني.

الشرح

(من علامات النجاح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات).

أول نقطة ينبهنا عليها الشيخ رحمه الله في هذا الفصل إذا أردت نهاية صحيحة فعليك أن تكون بدايتك صحيحة، والبداية الصحيحة هي التي يرجع الإنسان فيها إلى الله عز وجل فإذا كانت بدايتك هي الرجوع إلى الله عز وجل فنهايتك تكون بإذن الله صالحة.

الرجوع إلى الله عز وجل في بداية السير له أكثر من صورة وأكثر من معنى؛ فالرجوع إلى الله عز وجل يأتي بمعنى الرجوع إلى حكمه، فبدايتك ينبغي أن تكون مسيراً منضبطاً بالحكم الشرعي فإذا انطلقت من غير حكم شرعي لا تصل إلى نهاية صحيحة، فمن كانت بدايته على جهل كانت نهايته ضلالاً، فلا بد أن تحكم الأصل الشرعي من نقطة الانطلاق، وهذا يكون إذ حصَّلْتَ العلم الذي يعصم من الوقوع في الخطأ أو الضلال لذلك كان من تعبيراتهم (من تصوَّف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق) ومن وصايا كبار الشيوخ لتلاميذهم قال : (يا بني كن محدِّثاً صوفياً ولا تكن صوفياً محدّثاً) فابدأ بالعلم ثم بعد ذلك بالتصوف، لأن الذي يبدأ بالعلم ثم يتصوف يمشي على بصيرة ولا يحمل النصوص على التصوف، أما الذي يبدأ بالتصوف ثم بالعلم فقد يحمل النصوص على غير محاملها، فالرجوع إلى الله عز وجل أولاً بمعرفة الأحكام الشرعية التي تعصم من الخطأ في السير، فهذا أول معنى يُحمل عليه الرجوع إلى الله عز وجل.

المعنى الآخر : أن على الإنسان قبل أن يقدم على أي شيء أن يستخير الله عز

وجل، ففكرة الوجوع إلى الله في البداية يدخل فيها الاستخارة، كما يدخل الدعاء، وإحكام الصلة بالله عز وجل والرعبة إليه في التسديد في الشيء الذي تريده حتى تطمئن إلى أن الله قد رضي لك أن تسلك هذا الطريق.

وإذا كانت هذه الحكمة تفهم على هذه الشاكلة في باب السير إلى الله عز وجل فبالإمكان أن تأخذ منها معاني جوهرية في الحياة العملية، إن أي نجاح تريده ينبغى أن تكون نقطة البداية فيه صحيحة وسليمة، إن عليك أن تحكم الأمر في البداية لتنجح في النهاية، إحكام الأمر في البداية يعني أن ترجع إلى الله عز وجل فيه قبل الإقدام، هذه النقطة يجب أن نضعها في حسَابنا وهي ليست سهلة، كثير من القضايا تقبلها قلوبنا وعقولنا لكن عندما تريد أن تعطيها طابعها العملي تجد الأمر ليس سهلاً إذا لم تحكم البداية، فلا ترى نفسك فجأة إلا في نهاية خاسرة أو في حرج، لذلك كان واجب كل أنسان الرجوع إلى الله في أي قضية يريد أن يدخلها وفي أي طريق يريد أن يسلكه.

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدِّموا بين يدي الله ورسوله ﴾[1].

فعلينا أن نتسرع في البدايات في أي قضية من قضايانا، وأن نحكم أمر البداية بالرجوع إلى الله بالاستفتاء لمعرفة الحكم الشرعي وبالاستشارة والاستخارة للتعرف على المصلحة، كان الصحابة إذا عرض على أحدهم أمر يقول : (حتى أؤامر ربي) هكذا قالت زينب عندما استشيرت بالزواج من رسول الله ﷺ، هدا أدبهم الذي علمهم أياه رسول الله ﷺ، فعلينا أن نعتاد أن لا نقدم على أمر قبل أن نرجع إلى الله عز وجل فيه مع ملاحظة أن الفرائض المتعينة لا تحتاج إلى استخارة أو استشارة، أما غير المتعينة فتحتاج إلى استفتاء واستخارة واستشارة.

القضية المباحة تحتاج إلى استشارة واستخارة ويتخير لاستشارته، فلا يصلح للاستشارة إلا أمين، ولا يصلح للاستشارة إلا كتوم، ولا يصلح للاستشارة إلا إنسان مستوعب للقضية التي تريد أن تستشيره فيها.

---

(١) سورة الحجرات: (١).

فالشيخ ينبهنا إلى أنه ينبغي أن تحكم بدايتك، وإحكام البداية بالنسبة للسير إلى الله عز وجل يكون بالتمكن من العلم الذي يحفظك عن الزيغ، ويحفظك عن الفهم الخاطىء، واختيار الشيخ الصالح والبيئة الطاهرة، والاستخارة والاستشارة فيما يشكل، والافتقار إلى الله والدعاء أن يهديك سواء السبيل ثم قال الشيخ:

(من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) لو أن إنساناً سار في الطريق إلى الله عز وجل وأردنا أن نتوقع ما هو مستقبله؟ فما هي العلامة التي نستطيع أن نحكم بها على النهاية؟

العلامة : هي إشراق البداية فهو الذي يدل على إشراق النهاية، وإذن فالبدايات لا بد من إحكامها ثم هي الدليل على النهاية التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، يبقى أن نسأل ما هو إشراق البداية التي تجعلنا نتوسم بصاحبها أن نهايته ستكون حميدة؟ إشراق البداية يكون في الإقبال الكامل على الله عز وجل، وإعطاء السير إلى الله كل حقوقه. نحن نلحظ في حياة أصحاب رسول الله ﷺ أن الإقبال على أعمال الإسلام في البدايات كان قوياً، يروى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى أحد العابدين يصلي في مسجد الرسول ﷺ وهو يبكي بكاء شديداً فقال : هكذا كنا ثم قست قلوبنا.

المهم أن إشراق البداية يظهر من خلال قوة الإقبال على الله عز وجل في البداية، بالأذكار والأوراد، بالعلم، بالمطالعة، بزيارة إخوانه، بخدمتهم، بالقيام بحقوق السير إلى الله عز وجل كاملة، من طاعة للشيوخ بالمعروف، إلى محبتهم، إلى غير ذلك، فمن كان هذا حاله كانت بدايته مشرقة، وبالتالي نستطيع أن نستدل على نهايته بهذه البداية، لكن هناك نقطة احتراس : إنّ علامة إشراق البداية هي قوة الإقبال على الله عز وجل، والقيام بمقتضيات السير إلى الله عز وجل إلا إذا وصلت إلى درجة الغلو والتطرف، فعندئذ يمكن أن تشكل خطراً على صاحبها، فكثيرون من الناس يندفعون اندفاعات في الإقبال على الله عز وجل، ولا يلحظون حق جسد ولا حق أهل ولا حق جار، ولا واجب وقت، أمثال هؤلاء والعياذ بالله قد ينتكسون.

إشراق البداية أن تقبل على الله عز وجل حق الإقبال، وأن تقوم بحق السلوك إلى الله عز وجل حق القيام، لكن في الوقت نفسه ألاّ يكون ذلك على حساب شيء آخر أنت مطالب به، لنفرض أن إنساناً أقبل على الله عز وجل بالجوع والسهر إقبالاً

شديداً لدرجه أنه أعلّ جسمه، هذا غلط، هذا ليس إقبالاً صحيحاً لأن فيه تضييع حق « إن لجسمك عليك حقاً» أخرجه البخاري وغيره، ومثله من أقبل على الله عز وجل فضيع حق أُمّه، أو أقبل على الله فضيع حق أبيه، أو أقبل على الله فضيع حق الجوار، أو أقبل على الله فضيع حقوق الخلق، أو أقبل على الله بنافلة فضيع واجبات، « وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » أخرجه البخاري، علينا أن نضع في حسابنا أن لا تكون نوافلنا على حساب فروض، فمثلاً لو كنت أعمل وردي وإذا بإنسان يغرق ففي هذه الحالة أتخلى عن وردي وأنقذه أم أتابع وردي؟ لا، بل عليّ أن أنقذه، فلا يصح أن تكون النوافل على حساب الفرائض، بل بعض الفروض يطوى لصالح فروض أخرى، فكما أننا نحاول أن نحكم البداية حتى تكون بدايتنا مشرقة، فلا يصح أن تكون قوة البداية على حساب فرائض.

فالشيخ نبهنا أن علينا أن نرجع إلى الله عز وجل في البدايات، وأعلمنا أن الإنسان إذا أشرقت بدايته أشرقت نهايته، وكأن قائلاً يقول: وكيف نعرف إشراق البدايات؟ تأتي الحكمة اللاحقة فتجيب :

(ما استودع في غيب السرائر، ظهر في شهادة الظواهر، شتان بين من يستدل به..).

يعطينا الشيخ في هذه الحكمة ملامح للتعرف على إشراق البداية، فما من إنسان تكون بدايته صحيحة مشرقة إلا ويظهر ذلك على ظاهره، على الجوارح، كأن الشيخ يقول لنا : إن العلامة التي تعرفون بها صدق المريد وصدق بداياته ما يظهر على جوارحه، أما أن يحدثك إنسان عن المعارف والحقائق وهو متلبس بمعصية أو لا يقوم بحق الله عز وجل فهذه بداية كاذبة.

انظر إلى بدايات رسول الله ﷺ وأصحابه تعرف البداية الصادقة، وهذه البدايات تتعرف عليها من السور التي أنزلت في ابتداء الوحي ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[1] ﴿ **يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبّر * وثيابك فطهّر * والرجز**

---

(١) سورة العلق: (١).

فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾[1] **﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * ... واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً... فاتخذه وكيلاً... واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾**[2] هذه هي البدايات الصحيحة.

وقد عبر الشيخ عن علامات البداية الصحيحة بقوله :

(ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه، المستدل به عرف الحق لأهله فأثبت الأمر من وجود أصله، والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه، وإلا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التي توصل إليه) هذا الكلام آت في سياق التعريف على البداية المشرقة ثم قال الشيخ: لينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه، **﴿ ومن قُدر عليه رزقه ﴾**[3] السائرون إليه).

كثيراً ما يحدث أن الإنسان في أول سيره إلى الله عز وجل، سواء كان سيراً علمياً أو عمليّاً وذكرياً بآن واحد يخطر بباله ــ وخاصة أن العزلة جزء من السير إلى الله عز وجل في البداية ــ أن يؤكد اعتزاله ولا يشتغل بالدعوة إلى الله ولا بالتعليم، هذا المعنى تجده أحياناً عند طالب علم، وتجده عند سالك إلى الله عز وجل، المهم أنك تجد سائراً إلى الله عز وجل يقع في قلبه هذا المعنى (أنه لا يريد أن يدعو أو يعلِّم حتى ينضج) هذه القضية تحتاج إلى الكثير من الموازنات والفقه، فلا يصح أن يستغرق الإنسان في الدعوة الى الله بحيث يقطعه ذلك عن السير إلى الله، بل هذا خلاف السنة، فالرسول عليه الصلاة والسلام وهو المكلف بأعظم أنواع التكاليف وخاصة في قضية التبليغ بالذات، لم تشغله الدعوة عن العبادة ولا عن العلم ولا عن التعليم، والمفروض في المسلم أن يكون هذا شأنه يعطي كل قضية حقها لا زيادة ولا نقصاناً، لا بد أن يتعلم الإنسان ويعلِّم، وهذا النوع من الناس هو الذي

---

(١) سورة المدثر: (١ ــ ٧).

(٢) سورة المزمل: (١ ــ ١٠).

(٣) سورة الطلاق: (٧).

يصير عالما، لأن العلم يزكو بالإنفاق، كالمال يزكو بالإنفاق، فالذي يتعلم ويعلِّم هذا الذي يكون عالماً، أما الدي يقول : لا أعلِّم حتى أتعلم فهذا لن يكون عالماً، لأنك متى بدأت تعلِّم ترى المعاني ترسخ، فقد يسألك الذي تعلمه أسئلة عن دقائق تضطر فيها للمراجعة، وينتج عن ذلك أنك ترسخ في العلم فعندما تكرر العلم بالتعليم عندئذ تكون عالماً، وكذلك الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعندما يمارسها الإنسان تصبح ملكة عنده، وبالتالي ترسخ معاني الدعوة إلى الله حتى تصبح خلقاً له، أما الذي لا يدعو إلى الله منذ الابتداء فإنه إذا فكر في يوم من الأيام أن يدعو فقد لا تواتيه نفسه، أو قد يفتقد الخبرة أو يريد أن يدعو فلا يجد لفوات الفرص، فلا يجوز أن تفوّت فرصة الدعوة إلى الله عز وجل، لأنك قد تجد اليوم سبيلاً وفي اليوم الثاني قد لا تجد سبيلاً، ثم إن تأخير إنكار المنكر والأمر بالمعروف مع الاستطاعة إثم، وإذن فكثيراً ما يقع في ذهن طالب العلم أو في ذهن السالك أن لا يدعو إلا بعد أن يتمكن، فالشيخ رحمه الله أراد أن يصحح هذا المفهوم يقول :

﴿ **لينفق ذو سعة من سعته** ﴾ الواصلون إليه، ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله** ﴾[1] السائرون إليه.

ماذا يعني كلام الشيخ؟ قال الله تعالى: ﴿ **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلِّف الله نفساً إلا ما آتاها** ﴾[1]. هذه الآية الآتية في سورة الطلاق وفي سياق الكلام عن الطلاق تفيد أن الغني ينفق من غناه والفقير يفق على قدره. أخذ الشيخ هذا المعنى فقال: أيها السالك إلى الله عز وجل إن كنت قد وصلت إلى الله عز وجل فقد أصبحت غنياً وعليك أن تنفق من غناك، وإذا لم تصل إلى الله عز وجل فأنت لا زلت فقيراً فأنفق على قدر ما عندك، ولكن لا بد من الإنفاق في حالة الوصول أو في حالة السير.

فإنفاق الواصل إلى الله عز وجل إنما يتم بالدعوة والتعليم، وسيأتي معنا في الحِكَم أن الوصول إلى الله هو الوصول إلى العمل به، فالواصل إلى الله عنده العلم

---

(١) سورة الطلاق: (٧).

فعليه أن يعلّم وأن يدعو، ﴿ **ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** ﴾[1]. وأما السائر إلى الله عز وجل فلا زال العطاء الرباني له قليلاً نسبياً ولا زال هو فقيراً لكن مع أنه فقير فعليه أن ينفق بالقدر الذي عنده، فيا أيها السائر إلى الله لا توجد حالة من الحالات إلا وعليك أن تدعو وتعلم.

من خلال هذه العبارة ندرك أن الشيء الذي فهمناه فيما مر من أن الخلوة والعزلة قضية مرحلية صحيح. ثم يختم الشيخ هذا الفصل بقوله :

(اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم، لأنهم لله لا لشيء دونه) ﴿ **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾[1].

السائر إلى الله عز وجل له هداية والواصل إلى الله له هداية، والمراد بهذه الهداية الهداية الخاصة المذكورة في قوله تعالى ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلَنا** ﴾[2] وفي قوله تعالى: ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[3]، فالله عز وجل أكرمنا بأنواع من الهداية، أكرمنا بالهداية المتمثلة بالكتاب والسنة، وعلينا أن نهتدي بهما، وهناك الهداية التي يكرم الله بها العبد بشكل خاص بإلهام خاص، أو نور يقذفه في القلب، أو رؤيا موجهة، فالمسلم يهتدي بالكتاب والسنة وعنده الإحساسات القلبية، فالقلب البشري بحاجة إلى تثبيت مستمر، فإذا كان الله عز وجل جعل من حكمة إنزال القرآن الكريم مفرقاً ليثبت قلب الرسول ﷺ، وجعل حكمة إنزال القصص على رسوله تثبيت قلب الرسول ﴿ **وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾[4] ﴿ **كذلك لنثبّت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً** ﴾[5] فالقلب البشري بحاجة إلى تثبيت مستمر، فالقلب الذي يرى الماديات والشهوات والتيارات تعصف به عواصف، فهذا القلب اليشري يحتاج إلى مثبتات، فهذه الهداية

---

(١) سورة الأنعام: (٩١).

(٢) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٣) سورة محمد: (١٧).

(٤) سورة هود: (١٢٠).

(٥) سورة الفرقان: (٣٢).

الخاصة تشكل نوعاً من أنواع المثبتات للقلب البشري، على الصراط المستقيم لمن شاء الله عز وجل إكرامه وهدايته، وإذا فهناك نوع من الهداية الخاصة يكرم الله عز وجل بها من شاء من عباده.

والشيخ رحمه الله يفرق بين الهداية التي تكون للواصل وبين الهداية التي تكون للسائر إلى الله عز وجل، فالسائرون لهم هداية ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا** ﴾[1].

والواصلون لهم هداية ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[2].

يقول : اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، والواصلون لهم أنوار المواجهة، فكل له نور وهداية، السائر هدايته بأنوار التوجه، هناك نوعان من التوجه يخدمان المريد، النوع الأول : هو توجه الشيخ لمريده، فهذا عامل من عوامل هداية المريد، وهذا التوجه يظهر في توجيهات الشيخ اللسانية ويظهر في توجيهات الشيخ القلبية للمريد، فهذا يخدم المريد في سيره إلى الله عز وجل، والتوجه الثاني : هو صدق المريد في التوجه نحو الله، « من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً.. » أخرجه البخاري، اهتدى الراحلون إليه بأنوار التوجه، فهدايته هي أثر عن التوجه المتمثل بتوجه الشيخ نحو المريد، أو بتوجه المريد نحو الله عز وجل فلتتذكر بداية الفصل في الكلام عن البدايات الصحيحة؛ فمن البدايات الصحيحة ان يكون هناك توجُّه قلبي صادق عند المريد / نحو الله عز وجل وأن تكون له توجهات من قِبَل أهل السلوك إلى الله، فإذا وصل المريد إلى الله عز وجل وأصبحت روحه عاكفة في الأنوار بحيث يحس بها إحساساً مباشراً، فهدايته في هذه الحال ذات شأن خاص ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[3] ﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة... نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** ﴾[4] قال : فالأولون للأنوار، وهؤلاء الأنوار لهم، الأولون مملوكون للأنوار فالأنوار هي التي تملكهم، أما هؤلاء فأصبحوا يملكون نوراً، لأنهم لله لا لشيء غيره.

---

(١) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٢) سورة محمد: (١٧).

(٣) سورة الزمر: (٢٢).

(٤) سورة النور: (٣٥).

خلاصة الفصل

دلنا هذا الفصل على ضرورة إحكام البدايات وعلى علاماتها، وعلى ضرورة الدعوة إلى الله في كل الأحوال، ومن إحكام البدايات الرجوع إلى الله بمعرفة حكمه والاستخارة والاستشارة وانشراح الصدر وصدق التوجه إلى الله، وتوجه أهل الله على المريد وللمريد، وإحكام البداية له إشراقه على القلب وعلى الجوارح.

فوائد :

١ ــ عند قول الشيخ : (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) قال ابن عجيبة :

إشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله والاعتماد فيها على الله مع السعي في أسبابها والاعتناء في طلبها قياماً بحق الحكمة وأدباً مع القدرة ويعظم السعي في السبب بقدر عظمة المطلب فبقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[1] ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾[2].

وقد قال الشيخ الدباس لتلميذه ابن ميمون حين تأخر عنه الفتح فرصده فوجده

(١) سورة العنكبوت. (٦٩).

(٢) سورة الأعراف: (٥٦).

يطالع رسالة القشيري : اطرح كتابك واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوع وإلا فاذهب عني أهـ.

٢ ــ وعند قول الشيخ : (ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) قال ابن عباد :

لأن الظاهر مرآة الباطن كما قيل : الأسرة تدل على السريرة، وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره، فما استودعه الله القلوب والأسرار من المعارف والأنوار لا بد وأن تظهر آثار ذلك على الجوارح، فيستدل بشاهد العبد على غائبة من أراد صحبته والوصلة به وما أشبه هذا من الأغراض والمقاصد، قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه : حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء إليه الجنيد فرأى أصحاب أبي حفص وقوفا على رأسه يأتمرون بأمره، لا يخطئ أحد منهم فقال : يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك، فقال : لا يا أبا القاسم ولكن حسن الأدب في الظاهر عنوان أدب الباطن قلت : وآكد من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته، فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته، ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة إلى اتباع أمره والاغتباط بوجوده، والاستبشار عند يقين شهوده، والفرار من القواطع الشاغلة عنه، والإضراب عن الوسائط المبعدة منه، فهو كذاب في دعواه متخذ إلهه هواه، فإن كان موصوفا بأضداد هذه الخصال، منحرفاً بظاهره عن جادة الاعتدال، فهو في دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب.

* * *

الفصل الخامس

مزالق السير إلى الله والتحذير منها

(تَشوّقُك إلى ما بطن فيك من العيوب * خير من تشوقك إلى ما حُجبَ عنك من الغيوب * الحقُ ليس بمحجوب، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصراً، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر، ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[1] اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً، ومن حضرته قريباً * أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها. ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه).

(١) سورة الانعام: (١٨ ــ ٦١).

مقدمة

يخطو بنا الشيخ في هذا الفصل خطوة أخرى في السير إلى الله.

فبعد أن حدثنا عن إشراق البدايات وعلامتها، ولفت نظرنا إلى بعض الواجبات، يريد أن يحذرنا من المزالق، فالسالكون إلى الله تصيبهم أمراض الغرور والعُجْب والشرك الخفي وغير ذلك، فتنسيهم العيوب وتنسيهم الواجبات، ويرون في أنفسهم الكمالات فيرضون عنها ويرون في غيرهم النقص فيحتقرونه ويزدرونه وذلك هو الكبر وبمناسبة الكلام عن العيوب يحدثنا عن أصلها.

ويدلنا على ما يتفرع عن هذا الأصل.

ويحذرنا أن نصحب مَنْ تخلّق بهذا الأصل، فضلاً عن أن نتخذه شيخاً وقدوة.

* * *

السالك إلى الله عز وجل يبدأ قلبه بالتفتّح فتنبت فيه بعض الأعشاب الضارة التي تحتاج إلى شيء من المعالجة، ففي كثير من الأحيان يصير عنده نوع من الترفع عن الخلق وهو أثر من آثار العجب والغرور، فينظر إلى الناس كلهم على أنهم همل غافلون ضائعون، في هذا الجو يصير عنده نوع من الشعور بالذات، ونوع من الغفلة عن عيوب نفسه، فالشيخ رحمه الله أراد أن ينبهنا أنه لا يصح للسالك أن يغفل عن عيوب نفسه، ولا يصح إطلاقاً أن ينسى سوء الظن بنفسه وهذا أصل من أصول السير إلى الله عز وجل أن يبقى الإنسان دائماً متهماً نفسه، وهذه سنة الصحابة رضوان الله

عليهم، كانوا دائماً يسيئون الظن بأنفسهم، فما من بدريٍّ ــ وهم المبشرون بالجنة ــ إلا ويخشى على نفسه النفاق، لذلك فإن الشيخ بعد أن أعطانا نقطة الانطلاق الصحيحة، وطالبنا بأن تكون بدايتنا مشرقة، وأعطانا علامات لإشراق هذه البدايات بعدما سار بنا هذه الخطوة أراد أن يوقفنا قليلاً ليقول : ثم لا بد من الحذر، فهناك قضايا ينبغي أن تنتبهوا لها بقوله : (تشوُّقك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوقك إلى ما حجب عنك من الغيوب) فعليك دائماً أن تلاحظ عيوب نفسك ولأن تتطلع إلى أن تعرف عيوب نفسك خير لك من أن تتطلع إلى شيء آخر، يبدأ الفصل بهذا الكلام وينهي الفصل بقوله : (ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه، خير من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه) فالفصل كله عبارة عن وقفة مع السالك إلى الله كي ينتبه إلى قضايا ينبغي الانتباه إليها، هذا محل الفصل بالنسبة لسياق الحِكَم.

الشرح

يبدأ الشيخ كلامه بقوله : (تشوقك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوقك لما حجب عنك من الغيوب)، تصفية القلب يدخل فيها معان كثيرة أولها أن يصفي الإنسان قلبه من عيوبه، والعيوب التي تصيب القلب البشري والنفس البشرية كثيرة، ففي عملية استقراء لعيوب القلب يوصل أهل السلوك هذه العيوب إلى مائة عيب تقريباً لكن ليس شرطاً أن يبتلى القلب البشري بكل هذه العيوب، فلكل بيئة عيوبها وأمراضها، فبعض البيئات ينبت فيها الحسد، وبعضها ينبت فيها العجب، وبعض القلوب قد ينبت فيها الحقد، والمسلم يحاول دائماً أن يصفي قلبه، وفي الحديث المعروف حديث حنظلة الذي رواه مسلم « لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي الطرقات ولكن ساعة وساعة ساعة وساعة ساعة وساعة ».

فالحديث يذكر كأنهم إن أداموا الحضور في حضرة رسول الله ﷺ، فقلوبهم تصفو وترتقي باستمرار وإن أداموا الذكر فقلوبهم ترتقي، فإذا اجتمع لهم الاجتماع مع الذكر صفت قلوبهم، وهذا الصفاء يوصلهم إلى مصافحة الملائكة لهم على فرشهم وفي الطرقات، لكن رسول الله ﷺ بيّن أن هذا ليس مطلوباً من المسلم، قال : ولكن ساعة وساعة... فالمسلم لا يطلب منه أن يصل إلى هذا الحال لأن هذا تكليف بما لا يطاق لأكثر الخلق.

فالشيخ يبين للسالك أن يتطلع إلى عيوب نفسه ليصفيها؛ لذلك قال في الحكمة اللاحقة : (الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه إذ لو حجبه

شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصراً، وكل حاصر فهو له قاهر، ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[1] أراد الشيخ أن يقول : الأصل أن يكون عندك استشعار لصفات الحق جل جلاله، فعندما تكون محجوباً عن هذا الاستشعار فذلك علامة على أن في قلبك شيئاً، فحاول أن تزيل من قلبك هذا الشيء لتصل لاستشعار صفات الذات الإلهية فاستشعار صفات الذات الإلهية، أرقى أنواع استشعار الغيوب، وذلك عندما يصبح قلبك في مقام الإحسان، وما ورد في هذه الحِكَم يحتاج إلى بيان :

يقول عليه الصلاة والسلام في الحديث عن الذات الإلهية : « حجابه النور » أخرجه مسلم، فهذا حديث يتحدث فيه رسول الله ﷺ عن الحجاب في حقه تعالى : « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره » والشيء المنطبع في أذهاننا أن الحجاب هو الشيء الذي يستر الشيء الآخر، فعندما تقول: حجاب المرأة يعني الحجاب الذي تستر المرأة به وجهها، وقد يتوهم متوهم أن الحجاب في حق الذات الإلهية مثل الحجاب في حق المخلوق، يعني أن هناك نوراً وبعد النور توجد الذات الإلهية، فالشيخ ينبهنا على أن الحجاب في حق الذات الإلهية لا كما يتوهم المتوهمون نتيجة لقياس الخالق على المخلوق (الحق ليس بمحجوب إنما المحجوب أنت... فوق عباده) فلو كان هناك حجاب يستره فإن الساتر يكون قاهراً، مع أن الله عز وجل هو القاهر : ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[1] فالحجاب في حق الذات الإلهية يختلف عن الحجاب في حق العباد، والسياق يفيد أن الحجاب عن الذات الإلهية هو أنت أيها الإنسان، هو عيوبك، هو هذا الكون فحاول ما استطعت أن تتخلص من حجبك لتتعرف على الله وصفاته، فعندما تتخلص من حجاب هذا الكون الكثيف تكون قد قاربت أن تستشعر في قلبك صفات الله عز وجل، عندما تتخلص من حجاب نفسك تكون قاربت أن تستشعر صفات الله، إن الذي يحول بين قلبك وبين استشعار إرادة الله وقدرته وعلمه وسمعه وبصره ووجوده هو حجاب نفسك وحجاب هذه المادة.

---

(١) سورة الأنعام : (١٨) و(٦١).

والأمر أوسع من ذلك فمهما انكشف عن قلبك حجاب فهناك حجاب لأن الله من أسمائه الباطن.

ثم عاد الشيخ مرة ثانية إلى قضية العيوب فقال : (اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً) هناك العيوب التي يعرفها كل مسلم وهي : الحسد، الكبر، العجب...، وهناك أمراض القلوب التي ينبثق عنها سلوك خاطئ ، مثل النفاق العملي الذي ينبثق عنه الوعد الكاذب والفجور في الخصومة و...، هذه عيوب واضحة، لكن العيوب عند أهل السلوك إلى الله عز وجل شيء أوسع، فمن العيوب عندهم أن لا يتحقق الإنسان بمقام العبودية بشكل كامل، ولمقام العبودية تفصيلات من جملتها أن العبد يجب أن يكون دائم الافتقار إلى مولاه ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ﴾[1] فبقدر ما تستشعر الافتقار تتحقق بمقام العبودية، ويتفاوت الناس في الشعور بالافتقار إلى الله عز وجل، فهناك إنسان يتذكر افتقاره إلى الله عند المرض أو عندما يفتقر، لكن الشعور المستمر بالافتقار إنما يكون عندما يشعر الإنسان أنه في كل لحظة من اللحظات بحاجة إلى الله عز وجل، لأنه دائماً يحتاج إلى نعمة الإمداد فلو قطع الله عز وجل الإمداد عن الأشياء انتهت ﴿ **إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده** ﴾[2] فكل شيء مفتقر إلى الله عز وجل، وبقدر ما تستشعر افتقارك إلى الله تستشعر عبوديتك له، وكلما زاد شعورك بفقرك واحتياجك للذات الإلهية، زاد شعورك بمقام (لا حول ولا قوة إلا بالله) أي-: لا حول عن معصية الله إلا بالله، ولا قوة على طاعة الله إلا بالله، فلا حركة ولا سكون إلا بالله، وبقدر ما تستشعر هذا المعنى تكون أكثر قرباً من الله عز وجل، وما المقصود بكلمة البشرية المناقضة لوصف العبودية والتي ينبغي أن يتحرر الإنسان منها؟ المقصود هنا بكلمة البشرية الشعور بالذات وما يتفرغ عن ذلك من عيوب ستذكر في الحِكَم اللاحقة التي تتحدث عن العجب، وعن الرضى بالنفس.

---

(١) سورة فاطر: (١٥).

(٢) سورة فاطر: (٤١).

فالبشرية ههنا هي الحالة التي يستشعر الإنسان فيها وجوده ولا يستشعر فيها افتقاره إلى الله والتي يترتب عليها نسيان العيوب والرضى عن النفس، فبقدر ما تتخلص من أوصاف بشريتك لصالح الافتقار إلى لله عز وجل لصالح التخلص من عيوبك، لصالح عدم الرضا عن نفسك، تكون أكثر قرباً إلى الله عز وجل وتكون محققاً لما طلبه الله عز وجل منك : ﴿ **وقال ربكم ادعوني أستجب لكم** ﴾[1] فقد طلب منك الدعاء وهو كما وصفه الرسول ﷺ « الدعاء هو العبادة » أخرجه الترمذي وفي رواية « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذي لماذا كان الدعاء هو العبادة؟ لأن مظاهر العبادة معرفة الله والافتقار إليه والدعاء هو التعبير العملي للمعرفة والافتقار، فالدعاء هو المظهر الأرقى لشعور الإنسان بافتقار إلى الله عز وجل، ولشعور الإسان بأن الله هو الغني وهو المعطي وهو الذي يتولى وهو.. فبقدر ما يخرج الإنسان من أوصاف بشريته بافتقاره لله، وبالعبودية له، والتخلص من كل ما يتناقض مع هذه العبودية يكون الإنسان مطيعاً لله عز وجل مستجيباً له، فإذا تحققت بهذا تكون قد استجبت لنداء الله عز وجل : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** ﴾[2]، ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[3]،وتكون بهذا قد قربت من الله عز وجل.

بعد ذلك يحدثنا الشيخ عن أصل كل عيب في النفس البشرية فيقول : (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علم لعالم يرضى عن نفسه؟ وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) فبعد أن حدثنا عن العيوب بشكل عام ولفت نظرنا إلى ضرورة التخلص من هذه العيوب وبرهن على أن التخلص من هذه العيوب هو المقدمة لوصول القلب إلى التعرف على صفات الله عز وجل، وبعد أن أعطانا قاعدة كلية : إن علينا أن نتخلص من كل شيء يناقض أصل العبودية لله عز وجل، لفت نظرنا إلى أصل كل عيب في النفس البشرية، فأصل كل عيب في النفس البشرية مرجعه إلى رضى الإنسان عن نفسه.

---

(١) سورة فاطر: (٦٠).

(٢) سورة فاطر: (١٥).

(٣) سرة الداريات: (٥٦).

فمتى رضي الإنسان عن نفسه، فلا بد أن يتفرع عن هذا الرضى عيوب كثيرة، وهذه النقطة الفيصل ما بين النفسية المؤمنة وما بين النفسية الفاسقة، إنك تلاحظ أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا كثيري الخوف يقول أحدهم : لقيت ثلاثين بدريا وما من واحد منهم إلا وهو يخشى على نفسه النفاق، كلّهم خائفون، ترى الواحد منهم في أعلى ذرى التقوى وهو خائف من تقصيره مع الله حتى ليخشى أن يكون على نفاق، والنفاق شر ما يبتلى به الإنسان، ومع ذلك كانوا يخشون على أنفسهم النفاق، عندما تقرأ الحوار الذي جرى بين المؤمن وبين صاحب الجنتيّن في سورة الكهف تجد الكافر يقول للمؤمن : ﴿ **ولئن رددت إلى ربي لأجدنّ خيراً منها منقلبا** ﴾[1] فهو مغرور مطمئن، بينما تجد أهل الإيمان كما وصفهم الله عز وجل : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون** ﴾[2] يعملون كل الخيرات وقلوبهم خائفة، بينما الكافر تراه يفعل الموبقات كلّها وهو مطمئن راض عن نفسه، فالفيصل ما بين العقلية المؤمنة وما بين العقليّة الكافرة أصلاً، هو أن العقليّة الكافرة معجبة بنفسها راضية عن نفسها، أمّا العقليّة المؤمنة فهي دائما خائفة، تفعل كل شيء من الخيرات وهي خائفة من الله عز وجل، خائفة من العجب من أن يكون هناك تصرّف من التصرّفات يحبط العمل، فالشيخ رحمه الله لفت نظرنا إلى أصل العيوب التي تتفرع عنها كل العيوب هو الرضى عن النفس، فعندما قال في أول الفصل : (تشوفّك إلى ما بطن فيك من العيوب) افترض أن سائلاً يسأله عن العيوب فذكر هاهنا أن العيب الرئيسي الذي يجب أن نتخلّص منه هو الرضى عن النفس، فعندما يكون الإنسان راضيا عن نفسه لا يقبل نصيحة لأنه يرى في نفسه الكمال المطلق، فليس عنده استعداد لأن يسمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويقع في الخطأ ولا يستشعر أنه وقع في الخطأ، يرتكب المعصية ولا يستشعر أنه ارتكب المعصية أما المسلم الصالح فإنه يبقى مستشعراً عدم الرضى عن النفس، يعبد الله وهو غير راض عن نفسه يفعل الخير وهو غير راضٍ عن نفسه، يقول الكلمة الطيبة وهو غير راض عن نفسه، لا يقابل السيئة بمثلها وهو غير راض عن نفسه، هذا المعنى متى وجد فهو بداية الكمال، فأنت عندما تكون غير راض عن نفسك

(١) سورة الكهف: (٣٦).

(٢) سورة المؤمنون: (٦٠).

تبحث عن شيء آخر، لكن إذا كنت راضياً عن نفسك لم يعد هناك تطلع للانتقال من حال إلى حال ولا طلب انتقال من طور إلى طور، ومن مقام إلى مقام، ومن وضع إلى وضع ومن حسن إلى أحسن، ولا تعود تبذل الجهد المتواصل للوصول إلى الكمال بل تقف لأنك تعتبر نفسك قد وصلت إلى الكمال فماذا تريد بعد ذلك؟ وعندئذ تصبح علاقتك مع الناس علاقة كبر وعجب وغرور، لأنك كامل وعليهم أن يسمعوا لك ويطيعوا وأن يقتدوا بك وأن يأخذوا عنك، عندئذ يصبح الإنسان متألها، فهذا نوع من أنواع الخلق الفرعوني.

إنه بعد أن قدم الشيخ مقدمات متعددة من أجل أن يتخلص الواحد منا من عيوبه نبهنا إلى أصل العيب (أصل ... الرضى عن النفس)، عندما يرضى عن نفسه يستهين بالمعصية، فالمعصية أثر عن الرضى عن النفس، والغفلة عن الله أثر عن الرضى عن النفس فلو كان الإنسان عارفاً بالله لما كان عنده رضى عن نفسه، عندما يعلم أن الله يضل ويهدي يبقى خائفاً أن يضلّه الله، لكن بغفلته عن الله يكون قد أمن مكر الله، ﴿ **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾[1] ومتابعة الشهوات أثر عن الرضى عن النفس، حبّ الظهور، حب الجاه، حب المدح، حب التصدّر، حبّ التعالي على الآخرين كل هذه شهوات، وهذه الشهوات والمعاصي والغفلات تنبع عن الرضى عن النفس، فالرضى عن النفس أصل العيوب كلها لذلك قال : أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضى منك عنها، أما في حالة عدم الرضي عن النفس فيتفرع عن ذلك مباشرة عفة ويقظة وطاعة، هو لا يرضى عن نفسه إذاً يكثر من طاعة الله عز وجل، هو ليس راضياً عن نفسه لأنها تطالبه بالشهوات، يحاول أن يتخلّص من شهواته بالمجاهدة وبالتالي يعف، فعدم الرضى عن النفس هو أصل العفة، وكذلك اليقظة فعندما لا ترضى عن نفسك تستيقظ على عبوديتك لله عز وجل وتستشعر تقصيرك معه، فأصل الخيرات كلها عدم الرضى عن النفس، ثم بعد ذلك بيّن لنا الشيخ شيئاً آخر، فكما أن عليك أن تتخلص من هذا العيب الرئيسي الذي تتفرع عنه كل العيوب، عليك أن لا تصحب مَنْ هذا حالة؛ لأنك إن صحبت من هذا حاله فسيرديك ويعديك في النهاية، لذلك

---

(١) سورة الأعراف: (٩٩).

كان المهم أن يخرج الإنسان من البيئة التي فيها مثل هذه المعاني، إنه من المهم في الدعوة إلى الله أن توجد الأجواء النظيفة التي لا توجد فيها هذه المعاني لذلك أعتبر أنه لا أهم في هذا العصر من إحياء الربانية، بإحياء مراتب الكمال في هذه الأمة وإيجاد البيئات التي تنمو بها، فإذا لم تَنْمُ هذه المعاني فستبقى أخلاقيات متدهورة، فعندما نعيش في بيئة كل منا يرضى عن نفسه لا يمكن أن تستقيم الحياة الإسلامية وإذا لم نفلح في إيجاد البيئات التي تعرف أمراض النفوس وعيوب النفوس وكل واحد منهم يبذل جهداً ليتخلص من عيوب نفسه، وكل واحد منا يحاول أن ينقذ أخاه، وهدف الجميع التخلص من أمراض القلوب والنفوس فأمورنا إلى إدبار.

الرضا عن النفس هو الذي يتفرع عنه النقد دون البناء، وذلك هو الهدم، لذلك فبعد أن نبهنا الشيخ على أن لا نرضى عن أنفسنا نبهنا أن لا نصحب الناس الذين يرضون عن أنفسهم، وبذلك ختم كلامه (ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، فأي علمٍ لعالمٍ يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه) الجهل عند الناس أنواع : جهل بسيط وجهل مركّب، فجاهل يعرف أنه جاهل، وجاهل لا يدري أنه جاهل، أما الجهل في ميزان الأولياء فهو الرضا عن النفس، وعدم الرضا عن النفس هو العلم في ميزان الصدّيقين، ونتيجة لهذا الميزان فقد يرى الصدّيق أجهل الناس بالدنيا أعلم الخلق، ويرى أعلم الخلق أجهل الخلق، فأي جهل أفظع من أن يرضى الإنسان عن نفسه التي الأصل فيها النقص والتمرد والعيوب، فعندما يرضى عن نفسه فمعنى ذلك أن الميزان اختل.

نخرج في النهاية بتوصية : أن على الواحد منا أن ينظر باستمرار إلى عيوبه ويبحث عنها ويتشدّد في محاسبة نفسه، وقد يعذر غيره ولكنه ينظر بحذر إلى الصحبة.

* * *

خلاصة الفصل

عيوب النفس هي الحجاب، وأصل العيوب الرضا عن النفس، وبشريتّك هي التي تستدعي الرضا عن النفس، فاخرج منها، حرر نفسك من الرضا عن نفسك، ولا تصحب من يرضى عن نفسه.

وإذا أصبحت في بيئة ترضى عن نفسها ففارقها.

علامة الرضا عن النفس اتباع الشهوات الحسية والمعنوية والوقوع في المعاصي الحسيّة أو المعنوية، والغفلات عن الله عز وجل، فاحذر أن تكون كذلك، ولا تصحب من كان كذلك، وإذا اكتشفت أنك في بيئة هذا شأنها فاخرج مںها.

فوائد

١ ــ عند قوله : (اخرج من أوصاف بشريتك من كل وصف مناقض لعبوديتك).

قال ابن عجيبة رحمه الله : أوصاف البشرية هي الأخلاق التي تناقض خلوص العبودية ومرجعها إلى أمرين : الأول : تعلق القلب بأخلاق البهائم وهي شهوة البطن والفرج وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية قال الله تعالى : ﴿ **زُيِّن للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث** ﴾ الآية[1]، الثاني : تخلقه بأخلاق الشياطين كالكبر

(١) سورة ال عمران: (١٤).

والحسد والحقد والغضب والحدة، وهي القلق والبطر، وهي خفة العقل والاشر، وهو التكبر وحب الجاه والرياسة والمدح والقسوة والفظاظة والغلظة وتعظيم الأغنياء واحتقار الفقراء، وكخوف الفقر وهَمُّ الرزق والبخل والشح والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصى، حتى قال بعضهم : للنفس من النقائص ما لله من الكمالات، وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي كتباً في عيوب النفس وأدويتها ونظمه الشيخ زروق في نحو ثمانمائة بيت ومن ألقاه الله إلى شيخ التربية فلا يحتاج إلى شيء سوى الاستماع والاتباع، فإذا خرج المريد من أخلاق البهائم تخلّق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة والغنى بالله والأنس به، وإذا من أخلاق الشياطين تخلّق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة كالتواضع وسلامة الصدور والحلم والسكينة والرزانة والطمأنينة والسهولة والليونة والخمول والاكتفاء بعلم الله والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين وأهل النسبة وجميع الأمة، والكرم والسخاء والجود والإخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فإذا تخلق العبد بهذه الأخلاق وتحقق بها ذوقاً بعد أن تخلص من أضدادها كان عبداً خالصاً لمولاه حرا مما سواه وكان لندائه مجيباً ومن حضرته قريباً، فإذا قال له ربه : يا عبدي قال له : يا رب فكان صادقاً في إجابته لصدق عبوديته بخلاف ما إذا كان منهمكاً في شهواته الظاهرة والباطنة كان عبداً لنفسه وشهواته فإذا قال : يا رب كان كاذباً إذ من أحب شيئاً فهو عبد له وهو لا يحب أن تكون عبداً لغيره.

٢ ــ وعند قول الشيخ : ((أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس..) قال ابن عجيبة :

(ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضى عن نفسه والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول: ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي** ﴾[1] اهـ.

* * *

(١) سورة يوسف: (٥٣).

الفصل السادس

معالم وموازين ووصايا

(شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك * كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان * لا تتعدَّ نيَّة همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال * لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً. من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً * إن لم تحسن ظنّك به لأجل حسن وصفه فحسّن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عوَّدك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا مننا؟ * العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه ﴿**فإنها لا تعمى الأبصار**﴾[1] الآية * لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾[2]. وانظر إلى قوله ﷺ : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم).

---

(١) سورة الحج: (٤٦).

(٢) سورة النجم: (٤٢).

مقدمة وشرح

يعطينا الشيخ في هذا الفصل موازين نزن بها حالنا مع الله عز وجل، ونعرف بها المقام الذي وصلنا إليه في السير، فالعبرة في السير إلى الله استقامة الجوارح، وانتقال القلب من طور إلى طور وآثار ذلك تظهر في عين البصيرة : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] وإذ كانت مقامات القلب العليا من العلو والعزة بحيث يحتاج السالك إلى جهد، ولاحتمال أن يصاب السالك بالإحباط إذا لم يتحقق بها أوصانا الشيخ بوصايا تناسب المقام.

وإذ كان بعض أهل السلوك همتهم قاصرة على أنواع من السير لا يتجاوز فيه الإنسان عالم الأكوان،فقد أنهض الشيخ همتنا لنوع آخر من السير. أو نقول كأن الشيخ رحمه الله بعد الفصول الخمسة التي مرّت معنا اعتبر أن المفروض أن نكون قد وصلنا إلى مرحلة من السير إلى الله عز وجل تدور بين ثلاثة مقامات، فأحب أن يعرفنا ويعطينا موازين لهذه المقامات لنعرف أين نحن، أو أن الشيخ افترض بعد أن أخذنا الدروس السابقة أننا وصلنا إلى مرحلة معينة فأحب أن يعطينا بعض آداب هذه المرحلة، أو أنه خشي أن نقع في غلط نتيجة لبعض المعاني فأحب أن ينبهنا على بعض الآداب التي لا ينبغي أن تغيب عنا، أو أن الشيخ رحمه الله يفترض بعدما مرّ معنا أن يكون قد حدث شيء في بصيرتنا فقد ذكر لنا الخلوة والعزلة والتنقيب عن العيوب، والتفتيش عنها وكيفية التخلص منها، فإذا أقبل الإنسان على الله بمثل هذه

(١) سورة الحج: (٤٦).

المعاني فالمفروض أن يكون قد حدث تحسن في عين بصيرته بأن أصابها نوع من الجلاء، لأن الذي يعمي عين البصيرة هو النفاق والكفر، فإذا تخلّص الإنسان من الكفر والنفاق، فالمفروض أن تكون عين بصيرته سليمة، لكن يبقى بين عين البصيرة وبين الملكوت شيء من الحجب، فإذا زالت العيوب وأقبل الإنسان على الله عز وجل بتصفية قلبه، فالمفروض أن يحدث شيء في عين بصيرته. فالشيخ رحمه الله أحب أن يعرفنا أين نحن من هذا وأعطانا لكل حالة ميزانها، فقال : (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) فذكر لنا شعاع البصيرة وعين البصيرة وحق البصيرة، فكأن المفروض بعد المراحل التي مرت معنا أن نصل إلى نوع من الإحساسات التي لها علاقة بالبصيرة : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] ﴿ **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها** ﴾[2] ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره** ﴾[3] هل نحن سائرون أم نحن دارسون؟ هناك فارق بين أن يكون الإنسان دارساً يعرف المعاني وبين أن يتحقق بهذه المعاني.

الربّانّيون يطلبون التحقق، كان أحد شيوخنا ينقل لنا عن بعض شيوخه قوله : (يا بني كن عين المعنى وإلا فاتك المعنى) فما لم يكن الإنسان عين المعنى بأن تحقق بالمعنى حتى أصبح عينه لا يكون قد أخذ المعنى، وههنا فارق رئيسي بين جيل الصحابة وبين بقيّة الأجيال، الصحابة كان عندهم تحقق وقد وصفت عائشة رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن » أخرجه مسلم، كان متحققا بالقرآن تحققا كاملاً، وكانت طريقة تلقي القرآن عند الصحابة الأخذ والحفظ والفهم والعمل والتحقق فكانوا يقرأون العشر آيات فلا يتجاوزونها حتى يعملوا بها ويتحققوا فيها، لذلك كان الواحد منهم يبقى فترة طويلة في حفظ القرآن، وورث الربانيون فكرة التحقق عنهم.

---

(١) سورة الحج: (٤٦).

(٢) سورة الأنعام: (١٠٤).

(٣) سورة القيامة. (١٤ ــ ١٥).

وذلك هو الحال الأصعب، إن كثيراً من المعاني تستطيع أخذها بجلسة واحدة لكن ما بين أخذك المعنى وبين تحققك به قد تحتاج لسنين من العمل، مثال ذلك الحال الذي يحدثنا الشيخ عنه، فمن السهل أن يتكلّم الإنسان عن البصيرة وعن القلب، لكن حتى تنجلي عين قلبه ويصبح قلبه منوراً يحتاج إلى عمل كثير، فالمهم أن نحرص على المعنى، وعلى التحقق بالمعنى.

يذكر الشيخ في هذا الفصل شعاع البصيرة وحق البصيرة، فشعاع البصيرة : حالة ينطلق بها شعاع واحد من عينك فترى الأشياء على ضوئه، الحالة الثانية : عين البصيرة : هي الحالة التي تصبح العين فيها مجلوّة، وبالتالي يكون إبصارها أكثر وضوحاً، الحالة الثالثة : أن يصبح القلب كله بصيرة، فالحالة الأولى حالة عين فيها رمد ولها إبصار، والحالة الثانية عين تملك كامل قدرتها على الإبصار، الصورة الثالثة أن يصبح القلب كله عينا، وهناك صور أخرى فقد كان عليه الصلاة والسلام يرى من أمامه كما يرى من خلفه، والإنسان عندما تتجرد روحه في بعض الحالات يصبح إبصاره غير مرتبط بالعين، مثال ذلك ما يراه النائم فهو لا يرى بالعين بل بالروح وبالقلب ومثال آخر : حادثة عمر مع سارية وهي حادثة صحيحة ثابتة الوقوع، أخرجها البيهقي وغيره. المهم أن هناك ثلاث حالات في السلوك للبصيرة : الأولى أن عين القلب تبدأ تتفتح فترى رؤية ضعيفة، وكأنه يخرج منها شعاع، والثانية أن تنجلي عين القلب جلاء تاماً، والثالثة أن يصبح القلب كله عيناً وبصيرة.

والحالة الثالثة هي الأرقى : أن يصبح القلب كله بصيرة، وذلك الذي كان يدعو به رسول الله ﷺ « اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، واجعل لي نوراً » رواه البخاري.

فالرسول ﷺ كان يدعو الله عز وجل أن يجعل من أمامه ومن خلفه ومن كل الجهات له نوراً ثم يقول : « واجعلني في رواية مسلم ـــ وهو عليه الصلاة والسلام كذلك. قال الله عز وجل : ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** ﴾[1] بعض المفسرين فسروا النور هنا بأنه رسول الله ﷺ ولقد قال الله عز وجل : ﴿ **إنا**

---

(١) سورة المائدة: (١٥).

أرسلناك... وسراجاً منيرا ﴾[1] فالرسول عليه الصلاة والسلام نور هداية، مع ذلك كان يدعو الله عز وجل أن يجعله نوراً، وعندما يصبح قلبك كله بصيرة تصبح نوراً، وهذه قضايا يتذوقها القلب ويشعر بها، فإذا سار الإنسان في الطريق إلى الله عز وجل ولم يحس بهذه الأحوال فلا بدّ أن يبذل جهداً، والشيخ أعطانا لكل حالة من هذه الحالات علامة إذا كان عندك شعاع البصيرة فماذا تحس، ولو كان عندك عين البصيرة ما هي الإحساسات التي ترافق ذلك، ولو أصبح قلبك كله بصيرة ما هي الإحساسات التي تحسها، أعطانا موازين لذلك، من خلالها يستطيع الإنسان أن يعرف أين وصل، وكثيرٌ من الشيوخ يحاولون أن يجعلوا الخلوة هي المقدمة الطبيعية للشعور بالإحساس بهذه المعاني، لذلك كان بعض شيوخنا يقرئ الحِكَم لمن دخل الخلوة، على اعتبار أنهم يعطونه بذور التعرف، وكلما أقبل على الله عز وجل بالذكر تنمو عنده هذه البذور حتى تتأكد في قلبه المعرفة، ويصير يتذوق أمثال هذه المعاني.

الشيخ يقول : (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك) قال ربنا : **﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾**[2] **﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾**[3] **﴿ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾**[4] **﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾**[5] فمتى أحسست بقربه فذلك علامة أن بصيرتك قد بدأت تتفتح، الحالة الثانية : أن تنجلي عين البصيرة والعلامة على ذلك (وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده) فعندما تصبح عين قلب الإنسان مجلوّة جلاء تاماً يحس الإنسان بعدمه بالنظر لوجود الله عز وجل، لكن تختلف هذه الإحساسات من إنسان إلى إنسان فبعضهم تغلب عليه هذه الإحساسات، وبعضهم تمر عليه مرورا، المهم أن العلامة على أن عين البصيرة أصبحت مجلوّة أن تشهد عدمك وأن تشهد وجوده جل جلاله « أن تعبد الله كأنك تراه » عندما يحس الإنسان أنه قائم بالله عز وجل

---

(١) سورة الأحزاب: (٤٦).

(٢) سورة الحديد: (٤).

(٣) سورة ق: (١٦).

(٤) سورة الواقعة: (٨٥).

(٥) سورة البقرة: (١٨٦).

وأصل وجوده كان بالله ووجوده الحالي بإمداد الله عز وجل عندما يحس أن كل ذرة من ذراته قائمة بالله وبقدرة الله فهو أشبه بالعدم، متى أحس الإنسان بهذا المعنى فذلك دليل على أن عين بصيرته قذ أصبحت مجلوة، والحالة التي هي أرقى من هذه هي أن يصبح قلبه كله بصيرة، وهذا الذي يطلق عليه حق البصيرة، هناك علم اليقين وحق اليقين وبرد اليقين، بلد من بلدان العالم نحن متأكدون من وجوده دون أن نراه فمعرفتنا به تسمى علم اليقين، ولكن عندما تعرف البلد وتدخلها فأنت في حق اليقين فحق البصيرة أرقى المقامات أن تشهد الله شهوداً يستغرقك.

أخرج الإمام مسلم قصة أبي بن كعب قال : كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على النبي ﷺ، فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما ﷺ فقرآ فحسن شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى ما قد غشيني، ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا فقال لي : « يا أبيّ أرسل إليّ اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ الثانية أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألينها فقلت : اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الناس كلهم حتى إبراهيم ».

فانظر إلى قوله : « وكأنما أنظر إلى الله فرقاً »

ولنعد إلى الحِكَم :

فإذا وصل الإنسان إلى أن تفتحت بصيرته، فالمفروض أن يكون له أدب مع الله عز وجل، فكل مقام من المقامات له أدبه لذلك يقال (حسنات الأبرار سيئات المقربين).

ومن الآداب التي تطلب من السالكين والواصلين ما ذكره الشيخ بقوله : (لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) إن طبيعة الإنسان أن يأنس بالأسباب، قلبه معلق بالأسباب، نيته وهمته معلقة بالأسباب لكن عندما يصبح قلبه يستشعر صفات الله عز وجل، فأدبه ألا يتعلق قلبه إلا بالله عز وجل يأخذ بالأسباب

وقلبه معلق بالله في أمر دنياه وفي أمر أخراه وفي أمر سلوكه، فأدبه أن لا يعتمد على أحد إلا الله لا في أمر دنيا ولا في أمر أخرى ولا في أمر مقام ولا في غيره، ومن ههنا قال الشيخ : (لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) ثم قال : (لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً) علق قلبك بالله عز وجل وحده فهو يقضي حاجاتك، وإذا نزل بك شيء هو يرفعه عنك، وهذا لا ينفي المذاكرة والمشاورة، ولا يعني أن أسقط الأسباب من حسابي فأن يكون قلبي معلقا بالله عز وجل لا ينفي أن أنزل إلى السوق وأكتسب، لكن هناك فارقاً بين أن أنزل إلى السوق وقلبي معلّق بالله عز وجل، أو أتعلق بما هب ودب، فارق بين هذه الحالة وهذه الحالة، فالشيخ ينصب كلامه على هذه النقطة : (لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال، لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً، من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً) فالأخذ بالأسباب مع تعلّق الهمة بالله أدب العارفين، وبمناسبة أن تبقى قلوبنا معلقة بالله عز وجل وحده، دفعنا الشيخ إلى حسن الظن بالله عز وجل فقال- : (إن لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه فحسِّن ظنك به لوجود معاملته معك، فهل عودك إلا حسنا؟ وهل أسدى إليك إلا مننا) كأن الشيخ افترض عندما أوصانا أن نعلق قلوبنا بالله عز وجل أن يكون عند أحدنا ضعف في اليقين، فذكّرنا بعاملين نحسن الظن بسببهما بالله عز وجل، الأول هو حسن أوصافه. فالله عز وجل كريم وجواد، وهو الولـي، وذو الجـلال والإكرام، فالله عز وجل الذي هذا شأنه يجب أن تحسن ظنك به فتعتمـد عليـه وحـده لحسن وصفه، لكن نفرض أن قلوبنا لم تصل إلى هذا المقام الرفيع، ولم تصل إلى استشعار صفات الكرم لله عز وجل بحيث يعتمد القلب على الله اعتماداً كاملاً، فليتذكر الإنسان فعل الله فيه فذلك كاف لأن يجعله يحسن الظن به فقد كان الإنسان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم أصبح جنيناً ثم أصبح يمشي على الأرض، إن هناك لطفاً متوالياً من الله عز وجل إليك وهكذا فإذا نظرت إلى إحسانه حسّنت ظنك به، وإذا نظرت إلى أوصافه حسنت ظنك به، فالشيخ رحمه الله بعد أن نبهنا إلى أنه ينبغي أن لا تتعدّى نيّة همتنا الله عز وجل لفت نظرنا إلى ما نحسن به الظن بالله عز وجل صفاته وإحسانه.

والناس يتفاوتون في حسن الظن بالله عز وجل، يتفاوتون في التوكل، يتفاوتون

في الرجاء، يتفاوتون في الإقبال على الله عز وجل، يتفاوتون في الاعتماد على الله عز وجل يتفاوتون في الأخذ بالأسباب.. وأحيانا تراهم مدبرين عن المعاني العليا، ومن ههنا يتوجه الشيخ ليعجبنا من هؤلاء : (العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) المفروض أن تهرب من الفاني وأن تفكر في الباقي، فعندما ترى إنساناً يهرب من الباقي فلاشك أنه يكون محل العجب، الأصل أن لا تكون عندك قيمة للفاني إلا بمقدار ما يقربك للباقي فعندما ترى إنساناً يعطي الفاني كل الأهمية في حياته فهذا لا شك يدخل في دائرة العجب. قال الشيخ : (العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه...). لا انفكاك لك عن رحمة الله عز وجل ولطفه، لا انفكاك لك عن أن تتقرب إلى لله عز وجل لتدخل جنّته هذه الأشياء الباقية، الدنيا لا بقاء لها فأن تجد إنسانا مقبلاً على الدنيا مقبلاً على عالم الأسباب فاراً عن العمل للآخرة فاراً عن صراط الله عز وجل، فهذا إنسان يدخل في دائرة العجب (العجب كل العجب ممن.... معه) ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] اربط هذا الكلام ببداية الكلام أوّل الفصل تجد كيف يتكامل الكلام، هناك حدّثنا عن شعاع البصيرة وعن عين البصيرة وعن حقّ البصيرة وهنا أكمل الصورة رحمه الله بأن ذكر لنا علامة العمى، فمثلما أعطانا علامة على شعاع البصيرة وأعطانا علامة على عين البصيرة وأعطانا علامة على حق البصيرة، أعطانا علامة على عمى البصيرة أن يطلب الإنسان ما لا بقاء له، ويهرب ممن لا انفكاك له عنه، فصار عندنا ميزان نعرف به عمى البصيرة وميزان نعرف به المعاني الأخرى، وتلاحظ أن كلام الشيخ في هذا الفصل يكّمل بعضه بعضاً، وبعدما حدّثنا الشيخ عن شعاع البصيرة وعين البصيرة وحقّ البصيرة، ومن خلال ذلك عرّفنا أن حق البصيرة : أن تفنى عن وجودك وعن عدمك، يلفت نظرنا الآن إلى نوع من السير يقوم على فكرة الانتقال من كون إلى كون مثل السير الذي يقوم على أساس التنقيب عن عيوب النفس ابتداءً وانتهاءً تخرج من عيب لتنتقل إلى عيب، هذا سير طويل لا يحقق المقصود في النهاية فالسير الأكمل أن تصل إلى حق

---

(١) سورة الحج: (٤٦).

البصيرة، ومنه إلى غيره من الكمالات، فالمهم أن هناك أكثر من نوع من السير أحد هذه الأنواع هو الذي يرجحه الشيخ هنا.

يقول : (لا ترحل من كون إلى كون.فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الأكوان إلى المكوّن ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾[1] فما دام المنتهى إلى الله فهذا سيرك ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾[2] نقطة البداية الصحيحة في السير هي الفرار إلى الله مباشرة، فبهذا تكون بدايتك هي نهاية الناس، لكن علينا أن نلاحظ أن هذه القضايا لها مقدماتها وأسبابها، فأحيانا قد يخرج على لسان بعضهم أنه خلال فترة قريبة وصل إلى الله عز وجل هذا صحيح لكن التمكن من معرفة الله عز وجل يحتاج إلى شيء من النضج والإنضاج والزمن ثم قال الشيخ : (وانظر إلى قوله ﷺ : « فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم).

الهجرة يجب أن تكون إلى الله ورسوله، وقد أخذ الشيخ من الحديث معنى ليس مقصوداً في الحديث فطالبك أيها السالك أن تتوجه بقلبك مباشرة إلى الله عز وجل وأن يكون هذا هو مقصودك الأول والأخير. اهـ.

---

(١) سورة النجم: (٤٢).

(٢) سورة الذاريات: (٥٠).

خلاصة الفصل

أعطاك هذا الفصل موازين تتعرف بها على قلبك. أين هو؟

وإذا كنت في المقام الأرقى مقام حق البصيرة فما هو أدبك مع الله عز وجل، وبيّن لك أن سيرك الأرقى هو السير الذي تنتقل فيه من الأكوان إلى المكّون لا من الأكوان إلى الأكوان.

فوائد :

١ ـــ عند قول المؤلف : (شعاع البصيرة يشهدك قربه منك..) قال ابن عباد :

شعاع البصيرة نور العقل، وعين البصيرة نور الحق. فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريباً منهم أي بالعلم والإحاطة، والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما في وجود ربهم، والمتحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه.

وقال ابن عجيبة : البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب، فالبصيرة ترى المعاني اللطيفة النورانية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية، ثم البصيرة باعتبار إدراك نور المعاني اللطيفة على خمسة أقسام : قسم فسد ناظرها فعميت فأنكرت نور الحق من أصله قال سيدي البوصيري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

وهذه بصيرة الكفار قال تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] وقسم صح ناظرها لكنها مسدودة لضعف ناظرها لمرض أصابه فهي تقر بالنور لكنها لا تقوى على مشاهدته ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها، وهي لعامة المسلمين، وقسم صح ناظرها وقوي شيئاً ما حتى قرب أن يفتح عينه لكن لشدة الشعاع لم يطق أن يفتح عينه فأدرك شعاع النور قريباً منه وهو لعامة المتوجهين، ويسمى هذا المقام : شعاع البصيرة، وقسم قوي ناظرها ففتح عين بصيرته حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا لخاصة المتوجهين ويسمى هذا المقام : عين البصيرة، وقسم صحّت بصيرته واشتد نورها فلم تر إلا النور ويسمى هذا : حق البصيرة.

٢ ــ وعند قول الشيخ : (كان الله ولا شيء معه وهو على ما عليه كان) قال الشرقاوي :

(كان الله ولا شيء معه، يعني: أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤيته غير مولاه وهو الآن على ما عليه كان، أي أن الأمر الذي حصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى، وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم إدراك ذلك له قبل ذلك إنما هو لوجود الحجاب، فقوله : وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف على ما عليه كان أي هو متصف به في الواقع وقبل إدراك هذا المشاهد له لكن عدم إدراكه ذلك إنما هو للحجاب القائم).

٣ ــ وعند قول المؤلف : (لا ترفعن إلى غيره حاجة..) قال ابن عجيبة :

مثل موسى عليه السلام اشتاق رؤيته فقال : ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾[2] واحتاج يوما إلى رغيف فقال : ﴿ **رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير** ﴾[3] اهـ.

وقال الشرقاوي : (فمن أنزل حوائجه بالله والتجأ إليه وتوكل في أمره كله عليه،

---

(١) سورة الحج: (٤٦).
(٢) سورة الأعراف: ١٤٣
(٣) سورة القصص: (٢٤).

كفاه كل مؤنة وقرَّب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير، ومن سكن إلى عمله وعقله واعتمد على حوله وقوته وكّله الله تعالى إلى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه).

أقول : الناس لا يستغني بعضهم عن بعض، ولكن مقام العارف أن ينزل حاجته بالله، وإذا اضطر للخلق فإن ظاهره يطلب منهم، وباطنه يطلب من الحق، وهو في كل الأحوال حامد وشاكر ومسلم لله.

٤ ـــ وبمناسبة قول الشيخ : (فحسِّن ظنك به...) قال ابن عجيبة :

الناس في حسن الظن بالله على قسمين خواص وعوام أما الخواص فحسن ظنهم بالله تعالى ناشئ عن شهود جماله ورؤية كماله، فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله لأن اتصافه تعالى بالرحمة والرأفة والكرم والجود لا ينقطع، فإذا تجلى لهم بجلاله أو قهريته علموا ما في طي ذلك من تمام نعمته وشمول رحمته، فغلب عليهم شهود الرحمة والجمال فدام حسن ظنهم على كل حال وأما العوام فحسن ظنهم بالله ناشيء عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتنانه فإذا نزلت بهم قهرية أو شدة نظروا إلى سالف إحسانه وحسن ما أسدى إليهم من حسن لطفه وامتنانه، فقاسوا ما يأتي على ما مضى، فتلقوا ما يرد عليهم بالقبول والرضى، وقد يضعف هذا الظن بضعف النظر والتفكر ويقوى بقوتها بخلاف الأول فإنه ناشئ عن شهود الوصف والوصف لا يتخلف، والثاني ناشيء عن شهود الفعل وهو يتخلف، فإن لم تقدر أيها المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرأفة والرحمة التي لا تتخلف، فحسّن ظنك به لوجود معاملته معك بلطفه ومننه، فهل عوَّدك الحق تعالى إلا براً حسناً ولطفاً جميلاً؟ وهل أسدى إليك أي أوصل إليك إلا مننا كبيرة ونعماً غزيرة قال رسول الله ﷺ: « أحبوا الله لما يغذيكم به من نعمه وأحبوني بحب الله ».

٥ ـــ عند قول المؤلف : (وارحل إلى المكون) قال ابن عجيبة :

والرحيل إلى المكون يكون بثلاثة أمور : الأول قصر همتك عليه دون ما سواه حتى يطلع على قلبك فلا يجده محباً لسواه، الثاني الرجعى إليه بإقامة الحقوق والفرار من الحظوظ، الثالث دوام اللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك.

وفسر ابن عجيبة الرحيل من الأكوان إلى الأكوان بقوله :

الرحيل من الكون إلى الكون هو الرحيل من السوي، إلى طلب السوي، وذلك كمن زهد في الدنيا وانقطع إلى الله يطلب بذلك راحة بدنه وإقبال الدنيا عليه لقوله ﷺ : « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب » ولقوله أيضاً : « من كانت الآخرة نيَّته جمع الله عليه أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي صاغرة » وكمن زهد فيها يطلب الخصوصية كإقبال الخلق والعز وتربية المهابة في قلوب الناس أو زهد فيها يطلب الكرامة وخوارق العادات.

وفسر ابن عجيبة الهجرة في كلام الشيخ بأنها :

الهجرة هي : الانتقال من وطن إلى وطن آخر بحيث يهجر الوطن الذي خرج منه ويسكن الوطن الذي انتقل إليه، وهي هنا من ثلاثة أمور : من وطن المعصية إلى وطن الطاعة، ومن وطن الغفلة إلى وطن اليقظة، ومن وطن عالم الأشباح إلى وطن عالم الأرواح.

أقول : وفي الحديث : « والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ».

٦ ـــ وبمناسبة ذكر (عمى البصيرة) قال ابن عجيبة :

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : عمى البصيرة في ثلاث : إرسال الجوارح في معاصي الله والطمع في خلق الله والتصنع بطاعة الله اهـ.

وقال ابن عباد : هرب العبد من مولاه بإقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وآثر الفاني الذي لابقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه، ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا بربهم إذ لم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الإحسان والإنعام والتقريب والإكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا : ﴿ **لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا** ﴾[1] الآية ثم قالوا : ﴿ **والله خير وأبقى** ﴾[2] فهؤلاء استنارت قلوبهم وشهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان.

(١) سورة طه: (٧٢).

(٢) سورة طه: (٧٣).

القسم الثالث

توجيهات للمريدين
وفيه
مقدمة وبابان

الباب الأول : مقتطفات من كلام القوم تخص المريدين.
الباب الثاني : شرح أحد عشر فصلاً من الحِكَمِ.

القسم الثالث

توجيهات للمريدين
وفيه
مقدمة وبابان

الباب الأول : مقتطفات من كلام القوم تخص المريدين.
الباب الثاني : شرح أحد عشر فصلاً من الحِكَمِ.

المقدمة

التوجه الصادق يوصل إلى صدق الإرادة في الوصول إلى الكمالات، والكمالات التي جعل الله عز وجل أصحابها محل القدوة أربعة : النبيون والصِّديقون والشهداء والصالحون، فقد ألزمنا ربنا أن نقول في صلاتنا : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾[1] وقد بيّن لنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم لنهتدي بهداهم فقال : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾[2] وقد خُتمت رتبة النبوة بمحمد ﷺ، وبقي خلفاؤه وهم العلماء الربانيون، أو الأولياء المرشدون أو العلماء العاملون.

ومن ههنا فإن التوجه الصادق يوصل صاحبه إلى أن يتطلع إلى مقامات الصالحين أو الشهداء أو الصديقين أو الربانيين وزادُه في ذلك كله الذكر والعلم والانتساب، فإن غلب عليه حب الصلاح أخذ حظه من العلم بقدر، ومن الذكر والعمل الصالح بشكل أكثر، مع الانتساب للصالحين والربانيين، وإن غلب عليه حب الشهادة أخذ حظه من العلم بقدر، ومن الذكر والعمل الصالح بشكل أكثر، فقد وصف الله الذين يبيعون أنفسهم له بقوله: ﴿ **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله** ﴾[3] وأخذ حظه

(١) سورة الفاتحة: (٦ ــ ٧).

(٢) سورة النساء: (٦٩).

(٣) سورة التوبة: (١١٢).

من الانتساب للربانيين، وأخذ حظه من الانتساب للعاملين في حقول الجهاد، ومن غلبت عليه إرادة الصديقية فطريقه العلم والذكر والعكوف على إرادة المعرفة الذوقية، وآداب مقاماتها من خلال الانتساب للربانيين، وإن غلبت عليه إرادة الربانية فطريقه العلم الشامل، والذكر الكثير، والانتساب للربانيين، والقيام بواجبات الربانيين.

وهناك قدر مشترك يحتاجه جميع هؤلاء، وقدر يمتاز به كل طبقة من هؤلاء :

فالعلم المطلوب من الصالح هو ما يحقق فرض عينه، والأذكار والأعمال الصالحة المطلوبة منه هي ما يحقق فروض عينه، والواجبات والسنن والانتساب المطلوب منه للربانيين أن يبقى في بيئاتهم، ويحضر مجالسهم، ويحافظ على الأدب معهم.

أما المطلوب من الصديق فشيء زائد على ذلك، إنْ في طبيعة الانتساب أو في كثرة الالتزام، أو في نوع العلم أو في نوع التحقق، أو في كثرة الذكر وأنواعه أو في الالتزام بالآداب، مع الله ومع الخلق على اختلاف مستوياتهم، وما يؤاخذ عليه من الدقة بحيث تعتبر حسنة الصالح سيئة في حقه، فالصالح يسعه أن يرد السيئة بالسيئة ولكن الصديق مقامه فوق ذلك.

أما مريد الربانية فالتزاماته أكثر وتأهيلة أصعب.

ففي باب العلم يطالب في عصرنا بالعلوم العشرة الأساسية على الأقل كما سنراها.

وفي باب الذكر لا بد أن تكون له أوراده اليومية واعتكافه وخلواته، وفي باب الانتساب فإنّ التدقيق معه دقيق، وفي باب التأهل للقيام بالدعوة والنصيحة والإرشاد والتعليم يحتاج إلى خلق رفيع وحال راق، وعلاقة مع الله لا تبقي محلا لغير الله في القلب : ﴿ **الذين يبلّغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله** ﴾[1] كما يحتاج إلى قدرة على الوعظ والتعليم وتزكية الأنفس :

﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب**

---

(١) سورة الأحزاب: (٣٩).

والحكمة ﴾[1] كما يحتاج إلى تأهيل عال يؤهله لإقامة كتاب الله وتجديد الإسلام وإقامة الحجة على الناس فيه وبذل جهد لتحكيمه وتمكينه :

﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون... ﴾[2].

﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ﴾[3].

وسواء كان مريد وجه الله يريد صلاحاً أو شهادة أو صديقية أو وراثة نبوية فله آدابه، وقد جرت العادة أن تذكر آداب المريدين جملة، وكل نوع من أنواع المريدين يأخذ حظه منها، وكما قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا قاسم والله يعطي » فلقد كان رسول الله ﷺ يتوجه للجميع بالخطاب، فمن يدري؟ فقد يصبح طالب الأدنى في يوم هو طالب الأعلى، وكان يخص بعض الصحابة بأسرار مما تحتاجه حركة الأمة الإسلامية؛ كأسرار جهاد أو أسرار أمن أو أسرار خصوصية وأسرار للمستقبل ليس من المصلحة أن تكشف قبل أوانها لما يترتب على ذلك من أضرار.

وإحكام العلم يبقى هو الأساس والبدء بالذكر وبالأوراد لا بدَّ منه.

ولذلك فإن الربانيين لا بد أن يوجدوا حلقات العلم وحلقات الذكر أو يجمعوا بينهما، لا بدَّ أن يكون السير العلمي مبرمجاً، وملاحظاً فيه أحوال الطالبين، فهناك الحلقة العلمية التي تسع الجميع، وهناك الحلقة العلمية التخصصية لأهل الجد والاجتهاد.

---

(١) سورة البقرة: (١٥١).

(٢) سورة المائدة: (٤٤).

(٣) سورة آل عمران: (١٤٦ ــ ١٤٨).

ولابد من التركيز على القرآن، على علومه، وعلى تلاوته، وعلى حفظه وتفسيره، وعلى علوم اللغة العربية، ولا بد من التركيز على السنة والسيرة، وعلى علوم الحديث وحياة الصحابة.

ولا بد من التركيز على الفقه العام الذي يدخل فيه : الفقه وأصوله والتصوف المحرر والعقائد وفقه الدعوة وفقه الأصول الثلاثة والدراسات الإسلامية الحديثة، ومعرفة التاريخ الإسلامي وواقع المسلمين.

وأما الذكر فلا بدَّ من جلسات مستمرة له؛ لأنها تعطي زاداً، وتشحنه بحب الذكر، وتساعده على القيام بالأوراد اليومية، ولتكن جلسة الذكر في حدود المأثور، وإذا وجد فيها إنشاد فليكن فيما لا ينكره عام ولا خاص من الفقهاء.

والانتساب يقتضي أدبا مع الشيوخ ومع الإخوان، وهذا كله يجب أن ينعكس على أدب العلاقات مع الناس جميعاً، مع الآباء والأمهات والأولاد والجيران والمسلمين وغير المسلمين، فالسالك إلى الله بالنسبة للخلق هواء يتنفسون منه، وماء يرتوون منه، وظل يأوون إليه، وشجر يأكلون من ثمره، ولطف يألفونه، وتواضع عزيز في الله، وها نحن نتركك مع ما اخترناه لك من مختارات في آداب المريد، ومع حِكَم الشيخ التي يتوجه بها إلى المريدين.

* * *

الباب الأول

مقتطفات من كلام القوم تخص المريدين

قال القشيري في رسالته : [عن بشر بن الحارث يقول : صحبة الأشرار توجب سوء الظن بالأخيار.

وقال ذو النون : لا تصحب مع الله تعالى إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان إلا بالعدواة، وقال رجل لذي النون : مع من أصحب؟ فقال : مع من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك. سمعت الأستاذ أبا علي يقول : الشجر إذا نبت بنفسه ولم يستنبته أحد يورق ولكنه لا يثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يتخرج به لا يجيء منه شيء.

وقيل من صفات المريدين : التحبب إليه بالنوافل، والخلوص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأحكام، والإيثار لأمره، والحياء من نظره، وبذل المجهود في محبوبه، والتعرض لكل سبب يوصل إليه، والقناعة بالخمول، وعدم القرار بالقلب إلى أن يصل إلى الرب.

(**فصل**)ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى ولا ينبغي للمريد أن يعاهد الله تعالى على شيء باختيار ما أمكنه فإن في لوازم الشرع ما يستوفي منه كل وسع قال الله تعالى في صفة قوم : ﴿ **ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾[1]].

أقول : ينصح الشيخ هنا بألا يتورط المريد بعهود قد لا يستطيع الوفاء بها، ومن المناسب أن نذكر أن العهد الذي يعطى لشيوخ التصوف لا يعتبر هو البيعة الشرعية

(١) سورة الحديد: (٢٧).

التي تعطى لأمير المؤمنين، إنما هو عهد التقوى، والالتزام بشريعة الله، وقد قال السيوطي : رجل أعطى العهد لشيخ ثم أعطاه لآخر أي العهدين يلزمه قال : لا هذا ولا ذاك، ولا أصل لذلك، لكن العهد للشيوخ فيه بركة وخير، والأدب المستمر مع الشيوخ ضروري حتى لو تتلمذ الإنسان على شيخ آخر، فالمودة والصلة لابد أن تبقى إلا إذا كان هناك شذوذ.

[(**فصل**) وبناء هذا الأمر وملاكه على حفظ آداب الشريعة، وصون اليد عن المد إلى الحرام والشبهة، وحفظ الحواس عن المحظورات، وعدّ الأنفاس مع الله تعالى عن الغفلات، ومن شأن المريد دوام المجاهدة في ترك الشهوات، فإن من وافق شهوته عُدِم صفوته، وأقبح الخصال بالمريد رجوعه إلى شهوة تركها لله تعالى].

أقول : إذا كان المراد الشهوة المحرمة فهو صحيح، أما الشهوات المباحة فليقلل المريد منها؛ فتلك سنة الصحابة، ولكن إذا غلبته فلا حرج.

[فأول قدم للمريد في هذه الطريقة ينبغي أن يكون على الصدق ليصح له البناء على أصل صحيح، فإن الشيوخ قالوا : إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، كذلك سمعت الأستاذ أبا علي يقول : فتجب البداءة بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى، صافٍ عن الظنون والشبه، خالٍ من الضلال والبدع، صادر عن البراهين والحجج.

وإذا أحكم المريد بينه وبين الله تعالى عقده فيجب أن يحصل من علم الشريعة إما بالتحقيق وإما بالسؤال عن الأئمة ما يؤدي به فرضه، وإن اختلف عليه فتاوى الفقهاء يأخذ بالأحوط.

(**فصل**) ومن آفات المريد ما يداخل النفس من خفي الحسد للإخوان، والتأثر بما يفرد الله عز وجل به أشكاله من هذه الطريقة، وحرمانه إياه ذلك، وليعلم أن الأمورَ قسمٌ وإنما يتخلص العبد عن هذا باكتفائه بوجود الحق وقدمه، فكل من رأيت أيها المريد قدمّ الحق سبحانه رتبتهُ، فأحمل أنت غاشيتَه فإن الظرفاء من القاصدين على ذلك استمرت سنتهُم.

(**فصل**) ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الأحداث، ومن ابتلاه الله

تعالى بشيء من ذلك فبإجماع الشيوخ ذلك عبد أهانه الله عز وجل وخذلَه، بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أَهّلَهُ، وَهَبْ أنه بلغَ رتبةَ الشهداء، أليس قد شغل ذلكَ القلبَ بمخلوق؟! وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعود ذلك يسيراً، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم** ﴾[1] وهذا الواسطي رحمه الله يقول : إذا أراد الله هوانَ عبدٍ ألقاه إلى هؤلاءِ الأنتانِ والجيف. سمعت أبا عبدالله يقول : سمعت محمد بن أحمدَ النجار يقول : سمعت أبا عبدالله الحصري يقول : سمعت فتحاً الموصلي يقول : صبحت ثلاثين شيخاً كانوا يُعدون من الأبدالِ، كلهم أوصوني عند فراقي إياهم وقالوا : اتقِ معاشرةَ الأحداثِ ومخالطَتهم، ومن ارتقى في هذا الباب إلى حالة الفسق، وأشار إلى أن ذلك من بلاء الأرواح، وأنه لا يضر فما قالوه وساوس، فليحذر المريدُ من مجالسةِ الأحداثِ ومخالطِتِهم، فإن اليسيرَ منه فتحُ باب الخذلان، وبدءُ حال الهجران، ونعوذُ بالله من قضاءِ السوء].

أقول : كان شيخنا الحامد رحمه الله كثير الورع فلا يصافح أمرد ولا ينظر إليه، ولكنهم كانوا يحضرون مجلسة العلمي العام، ويعطف عليهم من وراء وراء، وكان يخشى أن يتولى تربية هؤلاء إلا الكمال من الرجال، ولقد كنت دائما أحرص على أن أوكل تربية الشباب والصغار لأتقى الناس المستعفين بالزواج، فبذلك لا نضيعهم، ولا نتركهم للشارع يفسدهم.

[وكان أبو عثمان الحيري يقول : سمعتُ أبا حفص يقولُ : أكثرُ فسادِ الأحوالِ من ثلاثة : فسقُ العارفين، وخيانةُ المحبين، وكَذِبُ المريدين، قال أبو عثمان : فسقُ العارفين : إطلاقُ الطرفِ واللسان والسمع إلى إسباب الدنيا ومنافعها، وخيانة المحبين : اختيار هواهم على رضا الله عز وجل فيما يستقبلهم، وكذب المريدين : أن يكون ذكرُ الخلق ورؤيتهم تَغلِبُ عليهم على ذكر الله عز وجل ورؤيته]. أي مراقبته أو مشاهدته كما ورد في حديث الإحسان.

ومن كلام القشيري : [ثم إذا أرادَ السلوكَ فبعد هذه الجملة يجب أن يتوبَ إلى الله سبحانه من كل زلة، فيدع جميع الزلات سرها وجهرها، وصغيرها وكبيرها،

---

(١) سورة النور: (١٥).

ويجتهد في أرضاء الخصوم أولاً، ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشيء، وعلى هذا النحو جروا، ثم بعد هذا يعمل في حذف العلائق والشواغل، فإن بناء هذا الطريق على فراغ القلب.

وما لم يستو عند المريد قبولُ الخلقِ وردهم لا يجيء منه شيء، بل أضر الأشياء له ملاحظةُ الناسِ إياه بعين الإثباتِ والتبرك به لإفلاس الناس عن هذا الحديث، وهو بعدُ لم يصحح الإرادةَ، فكيف يصح أن يُتبرَكَ بهِ! فخروجهم من الجاه واجب عليهم، لأن ذلك سرٌ قاتل لهم.

(**فصل**) وكل مريد بقي في قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدارٌ وخطر فاسم الإرادة له مجاز].

وقال في قواعد التصوف : (كلُ صوفي أهملَ أحواله من النظر لمعاملةِ الخلقِ، كما أمر فيها، وصرف وجهه لنحو الحق، دون نظرٍ لسنته في عباده، فلا بدَّ له من غلطٍ في أعمالهِ أو شطح في أحواله؛ أو وقوعٍ طامةٍ في أقواله.

فإما هلك أو أهلك، أو كانا معاً جاريين عليه.

ولا يتم له ذلك، ما لم يصحبْ متمكناً أو فقهياً صالحاً أو مريداً عالماً، أو صديقاً صادقاً يجعله مرآةً له، إن غلط رده، وإن ادعى دفعه وإن تحقق أرشده.

فهو ينصفه في حاله، وينصحه في جميع أحواله، إذ لا يتهمه ولا يهمله، فافهم).

وذكر القشيري : [سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق لكن لا تثمر، كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ.

(ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ).

(**فصل**) ولا ينبغي للمريد أن يعتقد في المشايخ العصمة بل الواجبُ أن يذَرَهم وأحوالهم فيحسن بهم الظنَ ويراعي مع الله تعالى حدَّه فيما يتوجه عليه من الأمر، والعلم كافيه في التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلوم].

أقول : إذا رأى المريد شيخه على مباح أو ما يحتمل الإباحة أو ماله وجه على رأي إمام فالأصل أن يسلم له حاله، أما إذا رأى ما اعتبره منكراً لا يسع السكوت عنه فعليه أن يذاكره بحسن الأدب مع التلطف ابتداءً، فلعل لعمله وجها مشروعا يجهله، فإذا لم يكن ذلك وأصر الشيخ فليتركه، وليستر حاله ما دام الشيخ يتستر، إلا إذا ترتب على ذلك ضرر، فيعالج بالقدر الذي لا بد منه.

[وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد في خلوته حالاً يجده قلبه إما في النوم وإما في اليقظة، أو بين اليقظة والنوم، من خطاب يُسمع، أو معنى يُشاهد، مما يكون نقضاً للعادة، فينبغي أن لا يشتغل بذلك البتة، ولا يسكن إليه، ولا ينبغي أن ينتظر حصول أمثال ذلك، فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه، ولا بد له في هذه الأحوال من وصف ذلك لشيخه حتى يصيرَ قلبُه فارغاً عن ذلك، ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره، ويصغّر ذلك في عينه، فإن ذلك كله اختباراتٌ، والمساكنةُ إليها مكرٌ، فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظتها، وليجعل همته فوق ذلك، واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه في سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته بأني خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك].

أقول : إنما حذر الشيخ من ذلك لأنه قد تختلط هواجس النفس بوساوس الشيطان، ويجر ذلك إلى الدعاوى، وقد يصل بصاحبه إلى الجنون، فإذا حدث له شيء من ذلك فليستغفر وليستعذ، وليطلب من الله أن يحققه بالكمالات، ولا يقف عنده وليحمد الله على كل حال.

وقال في قواعد التصوف :

[قال شيخنا أبو العباس الحضرمي رضي الله عنه : وعليك بدوام الذكر، وكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ، وهي سلم، ومعراج، وسلوك إلى الله تعالى، إذا لم يلق الطالب شيخا مرشداً.

والوظائف المجموعة من الحديث، أكمل أمراً، إذ لا زيادة فيها، سوى الجمع، سيما إن أخذت من المشايخ].

أقول : من أجمل الوظائف التي اجتمع لها حسن الجمع من النصوص، والإحاطة

باحتياجات الإنسان الوظيفة الكبرى أو الصعرى للأستاذ البنا، فإذا اجتمعت له مع ورد الدعاء وبقية رسالة المأتورات مع أخذها من الشيوخ الربانيين فلا أعلى ولا أرقى في علمي.

وقال في قواعد التصوف : [الخواص ثابتة في الأقوال والأفعال والأعيان.

وأعظمها خواص الأذكار، إذ ما عمل آدمي عملاً، أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.

وقد جعلها الله للأشياء كالأشربة والمعاجين في منافعها، لكل ما يخصه.

إقامة الورد في وقته عند إمكانه، لازم لكل صادق.

فإذا عارضه عارض بشرية، أو ما هو واجب من الأمور الشرعية، لزم إنفاذه بعد التمسك بما هو فيه جهده، من غير إفراط مخل بواجب الوقت.

ثم يتعين تداركه بمثله لئلا يعتاد البطالة، ولأن الليل والنهار خلفة.

وشروط الذكر التي تتعين عند الجمع ثلاثة. (أي عند الاجتماع على الذكر).

أولها : خلو الوقت عن واجب أو مندوب متأكد، يلزم من عمله الإخلال به، كأن يسهو فينام عن الصلاة، أو يتثاقل فيها، أو يفرط في ورده، أو يضر بأهله، إلى غير ذلك.

الثاني :خلوه عن محرم أو مكروه يقترن به، كاستماع النساء أو حضورهن، أو حضور من يتقى من الأحداث، أو قصد طعام لا قربة فيه، أو فيه شبهة ولو قلَّت، أو فراش محرم، كحرير ونحوه، أو ذكر مساوئ الناس، أو الاشتغال بالأراجيف إلى غير ذلك.

الثالث : التزام أدب الذكر من كونه شرعياً أو في معناه، بحيث يكون بما صح واتضح، وذكره على وجه السكينة، وإن مع قيام مرة وقعود أخرى لا مع رقص وصياح ونحوه، فإنه من فعل المجانين، كما أشار إليه مالك رحمه الله، لما سئل عنهم فقال : أمجانين هم؟].

أقول : كان أحد شيوخنا يأذن بحضور الأحداث في حلقات الذكر على أن يكونوا محل رعاية وملاحظة الحضور، وكان يقول : كان الناس يهتمون بتربية أولادهم والآن لا يهتمون، ولو منعنا هؤلاء تركناهم للفساد والمفسدين، أقول : إن الأمر يحتاج إلى موازنات ورعاية.

وقال في القواعد (بتصرف) : [تعظيم ما عظم الله، متعين، واحتقار ذلك، ربما كان كفرا.

فلا يصح فهم قولهم : (ما عبدناه، خوفا من ناره، ولا طمعا في جنته) على الإطلاق.

إما احتقاراً لهما، وقد عظمهما الله تعالى، فلا يصح احتقارهما من مسلم، وإما استغناء عنهما ولا غنى للمؤمن عن بركة مولاه.

نعم لم يقصدوها بالعبادة، بل عملوا لله، لا لشيء، وطلبوا منه الجنة، والنجاة من النار، لا لشيء وشاهد ذلك في قوله تعالى : ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾[1].

إذ جعل علة العمل إرادة وجه الله تعالى.

أمروا المريد في ابتدائه، بتعدد الأوراد، وإكثارها تثبيتا لآثارها في نفسه.

وعند توسطه، بإفراد الورد لإفراد الهم وإفراد الحقيقة.

وكل هذا بعد حفظ الورد الشرعي، ذكراً أو غيره حسب ما رود عموماً، والله أعلم].

وقال في قواعد التصوف : [إقامة الأسباب، ملحوظ في الأصل بحكمة إقامة العالم لاستقامة وجوده؛ فلذلك ذم ما خالف وجود حفظ النظام].

وقال القشيري في رسالته : (فإذا خطر ببال المريد أن له في الدنيا والآخرة قدراً

---

(١) سورة الانسان: (٩)

أو قيمة، أو على بسيط الأرض أحداً دونه، لم يصح له في الإرادة قدم لأنه يجب أن يجتهد ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدراً، وفرق بين من يريد الله تعالى وبين من يريد جاه نفسه إما في عاجله وإما في آجله، ثم يجب عليه حفظ سره إلا عن شيخه).

(وقال ذو النون : لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعاما).

(وقال يحي بن معاذ : الجوع للمريد رياضة، وللتائبين تجربة، وللزهاد سياسة، وللعارفين مكرمة).

وقال في الرسالة : (وكل مريد وقف في ابتداء إرادته لا يجيء منه شيء).

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : صاحب الحزن يقطع من طريق الله تعالى في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه سنين.

قال في الرسالة :

(فإذا جربه شيخه فيجب عليه أن يلقنه ذكراً من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمره أن يذكر ذلك الاسم بلسانه، ثم يأمره أن يسوي قلبه مع لسانه ثم يقول له : اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك، ولا يجري على لسانك غير هذا الاسم ما أمكنك، ثم يأمره أن يكون أبداً في الظاهر على الطهارة، وأن لا يكون نومه إلا غلبة، وأن يقلل من غذائه على التدريج شيئا بعد شيء، حتى يقوى على ذلك، ولا يأمره أن يترك عادته بمرة؛ فإن في الخبر « إن المُنْبَتّ لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى » ثم يأمره بإيثار الخلوة والعزلة، ويجعل اجتهاده في هذه الحالة لا محالة في نفي الخواطر الدنية والهواجس الشاغلة للقلب، واعلم أن في هذه الحالة قلما يخلو المريد في أوان خلوته في ابتداء إرادته من الوساوس في الاعتقاد ، لا سيما إذا كان في المريد كياسة قلب، وكل مريد تستقبله هذه الحالة في ابتداء إرادته، وهذه من الامتحانات التي تستقبل المريدين، فالواجب على شيخه إن رأى فيه كياسة أن يحيله على الحجج العقلية؛ فإن بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه من الوساوس، وإن تفرّس شيخه فيه القوة والثبات في الطريقة أمره بالصبر واستدامة الذكر حتى تسطع في قلبه أنوار القبول، وتطلع في سره شموس الوصول، وعن قريب يكون ذلك، ولكن لا يكون هذا لأفراد المريدين، فأما الغالب فأن تكون

معالجتهم بالرد إلى النظر وتأمل الآيات بشرط تحصيل علم الأصول على قدر الحاجة الداعية للمريد).

أقول : كان أحد شيوخنا يخشى من الإثقال على المريد بالتكاليف الشاقة؛ تحسباً أن ينقطع بأن تصبح عنده ردود فعل ضارة، أو غلو في غير محله، ومن ههنا كان يعامل كل مريد على حسب طاقته وهذا دأب الشيوخ الكمل وذلك من السنة؛ فبعض التكاليف لم يكلفها رسول الله ﷺ إلا لبعض أصحابه كأولئك الذين أخذ عليهم العهد ألا يسألوا الناس شيئا.

وقال في الرسالة القشيرية :

[وإذا توسط المريد (أي تصدر عليهم بأمر الشيخ) جمع الفقراء والأصحاب في بدايته فهو مضر له جداً، وإن امتحن واحد بذلك فليكن سبيله احترامَ الشيوخ والخدمةَ للأصحاب، وتركَ الخلاف عليهم، والقيام بما فيه راحةُ فقير، والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ، ويجب أن يكون في صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه، ولا يكون خصم نفسه عليهم، ويرى لكل واحد منهم عليه حقاً واجباً، ولا يرى لنفسه واجباً على أحد، وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج ومماراة فإنه لا يجيء منه شيء].

أقول : كثيراً ما يحدث في عصرنا أن يقدم إنسان عادي لإمرة إخوانه أو لتوجيههم دون نضج روحي، أو تربية أصولية، أو علم شامل، فهؤلاء قد ينفعون وقد يضرون، وقد يهلكون ويهلكون وهذه النصيحة تفيدهم.

وقال في الرسالة : (وفي الجملة أن الحركة تأخذ من كل متحرك وتنقص من حاله مريدا كان أو شيخا).

[(**فصل**) ومن شأن المريد قصر الأمل، فإن الفقير ابن وقته، فإذا كان له تدبيرٌ في المستقبل وتطلعٌ لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيما يستأنفه لا يجيء منه شيء.

وقال القشيري : (ومن تبرك بمريد فقد جار عليه؛ لأنه يضره لقلة قوّته، فالواجب على المريد ترك تربية الجاه عند من قال بتركه وإثباته).

(**فصل**) وإن ابتلي مريد بجاه أو معلوم أو صحبة حدث أو ميل إلى امرأة

واستنامة إلى معلوم، وليس هناك شيخ يدله على حاله يتخلص من ذلك، فعند ذلك حل له السفر، والتحول عن ذلك الموضع؛ ليشوش على نفسه تلك الحالة، ولا شيء أضر لقلوب المريدين من حصول الجاه لهم قبل خمود بشريتهم.

(**فصل**) ومن آداب المريدين أن لا يتعرضوا للتصدر، وأن يكون لهم تلميذ ومريد، فإن المريد إذا صار مرادا قبل خمود بشريته، وسقوط آفته، فهو محجوب عن الحقيقة، لا تنفع أحداً إشارته وتعليمه].

أقول : هذا خاص باتخاذ مريدين للسلوك إلى الله، أما أن يعلِّم طالب العلم ما يتعلمه لفائدة نفسه ولفائدة غيره دون أن يستشعر أنه شيخ على أحد فهذه من وصايا شيوخنا لنا.

[(**فصل**) وإذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم إليه؛ فلا ينبغي أن يخالف المريد ما حكم باطنُه عليه من الخلوص في الخدمة، وبذل الوسع والطاقة.

(**فصل**) ومن شأن المريد إذا كان طريقه خدمة الفقراء والصبرُ على جفاء القوم معه وأن يعتقد أنه يبذل روحه في خدمتهم ثم لا يحمدون له أثراً، فيعتذر من تقصيره، ويقر بالجناية على نفسه تطييباً لقلوبهم، وإن علم أنه بريء الساحة، وإذا زادوه في الجفاء فيجب أن يزيدهم في الخدمة والبر. سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول : إن في المثل إذا لم تصبر على المطرقة فلماذا كنت سنداناً وفي معناه أنشدوا :

ربما جئته لأسلفه العـذ ... ر لبعض الذنوب قبل التجني

سئل أبو العباس السياري: بماذا يروض المريد نفسه؟ فقال: بالصبر على فعل الأوامر، واجتناب النواهي، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء.

قال في الرسالة عن الفضل : الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وقيل : الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك، وقال أبو بكر الوراق : الفتى من لا خصم له.

وقال الجنيد : الفتوة كف الأذى وبذل الندى، وقيل : الفتوة الوفاء والحفاظ، والحفاظ : أي وحفظك الحدود بأن لا تتعداها.

قال الأستاذ : واعلم أن من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لا سيما إذا كان لهم فيه شماتة الأعداء].

وقال في قواعد التصوف : (ما مُدِح أو ذُمَّ لا لذاته، قد ينعكس حكمه لموجب يقتضي نقضيه. فقد صح « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه » الحديث. وصح « لا تسبوا الدنيا، فنعمت هي مطية المؤمن ». ومُدِحَت الرياسة، لما تؤدي إليه من حفظ النظام، حتى أثنى الله على من طلب الرياسة الدينية إذ قال : ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1]. وذُمَّتْ لما تؤدي إليه من الكبر، والخروج عن الحق، ومُدِحَ الصمتُ للسلامة، وذم عن الواجب الذي لا بدّ منه. ومُدِحَ الجوعُ، لتصفية الباطن، وذم لإخلاله بالفكر).

أقول : ومن ههنا كان لابد للمريد من شيخ يساعده على التمييز والترجيح، أو يفتيه حيث يكون الأمر مشتبها، أو حيث تكون تجربته قاصرة.

وقال في قواعد التصوف : [فائدة الشيء، ما قصد له وجوده. وفائدته : حقيقته في ابتدائه، أو انتهائه، أو فيهما.

كالتصوف علم قصد لإصلاح القلوب، وإفرادها لله، عما سواه.

وكالفقه؛ لإصلاح العمل، وحفظ النظام الحكمة بالأحكام.

وكالأصول، لتحقيق المقدمات بالبرهان، وتحلية الإيمان بالإيقان.

وكالطب لحفظ الأبدان. وكالنحو لإصلاح اللسان، إلى غير ذلك فافهم.

وقد صح أن شرف الشيء بشرف متعلقه.

ولا أشراف من متعلق علم التصوف لأن مبدأه خشية الله التي هي نتيجة معرفته، ومقدمة اتباع أمره.

وغايته إفراد القلب له تعالى فلذلك قال الجنيد رضي الله عنه : (لو علمت أن

---

(١) سورة الفرقان: (٧٤).

تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه) انتهى، وهو واضح].

أقول : لذلك نحرص أن نحرر هذا العلم من دَخَنه، ونحرص أن نجعله علم العامة بدلاً من أن يكون علم الخاصة، ونحرص أن ننقيه من كل ما لا يسعه عصرنا، وذلك طريق سديد في عصر مادي شهواني، فالفكرة تقابل بالفكرة، أما الشهوة وجواذب الدنيا ووساوس الشيطان وأمراض النفوس فإنها تحتاج إلى شيوخ لهم حال وبيئات تساعد على الانتشال، وذَكَر الله الشيخ أبا الحسن الندوي بخير وهو يدافع عن مثل هذا بقوله :

أقلوا عليهم لا أبـاً لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وقال في الرسالة القشيرية : (وقال أبو سلمان ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبت به).

(قال الأستاذ) الخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولا بد للمريد في ابتداء حاله من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه، ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره، ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزيته على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر.

أقول : الأصل في الخلوة والعزلة أن تكون بأمر شيخ أو تحت إشرافه؛ وإلا خشي على المريد من الوساوس والغلو، ومن لم يجد شيخا فليعتزل نوع عزلة، وليخلُ نوع خلوة مع بقاء حياته عادية بحيث لا يرى عليه تغير.

وقال في الرسالة القشيرية : (قال الشيخ هذا الذي قاله ﷺ : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » إشارة إلى حال المراقبة لأن المراقبة علم العبد باطلاع الرب سبحانه وتعالى عليه، واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه، وهذا أصل كل خير له لا يكاد يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من المحاسبة، فإذا حاسب نفسه على ما سلف، وأصلح حاله في الوقت، ولازم طريق الحق، أو أحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس، وراقب الله تعالى في عموم أحواله، فيعلم أنه سبحانه

عليه قريب، يعلم أحواله ويرى أفعاله، ويسمع أقواله، ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة، فكيف عن حقائق القربة)؟.

وفي الرسالة بسند الشيخ القشيري : (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : ليس الرضا أن لا تحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء).

وفي الرسالة : ويقال العبودية : القيام بحق الطاعات بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير، وشهود ما يحصل من مناقبك من التقدير أي من القدر فالفضل فيه الله.

وفي الرسالة : (فإذا قيل : فلان حاضر فمعناه أنه حاضر بقلبه لربه غير غافل عنه ولا ساه مستديم لذكره، ثم يكون مكاشفاً في حضوره على حسب رتبته بمعان يخصه الحق سبحانه وتعالى بها).

(وقيل : كان سبب زهد داود الطائي أنه كان يجالس أبا حنيفة رضي الله عنه فقال له أبو حنيفة يوماً : يا أبا سليمان أما الأداة فقد أحكمناها، فقال له داود : فأي شيء بقي؟ فقال : العمل به، قال داود : فنازعتني نفسي إلى العزلة، فقلت لنفسي : حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة قال : فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمر بي وأنا إلى الكلام فيها أشد نزاعاً من العطشان إلى الماء ولا اتكلم به، ثم صار أمره إلى ما صار).

وفي الرسالة : (سمعت أبا نصر الطوسي السراج يقول : الناس في الأدب على ثلاث طبقات : أما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسماء الملوك وأشعار العرب، وأما أهل الدين فأكثر آدابهم في رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات، وأما أهل الخصوصية فأكثر آدابهم في طهارة القلوب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب، وأوقات الحضور ومقامات القرب).

(وقال أبو عثمان : إذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الأدب، وقال النوري : من لم يتأدب للوقت فوقته مقت، وقال ذو النون المصري : إذا خرج المريد عن استعمال الأدب فإنه يرجع من حيث جاء).

(واعلم أن السفر على قسمين : سفر بالبدن، وهو الانتقال من بقعة الى بقعة، وسفر بالقلب، وهو الارتقاء من صفة إلى صفة، فترى ألفاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر بقلبه).

ومن كلام القشيري في رسالته :

(والقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف، ومن الفصل بين القبض والخوف والبسط والرجاء أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل، إما أن يخاف فوت محبوب أو هجوم محذور، وكذلك الرجاء إنما يكون بتأميل محبوب في المستقبل أو بتطلع زوال محذور وكفاية مكروه في المستأنف، وأما القبض فالمعنى حاصل في الوقت، وكذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء تعلق قلبه في حالتيه بآجله، وصاحب القبض والبسط أخذ وقته بوادر غلب عليه في عاجله).

(ومن ذلك الهيبة والأنس) وهما فوق القبض والبسط، فكما أن القبض فوق رتبة الخوف، والبسط فوق منزلة الرجاء، فالهيبة أعلى من القبض، والأنس أتم من البسط.

(والحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هيبة أو احتياج، فالأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من غير الوجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام ممكَّن في مقامه، وصاحب الحال مترق عن حاله).

(والوارد : ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر فهو أيضاً وارد، ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم، فالواردات أعم من الخواطر، لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب، أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن ووارد قبض، ووارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني).

(قالوا : السر : ما لك عليه إشراف، وسر السر ما لا اطلاع عليه لغير الحق، وعند القوم على موجب مواضعاتهم، ومقتضى أصولهم السر ألطف من الروح،

والروح أشرف من القلب، ويقولون : الأسرار معتقة عن رق الأغيار من الآثار والإطلاق، ويطلق لفظ السر على ما يكون مصوناً مكتوباً بين العبد والحق سبحانه في الأحوال).

* * *



الباب الثاني

وفيه
شرح أحد عشر فصلا من الحِكَمِ
في
توجيهات ابن عطاء للمريدين



الفصل الأول

بدايات السير إلى الله

(لا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله * ربما كنت مسيئاً فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك * ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب * حسن الأعمال نتائجُ حسن الأحوال. وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال * لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز).

مقدمة

بعد أن عرفنا الشيخ في القسم الأول على الآفاق التي يستشرفها السالكون مما يعتبر باعثا ودافعا ومهيجاً نحو السير، أراد أن يبدأ بنا السير من نقطة البداية المعهودة، فالسير بدايته ذكر وشيخ، فهما ركناه الركينان.

لقد حدّثنا في القسم الأول عن معان رقيقة، وبحسّه الفطري يشعر أنّ السالك إذا لم يتحقّق بهذه المعاني فإنّه قد يبحث عن شيخ فأعطاه صفة الشيخ، أو ييأس فيترك الذكر فنبهه على ذلك وفي أجواء ذلك أعطانا صفات الشيخ :

١ ـــ أن يدلّك على الله مقاله.

٢ ـــ أن ينهض بك حاله.

٣ ـــ أن يكون زاهدا.

٤ ـــ أن يكون حسن الأعمال.

٥ ـــ أن يكون حسن الأحوال.

٦ ـــ أن يكون متحققا بمقامات السير إلى الله.

كما أعطانا مراتب الذاكرين في أذكارهم :

فالدرجة الأولى :ذكر مع الغفلة.

والدرجة الثانية :ذكر مع اليقظة.

والدرجة الثالثة: ذكر مع الحضور.

والدرجة الرابعة :ذكر مع الغيبة عمّا سوى المذكور.

ومن أكرمه الله بشيخ حاله كما وصفت، فإنّه مظنّة أن يتحقّق بدرجات الذاكرين هذه.

الشرح

إن الشيخ يذكرنا في هذا الفصل بقضيتين، القضية الأولى : الشيخ، والثانية : الذكر، والحقيقة أن الطريق إلى الله عز وجل مبناه على الشيخ وعلى الذكر، وكأن الشيخ افترض أن إنساناً ما عندما يتأمل في المعاني التي عرضها في الفصول السابقة ووجد نفسه خلية منها سيفكر أن يبحث عن شيخ، فخشية أن يصحب ما لا يستطيع أن ينهض بحاله أعطانا علامات الشيخ، يقول رحمه الله : (لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله)، فأول صفة للشيخ الذي يستأهل أن يصحبه الإنسان، أو الأخ الذي يصحبه الإنسان في الطريق إلى الله عز وجل، أن يكون عنده حال ينهض بالإنسان، والصفة الثانية : أن يكون مقاله يدل الإنسان على الله عز وجل، فالمحصلة لهذا الكلام أن يكون عند الشيخ علم وحال، علم صحيح يدل به من خلال التعليم على الله عز وجل، وحال صحيح ينهض بالإنسان من طور إلى طور، فأول صفتين ينبغي أن تتوافر في الشيخ العلم الصحيح والحال الطيب، ومن ههنا لابد أن نأخذ تصوراً عن العلم الذي ينبغي أن يتحقق به الشيخ، والحال الذي، ينبغي أن يتحقق به الشيخ، والقدوة في ذلك كله رسول الله ﷺ، لقد كان رسول الله ﷺ ينقل الإنسان من طور إلى طور بشكل عجيب ولنضرب مثلا بالحادثة التي وقعت لأبي بن كعب رضي الله عنه وقد رواها الإمام مسلم في صحيحه وهذه خلاصة عنها : أن أُبيًّا كان الرسول ﷺ يخصه بمزيد عناية في قضية قراءة القرآن حتى أن الله عز وجل خص أبيا بسلام، وأمر الله رسوله ﷺ أن يقرأ القرآن على أبي وكان أبي من الأنصار، والرسول ﷺ كان يقرأ القرآن على سبعة أحرف، ملاحظاً في ذلك لهجات العرب، وكانت لهجة الأنصار تختلف عن لهجة قريش وكان إقراؤه عليه الصلاة والسلام للأنصار يختلف عن إقرائه لغيرهم،

ومرة كان أبي رضي الله عنه في المسجد وإذا به يسمع أحد الصحابة يقرأ سورة على غير الحرف الذي أقرأه إياه الرسول ﷺ، فأخذ بيد هذا الإنسان وذهب إلى رسول الله ﷺ ليشكو له أن هذا يقرأ قراءة على غير القراءة التي أقرأه إياها. فأقرأ الرسول ﷺ. أبيا وصوَّب قراءته، وأقرأ الثاني وصوَّب قراءته، ولم يكن واضحا لأبي فكرة نزول القرآن على سبعة أحرف، وأن الله رخّص لرسوله ﷺ أن يقرئه على ذلك يقول أبي : « فوقع في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية »، وقعت في نفسه وساوس وشكوك نتيجة لتعدد القراءات.

فلما رأى رسول الله ﷺ ما بأبي ضرب بيده على صدره يقول أبي : « فتصبب جبيني عرقاً وكأني أنظر إلى الله فرقا ».

هذا مقام الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه »، لم يكن بين هذه الحالة والحال التي سبقتها زمن كثير، فهذا المعنى الذي نجده عند رسول الله ﷺ على أكمله وأعلاه هو الذي نسميه حالا، إنه حال الرسول ﷺ مع الله عز وجل الذي كان ينقله لأصحابه الذين يعيشون معه، من ههنا وغيره كان للصحابة هذا الفضل الذي لا يلحقهم به أحد، والصحابي هو الذي اجتمع برسول الله ﷺ وهو مؤمن به، إن مجرد اجتماع ولو مرة واحدة مع الرسول ﷺ يأخذ الإنسان به صفة الصحبة التي لا يدانيها شيء في الفضل، فليس هناك في مقامات الولاية أرقى من مقام الصحبة لرسول الله ﷺ، مجرد رؤية الرسول ﷺ والالتقاء به — ولو مرة — ينقل الإنسان من طور إلى طور، هذا الحال الذي كان لرسول الله ﷺ والذي يستطيع أن يفيضه على أصحابه قد ورثه أهل السلوك إلى الله عز وجل، ولنضرب مثلاً من حياة الرسول ﷺ حول موضوع الحال بحادثة عمر كما رواها البخاري عن عبد الله بن هشام قال : « كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر : يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر ». هذه حالة شكاها عمر وهي تتنافى مع كمال الإيمان، فالحديث الشريف الصحيح يقول : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »، رواه البخاري، فالكمال في الإيمان أن يحب الإنسان الرسول ﷺ أكثر من حبه لأي شيء، وقد وصف عمر لرسول الله ﷺ حاله ليرى ما إذا كان هذا المعنى ناقصاً؛ وبالتالي عليه أن يتخلص

منه، فلما قال رسول الله ﷺ حتى أكون أحب إليك من نفسك قال عمر مباشرة : لأنت الآن أحب إليَّ من نفسي، فانتقال عمر رضي الله عنه من حال إلى حال من خلال المذاكرة مع رسول الله ﷺ هو المقصود بكلمة الحال التي نتحدث عنها، فالشيخ الذي له حظ من الوراثة يكون عنده من الحال ما يستطيع به أن ينهض بحال الإنسان من طور أقل كمالاً إلى طور أكثر كمالاً.

إن الحال الذي كان لرسول الله ﷺ مع الله، وحاله مع أصحابه رضي الله عنهم، نفتقده إلّا عند من لهم سير قلبي إلى الله عز وجل، ومن شيوخنا الذين كنّا نحس منهم هذا الحال شيخنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله، كنّا نحسّ إحساسا قويّا بحاله، إن هناك ناساً يحسّ الإنسان إحساسا مباشراً أنّ حاله يتغيّر إلى الأحسن عند الاجتماع بهم، فمن فتور عن العبادة إلى إقبال على الله بها، ومن جفاف روحي إلى إحساسات رفيعة، ومن انقباض إلى انشراح إلى أنس بالله عز وجل.

ومن الشيوخ الذين اشتهروا بهذا الحال المؤثر الشيخ محمد الحامد رحمه الله والشيخ أبو النصر خلف رحمه الله، فلقد كان من أكثر الناس شهرة بالحال المؤثر القوي في المريدين وكان الصلاح واضحاً عليه، وكان كثير التمسّك بالسنّة والسيرة والفقه، وكان دائم الاشتغال بالحديث الشريف، حدّثنا الشيخ محمد رحمه الله أنّه أقرأ إخوانه الكتب الستّة (البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وأبا داود، وابن ماجه).

فأهل السلوك إلى الله عز وجل يكون عندهم حال ينهضون به بالمريد، ويختلف هذا الحال من أهل طريق إلى أهل طريق، لكن بشكل عام، فإنّ توجهات الشيوخ لها تأثير في الارتقاء بالإنسان من حال إلى حال ومن طور إلى طور.

فالشيخ هنا يبيّن أن أوّل شيء ينبغي أن يتّصف به الشيخ الذي تختاره لصحبتك أن يكون له حال ينهض بك، (لا تصحب من لا ينهضك حاله) فالذي ليس عنده القدرة أن ينهضك حاله لا يستأهل أن تصحبه، والشرط الثاني: أن يكون عنده علم، والمقصود بالعلم هنا العلم بالله لذلك قال: (يدلّك على الله مقاله) أي عنده علم يدلّك على الله عز وجل فيه، والشيخ الكامل هو الذي اجتمعت له كل علوم الشريعة، بما في ذلك العلم الذي يدلّ على الله، وهو العلم الذي له علاقة في قضايا القلوب والأرواح، والإيمان والنفاق والكفر والبدعة والفسوق، لأنّ كلّ هذه القضايا

لها علاقة في الدلالة على الله، فإذا لم يتطهّر القلب من أمراضه مثل: الحسد، الكبر، العجب، الغرور، فعين بصيرته لا تنجلي، لذلك يقولون: التخلية ثمّ التحلية، فإذا لم يتخلّ الإنسان عن مثل هذه الأمراض لا يصير عنده مثل هذه التحلية فالدلالة على الله تدخل فيها معان كثيرة، من جملتها القدرة على تحرير القلب من الأمراض، ومن جملتها تحلية القلب بالأخلاق العليا مثل الإخلاص والتوكل والزهد والمحبة، لذلك يفترض بالشيخ أن يكون عنده علم محيط هذا هو الأصل، حتى قيل: إن الشيوخ الكمّل هم الذين يكونون في الفقهيّات ملمين بالمذاهب الأربعة، لأنّ المريد أحواله متعدّدة وقد لا يسعه مذهب واحد، والشيوخ يوجهون أصنافا من الناس، وكلّ صنف من الناس يحتاج إلى الفتوى المناسبة، فإذا لم يكن عندهم علم محيط بالفقه لا يستطيعون أن يقدّموا الفتوى المناسبة، هذا في الفقهيّات، فمن باب أولى أن يكون عندهم نوع من الإحاطة في قضايا الإيمانيّات.

وما هو العلم الذي ينبغي أن يتصف به الشيخ في عصرنا؟

ذكرنا في كتاب (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر) أن الرباني في عصرنا ينبغي أن يكون له اطلاع على ثلاثة عشر وحدة دراسية، يمكن أن تختصر في عشرة فلتراجع هناك، وأهم علوم الشيخ: العلم الذي يدلك على الله عز وجل، ومن ثم قال الشيخ: (لا تصحب.... يدلك على الله مقاله) بعد ذلك علل لنا لماذا أوصانا بهذه الوصية فقال: (ربما كنت مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك) هذا هو التعليل لضرورة تخير الصاحب، لأنك إن صحبت من هو أسوأ منك، ترى نفسك بالنسبة له محسنا ومن ثم لا تفكر عندها بأن تترقى، فصحبتك لمن هو دونك في الحال يجعلك راضيا عن الواقع الذي أنت فيه، هذه الحكمة تكاد تكون تعليلا للنهي الذي نهى الشيخ عنه في ألا نصحب من لا ينهضنا حاله، ثم بعد ذلك يدلنا الشيخ على خلق آخر ينبغي أن نلحظه في الشيخ أو في الصاحب فقال: (ما قلّ عمل برز من قلب زاهد، ولا كثر عمل برز من قلب راغب) في هذه الحكمة إشارة إلى صفة أخرى ينبغي أن تتحقق في الصاحب، هذه الصفة هي أن يكون عند الإنسان الذي نصحبه زهد.

إن أعمال الذين يقبلون على الله عز وجل مرتبطة بحال قلوبهم، فإذا كانت قلوبهم زاهدة فأعمالهم كثيرة عند الله عز وجل ولو قلّت، ومن كان قلبه متمرّغا

بالدنيا فقد يفعل الأعمال الكثيرة لكنّها قليلة عند الله، يدلنا على هذا الحديث « سبق درهم مائة ألف درهم... » أخرجه النسائي. فهنا صورة عمل كثير، ولكنّ العمل القليل أكثر منه أجراً لأنّ حال القلب مختلف، فالشيخ هنا نبهنا: أنّ العبرة في النهاية للقلوب، هذه النقطة أتى بها في السياق الذي يحدّثنا عن الصفات التي ينبغي أن تتوفّر في الصاحب الذي ينبغي أن نصحبه، إن كان شيخا أو أخا في الله عز وجل، فكأنّه يبيّن لنا أنّه من الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الصاحب أن يكون زاهدا ولكن في الحكمة نقطة أخرى وهي مهمّة: فأحيانا قد تجد إنسانا عنده علم كثير وعنده حال طيّب ولكن قد تجد عمله الظاهري قليلا بأن تكون نوافله قليلة، يقول الشيخ: ليست العبرة في هذه الحال للعمل الكثير وإنما العبرة للزهد القلبي، فإذا اجتمع لهذا الإنسان حال من ناحية وعلم من ناحية، وزهد قلبي من ناحية ثالثة، فهذا إنسان يصحب ولو قلّ عمله، ويلاحظ أنّ الشيخ ينبّهنا أحيانا على بعض القضايا بشكل مباشر وأحيانا بشكل غير مباشر.

بعد ذلك يقول: (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال)، عندنا حال، وعندنا عمل، وعندنا قول، وبقدر ما يحسن الحال يحسن القول والعمل، فهناك ارتباط بين هذه المعاني الثلاثة: الحال الطيب، والعمل الطيب، والكلام الطيب، واجتماع هذه الثلاثة علامة على أن الله قد أنزل صاحب ذلك منازل حسنة، جاء هذا الكلام في سياق الدلالة على الشيخ الذي ينبغي أن نصحبه، فالمفروض أن يتوفّر في الشيخ الذي نصحبه حسن حال وحسن فعال فمن وجد عنده هذه المعاني فهو أهل لأن يصحب، لأنّ هذا يدّل على أنّه قد كمل في مقاماته، وعلى هذا فمجموع الأشياء التي افترضها الشيخ في الصاحب الذي ينبغي أن نصحبه أن ينهضنا حاله، وأن يدلنا على الله مقاله، وأن يكون قلبه زاهدا ولو قلّ عمله، وأن يكون حاله طيباً، وأعماله طيّبة، وأن تكون أقواله طيّبة، فمن اجتمعت له هذه المعاني كلّها فهذا الذي يستأهل أن نصحبه في طريق الآخرة، أمّا طريق الدنيا فذاك بحث آخر، فأنت تصحب في الدنيا من الناس من يفرضهم عليك عملك وواقعك، فأنت في مؤسستك، في جامعتك، في عملك تخالط من تجمعك بهم الأيّام، فهذا لا كلام لنا فيه، فقد تصحب نصرانيّا، وتتعامل مع يهودي فهذه صحبة غير اختياريّة، فالطالب في مدرسة ليس باختياره أن يقعد هو وآخر في مقعد واحد، مدرّس في مدرسة ليس باختياره أن يقعد مع الآخرين في مكان

واحد،... هذا له أحكام ولا كلام لنا في هذا الموضوع، لكنّ كلامنا في الإنسان الذي تختاره لصحبتك، باختيارك الحر كيف ينبغي أن يكون؟ ينبغي أن تتوافر فيه هذه الشروط، لو اعتبرنا هذه الشروط ميزاناً ونظرنا إلى أنفسنا فإلى أيّ حدّ تتحقق فينا هذه الشروط لنكون أهلاً للصحبة وإلى أي حد تتوفر هذه المعاني في أجوائنا؟

يتوقف على هذا الجواب أهليتنا للكينونة معنا ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[١]، فعلى كل واحد منا أن يبذل جهداً بأن يرتقي بحاله مع الله عز وجل، بكثرة الذكر والعبادة والإقبال على الله عز وجل ومجالسة الصالحين، والإقبال على العلم، والمطالعة، ومدارسة أهل العلم، ومذاكرتهم بشكل مستمر والتنقيب الدائم عن عيوب النفس، هل تصرفاتنا جائزة شرعاً؟ هل وراءها دوافع نفسية؟

(حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال) هناك مقامات عليا من تحقق بها أصبحت أحواله حسنة وكانت أقواله حسنة فعلينا أن نتحقق بهذه المقامات، ثم ينتقل الشيخ إلى قضية الذكر، إذ لا طريق للوصول إلى الكمال القلبي والطمأنينة القلبية إلا بالذكر لأن الله عز وجل قال: ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾، وإذاً فلا طمأنينة إلا بالذكر فعندما يتقدم الجار والمجرور على الفعل في اللغة فهذا يفيد الاختصاص، وعندما تبدأ الآية بقوله تعالى ﴿ **ألا** ﴾ فذلك تنبيه أنه لا طريق لطمأنينة القلب إلا بالذكر، وطمأنينة القلب فيها النجاة عند الله لأن الله عز وجل يقول:

﴿ **يا أيّتها النفس المطمئنّة * ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة...** ﴾[٢] فالنفس التي ترضى عن الله ويرضى الله عنها هي النفس المطمئنّة، فإذا أردت أن ترجع نفسك إلى الله راضية مرضيّة فليس هناك طريق لذلك إلا الذكر ﴿ **ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب** ﴾[٣].

---

(١) سورة التوبة: (١١٩).

(٢) سورة الفجر: (٢٧ — ٢٨).

(٣) سورة الرعد: (٢٨).

العلم والذكر هما جناحا السائر إلى الله عز وجل، والحديث الشريف يقول: « ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه وعالماً ومتعلماً » أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي. كلّ ما سوى العلم والذكر أو ما يستتبعه العلم والذكر فهو دنيا، فعلامة سيرنا الأخروي هو أن يوجد علم وذكر، كل الطرق مسدودة إلا إذا وجد ذكر، ولا حال قلبي ولا كمال قلبي إلا إذا وجد الذكر، لذلك فأهل السير إلى الله عز وجل يعتبرون ميزان الخيرية الذكر اليومي، وأحيانا يشتغل الإنسان بالذكر كثيراً ولكنه مع ذلك يرى أن قلبه مازال قاسياً، لا زال فيه أمراض وأغيار، لا زال فيه غفلة... فهل نترك الذكر؟ لا بل ذلك يؤكد المطالبة بالمزيد، لذلك ينبهنا الشيخ على هذا المعنى، فكأن الشيخ خشي على السالك إلى الله عز وجل أنه إذا لم يتذوق المعاني التي أشار إليها أن يترك الذكر من باب اليأس، إن على الذاكر أن يداوم على الذكر والمذاكرة، ويفتش لماذا لا يؤثر الذكر في قلبه التأثير المناسب، والكافي، قد يكون السبب في ذلك قلة الأوراد، وقد يكون السبب عدم التوازن بين ما يأخذه نتيجة الذكر وما يعطيه نتيجة العمل فمثلا: إنسان موظف اضطرته ظروفه لأن يعيش مع نساء متبرجات، هذا إنسان تأخذ روحه من هذا الجو كما ورد في الحديث الصحيح « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة ». أخرجه البخاري ومسلم، فهذا إنسان يحتاج إلى أوراد أكثر، بينما لو كان إنسان يعيش في معهد شرعي على طريقة الشيوخ في الجمع بين علم وعمل، فإنه لو ذكر الله في اليوم زمناً قليلاً يمكن أن يكفيه، ولو كان إنسان يعيش في المسجد مع أهل الذكر فإن روحه تمتص من حالهم، فلو ذكر الله دقائق معدودة يبقى قلبه منشرحاً، لكن الإنسان الذي يعيش بين نساء متبرجات أو يعيش بين الكفار مثلاً، مثل هذا الإنسان ينبغي أن يبذل جهداً أكبر في الذكر حتى يحافظ على وضع قلبه ويزداد، المهم أن الإنسان مع قيامه بالأوراد قد يبقى في قلبه كدورات فعليه أن يفتش، إما أن مقدار الذكر الذي يذكره أقل من احتياجات قلبه، وإما أن هناك وضعاً يجب أن يتلخص منه، أو أن هناك مصروفات تصرف بها هذه الأنوار، فكل سالك يجب أن يكون عنده معرفة بالقدر الذي يلزمه من الأوراد حتى يجمع بين حالتين: أن تكون طمأنينة قلبه كاملة، وأن يكون هناك ارتقاء على كل الأحوال، لنتصور أنه مع الأوراد بقي في القلب شيء من التمرغات والكدورات، فهل يترك الذكر؟ هذا غلط بل عليك أن تداوم على

الذكر وفي الوقت نفسه تبحث عن العوائق التي تحول بين قلبك وبين الارتقاء، فالشيخ ينبهنا على هذا المعنى (لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز)، فحالات الذاكرين على الشكل التالي:

ذاكر يذكر وقلبه غافل، وهذا أدنى المقامات، لكن لو قارنّا بين ذاكر غافل وبين غافل غير ذاكر أيهما أفضل؟ الذاكر الغافل، فلو كنت غافلاً في ذكرك فلا تترك الذكر لأنّك ما دمت تذكر فأنت مأجور، وأنت على أبواب أن تنقل من حال إلى حال آخر، أمّا إذا كنت لا تذكر فلست مأجورا وتبقى في حالة الغفلة، فأدنى الدرجات أن يكون الإنسان غافلاً غير ذاكر وهذا يكون محلا لاستيلاء الشيطان، لأنّ الشيطان متى وجد غافلا حاول التقام قلبه ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين** ﴾[1] الحالة الثانية: الذكر مع الغفلة. الحالة الثالثة: ذكر مع يقظة، أن تذكر وقلبك يعقل معنى الذكر فقلبك مستيقظ يعي ماذا تقول. المرحلة الثالثة: ذكر مع الحضور، وهذه مرحلة أرقى، فهناك فارق بين أن تقول: الحمد لله وأنت تفهم معناها، وبين أن تخاطب الله بها.

الدرجة الأرفع من هذه الدرجات: أن تستغرق بالمذكور، وصاحب ذلك يذكر وليس شاعراً بذاته ولا بالأكوان، لا يشعر إلّا بوجود ربّه وخالقه.

فهذه مقامات: الغفلة بلا ذكر، الذكر مع الغفلة، الذكر مع اليقظة، الذكر مع الحضور، الذكر مع الغيبة عما سوى الله عز وجل. وأعلى هذه الدرجات الذكر مع الغيبة عمّا سوى الله عز وجل، لكنّ هذا المقام ليس هو الوضع الدائم للإنسان، فإذا هبّت على الإنسان نسمة منه في اليوم يكون هذا عظيماً.

الدرجة العليا من الذكر طريقها الذكر، وفي كثير من الأحيان يمنعك من الوصول إلى هذا المقام نوع من الأغيار أو نوع من الأمراض الموجودة في القلب،

---

(١) سورة الزخرف: (٣٦).

فإذا اجتمع للإنسان ذكر ومذاكرة مع أهل ذلك فربما يكرمه الله بالوصول إلى هذه الحالة الرفيعة، وقد يحتاج هذا من السالك أن تكون له خلوات واعتكافات، فأهل السير إلى الله عز وجل يعملون كثيراً فيكرمهم الله عز وجل بالوصول إلى هذه المقامات الرفيعة « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه »، رواه أحمد بن حنبل وروى البخاري نحوه.

* * *

خلاصة الفصل

ركنا السير إلى الله ذكر ومذاكرة مع أهل ذلك. فالذكر والصحبة هما جناحا السائر في سيره إلى الله. واختيار الصاحب والاستمرار على الأوراد شرطان، فلا بدّ من صاحب يجتمع له معرفة وحال ومقامات. ولا بدّ من ذكر يكفي احتياجات القلب ويرتقي به.

فوائد:

١ ــ بمناسبة قول المؤلف: (لا تصحب من لا ينهضك حاله) قال الشيخ ابن عباد: قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه: وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون إلا على استواء أربعة معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض على بعض: إن أكل صاحبه الدهر كله لم يقل له صاحبه: صم، وإن صام الدهر كله لم يقل له صاحبه: أفطر، وإن نام الليل كله لم يقل له صاحبه: قم فصل، وإن صلى الليل كله لم يقل له صاحبه: نم بعضه. وتستوي أحواله عنده فلا مزيد لأجل صيامه وقيامه، ولا نقصان لأجل إفطاره ونومه، وقالوا: وإذا كان يزيد عنده بالعمل وينقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين، وأبعد من المراءاة من قبل أن النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم، ومبتلاة بأن يرى حالها التي عرفت به، وأن تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها، وأن تجتلب ما يوجب المدح منهم، وتجتلب ما يوقع الذم عندهم، فإذا صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك طريق الصادقين، ولا بغية المخلصين فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلوب وأسلم للدين، وفي معاشرة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الإيمان وضعف

اليقين، لأن هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الأعمال وخسران رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال، وكان الثوري رضي الله تعالى عنه يقول: من عاشر الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم ومن راءاهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا، وكان بعض الحكماء يقول: لا تؤاخ من الناس من يتغير عليك في أربع عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه، لأن هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس، وفقد الانتفاع، وقال في موضع آخر: من كان ناظرا في أخوة أخيه أو في صحبته لكثرة أعماله، أو موافقا مع أكمل أحواله، دل على جهله بهذه الطريق التي تنفذ إلى التحقيق، لأنها تحول، وإنما العمل على حقائق القلوب لأنها ثابتة في الوصول، فإن اقترن إلى جهله نقص معرفة الأخوة دخل عليه التزين والتصنع عنده لتعلو منزلته، ويحسن عنده أثره، فيدخله ذلك في الشرك، ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد، فتزل قدم بعد ثبوتها، ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه، لأن النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح، وإثبات المنزلة بإظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له، ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لأنه جاهل، فلا يصحبه لأنه يجد النقصان بصحبته، وتدخل عليه الآفات بمقاربته، ولينفرد بنفسه ويصدق في حاله، عالية كانت أو دنيئة، وضيعة كانت أو رفيعة، من غير مقاربة أحد ولا مباينته، فهو خير له وأحمد عاقبة.

٢ ــ وفي تفسير (ومن ينهضك حاله) قال الشيخ الشرقاوي: بأن تكون همته متعلقة بالله، مرتفعة عن المخلوقين، لا يلجأ في حوائجه إلا إلى الله تعالى، ولا يتوكل في أموره إلا عليه سبحانه وتعالى، قد سقط الناس من عينه فلا يرى منهم ضراً ولا نفعاً، وسقطت نفسه من عينه فلا يشاهد لها فعلا ولا يقضي لها حظاً ويكون في جميع أعماله جارياً على مقتضى الشرع من غير إفراط ولا تفريط، وهذه صفات العارفين بالله تعالى، فصحبة من هذه حاله وإن قلّت عبادته ونوافله مأمور بها للمريد، لأنها جالبة لكل فائدة دينية ودنيوية، إذ الطبع يسرق من الطبع بخلاف من لم يكن على هذا الوصف.

٣ ــ بمناسبة قول المؤلف: (حسن الأعمال نتائج الأحوال) قال ابن عباد: حسن الأعمال: توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل، وحسن الأحوال: أن تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق، والتحقق في مقامات الإنزال: هو ارتواء القلب بما ينزله

الحق تعالى فيه مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفي عنه كل شك وريب، وهذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الإمام أبو حامد رضي الله تعالى عنه: لا بد في كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل، فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل.

وقال ابن عجيبة: حركة القالب تدل على صلاح القلب أو فساده لقوله ﷺ: « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » فإذا تحقق القلب بالزهد مثلاً وصار له حالاً أو مقاماً ظهر ذلك على جوارحه من الثقة بالله والاعتماد عليه، وقلّة الحركة عند الأسباب المحركة لقوله عليه الصلاة والسلام « ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك ».

٤ ــ بمناسبة الكلام عن الزهد قال ابن عجيبة: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد، ووجود الراحة منها عند الفقد، وعلامة التحقق بالإنزال في مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الأسباب، وعلامة التحقق بالإنزال في مقام المعرفة هو الأدب ظاهراً وباطناً وحسن الخلق مع كل مخلوق، ولذلك قال أبو حفص الحداد رضي الله عنه: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن.

٥ ــ وبمناسبة الكلام عن الذكر في الفصل قال ابن عباد: (قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه: الذكر عنوان الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية، فليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر، ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه إلا قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾[١] وقوله عز وجل فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ: « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرّب إليَّ شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعا تقربت منه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » لكان في ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على

(١) سورة البقرة: (١٥٢).

صحته. قالوا: ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت إلا والعبد مطلوب به إما وجوبا وإما ندبا بخلاف غيره من الطاعات، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوبا على عقله. وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال عز من قائل: ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً** ﴾[2] أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفي الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه: الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا.

* * *

---

(١) سورة آل عمران: (١٩١).

(٢) سورة الأحزاب: (٤١).

الفصل الثاني

آداب السالك إلى الله

(من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات * لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه * لا صغيرة إذا قابلك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله * لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده).

مقدمة

كأنّ الشيخ يفترض أنّك بعد أن عثرت على الشيخ وبدأت بالذكر قد قررت السير إلى الله عز وجل، ولذلك فإنّه ينبهك في هذا الفصل على أمهات ما ينبغي ملاحظته في السير إلى الله:

١ ــ الحزن على التقصير.

٢ ــ التوبة على ما فرّطت فيه من طاعة، وعمّا تقع فيه من زلات ظاهرة وباطنة، فالتوبة هي الأدب الدائم للمريد.

٣ ــ حسن الظنّ بالله في كلّ الأحوال والتوكّل عليه.

٤ ــ عدم التهاون بالصغيرة والكبيرة.

٥ ــ الإقبال على الله بالفرائض والنوافل.

٦ ــ العمل دون رؤية العمل، فما يدريك أن يكون العمل غير مقبول. وفارق بين احتقار العمل الصالح، وبين عدم رؤيتك لعملك الصالح فذاك كفر وهذا أدب.

الشرح

هذه مجموعة آداب هي بالنسبة للسالك هواؤه وماؤه وغذاؤه، فلا يصحّ أن يفرّط فيها ولنعرض ما قاله الشيخ رحمه الله.

النقطة الأولى :التوبة. السالك إلى الله عز وجل يحتاج إلى التوبة بشكل مستمر فالله عز وجل قال :﴿ **إنّ الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين** ﴾[1] التوّاب ههنا على المعنى المشهور المتعارف : هو الإنسان الذي يتوب مرّة بعد مرّة، فالتوّاب صيغة مبالغة لاسم الفاعل فلا يتحقّق إنسان باسم التوّاب إلا إذا تكرّرت التوبة منه، فالسالك إلى الله عز وجل من صفاته أنّه يكثر من التوبة إلى الله عز وجل لينطبق عليه اسم التوّاب فيكون عَلَماً عليه.

فالتوبة باب الولوج إلي محبّة الله عز وجل، وكما نعلم فإنّ أوّل صفات حزب الله ﴿ **يحبهّم ويحبونه..** ﴾[2] فمن الأبواب التي يصل بها الإنسان إلى محبّة الله عز وجل التوبة، فالتوبة بالنسبة للسالك إلى الله عز وجل أدب من آدابه، وكما نعلم فإنّ الاستغفار كان ديدن رسول الله ﷺ في حياته « إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة » أخرجه الإمام مسلم، وقد ورد في حديث حسن أنه ﷺ كان يعدّ له في المجلس الواحد « رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم » مائة مرة، عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس يقول : « رب اغفر

(١) سورة البقرة: (٢٢٢).

(٢) سورة المائدة: (٥٤).

لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة »، أخرجه أحمد وأبو داود وإسناده صحيح، قبل أن يتوفى نزل عليه قول الله تعالى : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح... فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾[1]، وقد فهم منها رسول الله ﷺ وفهم منها بعض الصحابة أن هذه السورة كانت إيذاناً بقرب وفاته عليه الصلاة والسلام، ومن ثم أمر بالتسبيح وأمر بالاستغفار، لذلك كان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من التسبيح والاستغفار، فعن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[2]دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال : « إنه قد نعيت إليّ نفسي » أخرجه البيهقي وأخرج النسائي نحوه، وقد ورد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقال : هو أجل رسول الله أعلمه له فقال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[1]، فذلك علامة أجلك. أخرجه البخاري، وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يكثر آخر أمره من قول : « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه »، أخرجه الإمام أحمد ومسلم بنحوه.

فإذا كان رسول الله ﷺ ــ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر ــ ملازماً للتوبة والاستغفار قياما بحقّ معرفته لجلال الله عز وجل، فمن باب أولى أن يكون لنا ــ نحن الخطّائين ــ نوع من الإقبال على الله عز وجل بالاستغفار الكثير، ومن ههنا كانت التوبة والاستغفار في حقّ السالك إلى الله عز وجل شيئا رئيسيّا، ولذلك فإنّ أهل السير إلى الله يدخلون الاستغفار في أورادهم اليوميّة.

النقطة الثانية : التي ينبهنا عليها الشيخ رحمه الله هي : (حسن الظنّ بالله) وتلحظون أنّ أوّل شيء نبّهنا عليه الشيخ في الحِكَم هو هذا المعنى عندما قال : (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) فكأنّه يعيد التذكير بمناسبة بدء السير الأصولي، إنّ حسن الظنّ بالله عز وجل أدب من آداب السالك الرئيسيّة، لأنّ الله عز وجل يقول في الحديث القدسي : « أنا عند ظنّ عبدي بي » أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما. فحسن الظنّ بالله عز وجل هو معتصم السائرين إلى الله عز وجل.

---

(١) سورة النصر: (١ و٣).

(٢) سورة النصر: (١).

النقطة الثالثة : التي ينبهنا عليها الشيخ رحمه الله في هذا الفصل : هي عدم التهاون بالصغيرة والكبيرة. فالسالك إلى الله عز وجل لا يتهاون بالذنب صغيراً كان أو كبيراً وبالتالي فليس عنده تهاون بالذنب إطلاقاً، فالتهاون بالذنب علامة الاغترار بالله عز وجل، وذلك علامة على الخسران، والتهاون بالكبيرة معروف خطره وضرره، لكنّ التهاون بالصغيرة هو الذي ينبّه عليه أهل السلوك إلى الله، على اعتبار أنّ الإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، والاستهانة بالصغيرة يجعلها كبيرة، لأنّ الاستهانة بالصغيرة علامة على ضعف الشعور بجلال الله عز وجل ، فهي صغيرة في الميزان نسبياً، لكنّها تعبّر عن نقصان الخوف من الله، فمن عرف جلال الله عز وجل لا يتهاون بأي نوع من الذنوب مهما صغر.

أما النقطة الرابعة: فهي نقطة مهمّة في السير إلى الله: وهي أن يقبل الإنسان على العمل دون أن يرى العمل؛ لما يترتّب على رؤية العمل من العجب أو الغرور، ويتولّد عن العجب والغرور الكبر، المهم أنّ رؤية العمل يترتب عليها أن يصاب الإنسان بعدد من الأمراض القلبيّة، ومن هنا ينبّه أهل السلوك إلى الله عز وجل أن لا يرى الإنسان عمله وبالتالي : أن لا يعتدّ بعمله لأنّ السالك يخشى أن يكون العمل مصحوباً بالرياء أو العجب أو الغرور أو الكبر فيكون غير مقبول من الله عز وجل، فأهل الله يعملون ولكن لا يرون أعمالهم؛ بل يخشون أن تكون هذه الأعمال مردودة عليهم، بل يخشون أن تكون أعمالهم سببا لعقوبتهم، ألا ترى أن أول من تسعّر بهم النار من عصاة هذه الأمّة ثلاثة : قارئ وجواد ومقاتل... قارئ القرآن المرائي به، والمقاتل المرائي بقتاله، والكريم المرائي بكرمه، وقد نصَّ على ذلك حديث صحيح فعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الناس يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رجل اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنَ يُقالَ : جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ به فسحب عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِي في النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وقرَأَ الْقُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ : كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ وَقَرأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هو قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ في النَّار، وَرَجُلٌ وَسَّعَ الله عَلَيْهِ، وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المال، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فيهَا؟ قَالَ : ما تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيهَا لَكَ. قَالَ :

كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هو جَوَادٌ، فَقَدْ قيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّار » رواه مسلم.

فهذه صور لمن يعمل العمل الصالح ومع ذلك فهو معاقب، فأدب المسلم أن يعمل العمل الصالح دون أن يرى عمله، فإذا أقبل الإنسان على العمل وهو يخشى أن يعاقب على هذا العمل فذلك أقرب إلى الإخلاص، وهذا أدب ذكره القرآن الكريم ﴿ **والذين هم بربهم لا يشركون * والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾[1]فقد سألت عائشة رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآية فقالت : « يا رسول الله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال : « لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » أخرجه أحمد والترمذي.

هذه النقاط الأربع تحدث عنها هذا الفصل : (من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات)، أن لا نحزن إذا لم نقبل على الله عز وجل بالطاعة، وأن لا نندم إذا واقعنا المعصية، تلك علامة موت القلب، فالمسلم يحزن إذا فاتته الموافقات أيّ الطاعات، وإذا واقع المعاصي فإنه يندم، ولهذا وهذا توبة، أقصّر فأتوب، وأعطي فأتوب، فالشيخ ينبهنا على وجوب التوبة إذا قصّرنا في الطاعات، وعلى وجوب التوبة إذاً فعلنا الزلات، وبالتالي ينبهنا على محلّ التوبة في السير إلى الله عز وجل، وهو كعادته يعطينا شيئا بشكل مباشر، ويعطينا شيئا بشكل غير مباشر، فالشيء الذي أخذناه بشكل غير مباشر هو ضرورة التوبة المستمّرة، لأنّ المسلم ما بين تقصير أو خطيئة، ومهما تصوّر الإنسان أنّه يخلو من هذا أو هذا فهو مخطئ ، فهناك خطايا قلبيّة وخطايا لسانيّة، ومن ذا الذي يسلم من خطيئات اللسان، أو خطيئات القلب إلا المعصومون وهم الأنبياء، فلا يخلو المسلم من مواقعة معصية خفيّة أو ظاهرة أو تقصير في طاعة لأنّ المطلوب منك أن تقدّم الشكر باستمرار : شكر اللسان، شكر العين، شكر المال، شكر الأذن، شكر الجسم شكر ما أعطاك الله، فلا يخلو إنسان من تقصير أو معصية، وفي هذا السياق أعطانا الشيخ ميزانا نعرف به حياة قلوبنا، نحن نلحظ في الكتاب وفي

---

(١) سورة المؤمنون. (٥٩ ــ ٦٠).

السنّة أنّ هناك ذكرا لحياة القلب وموته ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه** ﴾[1] وفي الحديث الصحيح : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت »، أخرجه البخاري ومسلم، فهنا إشارة إلى الحياة والموت القلبيّن، فالشيخ أعطانا علامة نتعرّف من خلالها أنّ قلوبنا ميتة أو فيها حياة وهذه العلامة هي (أن لا تحزن على فوت الموافقات وموافقة الزلات) فإذا أحسّ الإنسان منّا بذلك فهذا يعني أنّ قلبه ميّت وعليه أن يسارع إلى إحياء قلبه، ولا حياة للقلب إلا بالذكر، فالذكر هو البداية والنهاية في حياة المسلم.

ثمّ نبّهنا إلى ضرورة تحسين الظنّ بالله عز وجل لذلك قال الشيخ : (لا يعظم الذنب عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى، فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه)، وعلامة حسن الظن بالله : أن يستشعر الإنسان إذا أذنب أن عفو الله عز وجل أكبر من ذنبه إذا تاب « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة »، متفق عليه، وفي رواية أخرى : « لله أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كان على رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وعَلَيْهَا طَعَامُهُ وشَرَابُهُ فأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، وقد أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إذا هُوَ بِها قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبدِي وأَنا رَبُّكَ، أَخطأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ ». أخرجه البخاري ومسلم.

وبالتالي لا توصله المعصية إلى يأس من فضل الله عز وجل يقول (لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى)، ثم ينبهنا الشيخ أن لا نتهاون في معصية كبيرة أو صغيرة، فالسالك إلى الله عز وجل لا يتهاون في الكبيرة والصغيرة « ألا إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ في بَلَدِكُمْ هذا أَبداً. ولَكِنْ سيكون له طاعة في بَعْضِ ما تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيَرْضَى بِهَا » أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد من حديث طويل.

فهذا مدخل من مداخل الشيطان على النفس البشرية أن يُحقّر الشيطان للإنسان صغائر الذنوب، فيأتيه من قِبَل ذلك، فمن عرف جلال الله عرف فظاعة المخالفة، وعرف أن هذه المخالفة وإن كانت صغيرة لكنّها بالنسبة لجلال الله عز وجل

---

(١) سورة الأنعام: (١٢٢).

عظيمة، فالمسلم يستشعر الخوف من المعصية، لذلك يقولون في التفريق : بين المنافق والمؤمن : إن المؤمن يشعر بأنّ ذنوبه كالجبل فوقه، أمّا المنافق فيشعر بأنّ ذنوبه كذبابة وقعت عليه ثمّ طارت فلا يحس بثقل الذنب، هذه علامة من العلامات التي يعرف بها نفاق المنافق من إيمان المؤمن، إنّ المؤمن يستعظم الذنب أمّا المنافق فلا يرى أنّه يفعل شيئا مهما أذنب، فالشيخ ينبهنا إلى هذا بقوله : (لا صغيرة إذا قابلك عدله) فإذا حاسبك الله بالعدل فأنت هالك (ولا كبيرة إذا واجهك فضله) لكن هل أنت متيقن أنّ الله عز وجل سيعاملك بالفضل، هذا بيد الله والمشيئة مشيئته، نحن نحسن الظنّ بالله عز وجل، ولكن الله عز وجل مشيئته مطلقة، قد يحاسبنا بالعدل، وقد يحاسبنا بالفضل، فإذا حاسبنا بالفضل يغفر الكبائر ويبدلها حسنات ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات** ﴾[1] لكن إذا عاملنا بعدله فإنّه يهلكنا بالتقصير ومن الذي لا يقصّر : ﴿ **كلا لّما يقض ما أمره** ﴾[2] فإذا كنّا نحسن الظن بالله عز وجل فلا ينبغي أن ننسى الخوف، فالمسلم يطير بجناحين : الرجاء والخوف.

ثمّ نبّهنا إلى ضرورة العمل لكن دون أن نرى هذا العمل، أي لا يرى الواحد لنفسه عملا مهما فعل، ومهما خرج على يده من الخيرات والبركات، ومهما أقبل على الله عز وجل بالأعمال الصالحة، فلا ينظر إلى عمله لأنّه يخشى أن يكون في هذا مدخل للشيطان وحظ للنفس، ينبغي أن تكون أرجى ما تكون إذا كنت لا ترى أعمالك، أمّا إذا كنت ترى أعمالك فينبغي أن يخفّ رجاؤك، لأنّ رؤيتك للأعمال في هذه الحالة مأخذ من المآخذ عليك، فالشيخ عبّر عن هذه المعاني كلّها بقوله : (لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده، ويحتقر عندك وجوده) عندما تحقر وجود عملك فأنت في هذه الحالة ترجو فضل الله عليك، لأنّك لا تكون معتمدا على عملك وإنّما تكون على فضل الله عز وجل، وههنا ننبّه إلى نقطة أنّ هناك فارقا بين احتقار العمل الصالح وبين احتقاري لعملي، احتقار العمل الصالح كفر، فإذا حقّر الإنسان الصلاة أو الزكاة فقد كفر، لكن أن لا يرى عمله أو يحتقره لا من حيث إنّه عمل صالح ولكن من حيث إنّ هذا العمل الصالح يحتمل أن يكون

---

(١) سورة الفرقان: (٧٠).

(٢) سورة عبس: (٢٣).

مدخولا فهذا هو المطلوب، احتقار العمل الصالح كفر، واحتقاري للعمل الصالح الذي يفعله الآخرون حرام لا يجوز، فعندما أرى إنسانا يصلي ويزكي، ويقبل على الله عز وجل فأدبي أن أحترمه، وأن أحترم أعماله، أمّا أن أحقره أو أحقر أعماله فهذا حرام؛ لأنه سوء ظن بالمسلم، وهذا نوع من أنواع الكبر، ونوع من أنواع الاحتقار لما عظمه الله عز وجل فهذا لا يجوز، عندنا إذاً ثلاث حالات، الحالة الأولى : احتقار العمل الصالح فهذا كفر. الثانية : احتقاري للعمل الصالح من غيري فهذا إثم. الثالثة : أن أعمل العمل الصالح وأزدري عملي من حيث أنّ عملي يمكن أن يكون قد رافقه شيء من أمراض النفس، فهذا الشيء الذي ينبهنا عليه الشيخ، وهذا هو أدبنا.

هذه هي النقاط التي ذكرها الشيخ في هذا الفصل، وكأنّ الشيخ رحمه الله يسير بنا نوع مسير حتّى يوصلنا إلى مرحلة معيّنة ثمّ بعد ذلك يعود مرّة ثانية ويدفعنا حتّى يوصلنا إلى مرحلة متقدّمة أكثر، ثمّ بعد ذلك يرجع بنا مرّة أخرى، ثمّ يندفع بنا حتّى يوصلنا إلى مرحلة متقدِّمة أخرى، وكأن هذا يشير إلى أنّ موضوع السير إلى الله عز وجل بداياته ونهاياته متكرّرة وكثيرة، لذلك نرى أنّ بعض أهل السلوك إلى الله عز وجل ينبّهون على أنّ الإنسان قد يصل في لحظة من اللحظات إلى أعلى مقام، وبعد فترة قصيرة يهبط هبوطاً شديداً، فأدب السالك إلى الله عز وجل أن يعرف كيف يرقى ثانية إذا هبط وأن يحاول الكمال بشكل مستمر.

* * *

خلاصة الفصل

أيها السالك أدبك : التوبة على الزلة والتقصير وحسن الظن بالله في المسير المقبل، وتجنّب الذنب الكبير والصغير، والعمل الكثير دون رؤية الذات أو العمل.

قال ابن عجيبة : وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن » وقال عبد الله بن مسعود : المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاره.

* * *

الفصل الثالث

واردات القلب وأسبابها

(إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً * أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار، وليحررك من رق الآثار * أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك * الأنوار مطايا القلوب والأسرار * النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمدّه بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار * النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار).

مقدمة

السير القلبي بورود الواردات النورانيّة إلى القلب، وهذه الواردات تأتي من مجالسة الشيوخ والصالحين، أو هي أثر عن عمل صالح وخاصّة الذكر، أو هي هبة ربانية، والنصوص التي تشهد لهذا المعنى كثيرة :

﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[1]

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا ﴾[2].

« مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإمّا أن تجد منه ريحا طيبة، ونافح الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » أخرجه البخاري ومسلم.

﴿ الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ﴾[3].

« ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب » أخرجه الإمام أحمد.

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه ﴾[4].

---

(١) سورة محمد: (١٧).

(٢) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٣) سورة النور: (٣٥).

(٤) سورة الزمر: (٢٢).

﴿ ولّما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾[1].

وههنا يحدثّنا الشيخ عن الحكمة من وجود الوارد، وهي الورود على الله بالرضوان، وخروج القلب من الظلمات، والتحرّر من الاستعباد للأشياء، والوصول في النهاية إلى الشهود، ثم بيّن الشيخ أنّ أنوار الواردات هي مطايا القلوب في سيرها إلى الله، وأنّ هناك صراعاً بين الظلمة والنور في القلب، وأنّ الانتصار النهائي للقلب إنّما يكون إذا انعدمت واردات الظلمة، وسيطرت واردات الأنوار، ثمّ بيّن أنّه بنور القلب تنكشف لك الأشياء على حقائقها من حقارة الدنيا وعظمة الآخرة، وظلمة الشهوة ونورانيّة العفّة، وأنّ النور يكشف، والبصيرة هي التي تحكم على الشيء بأنّه نوراني أو ظلماني، خير أو شر، وأنّ القلب هو صاحب القرار في الإقبال والإدبار، في الإقبال على الطاعة، والإدبار عن المعصية...

---

(١) سورة الحجرات: (١٤).

الشرح

متى أصبح للإنسان أوراده فالمفروض أن تأتي واردات إلى قلبه، هذا هو الأصل، هذه الواردات تأتي الإنسان ما دام يعمل خيراً، فما من عمل من أعمال الخير إلا وله وارد يرد إلى القلب، أحس به الإنسان أو لم يحس، لكن يحول دون وصول الواردات أن دون الإحساس بها الحجب الموجودة على القلب، فيحدث نتيجة لذلك أن تصل الواردات ثم ترجع، أو يكون أثرها ضعيفاً، فلكي تصل الواردات إلى القلب وتترك آثارها ينبغي أن تزول المعاني التي تحول دون وصولها أو تضعفها، والأدلة على فكرة الواردات في الكتاب والسنة كثيرة، لكن القلوب العمي والقلوب القاسية وأهل الجفاف الروحي ينكرون مثل هذه الأمور لعدم شعورهم بها، مع أن الأدلة عليها واضحة، ونكتفي بذكر ثلاثة أدلة لها علاقة بموضوع الواردات التي تأتي القلب كأثر عن القيام بفرائض الشريعة أو بواجباتها أو بسننها أو بآدابها أو بأعمال الخير.

الدليل الأول :قوله تعالى :﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[1]، (لّما) في اللغة العربية تفيد أن الشيء لم يقع ولكنه على وشك الوقوع فقوله تعالى : ﴿ **ولّما يدخل الإيمان** ﴾، أي أنه حتى هذه اللحظة لم يدخل لكنه على وشك أن يدخل، وإذاً فهناك شيء ما يدخل هذا القلب وهو الإيمان؛ كأثر من آثار القيام بأعمال الإسلام، فهؤلاء بدؤوا يقومون بأعمال الإسلام، وكأثر عن ذلك تأتي الواردات الإيمانية، فهذا دليل على أن القلب

---

(١) سورة الحجرات: (١٤).

تدخله أنوار معينة هي أنوار الإيمان كأثر من آثار العمل، هذا المعنى هو الذي يسميه أهل السير إلى الله الوارد، والذي يعتبر من أهم الأمور المرتبطة بقضية السير إلى الله عز وجل.

الدليل الثاني : الحديث الذي يصفه ابن كثير بأن إسناده جيد عن أبي سعيد : قال رسول الله ﷺ : « القلوب أربعة؛ قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على علافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد: فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف : فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس : فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح : فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » أخرجه أحمد. فالحديث يدل على أن القلب المصفح فيه إيمان وفيه نفاق، والعمل الصالح يمد الإيمان والعمل السيء يمد النفاق، فعند تغلب مدد الإيمان على مدد النفاق يسيطر الإيمان على القلب، لكن إذا تغلّب ــ والعياذ بالله ــ مدد النفاق وسيطر يصبح القلب منكوسا في النهاية، المهم أن هناك شيئاً يرد إلى القلب نتيجة العمل الصالح.

أما الدليل الذي هو أوضح الأدلة فهو ما ذكره تعالى في قوله :﴿ **الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيَّة ولا غربيَّة يكاد زيتها يضيء ولو لم تَمْسَسْهُ نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم** ﴾[1]،

والشاهد فيه : ﴿ **يوقد من شجرة مباركة** ﴾، فسرها العلماء بالشريعة، وفسرها بعضهم بالرسول وفسرها بعضهم بالرجل الصالح. فهذا النور الموجود في قلب الإنسان يوقد من شجرة مباركة، فبقدر ما تقوم بأعمال الشريعة وتجتمع بأهلها فهذا النور مشتعل لوجود المولد، لكن إذا انقطع نور الشريعة ــ والعياذ بالله ــ ماذا يحدث؟ ينطفئ المصباح، فالنصوص إذن واضحة في الدلالة على فكرة الوارد الذي

---

(١) سورة النور: (٣٥).

يدخل القلب كأثر من آثار الأعمال، والشيخ رحمه الله يحدثنا هنا عن محل الواردات في السير إلى الله، يقول الشيخ رحمه الله :(إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً، أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار، وليحررك من رق الآثار، أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك)، الوارد أثر الورد، فما دام للك ورد من أفعال الخير فهناك وارد، والورد ليس ذكراً فحسب، بل كل عمل من أعمال الخير تفعله له وارد، قراءة القرآن لها وارد، والخدمة العامة لها وارد، والجهاد له وارد، وكل نوع من أنواع الأعمال الصالحة لها وارد في القلب، ولكن أكثر الأشياء التي لها وارداتها المحسة هي الأذكار، والجلوس مع أهل الله وعلى علم وذكر، وهذا واضح من النصوص، فالحديث الشريف يقول : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »، رواه مسلم وفي رواية أخرى له « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده ». قال تعالى :﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾[1]، فالأثر المباشر لتنزل السكينة هو زيادة الإيمان فعندما يجتمع أهل القرآن مع بعضهم على القرآن يترتب على ذلك مدد إيماني ينصب في القلب بإذن الله.

ولكنّ الأصل أن كل عمل له وارد في القلب، وقد تختلف الواردات، فالزكاة واردها أن يطهر القلب من الشح، والجهاد يخرجك من أي نوع من أنواع الرق لغير الله عز وجل إلى أن تكون كلّك لله عز وجل، والشيخ هنا رحمه الله يتحدّث عن الحكمة في أنّ الله عز وجل يعطي الوارد فيحدّد مجموعة من القضايا هي الأثر المباشر للوارد وكأن الشيخ يقول : إذا حدثت معكم هذه الأشياء فمعنى ذلك أنّ الواردات تأتيكم، وإذا لم تحدث فمعنى ذلك أنّ القلب بحاجة إلى تصفية وبالتالي لا تتوهموا بأنّ عندكم واردات، يقول : (إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً)، أورد عليك الوارد وصب في قلبك الأنوار من أجل أن ترد على الله عز وجل أي : تتوجه إليه جل جلاله، وتريد وجهه، فبقدر ما يكون عندنا قوة توجه

(١) سورة الفتح: (٤).

قلبي نحو الله عز وجل، فمعنى ذلك أن هناك واردات تقع في قلوبنا تدفعنا إلى الله، أما إذا كان توجهنا نحو الله ضعيفا فمعنى ذلك أن وارداتنا لا زالت ضعيفة، الأثر الثاني: (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الأغيار وليحررك من رق الآثار)، فالله عز وحل يقذف الواردات في قلب الإنسان من أجل أن يخرجه من يد الأغيار، والأغيار جمع غير وهو ما سوى الله، فالإنسان الذي لا يصل إلى حال العبودية الكاملة لله عز وجل من خلال المعرفة الكاملة به والخلوص له، ومن خلال القيام بحقوق الربوبية فهو أسير، تجد إنساناً أسير نفسه، وتجد إنساناً أسير مجتمع، وتجد إنساناً أسير دنيا وتجد إنساناً أسير فكرة، وتجد إنساناً أسير درهم، فما دام الإنسان أسيراً لشيء فحظه من الواردات ضعيف، فليقبل على الأوراد فلولا ورد ما كان وارد.

(وليحررك من رق الآثار) الآثار كلّ ما سوى الله عز وجل، قال تعالى : ﴿ **فانظر إلى آثار رحمة الله** ﴾[1] الآثار تستعبد الإنسان بشكل من الأشكال، البشر من آثار الله، الكون من آثاره، جمال الكون من آثاره، كل شيء في هذا الكون من آثار الله عز وجل، فما دام الإنسان يسترقّه شيء مّما سوى الله عز وجل فمعنى ذلك أنّ الواردات لم تتمكّن في قلبه. هذه علامة على أنّ الواردات التي تنصبّ في قلوبنا متمكنة من هذا القلب أو أنّها لم تتمكّن بعد.

الأثر الثالث : قال : (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك)، الشعور بالوجود هو نقطة البداية عند بعض الفلاسفة في أن هناك ثوابت في هذا الكون، لكن شعورك بوجودك مع غفلتك عن الله عز وجل يورث العجب والغرور، بل كلّ الأمراض القلبيّة يكاد يكون منبعها من شعور الإنسان بوجوده مع الغفلة عن الله عز وجل، ومتى خرج الإنسان من الشعور بوجوده إلى شهود الله عز وجل انتقل من سجن الوجود الذي يترتّب عليه أمراض النفس والقلب إلى أن يصبح في فضاء الشهود الذي يحرّر من كلّ مرض من أمراض القلب ومن كلّ الجواذب الدنيويّة والنفسيّة التي تجذب هذا القلب، لذلك قال : (إلى فضاء شهودك) أي إلى أن تعبد الله كأنك تراه.

---

(١) سورة الروم: (٥٠).

إنّ معرفة الله عز وجل توصل إلى القيام بحقوق الربوبيّة، وذلك هو مقام العبوديّة عند أهل السلوك، وهي أشرف مقام وأرقاه، وما لم يعرف الإنسان الله عز وجل هذه المعرفة القلبيّة الشهوديّة الذوقيّة ويستغرق بالقيام بحقوق الربوبيّة فإنه يكون مستعبداً لإحدى جهات ثلاث : إما النفس، وإمّا الدنيا، وإمّا الشيطان، هذه القضيّة بدهيّة ومعروفة لدى كلّ مسلم أنّ من أعدائه نفسه وهواه ومن أعدائه شيطانه، ومن أعدائه الدنيا، لكن مفردات هذه الكلمات البسيطة تكاد لا تنحصر، أمراض النفس البشريّة المحصاة عند أهل السلوك إلى الله عز وجل تصل إلى المائة، كلّ إنسان معرّض لأن يصاب بواحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر منها، كلّ مرض من أمراض النفس البشريّة يبعدك عن العبوديّة لله عز وجل أو يصرفك عنها أو يقلّل عبوديتك، خذ مثلا مرض الكبر الذي هو غمط الناس وبطر الحق، كيف تجتمع العبوديّة لله عز وجل مع هذا المرض؟ وقل مثل ذلك في بقيّة الأمراض قدّر أن هناك مائة مرض، كلّ مرض من هذه الأمراض يمكن أن يأخذك ليستعبدك أو ليبعدك عن العبودية لله عز وجل، فإذا نظرت إلى الدنيا وجدت مفرادتها كثيرة ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[١].

﴿ **زُيِّن للناس حبُّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾[٢]، وكل مفرد من مفردات الدنيا إذا لم ينضبط عند الإنسان بموازين الشرع فهو يبعد الإنسان عن مقام العبودية لله عز وجل، ويستعبد الإنسان هناك قضايا من الدنيا محرمة فهناك لهو محرم وهناك لعب محرم وهناك شهوات محرمة، ومنْ الدنيا ما هو مباح، فلابد أن نضبط الدنيا على أمر الله بمعنى : أن لا تقرب شيئاً دنيوياً إلا إذا كان جائزاً مع تعلق قلبك بالله، فإذا جذبتك قضيّة دنيويّة فاستغرقت قلبك فهذا نوع من أنواع الابتعاد عن مقام العبوديّة، ثمّ إنّ الشيطان الذي يحاول أن يستغلّ النفس والدنيا ليأتيك من حيث ترغب وتحب ليصرفك عن مقام

(١) سورة الحديد: (٢٠).

(٢) سورة آل عمران: (١٤).

العبوديّة أبوابه كثيرة، فهذه المجاذبة الشديدة من هنا وهناك عن مقام العبوديّة، لا يخرجك منها إلا أن يحدث عندك نوع من الشهود بسبب من المعرفة القلبيّة المتينة لله عز وجل، شهود كما وصفه رسول الله ﷺ « أن تعبد الله كأنك تراه »، إذا لم يصل الإنسان لمثل هذه المعاني فالجواذب ستبقى دائما تبعده عن مقام العبوديّة وأحيانا تعمي بصره ففي الحديث : « حبك الشيء يعمي ويصم » أخرجه أبو داود وأحمد بن حنبل. الحبّ لامرأة أو لشيء دنيوي أو لجاه، أو لزعامة، أو لغير ذلك يجعل الإنسان لا بصر ولا سمع، فلا مخلص ليخرج الإنسان من كلّ هذه الجواذب إلا إذا وصل إلى فضاء الشهود، وهذا لا يكون إلا كأثر من آثار الوارد، وعندما يصبح الإنسان في هذه الحالة فالأمور تختلف، فالشيطان في هذه الحالة لو أراد أن يوسوس للإنسان فإنّه لا يضرّه، بل ذلك يذكره إن كان غافلا. قال تعالى : ﴿ **إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾[1] وبالنسبة لأمراض النفس فكلها تحترق إذا أصبح الإنسان في مقام الشهود، وعندما يصبح الإنسان في هذه الحالة من التنوير القلبي فإن جواذب الدنيا تصبح ضعيفة، ولو جذبته يعود بسرعة، قال الشيخ رحمه الله : (أورد عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى فضاء شهودك) عندما تصل إلى فضاء شهودك وتخرج من سجن وجودك تكون قد خرجت من أسر نفسك ومن أسر الشيطان ومن أسر الدنيا.

وهكذا حدثنا الشيخ عن آثار الواردات في القلب لنزن أنفسنا، أين وصلنا؟ فإن كان توجهنا نحو الله قويا وليس للأغيار في قلوبنا محل، وليس للآثار علينا استعباد، وإذا وصلنا إلى فضاء الشهود فنحن أصحاب ورد ووارد، ونحن أبناء سلوك، وإلا فلا زلنا في مقام البعد والإبعاد والعياذ بالله تعالى.

بعد ذلك يقول : (الأنوار مطايا القلوب والأسرار، النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار)، بعد أن حدثنا عن الواردات بشكل عام أراد أن يفهمنا أن مراده بالواردات الأنوار التي تنصب في القلب، فالحديث عن الأنوار بعد الحديث عن الواردات هو التفصيل لقضيّة الوارد، فلو سأل سائل هذا الوارد الذي تتحدّثون عنه

---

(١) سورة الأعراف: (٢٠١).

ما هو؟ يقال : هو النور الذي يصبّه الله عز وجل في قلب عبد من عباده كأثر من آثار إقباله عليه، أو هباته إليه، هذا هو الوارد فهو النور ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه** ﴾[1] ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾[2] ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا** ﴾[3] القلب له مطيّة وله جند، فمطيّة القلب في سيره نحو الله عز وجل والآخرة هو النور، وجند القلب الذي يستطيع به أن يقهر جند الشيطان وجند الدنيا وجند النفس هو النور، فالنور القلبي له مهمّتان، الأولى : هي أنّه مطيّة الإنسان في سيره نحو الله عز وجل، فعندك نور فأنت إذاً راكب مطيّتك وسائر نحو الله عز وجل، التانية : أنّ هذا النور دوره دور الجند، عندك نور فأنت تستطيع أن تقهر الجند الآخر، الذي يريد أن يسلمك إلى الشيطان وإلى الدنيا، فبعد أن حدّثنا الشيخ عن الواردات أراد أن يبيّن لنا أنّ هذه الواردات التي تحدّث عنها هي الأنوار، وبيّن لنا أنّ النور في القلب له مهمّتان، فعليك أن تفتش عّما تستجلب به الورادات، وعليك أن تفتّش عّما إذا كانت هذه الواردات قد فعلت فعلها في قلبك، وعليك أن تفتّش عّما إذا أصبحت هذه الواردات تشكّل مطيّة ترحل بها نحو الآخرة وتقاوم بها الإغراءات.

هذه القضيّة قلّ الحديث عنها وأصبحت غريبة، فهذه المعاني النورانيّة قلّ الكلام عنها وقلّ الطلب لها، وهذا وضع يعانيه المسلمون، وهذا وضع طبيعي، فما دامت الجواذب التي تجذب الإنسان ولا يستطيع أن يتغلبّ عليها كثيرة فتكون النتيجة أن تجذب الإنسان جواذب فتفتنه ثمّ بعد ذلك تكون صراعات تنتهي بالتآكل، فإذا لم يعط هذا الموضوع أهميّة، وإذا لم يركزّ على هذه المعاني فظنّي أن الصراعات ستبقى ومجموع ما يمكن أن تقدمه للناس يبقى محدوداً، فالحاصل أنّ الشيخ بعد أن حدثّنا عن الوارد بيّن لنا أنّ هذا الوارد هو النور ودوره دور المطيّة والجند. قال : (الأنوار مطايا القلوب والأسرار، النور جند القلب) وفي هذا السياق يحدثّنا عن الجانب الآخر وهو النفس البشريّة، وفي العادة إذا ذكرت النفس بجانب القلب

(١) سورة الزمر: (٢٢)

(٢) سورة محمد: (١٧).

(٣) سورة العنكبوت: (٦٩).

فالمراد به الجانب الظلماني أو المذموم، فالنفس تطلق على معان متعددّة، تطلق على النفس المزكّاة وعلى غيرها، فإذا ذكرت بجانب القلب فالمراد بها الجانب المذموم عند الإنسان وهو التسهوات والأهواء، وأمثال هذه المعاني، فهذه النفس تحاول أن تغري صاحبها بالانحرافات وجندها الظلمة. يقول الشيخ : (كما أنّ الظلمة جند النفس) فالذي يجعل القلب قويّاً ومتوجّها نحو الله عز وجل هو النور، والذي يجعل النفس تغلب صاحبها وتأخذه بيده إلى النار هو الظلمة، وإذاً فالصراع الحقيقي في النهاية بين الظلمة والنور في القلب، معركتك من أوّلها لآخرها، معركتك الأخروية تكمن في الصراع على هذا القلب، هل تستطيع أن تزيد من نورانيّة قلبك أوّلاً؟ إن نجحت في ذلك نجوت، وإذا لم تنجح في ذلك فأنت إلى خسران، والمسألة مرجعها إلى الله عز وجل وإلى إرادته، فإذا أراد الله بعبد خيراً أكرمه بواردات الأنوار وخلّصه من الظلمات والأغيار.

وهل لنا من علامة نتعرّف بها على مراد الله عز وجل فينا وأنه يريد بنا الخير، لاشكّ أنّ هناك علامات وأول هذه العلامات هي الفقه في دين الله « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » أخرجه مسلم والترمذي، فمتى رأيت إنساناً يوجهه الله نحو التفقّه في دين الله عز وجل فهده علامة أنّ الله يريد به خيراً فليستبشر وليحمد الله.

بعض الناس يسمّون الكلام في هذه الشؤون فلسفة، لا؛ هذا الكلام هو الفطرة وهو الجانب الأعلى والأرقى في الإسلام، ما دمنا مشدودين إلى مثل هذه المعاني فنحن إلى خير، لكن عندما نقرأ كثيراً وقلوبنا مظلمة لا نلتفت إليها، فههنا محل الملاحظة، فإذا لم نتعب على هذه القضايا فعندئذ سيخرج عندنا فلاسفة لا ربّانيّون.

ويختم الشيح حديثه في هذا الفصل بقوله : (النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار) هذه القضيّة مهمّة جدّاً، عندما يكون عندي كشّاف كهربائي وأنا في ليل مظلم أشعل الكشّاف فتنكشف لي الاشياء حولي، فإذا انكشفت الأشياء جاء دور الحكم العقلي : هذا يضر وهذا ينفع، وهذا شرّ وهذا خير، وعلى ضوء ذلك أتصرّف أو أحجم، أمشي أم أقف.

بالنسبة للقضايا الأخرويّة عندنا نور وبصيرة وقرار، فبالنور تنكشف الأشياء فيصبح الإنسان يرى الأشياء رؤية معينة غير الرؤية التي يراها الكافر ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا**

يبصرون ﴾[1]، بالنور يبصر الإنسان رؤية إيمانية على خلاف رؤية الكافر، فرؤية الكافر مادية شهوانية، ومصلحية أنانيّة، أمّا رؤية المؤمن فشيء آخر ولنعد للآية : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلمّا أضاءت ما حوله** ﴾ فأصبح يرى الأشياء على ضوء هذه النار، والنار هنا هي الشريعة فأصبح يرى الأشياء بنور الشريعة ﴿ ...**ذهب الله بنورهم**... ﴾ وإذاً فهناك نور يقع في القلب فيرى الإنسان به الأشياء على حقيقتها يرى الزنا فلا ينظر إليه على أنّه متعة بل يراه ظلمة ونهايته إلى النار، وبعد الرؤية والحكم هناك قرار وتصرّف، لذلك يقول الشيخ : الأشياء كلّها صادرة عن الله وذلك من النور الذي يقذفه الله عز وجل في قلبك، ولكن ما هي المرحلة اللاحقة، المرحلة اللاحقة أنّ على بصيرتك أن تصدر حكما فيما يجب فعله، وأيّ بصيرة؟ البصيرة القلبيّة القرآنيّة، فالله تبارك وتعالى قال : ﴿ **هذا بصائر للناس** ﴾[2] وقال : ﴿ **وقد جاءكم بصائر من ربكم** ﴾[3] فهذا القرآن بصائر، والبصائر جمع بصيرة فالله عز وجل بهذا القرآن أعطاك البصيرة التي تحكم بها على الأشياء، ما هو حكم البصيرة فيما ترى؟ حكم البصيرة : هذا منكر تجب محاربته أو خير تجب تقويته إلى غير ذلك من أحكام، فالشيخ لفت نظرنا إلى هذا، قال : (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الإقبال والإدبار) بعد أن تصدر البصيرة الحكم يبقى الموقف النهائي للقلب، فإمّا أن يقبل على تنفيذ الحكم أو يدبر، وإقباله بسبب نوره وهو جند القلب، وإدباره بسبب ظلمته فهي جند النفس، فأوراد الإنسان هي العامل الحاسم فأهل السلوك يرغبون أن يستمر الإنسان على ورده ليصل إلى هذه الكمالات ويوصون الذي يقيم ورده أن يوجه قلبه نحو الله عز وجل، وهم يطمعون بأن يتلقى وارداً ما، لأنه متى صار ورد فهناك وارد، لكن هذا الوارد أحياناً يحس به وأحياناً لا يحس به.

والواردات التي تنصب في قلب الإنسان ليست نوعاً واحداً، مع أنّها كلّها نورانيّات في النهاية، لكنّ هذه النورانيّات يترتّب على بعضها أنس بالله عز وجل، أو

(١) سورة البقرة: (١٧).
(٢) سورة الجاثية: (٢٠).
(٣) سورة الأنعام: (١٠٤).

هيبة من الله عز وجل، أو انشراح وبسط، المهمّ أنّ الواردات التي تنصبّ في قلب الإنسان تختلف، ومتى سار الإنسان في الطريق إلى الله يبدأ يحس بالطمأنينة، يحسّ أنّ له قلباً، وأنّ هذا القلب له مشاعره وأحاسيسه وهذا وحده كبير.

* * *



خلاصة الفصل

أنّ قلبك يحتاج إلى وارد وأنّ هذا الوارد يوصلك إلى الكمالات.

وعليك أن تمتطي صهوة الأنوار لتصل إلى رضوان الله.

وهذا يقتضي منك أن تلتزم بحكم الله وأن تقيمه.

فأهل السير إلى الله ينتقلون من فناء إلى فناء.

من الفناء في الأفعال إلى الصفات ثمّ إلى الذات ثمّ إلى الفناء في الأحكام، وهذه علامة الكمال.

والقلب له الإقبال والإدبار، فإذا أقبل على إقامة الحكم الشرعي فذلك علامة تنوّره، وتغلب جنده على جند النفس.

فوائد

١ ــ بمناسبة الكلام عن الوارد قال ابن عباد : الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه..

وقال الشيخ ابن عجيبة : الوارد نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عباده، وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية (أو تقول) على حسب الطالبين والسائرين والواصلين.

(القسم) الأول : وارد الانتباه وهو نور يخرجك من ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، وهو لأهل البداية من الطالبين، فإذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالباً لربه فيقبل عليه بقلبه وبقالبه وينجمع عليه بكليته. (القسم) الثاني : وارد الإقبال وهو نور يقذفه الله في قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه فلا يزال مشتغلاً بذكره غائباً عن غيره، حتى يمتلئ القلب بالنور ويغيب عما سوى المذكور، فلا يرى إلا النور فيخرج من سجن الأغيار، ويتحرر من رق الآثار، (القسم) الثالث : وارد الوصال وهو نور يستولي على قلب العبد ثم يستولي على ظاهره وباطنه فيخرجه من سجن نفسه ويغيبه عن شهود حسه.

٢ ـــ وبمناسبة الكلام عن سجن الوجود قال الشيخ ابن عباد : سجن وجوده : هو شهوده لنفسه ومراعاته لحظه، وفضاء شهوده : أن يغيب عن ذلك بشهوده عظمة الله تعالى وجلاله ورؤية قيام حركاته وسكناته.

وبمناسبة الكلام عن الأنوار قال الشيخ ابن عباد : نور التوحيد واليقين، وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس، والحرب بينهما سجال، فإذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها، وإذا أراد خدلان عبده فعلى العكس، فإذا مال القلب إلى العمل بأمر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المآل، ومالت النفس إلى العمل بأمر مذموم به في الحال مؤلم في المآل، وتنازعا وتقاتلا، سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته إلى نصرة القلب، وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته إلى نصرة النفس، وقام صف القتال بينهما، فإن سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى، واستهان بالعاجلة، ورغب في الآجلة، وعمل القلب بما مال إليه وإن آلمه في الحال؛ لما يرجوه من التنعم به في المآل، وإن سبقت له من الله الشقاوة ـــ والعياذ بالله ـــ ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل، وعمل بما مالت إليه نفسه وإن آلمه في المآل، لما يحصل لها من لذة الحال، وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل لعبد إلا فزعه إلى الله تعالى، ولياذه به وكثرة ذكره، وصدق توكله واستعاذته من الشيطان الرجيم.

وقال الشيخ ابن عجيبة : النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى اسم أو صفة يسري معناها في كليته حتى يبصر الحق والباطل، إبصاراً لا يمكنه التخلف معه عن

موجبه قاله الشيخ زروق، والمطايا جمع مطية : وهي الناقة المهيأة للركوب، والقلوب جمع قلب : وهو الحقيقة القابلة للمفهومات، والأسرار جمع سر : وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر أدق وأصفى من القلب والكل اسم للروح، فإن الروح ما دامت متظلمة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفساً فإذا انزجرت وانعقلت انعقال البعير سميت عقلاً، فما زالت تتقلب في الغفلة والحضور سميت قلباً، فإذا اطمأنت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحاً، فإذا تصفت من غبش الحس سميت سرا.

قال الشيخ زروق رضي الله عنه : وأمداد الأنوار ثلاثة : أولها : يقين لا يخالطه شك ولا ريب، الثاني : علم تصحبه بصيرة، وبيان الثالث : إلهام يجري معد العيان. (وإمداد) الظلم ثلاثة : أولها ضعف اليقين، الثاني : غلبة الجهل على النفس، الثالث : الشفقة على النفس وذلك كله أصله الرضى عن النفس وعدمه ومظاهره الثلاثة المرتبة عليه وهي : المعاصي والشهوات والغفلات وأضدادها.

* * *

الفصل الرابع

موقف المريد من طاعاته

(لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك. ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[1]. قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم. أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها. وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها).

(١) سورة يونس: (٥٨).

مقدّمة

يتوقّع التيخ رحمه الله أنّه بعد الأوراد والصحبة والواردات أن يفرح الإنسان بنفسه ويفرح بطاعاته وقرباته، وهذا يستدعي عُجبا، ورؤية ذاتٍ وكبراً، لذلك فإنّه يعود إلى تأكيد فكرة عدم الرؤية للأعمال مبيناً أنّ رؤية الأعمال تدلّ على أن صاحبها لم يبدأ السير إلى الله عز وجل فالمريدون إمّا واصلون وإمّا سائرون، فالسائر لا يرى عمله لخشيته من عدم الصدق فيه، والواصل لا يرى عمله لأنّه مستغرق بالشهود، فمن رأى عمله فهو غير سائر ولا واصل، وفي هذا السياق دلّنا على الأصل وهو أن نفرح بالطاعة لأنّ الله عز وجل وفّقنا إليها.

﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[1].

---

(١) سورة يوس: (٥٨)

الشرح

نحن لا زلنا في القسم الذي يؤدب المريدين، وهذا الفصل يتحدث عن أدب رئيسي في موقف المريد من طاعاته، كما يحدثنا عن فرح المريد، يقول(لا تفرحك الطاعات لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك، ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾[1]، قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها)، الفرح على نوعين : الفرح بالدنيا وهذا الذي نهينا عنه فقد ذكر الله عز وجل في قصّة قارون : ﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إنّ الله لا يحبّ الفرحين** ﴾[2] فهذا الفرح في الدنيا، فالمؤمن فرحه بالدنيا يكون مع الخشية والحذر؛ لأنّ الدنيا عندما تفتح على إنسان فذلك يمكن أن يكون إكراما أو إهانة، فالمؤمن يبقى حذراً، أمّا أن يفرح بالدنيا وإقبالها بإطلاق فهذا غلط، ويدّل على أنّ بصيرته لا ترى الأشياء على حقيقتها، فعندما تكون بصيرته صحيحة ومرآة قلبه صحيحة وعنده نور فالدنيا لا تساوي شيئا « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء » أخرجه ابن ماجه والترمذي، وهو صحيح بطرقه وشواهده، فالدنيا عندما تكون كذلك عند الله، فالمؤمن ينظر إليها على أنها كذلك، فإذا رآها على غير ذلك فإن عين بصيرته مريضة.

---

(١) سورة يونس: (٨٥).

(٢) سورة القصص. (٧٦).

المؤمن ذو القلب وذو النور ينظر إلى الأشياء بالمنظار القرآني ﴿ **هذا بصائر من ربكم** ﴾[1].

فبصيرتك هي القرآن الكريم، وعلى هذا يجب أن يكون هناك تطابق بين رؤيتك وبين الرؤية التي يعطيك إياها القرآن، البصيرة القرآنيّة تصوّر لك الدنيا أنّها لا قيمة لها بكلّ ما فيها بجاهها، بمالها بشهواتها، بلذائذها، فلا تفرح بها لأنّها لا قيمة لها ﴿ **إنّ الله لا يحبّ الفرحين** ﴾[2]. المؤمن لا يفرح بشيء من الدنيا إلا باعتباره فضلاً من الله عزّ وجلّ عليه ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا** ﴾[3].

قد تجد اثنين يفرحان في شيء واحد، لكنّ هذا يفرح به لأنّه دنيا وهذا يفرح به لأنّه من الله، الأول : محل الملاحظة، والثاني : لا حرج عليه، السائر إلى الله عز وجل يتحرّر من الفرح بالدنيا ولكنّ يصير عنده فرح بالطاعة، وفي هذا المقام هناك فارق : أن تفرح بالطاعة لأنّها شيء تفعله، أو أن تفرح بالطاعة لأنّ الله عز وجل أكرمك بها، فالشيخ رحمه الله ينبّهنا أنّ مقام السائر إلى الله يفرح بالطاعة لأنّها برزت من الله إليه، هو يفرح بالطاعة لأنّها علامة عنده على أنّ الله عز وجل يريد به الخير، ومن ههنا هو يفرح بالطاعة، ومن ههنا ندرك أنّ حكم ابن عطاء تبقينا محلّقين في أعلى درجات المعرفة لله عز وجل القلبيّة والذوقيّة، وأعلى درجات القيام بحقوق الربوبيّة، ومن ههنا كان لها هذه الأهمّية الكبيرة عند أهل السلوك.

وبعدما تقدّم يعطينا الشيخ علامة من العلامات التي نعرف بها هل نحن سائرون أم واصلون من خلال قضية الطاعة والعمل، يقول الشيخ رحمه الله : (قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله، وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) السائر والواصل لا يريان عملهما، كل منهما يصوم ويصلي ويزكي، ولا يرى أنه يفعل شيئاً فمهما فتح على يده من الخيرات بسبب عمله، لا يشعر بأنّه قد فعل شيئاً، ويعلّل الشيخ لذلك : أنّ السائر يخشى أن يكون عمله مدخولاً وبالتالي يكون غير مقبول، أمّا

---

(١) سورة الجاثية: (٢٠).

(٢) سورة القصص: (٧٦).

(٣) سورة يونس: (٥٨).

الواصل الذي وصل إلى الشهود، فاستشعر أنّ كل شيء يجري على يده أو يد غيره إنّما هو صادر من الله عز وجل، فهو لا يرى أنه يفعل شيئاً وبالتالي فهو لا يرى عمله، (قطع السائرين له والواصلين إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم)، فهؤلاء وهؤلاء لا يرون أعمالهم وأحوالهم، فليس عندهم عجب بها، فالعجب هو أثر من آثار الرؤية للعمل، فعندما أرى أحوالي صالحة وأعمالي صالحة وضخمة وكبيرة، عندئذ يمكن أن يوجد عندي عُجب وغرور، أمّا إذا كنت لا أرى أحوالي ولا أعمالي فلا عجب ولا كبر ولا غرور.

* * *

خلاصة الفصل

ركّز الشيخ في هدا الفصل على عدم رؤية السائر والواصل إلى الله عز وجل عملهما وطاعتهما وألا يفرحا بهما، وإن كان لا بدّ فمن حيث إنّهما من فضل الله عز وجل عليهما وهذا من أهمّ آداب السير.

* * *

الفصل الخامس

آداب السالك إلى الله وخطورة تركها

(ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع * ما قادك شيء مثل الوهم * أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع * من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان * من لم يشكر النعم فقد تعرّض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها * خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك، ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾[1] * من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد).

---

(١) سورة الأعراف: (١٨٢).

مقدمة

يحدّثنا الشيخ في هذا الفصل عن بعض الآداب، وعن خطورة ترك الآداب.

وأهم الآداب التي يذكّرنا بها في هذا الفصل :

١ ـــ ترك الطمع، فالطمع يقود إلى الذل، والطمع مبناه على الوهم، وهو المؤثر الأكبر في حياة الإنسان، فإذا ترك الإنسان الطمع تحرّر من الذلّ ومن الوهم.

٢ ـــ الشكر :وإلا فالمريد معرّض لسلب النعمة أو الاستدراج.

ثم يحدّثنا الشيخ عن خطورة ترك الأدب، وعن آثار سوء الأدب: سلب المزيد، وأن يوكل الإنسان لنفسه، أو يبعد ويقطع عنه المدد.

الشرح

حسن الأدب هو المدخل لأشياء كبيرة وطيّبة، وسوء الأدب هو المدخل والعياذ بالله تعالى لأشياء شريرة وسيئة، ومن ههنا كان الأدب بالنسبة للسالك إلى الله عز وجل حياة سلوكه، أنت بحاجة للأدب مع أهلك، إخوتك، وأبيك وأمّك، أنت بحاجة للأدب مع الإنسان والحيوان والأشياء فبقدر ما تستطيع أن تحسن الأدب: أدب اللسان وأدب الفعل، فأنت إلى خير، لأنك تقدم الثمر الأطيب وهذا هو الأصل في تعامل السائر إلى الله عز وجل مع الخلق، وإذا كان الأدب مع الخلق له هذه القيمة فللأدب مع الله عز وجل القيمة الكبرى، والأدب مع الله عز وجل والأدب مع الخلق إنّما يظهران بفعل أو بقول، فبقدر ما نستطيع أن نضبط أفعالنا وأقوالنا على مقتضى الأدب نكون في مقام الكمال، أما إذا كان تصرّفنا دون المستوى أو يتجاوز الحد فلنلازم الاستغفار، وقد ذكر الغزالي رحمه الله أنّ المحاسبة المستمرة مع مداومة الاستغفار يوصلان إلى مقام المراقبة لله عز وجل.

إنّ قضيّة الأدب واسعة كبيرة وندر من الناس من يستطيع أن يتفطّن لكّل دقائها، بل لا يفطن إليها الإنسان إلا بتوفيق ربّاني، ولعّل الحكمة هي هذا، قال تعالى: ﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾[1] فالحكمة معنى زائد على مجرّد العلم.

أن تعرف الكتاب والسنّة، وأن تعرف الأحكام التي تنبثق عن الكتاب والسنّة، وأن

---

(١) سورة البقرة: (٢٦٩).

تعرف أنّ هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وهذا مكروه وهذا سنّة، فهذه المعرفة تدخل في كلمة العلم، والحكمة معنى زائد على العلم، لو حضرت عرساً وتكلّمت عن النار فقد يكون كلامي صحيحاً من الناحية العلميّة، ولكن هل من الحكمة أن أحدّث الناس في العرس عن النار، ذكر الفقهاء أنّه عندما تكون على مائدة الطعام لا ينبغي أن تتحدثّ عن النار كي لا تقطع شهيّة الناس فالحكمة أن تتصرّف التصرُّف المناسب الذي يقتضيه المقام فالحكمة وضع الأمور في مواضعها على ضوء الكتاب والسنّة، الحكمة أن يكون تصرّفك غير زائد ولا ناقص عمّا يقتضيه المقام، الذي أنت فيه. وهذه قضيّة صعبة فلا يمكن أن يكون الإنسان حكيماً إلا بتوفيق رباني، والتصرف الحكيم يساوي الأدب، وهذا الفصل في الأدب.

قال الشيخ : (ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع * ما قادك شيء مثل الوهم)، عندما ننظر إلى الحياة البشرية ترى الوهم والطمع بالنسبة للناس هما الدافعان لكثير من تصرفاتهم، تجد حزباً من الأحزاب الكافرة يعمل للوصول إلى السلطة فتراه يعمل ليلاً ونهاراً، وقد يبقى يصارع للوصول إلى السلطة خمسين سنة أو ستين وقد يصل أو لا يصل، فما الذي قادهم في سيرهم هذا لا شكّ أنّه الوهم والطمع، هذا مثال كيف يقود الوهم والطمع الإنسان ويؤثران عليه، فما دام الأمر على هذه الشاكلة فعلى المسلم أن ينتبه إلى سلوكه، ما هو تأثير الوهم فيه، وما هو تأثير الطمع الدنيوي عليه، فإذا كان للوهم تأثير في سلوكه، أو إذا كان للطمع تأثيره في سيره فالوضع ليس صحيحاً، فلا بد أن يحرّر المسلم نفسه من الطمع ومن الوهم، والميزان بسيط، فما دمت تعمل لوجه الله عز وجل على بصيرة وما دمت طامعاً بفضل الله مع العمل الصالح فأنت إلى خير.

(ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع) متى وجد الطمع فقد وجد الذل بل كل أنواع الذلّة مرتبطة بالطمع، فبقدر ما تستطيع أن تتحرّر من الطمع فإنّك تتحرّر من الذل، ترى الكبار في أعين الناس يجعلهم الطمع أذلاء مع أنّهم في الظاهر زعماء، عندما يطمع الإنسان أن يكون زعيماً أو قائداً أو رئيساً يجرّه هذا الطمع للمداهنة من أجل كسب قلوب الأتباع، والمداهنة أثر من آثار ذلّة النفس، هناك فارق بين المداهنة والمداراة وهذه القضيّة يغلط بها الكثيرون، فالمداهنة لا تجوز أمّا المداراة فسنّة نبويّة، أن تداري من أجل أن تخرج الإنسان من باطل إلى حق بألطف طريق فهذه سنّة، أمّا أن تداهن على حساب الحقّ فهذا لا يجوز ﴿ **ودّوا لو تدهن**

فيدهنون ﴾[1]، فالانسان الذي يطمع في الزعامة الدنيويّة يضطر للمداهنة من قبل ومن بعد، فطمعه بالزعامة يجعله يقف المواقف الذليلة لمن هو أكبر منه أو لمن هو دونه.

فمن المهم أن يحرّر المسلم قلبه من كلّ طمع إلا الطمع بالله عز وجل، ويحاول ما استطاع أن يقطع جذور الطمع الدنيوي من قلبه، ويتصرّف تصرّفاته كلّها على ضوء الحكم الشرعي والحكمة، عندما تكون تصرفاتك على ضوء الحكم الشرعي، والهدف هو رضوان الله عز وجل، عندئذ تنطوي كلّ الأمراض النفسيّة، فالطمع يجعلك تتذلّل لخلق الله عز وجل على أمل الوصول إلى معنى، وفي كثير من الأحيان يقودك الوهم كأثر من آثار الطمع، ثم لا تصل إلى شيء، فالوهم يقودك (ما قادك شيء مثل الوهم، أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت له طامع) الشيء الذي أنت آيس منه أنت متحرّر منه، وعندما تطمع بشيء تصبح عبداً له، والأصل في المسلم أن يكون عبداً لله عز وجل وأن يكون حراً مما سوى ذلك، فالحريّة أن لا يكون عندك طمع بمخلوق، وأن لا يكون عندك طمع دنيوي وأن يكون قلبك معلقاً بالله عز وجل، ثمّ بعد تحريرنا من الوهم والطمع ينبهنا الشيخ رحمه الله على الشكر، فالنعم في حقّ السائر إلى الله عز وجل كثيرة، وهي أكثر بكثير من النعم الدنيويّة البحتة، فالدنيا في الميزان الأخروي لا تساوي شيئاً، وقد يعطي الله عز وجل أولياءه دنيا وأخرى فكيف تحافظ على النعم؟ إنّما تحافظ عليها بالشكر، شكوت لبعض شيوخي ضعف اليقين، فقال : شكواك من فعل الشيطان بك، اشكر الله يـزدك، ماذا كنت تفعل لو أنّ الله خلقك من الكافرين.

المهم أنّ أهل السلوك إلى الله عز وجل يلحظون هذا المعنى دائما، ما وصلت إليه من خير دنيوي أو أخروي قيّده بالشكر حتى يعطيك الله عز وجل المزيد، والشيخ رحمه الله ينبهنا إلى هذا بقوله : (من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان، قيد إليه بسلاسل الامتحان، من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) إذا أقبل الإنسان على السير إلى الله عز وجل فذلك عند أهل السلوك إلى الله عز وجل مظهر من مظاهر إرادة الله بالإنسان خيرا يأخذون ذلك

---

(١) سورة القلم: (٩).

من قوله ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وفقه السير إلى الله من أرقى أنواع الفقه، والحديث الشريف الحسن يقول : « العلم علمان فعلم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » أخرجه ابن أبي شيبة والخطيب وحسنه السيوطي وقال العراقي والمنذري إسناده صحيح، فالإنسان متى بدأ السير إلى الله عز وجل فهو سائر في طريق الفقه وتلك علامة على أن الله عز وجل يريد به خيراً، وهذه الإرادة تتحقّق من خلال إقبال المريد أو من خلال الامتحان، فالشيخ يلفت نظرنا إلى هذا، فالإحسان من الله للإنسان ينبغي أن يقابل بالإقبال على الله حقّ الإقبال، وإلا فإنّ الله عز وجل سيمتحن السالك حتّى يوصله إلى المقامات التي أرادها الله عز وجل له، وكأنّ الشيخ ينبهنا أنّ علينا أن نقبل على الله عز وجل بكل ما نستطيع وإلا فنحن معرضون للامتحان من الله عز وجل، (من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان، من لم يشكر النعم تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها، خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك، ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾[1]، من جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري، ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد).

وأحياناً يحدث أنّ السالك إلى الله عز وجل يقع في الخطيئة اللسانيّة أو الفعليّة وفي الوقت نفسه يستشعر أنّ الكرم الإلهي الذي عوّده الله عز وجل عليه مستمر، فيستمرئ سوء الأدب، وقد تصل المسألة إلى ما هو أبعد من ذلك، كأن يصير عنده شعور بأن له كرامة على الله عز وجل فلا يعاقب على المعصية وسوء الأدب، بل قد يصل إلى أن يظن سوء الأدب أدباً وهذا من أخطر الأمور، فالشيخ ينبهنا إلى هذا، فالعقوبة على سوء الأدب ولو لم يشعر بها السالك، والشيخ يضرب أمثلة على أنواع من العقوبة لا يحسّ بها الإنسان أنّها عقوبة، ومن سنته جلّ جلاله أن لا يمّر ذنب إلا بنوع عقوبة وقد يعفو الله عز وجل، وقد وعدنا بالعفو إذا وجدت توبة، لكن حتّى لو حدثت التوبة فالذنب قد لا يمّر بلا نوع عقوبة، ترى ذلك في قصّة

---

(١) سورة القلم: (٤٤).

آدم عليه السلام فبعد أن تاب وعفا الله عنه وقبل توبته أهبط إلى الأرض، هناك أنواع من العقوبات لا يحّس بها الإنسان، فالشيخ هنا يلفت نظرنا إليها (خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً لك ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾[1]، عندما يسيء الإنسان ويبقى الإحسان فقد تكون المسألة استدراجا وهذه عقوبة؛ لأنّ الاستدراج مقدمة لعقوبة دنيوية أو أخروية (فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد) هناك العقوبة بقطع الإمدادات أو بحجب الإمدادات الزائدة والفيوضات المتكاثرة وهذه عقوبة (وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري) فقضيّة البعد والقرب غيبيّة، فقد يكون الله عز وجل حكم عليك بالبعد وأنت لا تدري، فعلى الإنسان أن يبقى دائما في حذر، ثمّ يقول : (ولو لم يكن إلا أن يخليك وما تريد) فقد تكون عقوبتك على سوء الأدب أن يتركك الله عز وجل ويكلك لنفسك، وهذا من أصعب الأشياء على السالك، فالمسلم دائما يطلب من الله عز وجل أن يتولاه في شأنه كلّه، وأن لا يكله إلى نفسه، وهذا دعاء درج المسلمون عليه (اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا.....) أخرجه أحمد وأبو داود بنحوه.

فأن يكلك الله عز وجل إلى نفسك فهذه عقوبة.

فحاسب نفسك إذا أسأت الأدب مع الله عز وجل أو مع خلقه.

وتب إلى الله عز وجل مباشرة ولا تؤخّر التوبة.

والملاحظ أن الشيخ ذكر الأدب ههنا وركز على بعض الآداب.

فإذا اجتمعت لك الآداب التي تحدّث عنها الشيخ في الفصل فإنك تأخذ بزمام الحكمة، والأدب تحرّر من الوهم ومن الطمع، تلبّس بالشكر واحذر المعصية، وإذا وقعت في الخطيئة أو الخطأ فارجع إلى الله بالتوبة وإلى الخلق وبالاعتذار.

ولنا كلمة أخيرة حول فكرة الطمع في نفس الإنسان :
الإنسان بطبيعته تحركه رغبة أو رهبة، فقضيّة الرغبة والرهبة في حياة البشر قضيّة

---

(١) سورة القلم: (٤٤).

مهمّة حتّى إنّ بعض الفلسفات تعتبر سر الحركة في الحياة البشريّة يكمن في المصلحة، فالفلسفة الأميركيّة قائمة على فكرة (البراجماتزما) التي مبناها أنّ الخير هو المصلحة، والمصلحة في شريعتنا معتبرة يقول ابن القيّم رحمه الله : حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله، ففكرة المصلحة عندنا معتبرة، ولكنها ليست المصلحة في الميزان الدنيوي البحت، وليست المصلحة في الميزان المادي البحت، وليست المصلحة في الميزان البشري البحت، ولكنها المصلحة بميزان الشريعة، فالشيء الذي اعتبرته الشريعة مصلحة هو المصلحة، والشيء الذي لم تعتبره الشريعة مصلحة فليس بمصلحة، وهناك المصالح المرسلة التي ترك تقديرها لخبرة الإنسان وتجربته، ولم تقيّد بنص شرعي فهذا الأمر فيها واسع، إن من طبيعة الإنسان أن يحسّ بما هو مصلحته، هذه قضيّة يشمّها الإنسان شمّا قد لا تجد الإنسان كثير ذكاء أو ثقافة لكن ما له علاقة بالمصلحة أو المنفعة يستطيع أن يدركه بسرعة من اللحظة الأولى، فالمصلحة والمنفعة مؤثرتان في حياة البشريّة كثيراً، لذلك نرى العمل السياسي العالمي كلّه قائماً على فكرتي المصلحة والمنفعة، والحزب الذي يعرف مصلحة شعبه ويحسن التعامل معها، هو الحزب الذي يستطيع أن يربح الجولات السياسية في الغالب، فالناس الذين يعملون في الخدمة العامّة لا بدّ أن يلحظوا قضيّة المصلحة والمنفعة، وإذا أهملوا مخاطبة الناس بذلك فلم يطمئنوهم على مثل هذه المعاني تبقى حركتهم حركة قليلة الغناء، هذه النقطة ليست هي محل بحثنا، محّل بحثنا ما هو أدب السالك إلى الله عز وجل في قضايا المصالح والمنافع والتي تعبّر عن نفسها بطمع الإنسان في أشياء ماديّة أو بمكاسب.

السائر إلى الله عز وجل أدبه أن يحاول ما استطاع أن يقطع جذور الطمع من قلبه، فلا يطمع إلا بالله عز وجل، هذا الموضوع ليس سهلاً، لأنّ النفس البشريّة بحاجة للمجاهدة باستمرار، قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله : (كلما ماتت نفس أحيا الله عز وجل نفساً حتّى تموت وسيفك يقطر من دم المجاهدة) فأنت بحاجة لمجاهدة نفسك باستمرار، فموضوع النفس البشريّة ومطالبها موضوع متجدّد، فلو أنّ نفسك أتّجهت بطمع إلى شيء ما وقطعت جذر الطمع هذا من نفسك، لا يعني هذا أنّ النفس لن تتطلّع مرّة ثانية إلى قضيّة هي محل طمع، وهكذا قل في كل القضايا العميقة في النفس البشريّة ستتكرّر المطالبة بها مرة بعد مرّة فالإنسان بحاجة لأن يجاهد نفسه حتّى تبقى هذه النفس مستقيمة على أمر الله عز

وجل، بعيدة عن الانحرافات والميول الخاطئة والأهواء، فأدب السالك أن يحاول قطع جذور الطمع إلّا من الله عز وجل، وأن لا يتابع طمعاً إلا ما أذن الله به على ضوء الشريعة فهذا لا حرج فيه إن شاء الله عز وجل.

وبشكل عام فإن قضيّة الطمع في الحياة البشريّة خطيرة، ومن ههنا يجب على الإنسان أن يحارب طمع نفسه ولكن هذا شيء وأن يلحظ كون الطمع غريزة قويّة في الإنسان فهذا شيء آخر فأن تحاسب نفسك على الطمع هذا أدبك، وأن تربّي المسلمين على ذلك فهذا أدبك ولكن أن تلحظ أنّ البشر لا ينسون فكرة المنفعة والمصلحة فهذا شيء آخر فلا بّد أن يلحظ الدعاة إلى الله هذه المعاني كلّها.

تلحظ في حياة الرسول ﷺ أنّه كان يربّي أصحابه على العفّة لدرجة أنه أخذ البيعة على بعضهم أن لا يسألوا الناس شيئاً، لذلك كان الواحد منهم يسقط سوطه فلا يسأل أحداً أن يناوله إيّاه، ويوم حين كانت الغنائم كثيرة والذين كسبوها لم يعطهم منها شيئاً تقريباً، وأعطى فقراء المهاجرين وأعطى المؤلفة قلوبهم، أمّا الأنصار الذين ناداهم أثناء الشدّة فلم يعطهم، يربي الصفّ على غاية التضحية وعلى العفّة بينما الذين لم يتربّوا التربية الإيمانية الكاملة كان يعاملهم عليه الصلاة والسلام معاملة أخرى، ومن ههنا كان سهم المؤلفة قلوبهم.

وإذن فهناك تربية الإنسان لنفسه، وهناك تربية الصف الإسلامي، وهناك عمق المنفعة والمصلحة في حياة البشر، فإذا لم تلحظ هذا كلّه وقعت في الخطأ..

فوائد

١ ــ بمناسبة قول المؤلف : (ما قادك شيء مثل الوهم)، قال الشيخ الشرقاوي : (يعني أن الوهم هو السبب في الطمع في الناس وذلك كاف في قبحه لأن الوهم الذي هو أصله أمر عدمي إذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديري لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها إلى العقل، ألا ترى أن الطبع ينفر من الحية لتوهمه الضرر فيها بل من الحبل المبرقش لكونه على صورتها، ولو انقادت للعقل لم تنفر لأن ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن، فلا يسلم من الطمع في الخلق والرغبة فيما بأيديهم إلا أهل الورع الحاص، وهم أهل القناعة والتوكل الذين سقط من قلوبهم علاقات الخلق فلا يهتمون للرزق).

٢ ـــ وقال الشيخ ابن عباد بمناسبة الكلام عن الطمع: (والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة في عبوديتها، بل هو أصل جميع الآفات لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم، وفي ذلك من المذلة والمهانة ما لا مزيد عليه، ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الإيمان الذي يقتضي وجود العزة، والعزة التي اتصف بها المؤمنون إنما تكون برفع هممهم إلى مولاهم وطمأنينة قلوبهم إليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هي العزة التي منحها الله عبده المؤمن. قال الله تعالى : ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين** ﴾[١] وكما أن العزة من صفات المؤمن كذلك المذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين. قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين** ﴾[٢] قال أبو بكر الوراق الحكيم رضي الله تعالى عنه : لو قيل للطمع من أبوك؟ قال : الشك في المقدور ولو قيل له : ما حرفتك؟ قال : اكتساب الذل، ولو قيل : ما غايتك؟ قال : الحرمان. وقال أبو الحسن الوراق النيسابوري رضي الله تعالى عنه : من أشعر في نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع، ومن طمع في شيء ذل وبذله هلك، قيل في ذلك :

أتطمع في ليلى وتعلم أنما　　　تقطع أعناق الرجال المطامع

فالطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين، قال في التنوير : وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه، وتطهر من الطمع في الحلق، فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره إلا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم. قال : وقد قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون، فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري رضي الله عنه فقال : يا فتى إني سائلك عن أمر فإن أجبتني عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك ـــ وكان قد رأى عليه سمتاً وهدياً ـــ فقال الحسن : سل عما شئت، قال : ما ملاك الدين؟ قال : الورع، قال : فما فساد الدين؟ قال : الطمع، قال : اجلس فمثلك من يتكلم على الناس).

٣ ـــ بمناسبة الكلام عن الشكر قال الشيخ الشرقاوي : (يعني أن شكر النعم

---

(١) سورة المنافقون: (٨).

(٢) سورة المجادلة: (٢٠).

موجب لبقائها والزيادة منها قال الله تعالى : ﴿ **لئن شكرتكم لأزيدنكم** ﴾[1] وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم** ﴾[2] أي إذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غيَّر الله ما مَنَّهُ من الإحسان والكرم، والشكر إما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى : ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾[3]. وإما باللسان بأن تتحدث بنعمة الله قال تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدِّث** ﴾[4] وإما بالجوارح بأن تصرفها في طاعة الله وتكفها عما لا يرضيه).

٤ ــ وبمناسبة الكلام عن الأدب قال ابن عباد : (والأدب له موقع عظيم في التصوف ولذلك قال أبو حفص رضي الله عنه : التصوف كله أدب، ولكل وقت أدب ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيَّع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن القبول، وقال أبو عبد الله بن خفيف : قال لي رويم : يا بني اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً وقال بعضهم : الزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً إلا عوقب باطناً، وقال ذو النون المصري رضي الله عنه : إذا خرج المريد عن حد الأدب فإنه يرجع من حيث جاء. وقال الثوري رضي الله عنه : من لم يتأدب للوقت فوقته مقت، وقال ابن المبارك رضي الله عنه : نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم).

وقال ابن عجيبة : (فأما الآداب مع الله باعتبار العوام فبامتثال أمره واجتناب نهيه، ومع رسوله ﷺ باتباع السنة ومجانبة أهل البدعة، فإذا قصروا في الأمر أو خالفوا في النهي عوقبوا عاجلا في الحس أو آجلاً في المعنى والحس، وباعتبار الخواص مع الله بالإكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيثار محبته، زاد الشيخ زروق : وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى بالموجود وبذل الطاقة والمجهود. أهـ. ومع رسوله ﷺ بأيثار محبته والاهتداء بهدية والتخلق

---

(١) سورة إبراهيم: (٧).

(٢) سورة الرعد: (١١).

(٣) سورة النحل: (٥٣).

(٤) سورة الضحى: (١١).

بأخلاقه فإذا قصروا في ذكره، أو جالت قلوبهم في غير حضرته، أو مالت محبتهم إلى شيء سواه، أو قصروا في شيء مما تقدم، أو حلوا عقدة عقدوها مع الله؛ عوقبوا في الحس بالضرب أو السجن أو الإذاية باللسان، أو في المعنى وهو أشد كقطع المدد وإيجاب الطرد والإقامة مقام البعد، وباعتبار خواص الخواص وهم الواصلون يكون مع الله بالتواضع معه في كل شيء والتعظيم لكل شيء ودوام معرفته في تجليات الجلال والجمال أو مع اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار ومع رسوله ﷺ بالتحقق بحسبه وتعظيم أمته وشهود نوره، كما قال أبو العباس المرسي : (لي ثلاثون سنة ما غاب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ولو غاب عني ما أعددت نفسي من المسلمين) فإذا قصر العارف فيما تقدم في حقه أو في حق غيره من الآداب عوقب في الحس أو في المعنى، والغالب تيقظه في الحين فيستدرك ما فات : ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾[1] فهذه جملة الآداب التي تكون مع الله من العوام والخواص وخواص الخواص (أو تقول) من الطالبين والسائرين والواصلين والله تعالى أعلم).

(وأما الآداب) مع الإخوان فأربعة (أولها) حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يغتاب أحداً ولا ينقص أحداً، فلا يقول أصحاب سيدي فلان كمال، وأصحاب سيدي فلان نقص، أو فلان عارف أو فلان ليس بعارف أو فلان قوي أو غير ذلك، فهذه عين الغيبة وهي حرام بالإجماع لا سيما في حق الأولياء فإن لحومهم سموم قاتلة كلحوم العلماء والصالحين، فليحذر المريد جهده من هذه الخصلة الذميمة، وليفر ممن هذا طبعه فراره من الأسد فمن أولع بهذا فلا يفلح أبدا.

وقد قال بعض الصوفية : من كسره الفقراء لا يجبره الشيخ ومن كسره الشيخ فقد يجبره الفقراء.

(وثانيها) نصيحتهم بتعليم جاهلهم وإرشادهم ضالهم وتقوية ضعيفهم ولو بالسفر إليه فإن فيهم أهل بدايات ونهايات والقوي والضعيف، فكل واحد يذكره بما يليق بمقامه (خاطِبوا الناس بقدر ما يفهمون) كما في الحديث (وثالثها) التواضع لهم والاستنصاف من نفسك معهم وخدمتهم بقدر الإمكان.

---

(١) سورة الأعراف (٢٠١).

(ورابعها) شهود الصفا فيهم... فلا ينقص أحداً ولو رأى منه ما يوجب النقص في الظاهر، فالمؤمن يلتمس المعاذير فليلتمس له سبعين عذراً فإن لم يزل عنه موجب نقصه فليشهده في نفسه فالمؤمن مرآة أخيه، ما كان في الناظر يظهر فيه، فأهل الصفا لا يشهدون إلا الصفا، وأهل التخليط لا يشهدون إلا التخليط، وأهل الكمال لا يشهدون إلا الكمال، وأهل النقص لا يشهدون إلا النقص.

* * *

الفصل السادس

توجيهات للمريدين

(إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين، فلولا وارد ما كان ورد * قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم أخصتهم بمحبته ﴿ **كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[1] * قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة لئلا يدّعيها العباد بوجود الاستعداد * من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً ما علم، فاستدل بذلك على وجود جهله * إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين؛ لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم. ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها * من وجد ثمرة عمله عاجلاً، فهو دليل على وجود القبول آجلاً).

(١) سورة الاسراء: (٢٠).

مقدمة

في هذا الفصل توجيهات للمريد يعرّفه بها الشيخ كيف يقوم الأشخاص والأعمال فمن كان مداوماً على الأوراد فهو محل الاحترام ولو لم تجد له في الظاهر قدماً في المعرفة والمحبة، ومن كان مجيباً على كل سؤال متحدثاً عن كل شيء فذلك من الجاهلين.

الثمرة العاجلة للأعمال علامة من علامات القبول عند الله عز وجل فلا يخشى من ذلك المريد، وما أعده الله له في الآخرة أعلى وأجلّ.

وفي الفصل ذكر للعارفين والمحبين والعباد، وذكر للواردات وبعض سنن الله عز وجل فيها. ولنبدأ عرض الفصل.

الشرح

كثيراً ما يحدث للمريد عندما يخالط أهل الله عز وجل ويبدأ سيره إلى الله ويصبح من أهل السلوك أن يوجد عنده نوع من الغرور والكبر، بأن يصبح عنده شيء من الاحتقار والازدراء لكل أصناف الخلق ما عدا أهل السير إلى الله، فينظر إلى العباد والعلماء وأصناف الخلق على أنهم محجوبون، والغزالي رحمه الله في كتابه الإحياء تحدث عن مثل هذه المعاني، وذلك شيء خطير أن ينظر الإنسان إلى خلق الله عز وجل باستخفاف وباحتقار، فالكبر غمط الناس وبطر الحق.

فالشيخ رحمه الله يلفت نظرنا ههنا إلى أنه ما من إنسان يقبل على الله عز وجل إلا وله مقامة عند الله عز وجل، وكما أن الله عز وجل جعل الدنيا درجات من أجل أن يؤدي كل إنسان من أبناء الدنيا محله في خدمة إعمار هذه الدنيا، فكذلك أمر الآخرة وأمر الدين، فقد أقام الله كل عبد من عباده في مقام بحيث يتكامل السير إلى الآخرة، ويقيم صرح الدنيا بمجموع عمل العاملين، أقام هذا مقام الزاهد، وأقام هذا مقام العابد وأقام هذا مقام الخدمة العامة، بحيث يقيم مجموع العاملين الإسلام وأنواع السير إلى الآخرة.

فلو كان المسلمون كلهم من المتولهين العاشقين العارفين، يصير عندنا كثير من الفراغ، فالكمال أن يوجد زهاد وأن يوجد عباد وأن يوجد دعاة وعاملون وأن يوجد علماء، والعلماء أصناف : فهذا مفسر وهذا فقيه وهذا نحوي وهذا عالم في الصرف وهذا في البلاغة، والعاملون أصناف : فهذا يخدم وهذا يجاهد وهذا يدعو، والعمل الإسلامي يتكامل من خلال أداء الواجب من كل فرد حيث أقامه الله عز وجل،

فأنت أيها السائر إلى الله عز وجل الذي وضعت قدمك في طريق المعرفة وفي طريق المحبة، أقامك الله مقاماً رفيعاً لكن هذا المقام الرفيع لا ينبغي أن يجعلك تعمى عن الحكمة في إقامة الله عز وجل بقية المسلمين في مقاماتهم التي أقامهم الله فيها، فلا ينبغي أن تنظر لإنسان أقامه الله في خدمة المسلمين نظرة أحتقار بأن هذا محجوب، ولا يذوق لذات المعرفة، ولا إمدادات المحبة، لا تنظر إلى المسألة بهذا المنظار، فهذا إنسان أقامه الله في هذا المقام وله وارداته وله أجره ومقامه عند الله، ومن يدري فقد يكون عند الله عز وجل هو الأرقى، وقل مثل ذلك في الزهاد والعباد والعلماء والعاملين، فالشيخ رحمه الله خشي أن يكون عند أهل السلوك إلى الله عز وجل نوع من النظرة القاصرة إلى أن بقية أعمال الإسلام التي يقيم الله عز وجل فيها المسلمين لا قيمة لها فقال :(إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد)

ليس هناك ورد إلا وينبغي أن يكون له وارد، ولولا الوارد في الحقيقة ما كان الورد، فالذي يثبت الإنسان على الورد هو الوارد، فعندما نرى إنساناً ثابتاً على أوراده فهذا دليل على أن هناك واردات من الله عز وجل يعطيه إياها، فلا تظن أن إنساناً من المسلمين له أوراده وعباداته، وليس له مقام عند الله عز وجل فتحتقره، عليك أن تنظر إلى هؤلاء نظرة الاحترام والتقدير والإكبار والإجلال، لأن هؤلاء لهم مقامهم عند الله عز وجل.

فالشيخ رحمه الله يبين لنا أن من حكمة الله عز وجل أن الله عز وجل أقام المسلمين كلاً في مقام، وبمجموع هذه المقامات يتكامل سير المسلمين إلى الله عز وجل، بحيث تقوم بهم الدنيا التي هي معبر للآخرة على أساس الدين، وهذا بحد ذاته مهم.

لذلك قال الشيخ : (قوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته ﴿ **كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[1] المقصود ههنا بالقوم الذين اختصهم الله بمحبته هم أهل السير إلى الله فهؤلاء يمثلون نموذجاً

---

(١) سورة الإسراء: (٢٠).

من الناس، واختار الله آخرين ليمثلوا نماذج أخرى، فأنت ترى الملائكة عليهم السلام هذا ساجد وهذا راكع وكلهم قائمون بحقوق الله عز وجل وهذا له وظيفة وهذا له وظيفة أخرى، كذلك المسلمون « اعملوا فكل ميسر لما خُلق له » للبخاري ومسلم وغيرهما، فهذا يسره للخدمة وهذا للعبادة وهذا للجهاد، وكما قال الإمام على رضي الله عنه : (ولا تخلو الأرض من ولي قائم لله بحجة). فما من جانب من جوانب الإسلام إلا وتجد ولياً يقيم الحجة على الخلق فيه، فهذا أقامه الله في الفقه وهذا أقامه في الحديث وهذا وهذا، بحيث يكون المسلمون بمجموعتهم يغطون احتياجات الحياة الدنيا بما يخدم الآخرة، ويكونون في الوقت نفسه حجة على خلق الله فلم يجعل الله عز وجل توجهات المسلمين واحدة، ولم يجعل مقاماتهم في كل شيء واحدة، يعطي هذا الإنسان كمالاً ويعطي إنساناً آخر كمالاً في مقام آخر، فأنت أيها السالك الذي أخذت حظاً من محبة الله ومن المعرفة لا تنظر إلى المقامات التي أقام الله هؤلاء فيها باحتقار، فإذا نظرت هذه النظرة فذلك قصور في النظر وإثم وجهل بالحكمة انظر دائما بعينين : عين الشريعة وعين الحقيقة، وعين التريعة تنظر بها إلى القيام بالواجبات، وعين الحقيقة تنظر بها إلى العطاء الرباني لكل مسلم فترى في ذلك الحكمة (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته ﴿ **كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[1] ولا يظنن ظان أن الناس الذين أقامهم الله عز وجل لخدمته ليس لهم محل من محبة الله أو معرفته فكل مسلم له حظ من ذلك، لكن هناك ناساً غلب عليهم ظاهر المحبة وباطنها، وناساً غلب على ظاهرهم الخدمة أو العبادة أو الزهد أو... وللجميع حظ من المعرفة والمحبة « ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » أخرجه البخاري، فلا تنظر إلى الغير بمنظار الاستخفاف، ولكن انظر إلى الحكمة، فلولا قيام كل مسلم في مقامه لتعذر عليك أن تصل إلى الكمال في مقامك، فهذه فروض الكفاية التي كلف الله بها مجموع الأمة الإسلامية إذا قصر بها المسلمون أو بواحد منها فكل المسلمين آثمون، فعندما يقيم إنسان فرض كفاية فهو يسقط عنك إثما، وبدون سقوط الآثام لا يصفو لك حال مع الله عز وجل، فالذي أسقط عني فروض الكفاية هو الذي أعطاني المجال لأن أتفرغ لشؤون المعرفة ولشؤون المحبة.

---

(١) سورة الاسراء: (٢٠).

بل قد تجد توجهات داخل المجتمع الإسلامي لا ترتاح لها، لكن عندما تنظر إليها بعين الحكمة ترى أن هذه الأشياء التي لا ترتاح لها، لها محلها بالنسبة لمجموع الخدمة التي يريدها دين الله عز وجل.

ينظر الإنسان في عصرنا إلى الصف الإسلامي فيراه متفرقاً أحياناً، وكل جهة فيه تستشعر أن ما هي عليه هو الكمال المطلق، ولو أنك تأملت لوجدت أنه لولا شعور الإنسان بأن ما هو فيه هو الكمال ما اندفع اندفاعاً كثيراً في خدمة الجانب الذي يقوم عليه، ومن خلال ذلك تقوم صروح لهذا الدين فمن كان يقوم بطاعة مهما كان نوعها فعلينا أن ننظر إلى مقامه الذي أقامه الله فيه بنوع من الإكبار والاحترام ولا نستخف إطلاقا بموقع مسلم يقوم لله بخدمة مهما كان نوعها، هناك ناس وضعوا قدمهم في السير إلى الله فأصبح الواحد منهم لا يحترم العلماء ولا الكبراء ولا الداعين إلى الله عز وجل ولا القائمين على خدمة المسلمين ولا الناس الذين يحاربون الإلحاد والدعوات الهدامة، هذا كله غلط، إن السالك إلى الله عز وجل يجب أن ينظر بعين الحكمة وعين الشريعة فيرى أنه لولا أن الله أقام هذا الإنسان للدفاع عن الإسلام، ولو لم يسخر هذه الجهة لبناء المستشفيات الإسلامية، ولولا أن هناك ناساً يعملون ضد التبشير، لولا هذا وذاك وأمثاله لهدم الإسلام من ههنا ومن ههنا (إذا رأيت عبداً أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الإمداد، فلا تستحقرن ما منحه مولاه لأنك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد، قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته﴿ **كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[1] فهذا هو الأدب الأول الذي يندبنا إليه الشيخ رحمه الله في هذا الفصل. تم بعد ذلك ينبهنا الشيخ إلى قضية أخرى يقول: (قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) عندنا الوارد الذي هو أثر العمل، هذا موجود ومستمر فما من عمل خير تعمله إلا وله آثاره في القلب هذه قضية منتهية « من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً » أخرجه البخاري، هذا التقرب له آثاره ويمكن أن نستدل على وجود الإمداد إذا وجد العمل بالحديث المعروف « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة » لمسلم. فبمجرد الاجتماع

---

(١) سورة الاسراء: (٢٠).

مع إخوانك على كتاب الله يحدث شيء مباشر هو تنزل السكينة، وهذا له أثر مباشر في القلب ﴿ **هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم....** ﴾[1]، فالأثر المباشر لتنزل السكينة هو أن يزداد إيماناً ويترتب على حف الملائكة آثار قلبية مباشرة ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا....** ﴾[2] فما من عمل من أعمال الخير إلا وله أثره المباشر في قلب الإنسان وهذا يسمى وارداً، وهناك الشيء الذي يسمى عند الصوفية فتحاً ويطلق عليه أيضاً اسم الواردات، وهذه الواردات لها صور شتى، ومن جملة صورها أن تلقى إليك معانٍ إلهامية فيفتح الله عليك علوماً كثيرة، هذا المعنى يحسه أهل السلوك إلى الله إحساساً مباشراً فترى المعاني أحياناً تنصب على قلوبهم انصباباً متوالياً يقرؤون القرآن فتنصب عليهم معانٍ إلهامية، يقرؤون الحديث فتنصب في قلوبهم معانٍ إلهامية. ومن كتاب مصطفى السباعي رحمه الله « هكذا علمتني الحياة » فإنه يجد في مقدمته نموذجاً على مثل هذه الواردات.

فهذه الواردات يصبها الله صباً على قلب عبده دون مقدمات بل قد يسبقها جفاف، فأهل السير إلى الله يحدث عندهم أحياناً جفاف وتحبس عليهم المعاني، ويحبس عنهم الفتح فيشتغلون في المجاهدة وهم يتطلعون للفتح ولا يأتيهم فينقطع تشوفهم، وإذا بمعاني الفتح تنصب في قلوبهم صباً فإذا ما سمعت أهل الله يقولون: الله يفتح عليك، الله يفتح علينا فتوح العارفين فالمراد بذلك هذه المعاني التي تنصب على قلوب العباد، أو الكشف الذي يكون في حالة من الأحوال، فالشيخ هنا ينبهنا أن هذا النوع من الفتوح لا يأتيك نتيجة لانكبابك على العبادة، أو نتيجة لإقبالك على الله ، أو نتيجة لنوع من الأعمال، هذا النوع من الفتوح لا يأتيك إلا بغتة، فقد يأتيك بعد مقدمات، وقد لا يأتيك بعد مقدمات فعليك أن تقبل على الله بروح العبودية وأن تترك الأمر له وهو يكرمك، وما كتب لك سيأتيك.

وما هي الحكمة في أن هذه الأشياء لا تأتي إلا بغتة؟ يعلل الشيخ لذلك بقوله (قلما تكون الواردات الإلهية إلا بغتة يدعيها العباد بوجود الاستعداد). لو كان الإنسان ينال هذه المعاني كأثر عن العبادة وكأثر عن العمل فإنه يحدث عنده نوع من الشعور أن

---

(١) سورة الفتح: (٤).

(٢) سورة الأنفال: (١٢).

استعداده الرفيع هو الذي أوصله لمثل هذه الأمور فيترتب على ذلك وجود عجب والعجب مهلك، فمن رحمة الله عز وجل بعباده، أن يصب هذه الواردات على قلوب عباده فجأة دون مقدمات ليعرفوا فضله، فعلينا أن نقبل على الله عز وجل بصدق العبودية دون تطلع إلى أي شيء آخر سوى الارتقاء في مقام العبودية لله. وفي الوقت نفسه تتوجه قلوبنا إلى أن يكرمنا الله بما أكرم به عباده فإذا أكرمنا الله بشيء من الواردات أو بشيء من الفتوح فعلينا أن نعرف أن هذا من فضل الله وحده دون أن تكون عندنا دعاوى.

بعد ذلك ينبهنا الشيخ إلى أدب قل من يفطن له يقول : (من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) من طبيعة الإنسان الدعاوى، وما من شيء أسهل في الدعوى من دعوى العلم وما من شيء يعبر عن الدعوى مثل التسرع في الإجابة ولذلك ترى الجاهل يحرص أن يجيب عن كل قضية يسأل عنها، وهذا مرض خطير. ترى بعض الناس عنده استعداد لأن يتصدر للكلام في أي قضية من القضايا، اطرح أمامه دقائق في الإلكترونيات والكيميائيات، اطرح أمامه أدق الدقائق في العلم تجده يتكلم دون تدبر وهذا مرض خطير.

والسير إلى الله أدق العلوم وأخطرها، لأن لهذا العلم علاقة بالنفس، والقلب، والروح، والعبادة والعبودية، وله علاقة في علاقة الإنسان مع ربه، هذه قضايا دقيقة، فإذا تسرع الإنسان في الكلام عنها فتسرعه أخطر من تسرعه في قضية أخرى، فإذا كان من المعيب على الإنسان أن يتكلم في غير اختصاصه بجهل فمن المعيب أكثر أن يتكلم في قضية السير إلى الله إذا كان لا يتقنها بيقين لأن الحديث عن ذلك حديث عن أسرار الربوبية ودقائق العبودية، وأدب العالم بإطلاق أن يراقب الله قبل أن يتحدث في أي موضوع ويحاسب نفسه هل كلامه لله أو لشهوة وحظ نفس ثم ينظر هل هناك مصلحة في الكلام فعندئذ يتكلم وإذا أراد أن يتكلم بما هو يقيني أو بما هو حقيقة علمية.

ويحدث للسائر إلى الله أن يكشف له معنى أو أن يكرمه الله بشيء لو أراد أن يعبّر عنه تضيق عبارته عن البيان المناسب فيترتب على ذلك مأخذ أو فتنة، فالأصل أن لا يخاطب الإنسان الناس إلا بالقدر الذي تطيقه عقولهم فهذا المعنى يلفت الشيخ

نظرنا إليه، فالأدب أن نحاول ما استطعنا أن نتكلف الدقة في كلامنا وهذه القضية من أصعب الأمور على الإطلاق، ومن عرف صعوبتها عرف فضل المتأخرين من العلماء الذين حرروا الألفاظ تحريراً وصلوا فيه إلى دقة متناهية لذلك فإنك كثيراً ما تحاول أن تبذل جهداً لتجد كلمة بدل كلمة من عبارات المتأخرين فلا تستطيع لكثرة دقتهم في تحرير عباراتهم على ضوء ما أُخذ على عبارات المتقدمين من مآخذ، فهذا أدب أن تكون عبارتنا دقيقة ونحن نعبر عن المسائل الفقهية أو التوحيدية أو السلوكية إلى الله، بل حتى ونحن نعبر عما نريده من أفكار في حياتنا الدنيا فالمفروض أن يكون الإنسان دقيقاً ويلحظ الاحتراسات الممكنة على كلامه، ويتأكد هذا بالنسبة للسير إلى الله لأن محله دقائق القلوب والأنفس و... وارتباطها مع الله عز وجل، لكن هل تواتي الإنسان الدقة وهو يعبر عما يشاهده أو يذوقه أو يقع في قلبه وهل يصح له أن يقول كل شيء عن أحواله لكل إنسان؟ أما مع الشيوخ وأهل المعرفة فلا بد من المذاكرة، أما مع غيرهم فالأمر يحتاج إلى موازنات يقول الشيخ رحمه الله (مَنْ رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً كل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) هناك كلمة مشهورة عند العلماء (ليس كل ما يعلم يقال)، قد تجد إنساناً عنده همة كبيرة على العبادة فتقول له شيئاً من دقائق العلم فتخفّ عبادته فتكون بذلك قد أضررته، يقال لأهل العلم في حلقات العلم كل شيء أما المربي فيتخير توجيهاته، والواعظ يتخير كلامه، طالب العلم إذا عرف الرخص يبقى في العزائم ولا يأخذ بالرخصة إلا عندما يضطر إليها، ولكن عندما تأتي إلى إنسان عادي لم يدرك الدقائق ولا الحقائق ثم تحدثه عن الرخص تراه يقبل على الرخص وبالتالي فكلمتك أضرته بدلاً من أن تنفعه، والأمثلة على ذلك كثيرة يقال في الفقه : (من صلى عشاء ليلة القدر جماعة وصلى صبحها جماعة فقد أحياها) أخذ الفقهاء ذلك من الحديث الشريف الصحيح الذي يقول : من صلى العشاء في جماعة فكأنه قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنه قام الليل كله » أخرجه مسلم، هذا الكلام يقوله العلماء للتنبيه على معنى وهو : إذا كنت تريد أن تحيي ليلة القدر فانتبه لصلاة الجماعة في العشاء وفي الفجر ولكن هذا لا يعني أن لا تصلي التراويح ليلتها أو قيام الليل أو تحييها بالعبادة فإذا ذكرت هذه المسألة لإنسان عادي قد يهمل قيام ليلة القدر مقتصراً على ما ذكر.

فلا يصح للعالم أن يقول كل شيء لكل إنسان. المهم أن قول العالم كل ما علم

لكل إنسان لا يتفق مع حقيقة العلم ولا مع طريقة العلماء في أداء العلم بما يناسب الحال والمقام، ليس كل سؤال يطرح علينا نرد عليه ولا كل حديث نشارك فيه، ولا نتحدث في دقائق السير إلى الله عز وجل أمام الخاص والعام، لذلك ترى أهل السلوك إلى الله يخشون إذا تكلموا أن يسلبوا، فالأصل في السير أن لا يتكلم الإنسان عما يشاهده إلا في المذاكرات بينه وبين الشيخ وهكذا فإن الشيخ نبهنا إلى عدد من المعاني في قوله : (من رأيته مجيباً عن كل ما سئل ومعبراً عن كل ما شهد وذاكراً كل ما علم فاستدل على وجود جهله)

وبعد ذلك يقول الشيخ رحمه الله : (إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ولأنه أجلّ أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) هذا الكلام يذكره الشيخ مقدمة للحكمة الأخيرة وهي (من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول آجلاً).

المسلم لا يضع في ذهنه وهو يعمل إلا الآخرة فالله عز وجل جعل الآخرة داراً للجزاء لأن هذه الدار وحدها أحقر من أن يجعلها جزاء لعباده المؤمنين « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء » ابن ماجه وهو صحيح بطرقه وشواهده، فهذا الذي هو أقل من جناح البعوضة لا يصلح عند الله لأن يكون مكافأة لعبده المؤمن ولذلك جعل الدار الآخرة هي محل الجزاء فالله يجلّ عبده أن يكون إكرامه له في هذه الدار فقط، وبالتالي فالمسلم وهو يعمل لا يتطلع للدنيا وإنما يتطلع للآخرة. قدم الشيخ هذا الكلام بين يدي مضمون الحكمة الأخيرة ليبقي قلوبنا متجهة نحو الآخرة.

فبعد ما رسّخ الشيخ في قلوبنا حقارة الدنيا بيّن لنا أنه إذا رأينا ثمرة عملنا في الدنيا فهذه بشرى لنا، فلنشكر الله عز وجل على ذلك فمن الثمر العاجل الذي هو بشارة القبول محبة الخلق قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً** ﴾[1] هذا وعد من الله عز وجل أن يجعل في قلوب عباده المؤمنين مودة للصالحين « فالله عز وجل إذا أحب عبدا أعلم جبريل فينادي في

---

(١) سورة مريم: (٢٦).

السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه ثم يوضع له القبول في الأرض » أخرجه مسلم والإمام مالك في موطئه، نصوص كثيرة تشير إلى أن ثناء أهل العدل والإيمان علامة القبول، أما ثناء أهل الكفر والفسوق والضلال فلا اعتبار له وحده.

فظهور الثمرات المفيدة شرعاً في الدنيا علامة على القبول في الآخرة كهداية المدعوين والفتح والنصر واستجابة الدعاء.....

بعد أن ذكر الشيخ رحمه الله أن الآخرة هي المحل الحقيقي للجزاء أراد أن يبشرنا إلى أن هناك ثمرات عاجلة في الدنيا، أو أنه رحمه الله خشي أن نفهم أن المسلم ليس له ثواب إلا في الآخرة، وبالتالي فليس لأعماله ثمرات في الدنيا فنبهنا على هذا المعنى، ومما نأخذه بشكل غير مباشر من كلام الشيخ أن نستدل بالثمرات على صحة السير.

ترى بعض الناس قد جعل الله لهم القبول في قلوب البشر خذ مثلاً على ذلك حسن البنا رحمه الله والشيخ محمد الحامد رحمه الله، حسن البنا لا تجد أحداً إلا ويثني عليه حتى أعداؤه، والشيخ محمد الحامد رحمه الله كان يحترمه الكبير والصغير حتى من غير المسلمين، فهذا يطمئن قلوبنا إلى أن أمثال هؤلاء كالنووي والسيوطي وابن حجر إذا سار الإنسان على أثرهم مقتدياً بهداهم فهذا يؤنسه أن طريقه صحيح.

* * *

خلاصة الفصل

قدم لكل مسلم عامل الاحترام.

لا تيأس إذا تأخر الفتح.

إذا سئلت فوازن بين المصالح والمضار قبل أن تجيب.

لا تتحدث عن أسرارك مع الله إلا مع أهل ذلك.

إذا أكرمك الله بثمرة الأعمال فأبقِ قلبك معلقاً بالآخرة فهناك المكافأة الحقيقية.

استدل بظهور الثمرات الموعودة لأهل الولاية على ولايتهم وتمسك بهم.

فوائد :

١ ــبمناسبة الكلام عن الورد والوارد قال الشيخ ابن عباد : (الورد : عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة، والوارد : هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره، فالورد مأمن العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية، والوارد مأمن من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة، والورد أحق ما يعتني به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين : أحدهما : أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفانٍ بفنائها فينبغي للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فواتها إذ لا يمكنه خلف ما فات منها، والثاني : أن الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق

بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فإذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا).

٢ ــ بمناسبة قول الشيخ : (من رأيته مجيباً عن كل ما سئل...).

استدل الشرقاوي لما ذهب إليه المؤلف بالحديث الصحيح : (قال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله ﷺ جرابين من العلم أما أحدهما فبثثته للناس، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم).

الفصل السابع

قواعد وموازين يتعرف بها المريد على حاله

(إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما يقيمك * متى رزقك الطاعة والغنى به عنها، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة * خير ما تطلب منه ما هو طالبه منك * الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار * ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده * الرجاء ما قارنه عمل، وإلا فهو أمنية * مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية * بسطك كي لا يبقيك مع القبض، وقبضك كي لا يتركك مع البسط، وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه، العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل * البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح، والقبض لا حظ للنفس فيه).

مقدمة

يعطي الشيخ في هذا الفصل للمريد قواعد وموازين يتعرف بها حاله ومقامه ويعطيه ميزاناً يعرف به مقام الرجاء المشروع، ثم يعرفه على المطلب الأسمى للعارفين، ثم يبين حكمة تعاقب القبض والبسط على القلوب وأن البسط يحتاج إلى مزيد الأدب وأن العارفين يزداد خوفهم في البسط، وهذه كلها دقائق ينبغي أن يعرفها المريد في سيره إلى الله.

أعطانا قاعدة نعرف بها أين وصلنا، ثم عرفنا على أكمل المقامات، وأدبنا بعدد من الآداب : أدب في الدعاء، وأدب في الطاعة، وأدب في الرجاء، وأدب في البسط.

الشرح

(إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما يقيمك)، من أجل أن تتكامل إقامة هذه الحياة الدنيا أقام الله خلقه مقامات : فهذا أقامه في مقام المعرفة والمحبة، وهذا أقامه في مقام الخدمة، والذين أقامهم في مقام الخدمة أقامهم في مقامات متعددة : فهذا مقامه في الخدمة العامة، وهذا مقامه في الخدمة الخاصة، وهذا في الجهاد، وهذا في الإداريات، وكلهم إذا صحت نيتهم ــ بإذن الله عز وجل ــ سائرون إلى الله، ومن خلال العرض الذي عرضه لنا الشيخ في الفصل السابق عرفنا أن كل مسلم مسخَّر لما خلق له، والذين في طاعة الله عز وجل هم إلى خير بإذن الله عز وجل، وإن اختلفت مقاماتهم، ومن ههنا تأتي هذه الحكمة في هذا الفصل وكأنها ترد على جواب. فالإنسان يتطلع أن يكون مقامه عند الله هو المقام الأرقى والأعلى، وكأن سائلاً يسأل كيف أعرف مقامي؟ فالشيخ يجيب على هذا التساؤل :الطريق الذي تتعرف به على مقامك عنده أن تنظر أين مقامك، فإذا أقامك في مقام المعرفة والمحبة فهذا مقامك عنده، أقامك في مقام الزهد فهذا مقامك عنده، أقامك في الخدمة فهذا مقامك عنده، وقل مثل ذلك في الجهاد والتوكل والاكتساب والتجريد، ومن خلال ذلك يعرف الإنسان مقامه عند الله، لكن هذا وحده لا يعطينا الجواب الذي تتطلع إليه أنفسنا : هل الله راض عنا فيما نحن فيه؟ هذه قضية غيبية، لكن نستأنس لها ببعض المعاني وإن كان الخوف والرجاء يجب أن يبقيا في القلب باستمرار، ومع ذلك فقد أعطانا الشيخ الجواب على تتمة التساؤل بقوله : (متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة)، تعرف مقامك عنده بما سخرك له وأقامك فيه، ولكن هل أنت في المقام الأرقى؟ يدل على

ذلك هل أنت في طاعة وهل أنت لا تستغني بالطاعة عن الله وإنما تلتفت إلى فضل الله عز وجل، فإذا اجتمع لك طاعة وغنى بالله عن الطاعة، يعني أن تكون معتمداً على الله لا على طاعتك، « لا يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » أخرجه البخاري ومسلم، فمتى كنت في طاعة وكنت معتمداً على الله لا على الطاعة فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة فأنت في المقام الأرقى حيث كنت، وفي أي مقام وجدت، في مقام المحبة أو في مقام الخدمة العامة، ومن ههنا نفهم أن المقام الأعلى عند الله قد يكون لعابد أو قد يكون لزاهد أو لخادم خدمة عامة أو خاصة، وقد يكون...، العبرة في النهاية أن يكون الإنسان في طاعة، وأن يكون قلبه مستغنياً بالله عن الطاعة، وإذا عرفت مقامك فلا تنظر لمسلم يقيمه الله في طاعة بازدراء، ولا تنظر إلى نفسك أنك أرقى منه، فمتى استشعرت هذا المعنى دخلت في الكبر الخفي أو الكبر الظاهر أو الغرور والعجب.

وبعد أن أعطانا الشيخ هذا الميزان فإنه يؤدبنا بمجموعة من الآداب لها صلة بهذا الموضوع. وأول ما يؤدبنا به أدب في الدعاء، ونحن نعلم أن « الدعاء هو العبادة » أخرجه الترمذي بل هو « مخ العبادة »، للترمذي وهو ضعيف والأول صحيح، وعندما نعرف وظيفة المخ وأنه هو المنظم لآلية عمل الجسد والموجه فيها، ندرك أن الدعاء هو المنظم لعبادة الإنسان وهو الموجه فيها فعندما يقول الرسول ﷺ : « الدعاء هو العبادة »، فإنه يحصر العبادة في الدعاء.

وليس المراد أن لا توجد عبادة غيرها، فتلاوة القرآن عبادة والزكاة عبادة و...، لكن الدعاء له ميزة، ومن ثم حصرت العبادة لأن في الدعاء افتقاراً وطلباً ومعرفة، فعندما تمد يديك لله وتقول يا رب فهذه معرفة وهذا افتقار، فأنت بدعائك أقررت لله بالغنى وعلى نفسك بالافتقار، ومن مظاهر العبادة أن تعرف الله وأن تفتقر إليه، وأن تعرف غناه، والدعاء يحقق هذه المعاني كلها لذلك كان الدعاء هو العبادة فالدعاء من أعلى الطاعات ومن أرقاها، والصلاة في حقيقتها دعاء (سبحانك اللهم وبحمدك...) دعاء، الفاتحة دعاء، ركوعك وسجودك دعاء عملي، فالدعاء له وزنه في الإسلام والشيخ يعرفنا في هذا الفصل على أرقى أنواع الدعاء : (خير ما تطلب منه ما هو طالبه منك) عندما تطلب من الله حظوظ نفسك المباحة فأنت مأجور

وهذه عبادة، والرسول عليه الصلاة والسلام علمنا أن ندعو الله في أمورنا كلها حتى لو انقطع شسع أحدنا، فقد سنَّ لنا أن ندعو الله عز وجل من أجله، لأن المسلم في كل أحواله مفتقر إلى الله، والدعاء هو رمز الافتقار، ولكن عندما تطلب من الله أن يعينك على الصلاة والصوم والحج وعلى معرفته والقيام بحقوقه فهذا أرقى، وقد جاءت هذه الحكمة بعد قوله (متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، خير ما تطلب منه ما هو طالبه منك) وكأن الشيخ بذلك يلفت نظرنا أن أعلى ما نطلبه من الله عز وجل أن نسأله أن يرزقنا طاعته.

وبعد ذلك ينبهنا الشيخ على أدب آخر قال : (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامات الاغترار) من الناس من يقصر في الطاعة وهو غافل سادر، ومنهم من يقصر في الطاعة مع الأسى والحزن، فالأول وضعه سيئ والثاني وضعه أقل سوءاً، والوضع الأمثل أن يحزن الإنسان على فقدان الطاعة، وأن ينقلب حزنه عملاً، أما أن تحزن على الطاعة ولا تقبل على العمل فهذا من علامات الاغترار، فالشيخ يلفت نظرنا إلى أن المطلوب منك إذا فاتتك الطاعة أن تحزن عليها، وأن تسارع مباشرة إلى الخير، أحياناً يمتحن السائرون إلى الله بالمعصية وأحيانا بفقدان الطاعة، وقد يجد السالك نفسه في حالة من الفتور قال عليه الصلاة والسلام : « لكل عامل شرة ولكل شرة فترة » أخرجه الترمذي وأحمد، فالإنسان يتعاقب عليه نشاط وفتور وليس من سالك إلا وتمر عليه هاتان الحالتان وعليه أن يعرف كيف يتصرف في الحالتين، في حالة النشاط يتصرف بالجد الذي تطيقه نفسه، فلا يجهدها حتى لا يترتب على ذلك نوع من ردود الفعل، وفي حالة الفتور عليه أن يتحكم في نفسه فيحسن سياستها، ولكن لا بد أن يقيم الفرائض ويترك المحرمات، ثم بعد ذلك يحاول أو يعوض، قد يمتحن السالك بسلب طاعته فإذا وجده الله عز وجل قد حزن عليها أكرمه بها مرة ثانية، وإذا وجده لم يبال بها سلبه إياها. لذلك أدبنا الشيخ أن ينقلب حزننا على الطاعة مسارعة إليها، ثم يحدثنا الشيخ عن نقطة مهمة في السير إلى الله فمن ذُرىٰ السير إلى الله الوصول إلى المعرفة الذوقية بالله، لذلك كان من أعظم الألقاب التي تطلق على أبناء السير إلى الله لقب العارف بالله، فهو لقب رفيع في السير إلى الله وإن كانت المعرفة بالله تتفاوت من إنسان إلى إنسان. ففي الحديث : « إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا »، أخرجه بمعناه البخاري ومسلم، فكلمة وأعلمكم بالله دليل على أن هناك عالماً وأعلم، والرسول

ﷺ هو أعلم الخلق بالله، والمعرفة المقصودة هنا ليست المعرفة العقلية الفكرية فهذه يتساوى في بعض حيثياتها المسلمون.

لكن الإيمان القلبي هو الذي يتفاوت فيه الناس ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[1]، فكلما كثر النور في القلب ازداد اليقين، وبقدر ما يزداد النور في القلب تزداد المعرفة ومتى أصبح القلب نوراً أصبح الإنسان عارفاً بالله، وتختلف قوة الإضاءة، وبالتالي يختلف الناس في قوة المعرفة.

والشيخ يعطينا هنا تعريفاً للعارف (ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته، بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده).

بعض الناس يفهم أن علامة المعرفة بأن يصير الإنسان بحيث إذا دعا يستجيب الله دعاءه، وبعضهم يعتبر المعرفة أن يستشعر الإنسان قرب الحق ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾[2]. ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[3]. ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[4]، فإذا وصل السالك إلى الشعور بالقرب فقد وصل إلى المعرفة. يقول الشيخ رحمه الله : (ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب إليه من إشارته بل العارف من لا إشارة له لفنائه في وجوده وانطوائه في شهوده). المعرفة تقتضي منك استشعاراً. أقول استشعاراً حتى لا تخلط بين ما يجب الاعتقاد به وهو أنني موجود ومخلوق وأن هناك خلقاً وخالقاً. فإذا أنكر الإنسان الخلق أو الخالق كفر، وإذا أنكر أنه مخلوق كفر، وإذا أنكر وجوده كفر، فالكلام عن الاستشعار. فالعارف لا يستشعر وجوده لاستشعاره وجود الله، فهو يشهد الله شهوداً ينطوي فيه وجوده، هذه حالة يحس بها السائر إلى الله عز وجل فمتى أحس المسلم بهذا المعنى يكون قد وصل إلى المعرفة

---

(١) سورة الحجرات. (١٤).

(٢) سورة الواقعة: (٨٥).

(٣) سورة ق: (١٦).

(٤) سورة الحديد: (٤).

الذوقية، وهو أن تستشعر مقام الأولية، هو الأول والآخر، ومقام الأولية يقتضي أن لا تحس بوجوده أي لا تستشعر إلا بوجوده.

هناك فارق بين أن تنظر إلى الأكوان فتتذكر المكون وبين أن تستشعر صفات المكون فتتأمل من خلال ذلك الأكوان.

ثم بعد ذلك ينبهنا الشيخ إلى قضية هي : أن يبقى المؤمن في مقام الرجاء وفي مقام الخوف، فمتى وصل الإنسان إلى نوع من الأمن فلم يبق في قلبه خوف من الله فقد وقع والعياذ بالله في الضلال أو في المعصية ﴿ **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾[1]. فلا يجوز للإنسان أن يصل إلى حالة من الأمن من مكر الله وفي الوقت نفسه لا يجوز أن يصل إلى حالة اليأس ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[2] والرجاء المعتبر شرعاً هو ما رافقه عمل فإذا لم يرافقه عمل يصبح نوعاً من الأماني التي هي أقرب للأحلام كذلك الإنسان الذي يأمل أن يغير نظام العالم وهو قاعد. فالشيخ ينبهنا على أن الناس الذين يدعون الرجاء ولا يرافق رجاءهم عمل هؤلاء يعيشون على الأماني (الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية) والله تعالى يقول : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به** ﴾[3].

وبعد أن نهض الشيخ بهمتنا نحو العمل والطاعة والموافقة والقيام لله بالواجب حيث ما أقامنا، وبعد أن أعطانا تعريفاً للعارف فإنه يبين لنا أن أعظم ما يطلبه العارفون ــ وهو أرقى المقامات وأعلى التطلعات ــ هو مقام العبودية والقيام بحقوق الربوبية، فذلك الذي ينطوي فيه كل شيء وإذا وجد فقد وجد كل شيء (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية). وذلك هو المقام الأرقى، ولذلك وصف الله رسوله ﷺ في أرقى ما أعطاه وأعظم ما مَنَّ به عليه بوصف العبودية :﴿ **الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب** ﴾[4] ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾[5].

---

(١) سورة الأعراف: (٩٩).
(٢) سورة يوسف: (٨٧).
(٣) سورة النساء: (٢٣).
(٤) سورة الكهف: (١).
(٥) سورة الإسراء: (١).

ثم عرج الشيخ بعد ذلك على باب يغلط فيه كثيرون ويزل فيه كثيرون، هو باب القبض والبسط فكثيراً ما يظن السالك أن البسط هو المقام الأرقى وهو علامة القبول ربطاً بينه وبين الانشراح مع أنّ الانشراح باب آخر، فصحح الشيخ هذه المفاهيم مبيناً أن البسط والقبض يتعاقبان على القلب، وذلك من حكمته جل جلاله، فكما يتعاقب الليل والنهار والسراء والضراء ما دام الإنسان في هذه الدنيا، فكذلك يتعاقب القبض والبسط على القلوب، فمن رحمة الله أن جعل البسط يعقب القبض حتى لا يعيش المسلم في كرب دائم وهمٍّ لازم. (بسطك كي لا يبقيك مع القبض) ولكن البسط قد يستدعي الانطلاق واللامبالاة، وقد يوصل المريد إلى سوء الأدب في أقواله وأفعاله، ولذلك فإن العارفين يخشون من البسط، ثم إن استمرار حال البسط يتنافى مع التأديب على مقام العبودية والرضا عن الله حيث أقامك، لذلك كان من حكمته جل جلاله ألا يبقيك مع البسط (وقبضك كي لا يتركك مع البسط)، وقد يخرجك ربك من حالي القبض والبسط لينزلك منازل التسليم. وأخرجك عنهما كي لا تكون لشيء دونه، والعارفون يخشون البسط أكثر من القبض لخوفهم من سوء الأدب في البسط، ولأن في البسط حظاً للنفس وكل ما كان للنفس حظ فيه فهو مظنة المحاسبة ولذلك قال الشيخ : (العارفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا، ولا يقف على حدود الأدب في البسط إلا قليل البسط، تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ لنفس فيه).

* * *

خلاصة الفصل

حيثما أقامك الله فأدبك الرضا ما دمت في طاعة الله معتمداً عليه، فالعارف هو الذي يستغرقه التسليم في هذا المقام. أما إذا كان في معصية أو في اعتماد على العمل فإنه يفر من ذلك إلى الله ثم إلى طاعته.

فوائد

١ ـــ بمناسبة قول المؤلف : (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إليها من علامة الاغترار).

قال ابن عجيبة : (تنبيه) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : من لم تطاوعه نفسه على النهوض إلى الطاعات وأخلدت إلى أرض الشهوات فدواؤه في حرفين، الأول : أن يعلم منة الله عليه بالهداية للإسلام ومحبة الإيمان فيشكر الله عليها ليحصن بقاءها عنده، الثاني : دوام تضرعه وابتهاله في مظان الإجابة قائلا يا رب سلم سلم وإن أهمل هذين الأمرين فالشقاوة لازمة له أهـ.

٢ ـــ بمناسبة قول الشيخ : (الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية) قال ابن عباد : (فهو أمنية) أي فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو أمنية واغترار بالله تعالى، ويقال أيضاً : رجاء كاذب قال تعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلْف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا** ﴾[1] والخلْف : الرديء من

(١) سورة الأعراف: (١٦٩).

الناس، وقال ﷺ: « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ».

٣ ــ وبمناسبة الكلام عن البسط والقبض قال ابن عجيبة: (ومن) آداب البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصاً جارحة اللسان، فإن النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فربما تنطق بكلمة لا تلقي لها بالاً فتسقط في مهاوي القطيعة بسبب سوء أدبها، ولذلك كان ببسط مزلة أقدام، فإذا أحس المريد بالبسط فليلجم نفسه بلجام الصمت وليتحل بحلية السكينة والوقار، وليدخل خلوته وليلتزم بيته، فمثل الفقير في حالة البسط والقوة كَقِدْرٍ غلى وفار فإن تركه يغلي إهراق إدامه وبقي شاحتاً، وإن كفه وأحمد ناره بقى أدامه تامّاً، كذلك الفقير في حالة القوة والبسط يكون قويّاً وقلبه مجموعاً فإذا تحرك وبطش وتتبع قوته برد ورجع لضعفه وما ذلك إلا لسوء أدبه، والله تعالى أعلم.

٤ ــ بمناسبة الكلام عما يعجل الله لعباده من جزاء في الدنيا قال ابن عجيبة: والذي عجل له سبحانه في هذه الدار (أمور) منها: ما يدفع عنه من المضار ويجلب له من المنافع والمسار، لقوله تعالى: ﴿ **وهو يتولى الصالحين** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾[3] وقد يتعدى ذلك إلى عقبه كما تقدم (ومنها) ما يشرق عليه من الأنوار ويكشف لقلبه من الأسرار وهي أنوار التوجه وأنوار المواجهة. قال تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾[4]. وهو نور يفرق بين الحق والباطل، وقال تعالى: ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ **الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾[6] ويخرجهم من ظلمة الكفر

---

(١) سورة الأعراف: (١٩٦).

(٢) سورة الطلاق: (٢ ــ ٣).

(٣) سورة يونس: (٦٢).

(٤) سورة الأنفال: (٢٩).

(٥) سورة البقرة: (٢٨٢).

(٦) سورة البقرة: (٢٥٧).

إلى نور الإيمان، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة، ومن ظلمة الغفلة إلى نور اليقظة، ومن ظلمة الحس إلى نور المعنى، أو ظلمة الكون إلى نور المكون (ومنها) التوفيق والهداية لها (ومنها) ما يرد على قلبه حال عملها من المؤانسة به والقرب له.

* * *

الفصل الثامن

التعرف على الله والفهم عنه

(وربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك * متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء * الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة. فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها * إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزّن بعز يفنى * الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك * العطاء من الخلق حرمان، والمنع من الله إحسان * جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة * كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً، كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته * مَنْ عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه، فما قام بحق أوصافه * متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك، إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه * ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول معصية أورثت ذلا وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً * نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد * فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك منها، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض * خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك، وترد فيه إلى وجود ذلتك * متى أوحشك من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، متى أطلق

لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك * العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره، أنار الظواهر بأنوار آثاره، وأنار السرائر بأنوار أوصافه؛ لأجل ذلك أَفَلَتْ أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر، ولذلك قيل :

إن شمس النهـار تغـــرب بالليـــ ـــل وشمس القلوب ليست تغيب

ليخفف ألـم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عوّدك حسن الاختيار * من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره).

مقدمة

التعرف على الله وأفعاله والفهم عن الله في المنع والعطاء هما لباب هذا الفصل، فمن خرج منه بهذا وهذا فقد خرج بشيء، فالعارف بالله يأخذ من كل شـيء درساً، ويفهم عن الله بإذنه في كل ما يجري له أو يجري عليه، ويتعامل مع الفهم كما تقتضيه الشريعة فلنر دقائق هذا الفصل.

الشرح

السالك طالب معرفة وطالب فهم عن الله، بينما أهل الغفلة لا شيء يذكرهم بالله إلا إذا جاءت أزمة أو هزة، أما صاحب القلب الذاكر العارف فكل شيء يزيده معرفة بالله، ويمتش أن يكون هو المراد في النعمة والنقمة، فيشكر ويتوب فهو يتعامل مع الله تعاملاً مباشراً في أمره كله، بفطنته إلى بواطن الأمور وأن الله هو الظاهر والباطن. فظاهر العارف يتعامل مع المخلوقات لكنه في الحقيقة يقظ القلب على أفعال الله. فهو دائم الفهم عن الله حيثما أقامه الله، ولله في الكافر سنن، ولله في المنافق سنن، ولله في أهل الإيمان سنن، قد نجد المنافق لا يبتليه الله فيبقى طيلة حياته وهو يشعر بالنعمة والرفاهية، والكافر نفس الشيء،﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون** ﴾[1]. والمؤمنون لهم معاملات وعطاءات والحديث الشريف الصحيح يقول : «لو كان الإيمان بالثريا لناله رجل من أبناء فارس » أخرجه مسلم ﴿ **كُلاً نُمِدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾[2].

والذي يسير في طريق المعرفة له عطاءاته فالله يكرمه بأنواع من الكرامة، وعندما يتوجه الإنسان للجهاد أو الخدمة العامة أو لإعمار الدنيا على مقتضى الشريعة إذا صحت نيته يكرمهم الله بسبب نيتهم وعملهم، والشيخ يلفت النظر إلى أنك إذا سرت في طريق المعرفة قد يقيمك الله مقامات لكي تفهم عن الله فيعطيك الفهم

(١) سورة الزخرف: (٣٣).

(٢) سورة الإسراء: (٢٠).

معرفة، يقول الشيخ : (ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء) يقولون : (المحنة في المنحة والمنحة في المحنة)، عندما يفهم الإنسان عن الله في المنع والعطاء يكون المنع والعطاء عطاء، عندما تفهم عن الله فيما أعطاك فتعرف اسمه المعطي في عطائه، وعندما تعرف الله بالمنع وتعرف حكمة المنع فالمنع في هذه الحالة في حقك عطاء، فكل شيء يزيد السالك معرفة بالله فهو عطاء، سواء كان هذا الشيء قبضاً أو بسطاً، منعاً أو عطاءً، فمتى انفتح باب الفهم عن الله فكل شيء يكون عطاء (ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء) فإذا فهمت في المنع عن الله يكون هذا الفهم هو العطاء، والسالك إلى الله يصبح كل شيء مُعَلِّماً له، فكل ذرة وكل حركة وكل شيء يزيده علماً ومعرفة وفهماً عن الله، وهذه من أهم الأمور التي تحدث للسالك ببركة السلوك إلى الله. ثم بعد ذلك يقول الشيخ (الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها) جعل الله هذه الحياة الدنيا زينة وبهجة للنفس، فعندما تنظر النفس إلى زينة الحياة الدنيا تفتنها، وعندما ينظر القلب المؤمن إلى حقيقة الحياة الدنيا فإنه يرى أفعال الله فيها، وعندما ينظر إليها بعين البصيرة القرآنية يجدها فتنة، إن الله تعالى من أسمائه الظاهر ومن أسمائه الباطن، فعندما تنظر للدنيا بعين القلب فإنك ترى فيها آثار الله وتتعرف بذلك على أسمائه عز وجل، فإذا غفلت فلم تنظر إلى الدنيا بعين قلبك وإنما نظرت إليها بنفسك وشهواتها فتنتك، وكأن الشيخ ينبهك أنك عندما تنظر إلى الأكوان فتغتر فلا زلت تنظر بعين النفس، وإذا نظرت إلى الأكوان فاعتبرت فأنت تنظر بعين القلب، فههنا طلب وميزان.

ثم يقول الشيخ : (الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك).

إن فكرة الطي التي ينبغي أن يطمح لها السالك ليست هي طي المسافات لأن الإنسان مبتلى بعالم الأسباب بل عليه أن يتطلع إلى الطي الحقيقي وهو أن يستشعر قرب الآخرة، هذا هو المطلوب، وهذا هو الحال الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كانوا يعيشون في أجواء الآخرة وحديث حنظلة الذي كررناه أكثر من مرة يشير إلى هذا المعنى « فيذكرنا بالجنة والنار فكأنا رأي عين » أخرجه مسلم فهذا الذي يجب أن يحرص عليه السالك وهو أن يطوي هذه الدنيا ويعيش في أجواء

الآخرة ومن ههنا يعتمد أهل السلوك فكرة التأمل اليومي، وفكرة المحاسبة اليومية وفكرة المرابطة الأخروية، فالمريد قبل أن يبدأ ورده يتأمل فيما سيمر عليه من وفاة وكيف أنه سيغسل وينزل إلى القبر، وكيف أن القبر في حقه إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وأن أهل الإيمان تكون نسمتهم في الجنة وخاصة الشهداء ويتأمل بعد ذلك الحياة التي سيقضيها في عالم البرزخ ما بين وفاته وما بين قيام الساعة، ثم يتذكر قيام الساعة والحشر والنشر والحساب ثم الميزان ثم الصراط حتى يصبح أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة وهو لا يدري مصيره، وفي هذه التذكرات يبدأ ذكر الله فيدخل على الله بالدعاء والاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ والتسبيح والتهليل.. فأهل السلوك من همومهم أن يطووا الدنيا ويعيشوا في أجواء الآخرة، ومن ههنا يقول الشيخ : (الطي الحقيقي أن تطوي مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك) فهذا ما ينبغي أن يحرص المريد عليه وأن يطوي الدنيا لصالح الآخرة.

وفي هذا السياق يقول الشيخ : (إن أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى) من أعمق القضايا في النفس البشرية حب الرياسة وحب الظهور لذلك درج على لسان أهل السلوك إلى الله : (آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة) فمهما تخلص الإنسان من أمراضه يبقى حب الرئاسة موجوداً حتى يكون آخر شيء يخرج من قلب الصديق. إنه ليس هناك أعمق في النفس البشرية من حب التسلط، وحب الرئاسة، وحب الجاه، لأن هذا الموضوع له علاقة بأصل خلق الروح، فالله خلق آدم على صفته فالله سميع وخلق للإنسان سمعاً، ومريد وخلق عند الإنسان الإرادة، والله له الأسماء الحسنى وخلق عند الإنسان استعداداً للتطلع لبعض الأسماء، فمن أسمائه الأول والإنسان عنده تطلع لأن يكون الأول في كل شيء، ومن أسمائه الآخر، والإنسان عنده تطلع للخلود؛ لذلك نرى أن الشيطان أتى آدم من هذه الناحية ﴿ **فتكونا من الخالدين** ﴾[1] والمسلم مطالب أن يأخذ من أسماء الله على مقتضى العبودية، وهناك أسماء لا يجوز أن يقربها لاختصاصها بالربوبية مثل العظمة والكبرياء فالحديث القدسي الصحيح يقول : « العظمة إزاري والكبرياء

---

(١) سورة الأعراف: (٢٠).

ردائي فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار »، أخرجه أحمد بن حنبل وأبو داود وابن ماجه، فهناك أسماء تليق بالربوبية فقط لكن هناك أسماء يحق لك أن تأخذ منها على مقتضى العبودية مثل الكرم والرأفة والرحمة المهم أن حب الرياسة والجاه والتصدر عميق في النفس البشرية لارتباطه بأصل خلق الروح، واستعداداتها وتطلعاتها ومن ثمّ فلا بد للإنسان أن يجاهد نفسه في هذا الموضوع على مقتضى الشريعة. ويلاحظ في الشريعة أن طالب الولاية لا يولى، فطلب الرئاسة من الخطورة أنه يحتاج لبتر ومن بتره في المجتمع الإسلامي أنه متى ظهرت عند الإنسان مثل هذه الطموحات والرغبات يحرم من ذلك لأن القضية خطيرة في آثارها وفي الطرق التي يركبها أصحابها من أجلها، إن المسألة من العمق في النفس البشرية حتى جعل بعض أرباب السلوك يقولون بأن حب الرئاسة لا يخرج من القلب أبداً، والخروج الذي يذكره بعضهم ليس هو الزوال وإنما هو خروج نوع من أنواع حب الرئاسة من القلب، لكن يبقى حب الرئاسة موجوداً، فهناك رئاسة مذمومة ورئاسة محمودة، فالمحمودة هي التي أشار إليها بقوله : ﴿ **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1] فالمسلم عنده رغبة بأن يكون مأموماً وإماماً للمتقين للأجر عند الله، فالرئاسة المحمودة هي التي يريد بها صاحبها وجه الله والأجر، فإذا كان حب الرياسة من هذا النوع فلا خطر فيه، فالرئاسة التي تخرج من قلوب الصديقين هي الرئاسة الدنيوية التي يريد بها الإنسان أن يظهر ويستعلي على خلق الله، والشيخ يلفت نظرنا إلى هذه القضية لنتحرر منها فيقول : (إذا أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى).

لماذا يطلب الإنسان الرياسة؟ يطلبها للعزة فالله سبحانه يقول : ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً** ﴾[2] فأي عز ينبغي أن يكون محل نظر السالك؟ هل العز الدنيوي الذي يفنى أو الأخروي الذي لا يفنى؟ المفروض أن يكون نظر السالك إلى العز الذي لا يفنى وهو العز الأخروي، أما الجانب الثاني فالمفروض أن لا يكون محل تفكير لكن إذا وضعه الله في مقام فعندئذ عليه أن يقوم بحق هذا المقام لله وفي الله، هناك فارق بين أن يكون نظري للجاه والعز والدنيا وبين أن يضعني الله في مقام دون طلب مني ففي هذه الحالة أدبي أن أقوم بحق الله في هذا المقام ومن كلامهم

---

(١) سورة الفرقان: (٧٤).

(٢) سورة فاطر: (١).

(عبد الظهور عبد الظهور، وعبد الخفاء عبد الخفاء، وعبد الله عبد الله، أظهره الله أم أخفاه) هذا هو المقام الأرقى أن تسلم لله فيما أقامك وتقوم بحق الله مع توجيه قلبك للآخرة وتجاهد نفسك عند أي تطلع للعز الدنيوي فإذا أكرمك الله بشيء مما يعتبره الناس عزاً دنيوياً فقم بحق الله عز وجل فيه وأنت مأجور ما صحت نيتك.

وبعد ما مر يرجع الشيخ إلى فكرة العطاء لأن هده القضية من أهم القضايا المؤثرة في حياة الإنسان، فالعطاء والمنع يؤثران في قلب الإنسان، وكثير من الناس يفهم عن الله فهماً خاطئاً إذ يرتبط في أذهانهم أن العطاء علامة الكرامة وأن المنع هو علامة الإهانة ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن** ﴾[1]، هذا المعنى عميق لذلك صححه القرآن فالله عز وجل قد يمنع أحب الخلق إليه عن الدنيا وقد يعطي أبغض الخلق إليه كل شيء من متاع الدنيا فليس العطاء الإلهي الدنيوي علامة الكرامة وليس المنع علامة الإهانة أما في الآخرة فالعطاء علامة الكرامة والمنع علامة الإهانة.

يقول الشيخ (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان) لو منعك الله من شيء ينبغي أن تعرف أن منعه كرامة لك ما دمت مسلماً مؤمناً فما فعل الله بك فهو إحسان إليك، وبهذه المناسبة ذكر الشيخ أن عطاء الخلق في كثير من الأحيان ظاهره عطاء وباطنه حرمان كأن يوصلك عطاء الخلق إلى معنى خاطئ فمثلا لو أعطاك إنسان فاجر عطاء فقد يترتب على عطائه محبة له في قلبك، هذه المحبة هي حرمان دنيوي وأخروي للسالك، أما منع الله فهو في كل الأحوال إحسان، وبمناسبة الكلام عن المنع أراد أن ينبهنا إلى أن بعض الناس يتصورون أن الله لا يجازي إلا في الآخرة وهذا خطأ، فالله يعطيك جزاء مباشراً وجزاء أخروياً، لكن عليك أن تفهم معنى الجزاء المباشر خذ مثلاً : إن وجودنا واستمرارنا من الله، فإذا نظرنا لهذه النقطة فقط نعرف أنه عندما يقبل أحدنا على الله فإن الله يكرمه بشكل مباشر على الخير، فهناك كرامة مباشرة وكرامة أخروية هذا تصحيح لتفكير بعض السالكين، لأن بعضهم يتصور أن الجزاء في الآخرة فقط هذا نوع من الغفلة فلو كنت تعرف عطاء لعرفت أنك في كل لحظة في عطاء من الله « من تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً

(١) سورة الفجر: (١٥ ــ ١٦).

ومن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخاري وأحمد. فالله عز وجل يكرمك باستمرار ويقابل ما تفعله بخير منه ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[1]، وعنده بعد ذلك المزيد في الآخرة.

يقول الشيخ : (جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة) ثم ضرب لنا مثلاً على المجازاة المباشرة قال : (كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً. كفي العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته). فالأنس الذي يعطيك الله إياه نوع من أنواع المجازاة التي يجازي بها الله المحسنين من عباده في الدنيا قبل الآخرة، فإذا عرفنا أن السعادة مبناها القلب عرفنا قيمة الأنس، وكأن الشيخ يفترض أن يفهم الإنسان فهماً خاطئاً فيحترس مما مر بعبارة تصحح المفهوم الذي يمكن أن يخطيء فيه بعضهم بسبب عبارته السابقة، فيصبح السالك يطلب بعمله جزاء مباشراً فهناك فارق بين أن تطلب الإكرام الدنيوي وبين أن تعتقد أنك تفعل الخير ولا يجازيك الله عليه إلا في الآخرة. فالنقطة الثانية هي التي يصححها الشيخ، أما الأولى فلا يصح أن تكون محل بحث، فعليك أن تقصد في أعمالك وجه الله وأن تكون تطلعاتك في عبادتك إخلاص العبادة لله عز وجل لذلك يقول الشيخ : (من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه)، هذه قضية مهمة وفيها كلام للعلماء والفقهاء والصوفية وبعضهم يفهم عبارة الشيخ فهماً خاطئاً، وقد يصل الفهم الخاطىء عند بعضهم إلى الكفر، المسلم يعبد الله قياماً بحقوق الربوبية، ويعبده خوفاً من ناره، وطمعاً في جنته، هذا هو الأصل الذي تقوم عليه كل التربية القرآنية، فلو أن إنساناً عبد الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته فلا شك أن ذلك جائز شرعاً؟ ومن شك في ذلك فقد كفر. لكن لو لحظ العابد في عبادته أنه يعبد الله لصفات جلاله وصفات جماله وصفات الجلال تقتضي خوفاً وصفات الجمال تقتضي عشقاً ومحبة ورجاء فهذا المقام أرقى من أن يلحظ العابد الجنة والنار والعقوبة والمثوبة ﴿ ....**يريدون وجهه**.... ﴾[2] فالمسألة تدور بين راق وأرقى فالشيخ ينبهنا على هذا، فلا يفهم أحد أن الذين يعبدون الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته أن مستواهم مُتَدَنٍّ، هذا

---

(١) سورة سبأ: (٣٩).

(٢) سورة الأنعام: (٥٢).

الكلام لا يصح لأنه مقام ندبنا إليه القرآن، لكن الأرفع منه أن تعبد الله لجلاله وجماله جل جلاله هذا ما ينبهنا عليه الشيخ (من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافة) فقيام الإنسان بحق الأوصاف يقتضي أن يعبده ملاحظاً صفاته جل جلاله.

ثم يعود الشيخ مرة ثانية ليكرر قضية المنع والعطاء قال : (متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه إليك) فالمنع له حكمة وهي مرتبطة بقضية التعرف على الله، والعطاء له حكمة وهي مرتبطة بقضية التعرف على الله فالإنسان إذا تعرف على الله من خلال المنع أو العطاء يكون على كمال، وبالتالي يكون المنع في حقه كمالاً، فالعطاء أثر من آثار بره والمنع من آثار قهره ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾[1] فعندما يمنعك يعرفك على ذاته بأنه القهار، وعندما يعطيك يعرفك على جماله بأنه المعطي وبأنه البر وبأنه الكريم، وفي كل الأحوال فهو يتعرف عليك في ذلك فإذا استفدت من المنع أو العطاء معرفة فأنت في كلا الحالتين في خير عظيم يقول : (متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو في كل ذلك متعرف إليك ومقبل بوجود لطفه عليك) ثم يقول : (إنما يؤلمك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) يتألم الإنسان من المنع لعدم معرفته بالحكمة في المنع، لكن لو عرف الحكمة من المنع فإن المنع يصبح عطاء فيكون القلب سعيداً، ثم يتبهنا على معنى دقيق إنه يعطيك الطاعة ولا يعطيك القبول، ومن ههنا فإن على الإنسان أن يتعامل مع الله في مقامي الخوف منه والرجاء له، ويحاول أن يصحح نيته ويراقب قلبه، فإنما تخلو الطاعة من القبول إذا كانت خالية من الإخلاص والتوحيد أو إذا رافقها عجب واستكبار ﴿ **إنما يتقبَّل الله من المتقين** ﴾[2].

وقد يحدث أن يوقع الله الإنسان في معصيته فإذا أورثت عنده نوعاً من التواضع والانكسار والافتقار إلى الله فقد يأخذ الله بيده ليكون من كبار أوليائه. فأهم شيء في العطاء سواء كان عطاء دنيوياً أو أخروياً، وفي المنع سواء أكان دنيوياً أو أخروياً أن نتعرف بهما على الله. يقول الشيخ : (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك

---

(١) سورة الأنعام: (١٨).

(٢) سورة المائدة: (٢٧).

باب القبول، وربما قضى عليك بالذنب فكان سبباً في الوصول ربّ معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً)، نظرة أهل الله للأشياء تختلف عن نظرة العامة، العارف بالله يستشرف الحاضر والماضي والمستقبل ويهمه وقته والنجاح فيه، وينظر إلى الإنسان في آخر ما هو عليه، أما العامي فيحاسب على الفعل قبل سنين، وقد يكون الإنسان الذي فعل المعصية قد تاب منها مباشرة وأصبح من أولياء الله ومع ذلك لا ينساها، أما العارف فلا توجد عنده تلك النظرة التي يتعامل بها مع خلق الله، ولكنه في هذا الوقت نفسه لا يخدع، المهم أن أهل الله ينظرون بعين الحكمة وبعين الحقيقة وبعين الرحمة إلى الخلق كأثر من آثار معرفة الله.

بعد ذلك يقول الشيخ مبيناً أن الخلق في كل الأحوال في نعمة : (نعمتان ما خرج موجود عنهما ولابد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد) فما من مخلوق إلا وأوجده الله ابتداءً وهو الذي يمده وإنما تستمر الأشياء بإمداد الله فلولا إمداده لتلاشى كل شيء مباشرة، واستشعار الإنسان لهذا هو الذي يسمى الفناء في الأفعال، فالأشياء كلها صادرة عن الله لا بمعنى أنها صدرت في الماضي فقط ولم يعد لله علاقة بها بل صدرت من الله ابتداءً واستمرارها بالله، وكأثر من هذا الشعور يستشعر الإنسان الافتقار إلى الله ومن ههنا يقول الشيخ : (فاقتك لك ذاتية وورود الأسباب مذكرات لك بما خفي عليك والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) فالشعور الذي ينبغي أن يسْتقر في قلبي وأن يلازمني هو شعور الافتقار إلى الله في كل حال ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد** ﴾[1]، فما دام استمرار وجودي بالإمداد الإلهي فالمفروض أن يكون عندي افتقار لله وعلامة الافتقار الدعاء والطلب من الله في كل الأحوال فالله عز وجل غناه ذاتي وأنا فاقتي ذاتية وعالم الأسباب مذكر لي بفاقتي، فإذا منعني الله فهذا تذكير لي بأني فقير والله هو الغني، وعندما يعطيني الله فهذا تذكير لي بأن العطاء عطاؤه قال : (والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض)، (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذلتك متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به). الكلام له علاقة في قضية المنع والعطاء، فبعدما قال لنا إن فاقتك أيها الإنسان لله ذاتية والله غناه

---

(١) سورة فاطر: (١٥).

ذاتي، قال : أعظم المقامات وأرقاها أن تستشعر فاقتك، وأي لحظة تكون أكثر استشعاراً للفاقة؟ عندما تكون من الله في مقام المنع وعندما تكون من الخلق في مقام الإيحاش في هذه اللحظة تكون مستشعراً لفاقتك فعلاً، فإذا أقامك الله في هذا المقام مقام المنع من ناحية والوحشة من خلق الله، أو جعل الخلق يعرضون عنك فهذا المقام بالنسبة لأهل الغفلة غاية في العذاب لكنه بالنسبة للسالك إلى الله مذكر ومعرف على الله، فالسالك يستأنس بالله بسببه وذلك من أحسن الأحوال يقول الشيخ : (خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وترد فيه إلى وجود ذلتك متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به) إذاً فالعارف بالله نظرته للأمور مختلفة، كثير من الأشياء التي تؤلم الناس تفرحه إذا فهم عن الله فيها وكثير من الأشياء التي ظاهرها محنة هي في حقه منحة وكثيراً ما يفرح بما يظنه الناس ألماً، وبعض القضايا يظن الناس أنها شر في حق طالب الله وبالتالي يشتمون به ويكون هو فرحاً بها لأن طالب الله لا يهمه نظرة الخلق بل يهمه رضوان الخالق، وبمناسبة الكلام عن الفاقة نصل إلى الموضوع المرتبط بها: ماذا ينبغي أن يترتب على ذلك من الناحية العملية؟ يترتب عليه كثرة الدعاء والإلحاح على الله عز وجل فيه، فالعارف بالله كثير الطلب ولذلك فإن الشيخ يؤدبنا أدبين، الأدب الأول : هو الدعاء، والأدب الثاني : الثقة بالله ولذلك قال : (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك)، ثم قال : (العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) من صفات العارف : أنه مضطر لله باستمرار فشعوره الدائم المستمر هو شعور المضطر، الذي لا يطمئن لغير الله، ليس عنده اطمئنان لا لموقع ولا لحال ولا لشيء إلا لله فقراره بالله واضطراره إلى الله، ثم قال الشيخ : (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه) قال تعالى : ﴿ **فانظر إلى آثار رحمة الله** ﴾[1] فالمطر من آثار رحمة الله وما يكون بسبب المطر هو من آثار رحمة الله وكل هذا الكون إنما هو آثاره في الحقيقة، فمن آثاره الشمس والقمر والنجوم فهذه كلها من آثاره لها طبيعة التنوير لكن تلحظ فيها الغروب، فكل شيء أناره الله بآثاره إنما هو متغير.

---

(١) سورة الروم: (٥٠).

فأنت ترى نور النهار لكن الشمس تغيب في النهاية. يقول الشيخ : إن ما نوره الله بآثاره يطرأ عليه الأفول فيتبدل بسبب ذلك النور بالظلمة لكن هناك نوع من التنوير يكون بصفات الله عز وجل، هذا النوع من التنوير الذي ينور الله به قلوب عباده دائم ومستمر فاحرص أيها السالك على التنوير بالصفات، فالشيخ يقول : (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه) أي القلوب ينيرها الله بأنوار صفاته فبقدر ما يستنير القلب يكون عنده استشعار لصفات الله عز وجل. والرسول ﷺ كان إذا قام من الليل دعا، ومن الدعوات التي حفظت عنه ما ذكره ابن عباس : « اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً واجعل لي نوراً » رواه البخاري وفي رواية لمسلم « واجعلني نوراً ».

فالحالة الكاملة للإنسان هي أن يصبح هذا الإنسان نوراً خالصاً وذلك لا يكون إلا إذا أصبح قلبه كله نوراً خالصاً ومتى حدثت هذه الحالة فإن القلب لا يبقى عنده ظلمة ولا غروب، وهذه الحالات الراقية كلها يحسها السالك إلى الله إحساساً إذا استمر في ذكره وطاعته وعبادته لله وفي صحبته لأهل الله عز وجل يقول الشيخ : (أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب ولذلك قيل إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب). وبعد أن تحدث في هذا الفصل عن قضية المنع والعطاء والمحنة والمنحة قال : (ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك) كما يقول المثل العامي : (ضرب الحبيب زبيب). فعندما يكون عند السالك محبة وعشق للذات الإلهية فمهما ابتلاه الله عز وجل فهو فرح ويسأل الله العافية. ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو الذي ابتلاك فمتى علم الإنسان بأن الله هو الذي ابتلاه وهو أولى بالمؤمن من نفسه استراح قال تعالى: ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[1] فإذا كان النبي أولى بالمؤمنين فمن باب أولى أن يكون الله أولى بنا من أنفسنا فهو أرحم الراحمين، فمتى عرف الإنسان أن الذي ابتلاه هو الله فذلك يخفف عنه ألم البلاء قال : (ليخفف ألم البلاء عليك علمك

---

(١) سورة الأحزاب: (٦).

بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار، من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره)، لا ينفك اللطف الإلهي عن القدر في حق المؤمن، فمن أسمائه اللطيف فلا ينفك لطفه عن قدره فمهما عرفنا أن الله قدر فعلينا أن نعرف أن الله لطيف وبالتالي لا انفكاك ما بين اللطف والقدر لأن اللطيف من أسمائه والقادر من أسمائه وهو الذي قدّر جل جلاله. فعندما يعرف المسلم هذه الحقيقة أن القدر لا ينفك عن اللطف يكون مستريحاً لقدر الله مطمئناً لمواقع القدر في حقه وفي حق إخوانه وفي حق المسلمين جميعاً.

فوائد

١ ـــ بمناسبة الكلام عن جزاء الطاعات قال ابن عباد : (ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به، ويتصور ذلك في أكثر الأعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الأمر، قال بعض العارفين : ليس شيء من البر إلا ودونه عقبة يحتاج إلى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم).

٢ ـــ بمناسبة قول الشيخ (معصية أورثت ذلاً وانكساراً...) قال ابن عباد : (وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » وذلك أنه يصحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويصحبه عند وقوعه في الذنب اللجوء إلى الله تعالى والاعتذار إليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله).

٣ ـــ بمناسبة قول الشيخ (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به)، قال ابن عباد : (فتح باب الأنس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس، ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس فإذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الأغيار كلها وتحققت في أنسك بربك، ومعنى الوحشة منها أن تشمئز بقلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للأشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعاً لك).

٤ ـــ وبمناسبة قول الشيخ :

(ليخفف ألم البلاء عليك علمك أن الله هو المبلي لك)، قال ابن عباد : (ليخفف ألم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلي لك فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار) إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر إليه فكل ما يورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغي له أن لا يكترث بذلك ولا يباليه، فإنه لم يتعود منه إلا خيراً له فليحسن به ظنه وليعتقد أن ذلك اختيار له وأن في ذلك مصالح خفية لا يعلمها إلا هو كما قال الله تعالى : ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم** ﴾[1] قال أبو طالب المكي في هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة).

* * *

(١) سورة البقرة: (٢١٦).

الفصل التاسع

تعظيم الربوبية وامتثال أمر الله في الظاهر والباطن

(لا يخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك * سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية * لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك * متى جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره، فقد أعظم المنة عليك * ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه).

مقدمة

هناك معلومات عن الدين بالضرورة فهذه لا يسع المسلم إلا أن يؤمن بها ويبني عليها.

وهناك الحكم الشرعي المجمع عليه فهذا لا يسع المسلم إلا أن يكون عليه.

وهناك الحكم الشرعي المختلف فيه بين أئمة الاجتهاد فهذا الذي يسع المسلم أن يكون فيه على وجهة إمام مجتهد.

وهناك الأمر الملتبس الذي يختلج فيه الضمير وليس عند المسلم رأي عليم فيه فهذا الذي ينظر فيه المسلم إلى الأقرب إلى الهوى فيخالفه.

قد يخص الله أضعف خلقه بخصوصيات، وخصوصيات الله كثيرة وكبيرة، فلا يمنعك ثوب البشرية عن أن تعرف لصاحب الخصوصية خصوصيته.

ليس هناك أظهر في تعظيم الربوبية من العبادة والعبودية، ففيهما كمال الإنسان، وهما بابا الولوج للرضوان وبهما يستجلب الإنسان الرحمة واستجابة الدعاء فإذا تأخرت الإجابة ففتش عن الأدب مع الله أو مع خلقه، أي فتش عن عبوديتك وعبادتك.

علامة الخصوصية امتثال الأمر في الظاهر والتسليم لله في الباطن، فكن كذلك لتكون من أهل الخصوصية وعليك أن تعلم أن الخصوصية لإنسان لا تعني التخلص من حظوظ النفس.

هذه تقريباً أمهات المعاني التي نخرج بها من هذا الفصل.

الشرح

يقول الشيخ : (لا يخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك إنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) هذه النقطة من النقاط التي لا بد للمسلم أن يعرفها وأن تكون واضحة لديه. فالله عز وجل جعل شريعته واضحة وجعل الطريق إليه كذلك، فالإنسان الذي يعيش في بيئات العلم، والذي يعرف كيف يأخذ الفتوى عن أهلها ويجاهد نفسه ويحملها على الحق، مثل هذا الإنسان لا يضل إنما يأتي الضلال من سير الإنسان وراء أهوائه، والهوى هو الشي الذي يقابل العقل ويقابل الدين، فعندما يتغلب الهوى على العقل أو يتغلب على الدين ففي هذه الحالة يدخل الإنسان دائرة الخطأ أو دائرة الضلال والعياذ بالله، قال رسول الله ﷺ : « إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب » رواه البخاري ومسلم.

ففي شريعتنا حلال واضح وحرام واضح وعندنا قضايا ملتبسة مشتبهة، هذه القضايا المشتبهة يخير المسلم فيها بين أمرين : إما أن يتورع، وإما أن يتابع أقوال الأئمة المجتهدين والعلماء العاملين، فإذا سأل أهل العلم في هذه القضايا المشتبهة وسار على ما يقوله أهل الفتوى المعتمدون فهو إن شاء الله على سلامة، وإذا تورع فلم يقرب هذه الأشياء التي فيها التباس فهو في سلامة إن شاء الله، والله عز وجل يقول :

﴿ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون ﴾[1] فالله بعد إذ أرسل الرسول ﷺ ونزل الوحي قد بيّن لنا الطريق فلا يضل الإنسان إلا والحجة قائمة عليه والضلال يأتي من متابعة الهوى، فإما أن يتابع الهوى في أن يترك الحلال، أو أن يتابع الهوى بمواطأة الحرام والعياذ بالله، أو أن يتابع الهوى في القضايا المشتبهة فلا يتورع ولا يسأل العلماء ليسير على فتواهم، فالطريق واضح في شريعتنا فالخوف على الإنسان ليس من غموض الطريق فعلى الإنسان أن يكون دائم الحذر يحاسب نفسه دائماً، هل هو سائر في طريق ما كأثر من آثار الهوى أو كأثر من آثار حظ النفس؟ فإذا رأى أن هناك هوى يسيره أو يحركه فليحاول أن يرجع إلى الحق الصريح الواضح الذي ليس فيه التباس أو يستفتي العلماء الربانيين. فالشيخ ينبهنا إلى أن أخطر شيء على الإنسان هو متابعة الهوى، وعصرنا بالذات عصر حيرة بسبب كثرة الفتن، ولعل الحديث الشريف القدسي ينطبق على هذه المرحلة : « بي حلفت لأتيحنّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران »، أخرجه الترمذي، قد تمر لحظات يجد فيها كل منا نفسه في حيرة نتيجة لكثرة الفتن أو لكثرة المحيرات، والمخرج هو العلم والفتوى الصحيحة من أهلها ولقد كنا نسمع من شيخنا الشيخ محمد الحامد رحمه الله حديثا شريفاً أخرجه الدارمي « ستكون فتن يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً إلا من أحياه الله بالعلم »، والفتن نوعان الفتن التي تنصب بشكل مستمر على قلب المسلم لتصرفه عن طريق الله عز وجل، وهذا الذي ذكره الحديث الصحيح « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عُوداً — أو عَوداً عَوداً — فأي قلب أشربها نكت في قلبه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكته بيضاء حتى تصير

على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » أخرجه مسلم. فهناك نوع من الإلقاءات الشيطانية أو النفسية تحاول صرف القلب المسلم عن الطريق فعلى المسلم أن يرفضها وأن يجاهدها، وهناك الفتن العامة التي تمر على الأمة الإسلامية والتي تتمثل بمظاهر متعددة تتمثل بالفرق المنشقة عن جسم الأمة الإسلامية، فظهور فرقة جديدة في الأمة الإسلامية تدعو إلى معتقدات تخالف عقائد أهل السنة والجماعة نوع من الفتن، وعندك الفتن التي هي

---

(١) سورة التوبة: (١١٥).

أثر من آثار الفوضى في الاجتهادات المتضاربة والتي يترتب عليها نوع من الاقتتال فهذا أيضاً نوع من أنواع الفتن، وهناك الفتن التي هي أثر من آثار العصبيات، كل هذه الفتن الظاهرة أو الباطنة سواء التي تمر على قلب الإنسان أو تأتيه من الخارج، العاصم منها هو العلم والعمل على ضوئه وهداه. فمتى حدث شيء من اللبس على الإنسان في سلوكه وفي حياته فليفرّ إلى العلم، فمتى كان الإنسان يسير على علم صحيح وإذا اشتبهت عليه الأمور يسير على ضوء الفتوى الصحيحة من أهلها فهذا لا يخشى عليه إنما يخشى عليه إذا تابع الهوى بترك العلم والسير في غير الطريق التي تجيزه الفتوى من أهلها.

هذا الكلام له أهمية قصوى في عصرنا لأن كثيراً من الناس يعيشون في حيرة وكثير منا تمر عليه ظروف وأوضاع فتختلط عليه بعض الأمور وهو في ذلك بين أمرين إما أن يكون متابعا لهوى وإما أن يكون سائراً على علم وعلى بصيرة وعلى فتوى من أهلها، فإذا كان يسير على علم وعلى بصيرة وعلى فتوى من أهلها فالمرجو أن يكون بإذن الله ناجياً ومأجوراً، وأما إذا كان الأمر مختلطاً والفتوى ليست واضحة وهناك نوع من الهوى يدفعه لسلوك طريق فهذا خطير. أما إذا سار على ضوء العلم وعلى ضوء الفتوى المبصرة فهو إلى خير وإن وافق ذلك هواه قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : (إذا وافق الحق الهوى فذلك العسل بالزبد) فليس شرطاً أن يخالف الحق الهوى بشكل دائم قد يتطابق الحق والهوى وهذا من فضل الله وهذا هو الأصل في المسلم أن يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ فذلك هو الإيمان، رُوي عن رسول الله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » إسناده ضعيف، فالعبرة في النهاية أن يكون الإنسان على حق وصواب ومن ههنا تأتي أهمية التفقه بالفقه الأكبر الذي هو العقائد وفي الفقه الكبير الذي هو الفقه العملي الذي قدمه لنا أئمة أهل السنة والجماعة ثم قال الشيخ رحمه الله : (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية).

من حكمة الله أنه ابتلى الناس بعضهم ببعض، ومن مظاهر هذا الابتلاء أنه حجب سر الخصوصية التي يكرم الله بها عباده وأظهر ما يظهر به الابتلاء الموقف من الرسل والأنبياء، فالله عز وجل أكرم الرسل والأنبياء بخصوصية الرسالة والنبوة وابتلى الخلق أن يؤمنوا بهم، فمن عرف هذه الخصوصية فهو مكلف أن يتأدب مع صاحب

هذه الخصوصية بالآداب المشروعة، وهذا نوع من أنواع الامتحان الإلهي، فالمهم أن الخصوصيات التي أكرم الله عز وجل بها بعض خلقه رتب عليها أحكاماً، مع أن هذه الخصوصيات مستورة بأوصاف البشرية، وذلك امتحان كبير فأنت ترى كثيراً من الأمم التي كلفت بالإيمان بالرسل رفضت متابعتهم بحجة أنهم مثلهم في البشرية فهؤلاء سقطوا لأنهم لم يعرفوا سر الخصوصية ولم يقوموا بحق العبودية لله عز وجل في ذلك.

ومن حكمته عز وجل أنه أظهر عظمة الربوبية بقهره للناس بأوصاف العبودية. ألا ترى أن الإنسان مقيد بقوانين الكون فلا يستطيع أن يخرج عن أسرها، وكذلك أظهر عظمة الربوبية بالتكليف الذي كلف به عباده فهو يحاسبهم ويعذبهم لو أنهم لم يفعلوا.

(سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية) ما هي الصلة بين هذه الحكمة والحكمة الأولى في الفصل؟ (لا يخاف عليك أن تلتبس الطريق عليك إنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك). الصلة والله أعلم من خلال نقطتين : فبعد أن ذكر لنا الهوى الذي يخشى على الإنسان منه دلنا على أفظع ما يظهر به الهوى وهو موقف الإنسان من الخصوصية وموقفه من العبودية، ومقام العبودية يدخل فيه عبودية القلب وعبودية العقل وعبودية الروح وعبودية الجسد، ولا يخرج الإنسان عن العبودية والقيام بحق الخصوصية إلا الهوى، كثيراً ما يظهر للإنسان خصوصية للآخرين لكنه لا يتعامل مع هذه الخصوصية التعامل الشرعي كما فعل مشركو قريش ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾[1]. وكما يظهر ذلك في حق الرسل يظهر في حق غير الرسل على تفاوت الخطيئة فقد أعرف إنسانا هو أكفأ مني في قضية من القضايا فالمفروض أن أسلم له فيها. المهم أنه لا شيء يظهر فيه متابعة الهوى كالموقف من الخصوصية ومن العبودية ومن ههنا تأتي الصلة بين الحكمتين. ثم يقول الشيخ رحمه الله : (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) في كثير من الأحيان يطالب الإنسان بحقوقه وينسى واجباته، وهذا قدر مشترك عند أكثر

---

(١) سورة الأنعام: (٣٣).

الناس وهذا من أخطر الأمراض التي تصنيب أمة من الأمم أو مجتمعاً من المجتمعات أو فرداً من الأفراد، الأصل أن يحاسب الإنسان نفسه على واجباته وأن يطالب بحقوقه، والإسلام علمنا أن لا نتساهل في الحقوق وعلمنا أن نقوم بالواجبات وزين لنا أن نؤدي الواجبات وأن نتساهل في الحقوق الشخصية أما الحقوق العامة فقد أدّب المسلم أن لا يتساهل فيها.

من أخطر الأمور أن تجد شعباً أو فرداً لا يؤدي واجباته نحو الله عز وجل ونحو جيرانه ونحو أهله ونحو المجتمع ويطالب بالحقوق بلسان المقال أو بلسان الحال، وبعض الناس يعترض على الله اعتراضاً خفياً لماذا لا يحقق له رغباته؟! وأحيانا يكون عنده اعتراض ظاهر يصل إلى الكفر. فالشيخ ينبه أن عليك أن لا تستبطئ تحقيق مطالبك ورغباتك، لكن فكر في أدبك هل أنت تقوم بأدب العبودية لله؟ (لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك). ثم ينبهنا الشيخ على الكمال فقال : (متى جعلك في الظاهر ممتثلاً لأمره ورزقك في الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك). الكمال يتمثل في نقطتين : الأولى أن يكون الإنسان في الظاهر ممتثلاً لله عز وجل، وأن يكون في الباطن مستسلماً لقهره عز وجل فمتى كان الإنسان في باطنه مستسلماً لقهر الله، ومتى كان في ظاهره مستسلماً لأمره فذلك الكمال في مقام العبودية الذي يتنافى مع متابعة الهوى وذلك أرقى ما يتطلع إليه الصديقون.

بعد ذلك ينبهنا الشيخ إلى قضية مهمة، وهي أنه كثيراً ما يحدث أنه عندما نستكشف عند إنسان خصوصية تدل على ولايته يصير عندنا نوع من الثقة بهذا الإنسان أنه لا يخطئ وأنه معصوم وأنه محفوظ وأن هذا الإنسان لا يجوز الاعتراض عليه في صغيرة ولا كبيرة، وهذا المعنى تجده في دوائر أهل السلوك إلى الله واضحاً وخاصة مع شيوخهم فالشيخ ينبهنا إلى هذا، قد يحدث أن يعطى إنسان خصوصية ولكنه في الوقت نفسه قد لا يعطى الكمال، ولذلك يعبر الشيخ عن هذا المعنى بقوله : (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) قد نجد إنساناً من الناس قد أعطاه الله خصوصية ولكن لا يعني هذا بالضرورة أنه قد كمل تخليصه من كل شائبة، فالله عز وجل جعل العصمة والكمال المطلق للرسل والأنبياء، وما سوى ذلك من الخلق قد يجعلهم يخطئون وقد يجعلهم أحياناً يرتكبون المعاصي ليثبت العصمة للرسل. ولذلك قال الجنيد رحمة الله عندما سئل هل يزني العارف؟ قال بعد

أن أطرق قليلاً : ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾[1]. وإذاً لا يعني بالضرورة، أنه إذا رأينا إنساناً قد أعطاه الله خصوصية من الخصوصيات أن الله قد كمله في كل شيء وبالتالي فعلينا أن نتعامل مع غير الرسل على أنهم بشر يخطئون ويصيبون غير معتقدين كمالهم المطلق، والناس الذين يكون عندهم غلو في شيوخهم قد يضلون، إذ يرون منهم المنكر ولا يعتبرونه منكراً أو يصبح عدهم رد فعل بسبب رؤيتهم الضعف البشري أو القصور أو النقصان، فهاتان القضيتان خطيرتان تترتبان على الربط ما بين الخصوصية والتخليص.

يقال: إن بعض الشيوخ أراد أن يمتحن تلاميذه تصرف تصرفاً حقيقته الإباحة وظاهره الخطأ فانفض عنه تلاميذه إلا واحداً، فقال له : ما أبقاك عندنا؟ قال : أبقاني أنني لم أصحبك على أنك معصوم، فالحاصل أنه عندما تكون الصحبة على أساس الخصوصية والتخليص يترتب عليها غلو أو رد فعل لكن عندما أصحب إنساناً على الخصوصية من ناحية وأصحبه وأنا استشعر أن هناك احتمالاً أن يقع في الخطأ، أبقى عند الحدود الشرعية في التعامل معه فإذا رأيت خطأ أتذاكر مع صاحب الخطأ بكل أدب، وأقول : هذا خطأ، وإذا لم أر إلا كمالاً فذلك هو محل القدوة، هذا التفكير يعصم السالك إلى الله عن الوقوع في ردة فعل أو في غلو (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) وهناك نقطة أخرى مهمة جداً لها صلة بهذا الموضوع، فقد يعطي الله إنساناً خصوصية لكن خصوصيته تؤهله لأن يكون في موقع معين فإذا تجاوزنا به ذلك الموقع لا نكون قد عرفنا الحكمة الإلهية، ولا عرفنا الحكم الشرعي، خذ مثالاً على ذلك ما قاله الإمام مالك رضي الله عنه يقول : إن من شيوخي من أستسقي الله به ولا أقبل حديثه، فهؤلاء عند الإمام مالك أولياء لله حتى إذا أراد أن يستمطر يستمطر بهم، لكن في الوقت نفسه لا يأخذ حديثهم فههنا نظر إلى الخصوصية ومعرفة بها لكن لم يجعل هذه الخصوصية تسري على كل شيء، هي خصوصية في جانب، خذ مثالاً على ذلك الخضر وموسى عليه السلام فالخضر أعطي خصوصية لكن من هو الأكمل عند الله؟ لا شك أنه موسى عليه السلام، فهو من أولي العزم من الرسل فهو أحد خمسة هم أكرم الرسل عند الله. ﴿ **فاصبر كما**

---

(١) سورة الأحزاب: (٣٨).

صبر أولوا العزم من الرسل﴾[1] وبنو إسرائيل مأمورون بالاقتداء بموسى عليه السلام فالخضر أعطي خصوصية لكن منصب الإمامة كان لموسى عليه السلام، فقد تجد إنساناً صالحاً في نفسه فله خصوصيته ولكنه غير مؤهل للقيادة ويكون المؤهل للقيادة سياسية أو عسكرية غيره، فكلٌ يأخذ محله المناسب حتى قال فقهاء المسلمين : لو كان هناك قوي على ضعف في الصلاح، وضعيف لكنه أمين فأيهما نقدم؟ الفتوى تقول : هناك أحوال نقدم فيها الأمين الضعيف وهناك أحوال ــ كحالة الحرب مثلاً ــ نقدم فيها القوي لأن قلة صلاحه مضرتها على نفسه وقوته للمسلمين، أما الآخر فأمانته لنفسه وضعفه على المسلمين، فلا بد أن ننتبه إلى هذا المعنى بألا نربط بين الخصوصية وكل كمال بل نتعامل مع كل إنسان بالأدب المناسب الذي هو أثر عن الفتوى الشرعية من أهلها.

فوائد

بمناسبة قول المؤلف(ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) قال ابن عباد : (ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصاً من الآفات؛ بل يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة، فالكرامة الحقيقة هي الاستقامة التي تضمنها ما تقدم بخلاف الكرامات التي هي خوارق العادات فإنها قد تحصل على يد من لم يكن مستقيماً استقامة تامة).

(ولأجل أنها تثبيت لمن ظهرت له ربما وجدها أهل البدايات في بداياتهم وفقدها أهل النهايات في نهاياتهم إذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ في اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه إلى مثبت).

(والقسم الثالث : وهو أن تظهر الكرامات في الولي لغيره، والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذي شهدها بصحة طريق هذا الولي الذي ظهرت عليه الكرامة. إما أن يكون جاحداً فيرجع إلى الاعتراف أو كافراً فيعود إلى الإيمان أو شاكاً في خصوصية هذا العبد فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الإحسان).

* * *

---

(١) سورة الأحقاف: (٣٥).

الفصل العاشر

الأوراد اليومية وحياة القلب

(لا يستحقر الوِرْدَ إلا جهول * الوارد يوجد في الدار الآخرة والوِرْدُ ينطوي بانطواء هذه الدار. وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده * الوِرْدُ هو طالبه منك، والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه * ورود الإمداد بحسب الاستعداد، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار* الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به * إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهده في كل شيء لم يستوحشوا من شيء * أمرك في هذه الدار بالنظر في مكنوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته * علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه * لما علم الحق منك وجود الملل لوّن لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصلّ مقيم. الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب الغيوب. الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار. علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها وعلم احتياجك إلى فضله فكثر أمدادها).

مقدمة

الأوراد اليومية هي حياة القلوب وبها جلاؤها وصفاؤها وطمأنينتها، والصلاة بالنسبة للأوراد خاصة، وأعمال الإسلام عامة هي العمود الفقري للعبادات والأعمال، ومن ههنا فإن المسلم حريص على إقامة الصلاة بأعمالها وخشوعها وفرائضها وأذكارها، والأذكار عقبها ثم بعد ذلك له أوراده من استغفار وتهليل وتسبيح وتكبير وتحميد وصلاة على رسول الله ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله كما أنه له دعواته اليومية، والشيخ في هذا الفصل ينبهنا على الاهتمام بالأوراد وخاصة الصلاة وذلك هو المقصود الرئيسي في هذا الفصل.

وفي سياق الفصل يعرفنا على الحكمة في تلوين الطاعات وتعدد القربات وهو إبعاد الملل والسآمة، فالعمل الواحد الرتيب قد يمله القلب، كما يرفع الشيخ هممنا في هذا الفصل إلى التطلع لكمال المعرفة ويبين أن افتقادك الواردات سببه ضعف الاستعداد وقلة الصفاء وضآلة التسليم والتوكل عليه، وبمناسبة أنه طالبك بالأوراد فقد بين لك أن العارف لا يستوحش عن العبادة، فاجمع بين العبادة والمعرفة لأن الذين يقتصرون على العبادة والزهادة دون تحصيلهم للمعرفة يستوحشون، ولكي لا يشطح بنا الخيال في فهم قضية المعرفة بين لنا أن المعرفة الحقيقية إنما تكون في الآخرة، أما ههنا فإنما هي التأمل في الآثار والاستشعار للصفات.

الشرح

ليبقى قلب السالك إلى الله على حالة يقظة يحتاج إلى كثير من الأعمال ليستطيع الحفاظ على هذه الحالة فالروح بعد أن تدخل الجسد تصبح أسيرة فيه، ونتيجة لأسر الجسد لها تتأثر بالجسد فتحجب وإلا فهي بالأصل عارفة بالله ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾[1]، وعندما تدخل الجسد تتأثر بمطالب الجسد ويؤثر ذلك على القلب بشكل مباشر، وبقدر ما يكون نور القلب قوياً يقاوم الإنسان مطالب الجسد المحرمة، وإذا أذنب الإنسان ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء، والذنوب أنواع : فهناك الذنوب الحسية والمعنوية والقلبية وكل ذنب له تأثيره على القلب بشكل من الأشكال، والخواطر والهواجس مؤثرات على قلب الإنسان، يشهد لذلك الحديث : « تعرض الفتن على القلوب عوداً عوداً... » مسلم، وهناك إلقاءات الشيطان في هذا القلب، والإنسان يسمع وكل شيء يسمعه الإنسان يؤثر في قلبه، ثم الإنسان يتأثر قلبه بحواسه، فالحواس تشهد هذا الكون، والكون كله حجاب عن الله، احذف الكون وانس نفسك وإذا بالحجاب عن الله قد زال، الحجاب عن الله هو هذا الكون، ونفسك حجاب عن الله، والألفة المستمرة تؤثر على القلب، والأحداث التي تمر بالإنسان تؤثر على قلب الإنسان فما أكثر المؤثرات على القلب، وجاء الإسلام بالتطهير المستمر للقلب وللروح وللنفس

---

(١) سورة الأعراف: (١٧٢).

وللجسد، ولكل ذلك طريقه في حق كل إنسان بحسبه، فهذا الرسول ﷺ وهو أعظم الناس طهارة في كل شيء يقول : « إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة »، أخرجه مسلم.

فلكي يبقى قلب الإنسان في حالة معينة فعليه أن يحافظ على معان معينة لذلك شرعت لنا العبادات بعضها فرائض وبعضها نوافل من أجل أن تسع حالات الإنسان، فالقلوب ليست واحدة، والبيئات ليست واحدة، والمؤثرات ليست واحدة، ومن ههنا وعيره شرعت لنا الفرائض والنوافل وبعض النوافل، تركت مطلقة ليأخذ الإنسان منها ما يناسبه على قدر حاجته القلبية على ضوء الظروف التي تحيط به، فالله عز وجل يقول : ﴿ **بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره** ﴾[1]، فإنسان يعيش في بيئة مختلطة يلزمه لغسل قلبه أكثر من الإنسان الذي يعيش في بيئة مسجد، وهذه إحدى الحِكَم في جعل بعض النوافل مطلقة، لأن كل إنسان قد يحتاج منها لشيء قد يكون أكثر أو أقل من عيره، فعلى الإنسان أن يرتب أموره بحيث يبقى قلبه دائما في حالة معينة، وإذا لم يلاحظ ذلك فلربما طرأت الحجب على قلبه فانتقل من طور حتى يصل إلى (الران) وهو لا يحس فلا بد أن يغسل قلبه يوميّاً، والصلوات تعتبر هي الأداة الرئيسية لهذا الغسيل، وكل ركن من أركان الإسلام يؤدي دوراً في الغسيل العام للقلب، والصلوات هي المرتكز الرئيسي لهذا الغسيل المستمر للقلب وللروح وللنفس وخاصة إذا أديت على تمامها وكمالها، أما أنها غسيل للنفس فالله يقول : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾[2]،فهي تردع النفس عن أن تفعل فحشاء أو أن تفعل منكراً، وهي غسيل للروح لأن الأصل في الصلاة أن تؤدى في حالة روحية معينة، فمن المعروف أن الصلوات الخمس فرضت على رسولنا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج فهي فرضت في المعراج، ومن ههنا يأخذ أهل السير إلى الله عز وجل فكرة العروج إلى الملأ الأعلى بالروح أثناء الصلاة، فالإنسان الذي يعرج بروحه كل يوم في صلواته يجعل روحه في غاية من الطهارة، والصلاة غسيل للقلب فعندما يقف الإنسان في صلاته ويلحظ المعاني : الموجودة في الصلاة وهي

(١) سورة القيامة: (١٤ — ١٥).

(٢) سورة العنكبوت: (٤٥).

أرقى المعاني ركوع وسجود، وصلاة على الرسول ﷺ، وحمد لله ودعاء واستعاذة وقراءة قرآن، فعندما يقيم الإنسان الصلاة المفروضة إقامة حقيقة يغسل روحه ونفسه وقلبه خمس مرات، فإذا اجتمع له من ذلك السنن الرواتب والوتر وقيام الليل والضحى وأديت هذه الصلوات فلا شك أن قلبه يكون نظيفاً والروح بدون هذا الغسيل المستمر بالصلوات تزداد اتساخاً ونفسه تزداد سوء وقلبه يظلم فعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الصُّبْحَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الظُّهْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْرِقُونَ تَحْتَرِقُون، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ العَصْرَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ المَغْرِبَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَحْتَرِقُونَ تَحْتَرِقُونَ، فَإِذَا صَلَّيْتُمُ الْعِشَاءَ غَسَلَتْهَا، ثُمَّ تَنَامُونَ، فَلَا يُكْتَبُ عَلَيْكُمْ حَتَّى تَسْتَيْقِظُوا » رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وإسناده حسن، ورواه في الكبير موقوفاً عليه، وهو أشبه، ورواته محتج بهم في الصحيح.

فإذا اجتمع مع الصلاة دوام على الأوراد فعملية الغسيل تكون أكثر تأثيراً، والرسول ﷺ كان له مع صلواته أوراده وما أكثر صلواته! وما أكثر أوراده! ففي ركعة واحدة قرأ البقرة مع آل عمران والنساء وقال ابن عمر : « كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم »، رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح، وقالت عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه »، رواه مسلم، وكانت قراءته للقرآن وإقراؤه يستغرقان وقتاً كبيراً من حياته عليه الصلاة والسلام، فقد اجتمع لرسول الله مع الصلوات الدعوات والأذكار وقراءة القرآن وعلينا أن نقتدي به، وأعظم الأوراد تأثيراً في القلب هو القرآن الكريم ﴿ **وشفاء لما في الصدور** ﴾[1] لأنه يذكرك بكل شيء ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾[2] عندما تقول : سبحان الله فإنها تعمق في القلب تنزيه الله، -ولذلك سن لنا التسبيح في الركوع والسجود وبعد الصلاة لأنها تعمق التنزيه في القلب، وعندما تقول : الحمد لله فذلك اعتراف بأن كل النعم من الله وأنه وحده الذي يستحقه. فهي تعمق معنى

---

(١) سورة يونس: (٥٧).

(٢) سورة النحل: (٨٩).

الشكر في قلبك، وعندما تقول : الله أكبر فهي تعمق في قلبك معنى التعظيم، فكل ذكر من الأذكار له أثره في تعميق معنى من معاني المعرفة الإلهية في القلب وحقوقها، والقرآن الكريم يذكرك بهذا كله بالقدر الذي يحتاجه قلبك، فمن اجتمع له مع الصلوات قراءة قرآن وأذكار رجي له أن يبقى قلبه في حالة معينة، لكن هل المطلوب البقاء على حالة معينة أو المطلوب الانتقال من الحال الأدنى إلى الحال الأعلى من الظلمة إلى النور ومن نور إلى زيادة تنوير؟ المطلوب هو الارتقاء المستمر.

الصلوات والدعوات وأذكار الصلوات ودعوات المناسبات وأذكارها ودعوات الليل والنهار والأذكار المطلقة، كل ذلك يساعد على التطهير المستمر والتزكية، أما إذا أهمل الإنسان نفسه فلا تطهير ولا تذكير ولا تنوير فقد يصل إلى الكفر بالنهاية، إن الإنسان الذي يريد أن يقوم بكمال العبادة والعبودية بحيث يبقى قلبه منوراً ميراً ليس أمامه إلا أن يعتمد الأوراد اليومية مع الصلوات، فالإنسان الذي ليس عنده غسيل يومي مستمر لقلبه هو في خطر. فأن يعالج المسلم قلبه يوميا حتى يبقى مستعداً للقاء الله فذلك الحال الذي ورثنا إياه رسول الله ﷺ وهو الحال الذي ينبغي أن يكون عليه كل مسلم.

علامة الصدق الكبرى إقامة الصلوات والاستمرار على الأوراد من أذكار ودعوات وتلاوة قرآن لأن هذا الذي له التأثير المباشر على طمأنينة القلب بالإيمان : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[1]. وذلك علامة النجاة : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾[2]. النفس المطمئنة هي التي تستأهل الرضوان، ولا طمأنينة إلا بالذكر فالذي ليس عنده التزاماته اليومية من الصلاة وقراءة القرآن والأوراد والأذكار هو على خطر.

فالعواصف ورياح الفتن التي تصبّ على القلوب كبيرة وخطيرة فليس هناك أهم في الدعوة والتربية من أن نوصل المسلم إلى الالتزام اليومي بهذه المعاني، فإذا أوصلنا المسلم إليها نستطيع أن نقول : إننا أوصلناه إلى شيء نطمئن عليه، وإلا فلا

---

(١) سورة الرعد: (٢٨).

(٢) سورة الفجر: (٢٧ ــ ٢٨).

زلنا مقصرين وهو ومقصر وكأننا أبقيناه في مهب رياح الفتن التي تعرضه لمواقف خاطئة أو عاصية، فإذا كان للإنسان ورده اليومي فهو قريب أن يفيء إذا غلط ويتوب إذا زل، ومثل هذا الإنسان هو مظنة الوصول إلى الولاية لأن الولاية هذه طريقها : « وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه ». ومتى وصل الإنسان إلى المحبة وصل إلى كل خير، وكان بعض شيوخنا يقول : (من حصّل المحبة ما فاته حبة) وقد سئل بعض الصالحين هل يعذب الحبيب حبيبه؟ قال : لا، فقيل : ما الدليل؟ قال : قوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ﴾[1].

والفصل الذي بين أيدينا له علاقة بهذه القضايا، له علاقة بالورد اليومي وبإقامة الصلاة. (لا يستحقر الورد إلا جهول). فمن لا يقدر الورد حق قدره فهذه علامة على جهله لأنه بذلك يدلل على أنه لا يعرف السنة النبوية ولا سنة الصحابة. (كان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ ما داوم عليه صاحبه) فقد كان لكل واحد من الصحابة ورد يداوم عليه « وكان آل محمد إذا عملوا عملاً أثبتوه » أخرجه مسلم، والرسول ﷺ له أوراده اليومية وكان لبعض الصحابة التزامات يومية أخرى إضافة إلى أورادهم اليومية، فبعضهم يفطن إلى خدمة الأرامل، وبعضهم يفطن لخدمة العجائز، وبعضهم يفطن للخدمات العامة، فعندما ترى إنساناً يحتقر الورد والالتزامات اليومية فهذا جاهل، إن كثيرين من الناس يحتقرون أهل الذكر وأعمالهم، مع أن الذكر هو المقدمة لكل خير وهو الذي يجعل للداعية حالاً وقد قالوا : (حال رجل في ألف خير من قول ألف في رجل).

إنه ندر ما توجد النية الصالحة والحال الصالحة إلا حيث يوجد الذكر؛ فالحديث الشريف الصحيح يقول : ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قيل : بلى يا رسول الله، قال : ذكر الله » أخرجه أحمد والترمذي ومالك في الموطأ. فالذكر في بعض الحالات أفضل من ضرب أعناق الأعداء، لأنه هو شرط الإخلاص والإخلاص شرط قبول الأعمال، المهم أن

---

(١) سورة المائدة: (١٨).

أهل الذكر هم الذين يترتب على دعوتهم وعلى تعليمهم وعلى أعمالهم نوع من القبول الخاص، فأن يوجد مسلم ينظر إلى أهل الذكر نظرة احتقار وازدراء فهذا دليل على جهله، فمتى وجدت الأوراد الشرعية الصحيحة وجدت الواردات النورانية على القلب بإذن الله، والمريد عادة يتطلع إلى الوارد، ومن ههنا ينبهنا الشيخ أن علينا أن نفكر بالورد أكثر من الوارد يقول : (الوارد يوجد في الدار الآخرة، والورد ينطوي بانطواء هذه الدار) فلا يوجد في الآخرة عمل تكليفي، فأهل الجنة يلهمون التسبيح كما نلهم النَّفَس (وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده) أنت مطلوب منك أن تقوم بالأوراد في هذه الدار فافعل المطلوب، أما الوارد فموجود في الدنيا وفي الآخرة فهو مستمر فركّز على الشيء الذي لا يخلف وجوده وهوالأوراد وكأن الشيخ يقول لا تفكر في الوارد بقدر ما تفكر في الورد وقم بحق الله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه) هو طالب منك بعظمته وجلاله إقامة الأوراد فأقم مطلبه، فمطلبه هو الأعظم وهو الذي ينبغي أن يكون محل الاعتبار، وبهذه المناسبة يذكر الشيخ شيئاً له علاقة بغسيل القلوب بواسطة الوارد فكلما كبر استعداد الانسان عظم استعداده لتلقي الواردات من الله، مما ينمي الاستعداد كثرة الذكر وقوة الافتقار والاحتماع بأهل الصلاح فعندما يجلس الإنسان مع أهل الذكر يأخذ منهم بقدر استعداده، فأخذك

يكون بقدر استعدادك، ودلك له دليله من السنة النبوية ففي حديث حنظلة : « ...لو تدومون على ما أنتم عليه عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة » أخرجه أحمد بن حنبل ومسلم. فبمجرد الجلوس بحضرته ﷺ كان ُيرتقي الإسان، وكذلك الجلوس مع أهل الذكر، والدليل على أن الإنسان يأخذ بقدر استعداده ما قاله ﷺ : « إنما أنا قاسم والله يعطي » أخرجه البخاري، كان ﷺ يساوي في مجلسه ما بين الخاصة والعامة، وكان يعطي الجميع عطاء واحداً، ولذلك كان يتسعر كل واحد من الصحابة أنه أكرم على رسول الله ﷺمن غيره وأقرب، وذلك من أدب النبوة في تأليف القلوب وعدلها الذي يعم الجميع حتى أن عمرو بن العاص وقد تأخر إسلامه ـــ أسلم في السنة السابعة للهجرة هو وخالد بن الوليد ـــ ظن أنه أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ فسأله : يا رسول الله من أحب الخلق إليك؟ وهو يتصور أن الجواب هو، فكان الجواب غير ذلك. أخرج البخاري ومسلم عن أبي عثمان قال حدثني عمرو بن العاص أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت :

« أي الناس أحب إليك؟ قال : عائشة، فقلت : من الرجال؟ فقال : أبوها، قلت : ثم من؟ قال : عمر، فعدد رجالاً » فالرسول ﷺ كان يسوي بين الناس بالإقبال عليهم وكل منهم كان يأخذ بقدر استعداده، وكلما ارتقى الاستعداد يكون الأخذ أكثر قوةً والافتقار عامل من عوامل قوة الاستعداد والإمداد، يقول الشيخ : (افتقارك ينفق عليك)، فبقدر استعدادك يكون إمدادك، فالشيخ ينبه إلى هذا يقول : (ورود الإمداد بحسب الاستعداد وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار). ثم قال الشيخ : (الغافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به). ليس المراد بهذه العبارة ألا يفكر الإنسان ماذا سيفعل في يومه من أوراد وخير فذلك مطلوب، بل المراد ذلك الإنسان الذي لا يفكر إلا بالدنيا فهذا هو الغافل، أما العاقل فيضع ثقته بالله عز وجل ويسلم لله فيما سيفعله الله به فهو يضع أمله بالله في أمور دنياه وأخراه، وليس هذا أمراً بترك التدبير المطلوب فالتدبير لتحقيق أمر الله فريضة، جهَّز عمر بن الخطاب جيشاً وهو في الصلاة فهو في عبادة وغلب على قلبه إقامة عبادة أخرى، فالترتيب والتدبير لتنفيذ أمر الله هو المطلوب منك.

(إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء، فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء) العابد والزاهد يحبان العزلة أما العارف الذي أذن له بالإرشاد فهذا يحب الخلطة لينفع خلق الله، وفي هذه الحكمة يعلل الشيخ لماذا تعتري حالة الاستيحاش من الخلق العبادَ والزهادَ، وهذا تعليل من وصل إلى المقامات العليا، ويعطي لكل واحد حقه، يقول : إن العباد والزهاد يستوحشون لأنهم لم يصلوا إلى الشهود أي إلى مقامات الإحسان (إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء) ولكي لا نفهم الشهود فهماً خاطئاً قال : (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكنوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) جعل الله المسلم في الدنيا والآخرة على صلة به، لكنه جعله في الدنيا على صلة بآثاره، وجعله في الآخرة على صلة بآثاره وبذاته يقول : (أمرك في هذه الدار بالنظر في مكنوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه) أي آثاره، (لما علم منك الحق وجود الملل لوّن لك الطاعات). لماذا جعل الله الطاعات متنوعة؟ صلاة وزكاة وأذكاراً وصياماً وحجاً وتلاوة قرآن وإقراء سلام وإطعام طعام؟ لأن الإنسان من طبيعته التي ركبه الله عليها

وجود الملل. فلو داوم الإنسان على قراءة القرآن يمل، ولو تعبد بالصلاة وحدها يمل، فنوّع له الطاعات حتى يخرجه من الملل (وعلم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات) لا يحق لك أن تصلي عند طلوع الشمس وقبيل زوالها وعند غروبها إلا عصر اليوم نفسه، والحكمة من ذلك أن الإنسان أحياناً يصير عنده نوع من الاندفاع الكثير والغلو الكثير في العمل بما يعطل واجبات أخرى؛ فحجر الله عليه أن يؤدي بعض العبادات في بعض الأوقات فقال الشيخ : (علم ما فيك من وجود الشره فحجرها عليك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم). أيها الإنسان عليك أن تستهدف إقامة الصلاة لا مجرد الصلاة، فالصلاة هي مرتكز العبادات القولية والجسدية، وهكذا فبمناسبة الكلام عن ضرورة الأوراد اليومية يتحدث الشيخ عن الصلاة لأن محلها محل الركن قال : (الصلاة طهرة للقلوب من أدناس الذنوب). فأول فائدة للصلاة أنها تطهرك من دنبك وفي الحديث : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء، قال : فذلك مثل الصلوات يمحو الله بهن الخطايا » أخرجه البخاري ومسلم، (واستفتاح لباب الغيوب). فأنت عندما تقف في الصلاة فأنت تستفتح أبواب الغيب مباشرة انظر إلى أركان الإيمان الستة التي هي أركان الإيمان بالغيب فإنك تتأملها جميعاً وأنت في صلاتك، فالصلاة تذكر بالغيوب كلها عندما تقول (سبحانك اللهم...) فهذا تذكير بالله، ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم...** ﴾[1] فهذا تذكير بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، (السلام عليكم ورحمة الله) تذكير بالملائكة...

فعندما يقبل الإنسان على الصلاة إقبالاً حقيقياً يصبح بينه وبين الغيب باب مفتوح فبقدر ما يكون قلبه مشرقاً يتفاعل مع الغيوب (الصلاة محل المناجاة) وهي أرقى أحوالها (ومعدن المصافاة) أي ومظنة المصافاة، فأنت عندما تقف في الصلاة فأنت في عملية تصفية لقلبك (تتسع فيها ميادين الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار) السر عند أهل السير هو الحالة الأخفى من القلب هناك النفس فالعقل فالقلب فالورح فالسر، فالسر هو أخفى هذه الأمور، فالصلاة تصفية لسر الإنسان

(١) سورة الفاتحة: (٦).

وتطهير له : (وتشرق فيها شوارق الأنوار). فما دمت في صلاة فأنت في إشراق نور. (علم وجود الضعف منك فقلل أعدادها). فكانت خمسة مفروضة بعد أن كانت خمسين. (وعلم احتياجك إلى فضله فكثر إمدادها) الصلاة هي أكثر العبادات مدداً قلبياً فعطاء الله القلبي فيها أكثر من عطائه في العبادات الأخرى، لذلك كانت الركن فإذا انهدم انهدمت العبادة وانهدم بذلك الإسلام.

فوائد

بمناسبة حديث المؤلف عن الصلاة قال ابن عجيبة : (واعلم) أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب : (المرتبة الأولى) : خشوع خوف وانكسار وإذلال وهو للعباد والزهاد، (المرتبة الثانية) : خشوع تعظيم وهيبة وإجلال وهو للمريدين السالكين. (المرتبة الثالثة) : خشوع فرح وسرور وإقبال وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين.

* * *

الفصل الحادي عشر

خاتمة آداب المريدين والوصول إلى مقام البقاء

(متى طلبت عوضاً على عمل طولبت بوجود الصدق فيه، ويكفي المريب وجدان السلامة * لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلاً، يكفي من الجزاء لك على عمل أن كان له قابلاً * إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق وسب إليك * لا نهاية لمذامّك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك * كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً * معك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين، أفيبيح لك أن تدعي وصمه وهو رب العالمين؟ * كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد؟ * ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب * ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار * لو أنك لا تصل إليه بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لن تصل إليه أبداً. ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطّى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه * لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول * أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته * الستر على قسمين : ستر عن المعصية، وستر فيها، فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق * من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك * ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم، خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه * لو أشرق لك

نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها * ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لا شيء معه، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه * لولا ظهور المكونات ما وقع عليها وجود الصفات، لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته، أظهر كل شيء لأنه الباطن، وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر، أباح لك أن تنظر ما في المكنونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات، ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾[1] ولم يقل انظروا السموات والأرض. قل انظروا ماذا فيها فتح لك باب الإفهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام. الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته).

---

(١) سورة يونس: (١٠١).

مقدمة

هذا الفصل خاتمة الفصول التي يتوجه بها الشيخ للمريدين ففيه حديث مكثف عن آداب السائرين، ويختمه الشيخ بالحديث عن المقام الذي إذا وصل إليه السائرون يقال لهم وصلوا وهو مقام البقاء بعد الفناء وها نحن نستعرض حكم الفصل.

الشرح

(متى طلبت عوضاً على عمل طولبت بوجود الصدق فيه ويكفي المريب وجدان السلامة). الأصل أن يعمل الإنسان دون أن يرى عمله، والكمال ألا يطلب على عمله مكافأة من الله، وإنما يعمل لمحض العبودية لكن من سنة الله أنه يكافئ : ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[1] لكن أدبك أن تنظر إلى عملك وكأنه مرفوض منك بل وأنت تخشى العقوبة لأن المرائي لا يرد عليه عمله فحسب، وإنما يعاقب على الرياء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « حدثني رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال : بلى يا رب. قال : فماذا عملت فيما علمت؟ قال : كنت أقوم به آناء الليل والنهار. فيقول الله له كذبت. وتقول له الملائكة كذبت. ويقول الله : بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ

فقد قيل ذاك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال : بلى يا رب. قال : فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله تعالى : بلى أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله له فيقول له : في ماذا قتلت؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت.

---

(١) سورة سبأ: (٣٩).

فيقول الله تعالى له : كذبت، وتقول الملائكة : كذبت. ويقول الله : بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك ثم ضرب رسول الله ﷺ على رُكبتي فقال : يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعر بهم النار يوم القيامة » هذه رواية الترمذي وقد أخرجه مسلم والنسائي.

أنت لك الأجر عندما تكون صادقاً في عملك لكن من الذي يضمن لك الصدق في كل عمل من أعمالك لذلك يقول : (ويكفي المريب وجدان السلامة) عندما يكون تصرف الإنسان محل ريبة فيكفيه أن يسلم، وأنت يكفيك أن تعمل العمل الصالح دون أن تعتقد أنك تعمل عملاً تستحق عليه من الله شيئاً فمن يدريك أن تكون في عملك مريباً.

يقول الشيخ : (لا تطلب عوضاً على عمل لست له فاعلاً يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) هذه المسألة من أهم المسائل التي وقع خلاف بين أهل السنة والمعتزلة مسألة خلق الأفعال. فأهل السنة يقررون أن الله هو الخالق لعبده وما عمل، فالله تعالى يقول : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾[1]. وإذاً فعبادتك وطاعتك إنما هي بخلق الله عز وجل فالفاعل الحقيقي في النهاية هو الله فكيف تطلب عوضاً على عمل فاعله في الحقيقة هو الله، فأنت لست فاعلاً أنت فاعل في الصورة ولكن الفاعل الحقيقي هو الله.

(يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) جزاؤك الحقيقي أن يقبل الله عملك، أما أن تطلب مكافأة من الله فهذا تجاوز للحد يكفيك أن يقبلك الله وهذا أعظم الجزاء، مهما فعلت فهو دون المطلوب وأقل من الواجب ولو نظر الإنسان إلى النعم التي أعطاه الله إياها لما وجد عملاً يكافئ أدناها : ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[2] أي عمل من الأعمال يكافئ هذه النعم لولا فضل الله تعالى؟.

(إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك) الجميع فعله وعطاؤه ومع

---

(١) سورة الصافات: (٩٦).

(٢) سورة النحل: (١٨).

ذلك يقال : هذا كريم وهذا عابد وهذا زاهد لكن هذا كله من عطاء الله فاشكر ولا تغتر.

(لا نهاية لمذامك إن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك إن أظهر جوده عليك) عندما ينظر الإنسان إلى فضل الله عليه وعطائه له يجد عنده كمالات، وعندما ينظر إلى نقائصه فهي كثيرة فالشيخ عبر عن هذا المعنى ليجعلنا دائماً معترفين مقرين أن كل شيء من الله وبالله وإلى الله وعلى هذا لا تتصور أن لك استحقاقا على الله لو أن الله وكلك إلى نفسك فمذامك كثيرة لأنه في أي لحظة يمكن أن ترتكب مئات الأخطاء.

وإذا تولاك الله أعطاك فمهما مدحك الناس فهناك مزيد لأن كرم الله لا نهاية له تم أدبنا الشيخ أدباً آخر فقال : (كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً). الله عز وجل له الأسماء الحسنى وهو رب، وأنت لك صفات وأنت عبد، فالله سميع وأعطى الإنسان سمعاً، والله تعالى بصير وأعطى الإنسان بصراً...لكن الله متصف بهذه الصفات وهو رب، وأنت متصف بهذه الصفات وأنت عبد، فأدبك أن تتعلق بأوصاف الربوبية وأن تتحقق بأوصاف العبودية، فاذا حدث العكس والعياذ بالله دخل الإنسان في دائرة فرعون وهامان.

أسماء الله تعالى لا نهاية لها لأن كمالاته لا نهاية لها، والأسماء الحسنى التي عرفناها في الكتاب والسنة كثيرة وبعضهم عدَّ للذات الإلهية ألف اسم وردت في الكتاب والسنة، بعضها صريح وبعضها مشتق، والله عز وجل له أسماء أخرى بدليل الحديث : « اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك أو أستاثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي ». أخرجه أحمد بن حنبل. فهناك أسماء استأثر الله بها ولم يطلع عليها أحداً من خلقه، وقد خصت من أسماء الذات الإلهية التسعة والتسعون بخصوصية « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » أخرجه البخاري. والأسماء الحسنى يتصف بها الله مع الربوبية، والإنسان عنده استعداد لتظهر فيه بعض هذه الأسماء، ولكن بوصف العبودية فالإسان يملك ونتيجة لذلك فهو ملك، لكنه مقيد بوصف الملك بالعبودية لله، فلا يصح أن يتملك إلا حيث أجاز له الشارع أن يتملك، ولا يصح أن يتصرف بالملك

إلا بالشكل الذي حدده له الشارع، وإذاً فهو في كل اسم من الأسماء التي يمكن أن يتحقق بها مقيد بالعبودية. فالشيخ يبين لنا أن علينا أن نحاول أن نتعلق بأوصاف الربوبية والتعلق له أكثر من مظهر ومن مظاهره الحب، وفي الوقت نفسه عليك أن تتحقق بأوصاف العبودية فإذا حدث خلاف ذلك بأن ادعيت أوصاف الربوبية فإنك تكون قد دخلت في طور ادعاء الألوهية والعياذ بالله. فالشيخ رحمه الله يقول : (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف العبودية متحققا) ثم فرع على هذا قال : (منعك أن تدعي ما ليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين) بعدما قال : (تعلق بأوصاف الربوبية وتحقق بأوصاف العبودية) برهن على طلبه بأن قال : إن الله لم يسمح لك بأن تدعي ما للمخلوقين فكيف يبيح لك أن تدعي ما هو لله جل جلاله؟.

ثم ينبهنا الشيخ على شيء آخر : إن الكثيرين من السالكين والمريدين تتطلع أنفسهم إلى الكرامة وللتطلع إلى الكرامة سببان : أن يستشعر السالك مقامه عند الله وأن يعرف الناس أنه ولي وله مقام عند الله، والكرامة نوعان : الأول : هو ما يسمى كرامة بالمصطلح. والثاني : هو المعونة، الكرامة خرق عادة والمعونة تيسير لأمر على مقتضى الأسباب، لكن يظهر فيه التوفيق الإلهي كأن أقول يا رب (ابعث لنا فلاناً) فيأتي، فمجيئه ليس على خلاف الأسباب وإنما هو على ضوء عالم الأسباب، ولكن وافق الدعاء والطلب، وهذا ما يسمى معونة، والمريد عنده تطلع للكرامة وهذا ليس هو الأدب، وإنما أدب المريد أن لا يتطلع إلى الكرامة، وفي هذا السياق يبين الشيخ من هم مظنة الكرامة، يقول : أيها السالك إلى الله لا تتعجب إذا لم تكن لك كرامة إلا إذا استطعت أن تحمل نفسك على خلاف عاداتها، فالشيخ يربط ما بين الكرامة وما بين قدرة الإنسان على التحكم بنفسه، وحملها على أمر الله عز وجل فإذا استطاع أن يخرق عوائد نفسه ليحملها على أمر الله فهو مظنة أن تكون له كرامة، وإلا فليس هو مظنة أن تكون له كرامة. يقول : (كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد).

فالشيخ ينهض همتنا في أن نفكر في المطلوب منا وهو أن نخرق عوائد أنفسنا ونحملها على أمر الله وعلى المجاهدة، مع ملاحظة أن لا يتطلع المريد إلى الكرامة، وإذا تطلع إليها فلملحظ شرعي.

ثم قال الشيخ : (ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب). هذا الكلام أتى بعد التحدث عن قضية الكرامة، فليس الشأن أن تطلب الكرامات؛ فليس الكرامة شيئا مطلوبا منك بل اطلب المطلوب، مطلوب منك اليقين والتوكل والإحسان، فاطلب ذلك من الله فهذا عبادة وعبودية. (ليس الشأن وجود الطلب وإنما الشأن أن ترزق حسن الأدب) فبقدر ما تكون على حسن الأدب مع الله يكرمك، وإكرامه لك أثر عن كرمه لا أثر عن حالك.

(إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب). ومن خلال هذا التعبير ومن السياق نعرف أن على المسلم أن يحاول باستمرار الوصول إلى الأدب والتفتيش عنه مع الله ومع الإنسان ومع الحيوان ومع الأشياء ومع الغيب، فعلى الإنسان أن يكون دائم البحث عن الأدب في القضية التي يعانيها، عليك أدب مع الله ينبغي أن تراعيه، وكل ما وصلت إلى مقام من مقامات السير عليك أدب مع الله ينبغي أن تراعيه، ثم هناك أدبك مع والدك وأمك وزوجتك وإخوتك وجيرانك وليس هناك من شيء إلا وأنت بحاجة لأن تعرف كيف تقوم بحق الله فيه، فالأصل الأصيل والشأن الكبير هو أن تفتش عن الأدب وتتحقق به، فإذا أكرمك ربك بحسن الأدب يكون قد أكرمك بأرقى كرامة، فلو خيِّر الإنسان العاقل بين الكرامات وبين الأدب فهو يختار الأدب؛ لأنه هو الأجدى عند الله وعند الناس، لذلك يستتر أهل الله من الكرامات ويخشون أن تكون فتنة لهم ولغيرهم (ما الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب). الطلب نوعان : طلبك من الله بلسان الحال والمقال لشيء هو مطلوب منك فهذا واجب : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[1] فالطلب الذي تطلب فيه من الله أن يكرمك بما كلفك به هذا مطلوب منك لكن الطلب الآخر الذي هو تحقيق حظ نفسي فهذا الذي ليس مطلوباً منك وإن كان أدبك أن تطلبه من الله عز وجل إذا كان مباحاً وتسلم له أمرك، وبمناسبة الكلام عن الطلب أشار هنا إلى الحال الأرقى في الطلب من الله قال : (ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار) فبقدر ما تفتقر إلى الله فالله عز وجل منك قريب : ﴿ **أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾[2] فأعلى حالاتك في الطلب

---

(١) سورة الفاتحة: (٥).

(٢) سورة النمل: (٦٢).

وأرقاها أن تطلب وأنت في أشد حالات الاضطرار، فالطلب الأرقى أن تطلب من خلال اضطرارك وإذا أردت من الله هبة أو موهبة فالطريق إلى ذلك هو ذلتك وافتقارك، وبقدر ما تتذلل لله وتفتقر إليه يعطيك من كرمه ومن مواهبه، وإن الكثيرين من الناس يطلبون من الله وقلوبهم لاهية واضطرارهم ضعيف وذلتهم قليلة وافتقارهم قليل.

ثم بعد ذلك يقول الشيخ : (لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبداً، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه، ونعتك بنعته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه)، بعض السائرين إلى الله يتصورون أن الوصول إلى الله منوط بأن لا تبقى له سيئة ولا مساوئ يقول الشيخ : (لا تطمع بهذا لأنه ليس بإمكانك وليس ذلك من شرط الوصول فما من إنسان سوى الرسل إلا وله سيئة وله دعوى وفيه نقص إنما وصولك إلى الله بمحض كرمه).

هناك واقع وتطلع، أدبنا أن نتطلع إلى أعلى المقامات لكن الحال ما هو؟ الرسول ﷺ يقول : « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم » أخرجه مسلم، فمن حكمته جل جلاله أنه أوجد الذنب لتظهر أسماء الله التواب والعفو والغفور لأن الناس قسمان : مسلم وكافر، أما الكافر فلا يغفر الله له أبداً فهذه حالة لا يظهر فيها اسما الله الغفور والتواب، فإذا كان المؤمن لا يعصي والكافر لا يغفر له فكيف يظهر اسما الله التواب والغفور؟ والله خلق الخلق ليعرف ولتعرف أسماؤه، وأنما يظهر اسم الله التواب من خلال وجود مؤمنين يعصون ويتوبون والله يتوب عليهم.

فالشيخ يلفت نظرنا إلى واقع الحال، فإذا وجد لك مع مساويك ومع دعاويك اضطرار لله وافتقار وذلة فالله يكرمك بالوصول لأن ذلك شأنه ليظهر كرمه ومغفرته وتوبته، وظهور ذلك مع التقصير أكثر مما لو ظهر بلا تقصير.

يقول الشيخ : (لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل إليه أبدا، ولكن إذا أراد أو يوصلك إليه غطي وصفك بوصفه ونعتك بنعته، فوصلك إليه بما منه إليه لا بما منك إليه)، وصفُكَ المذنب، ووصفه التواب، فيغطي وصفك بوصفه، وصفك الفقير ووصفه الغني يغطي وصفك بوصفه، سر

الوصول هو في كرمه وتجليات أسمائه فبقدر ما تكون في الذلة والافتقار والاضطرار لله عز وجل والشعور بأن المسألة كلها بيده أولاً وأخيراً تكون في الحالة الأقرب، وبقدر ما تعتمد على عملك تكون في الحالة الأبعد والعمل لا بد منه، لكن عليك أن تعمل وأنت في غاية الاضطرار والافتقار والذلة.

(لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول)، لأنه ما من عمل من الأعمال إلا ويمكن أن يتلبس بما يفسده، ويكفي أن ينسب الإنسان العمل إلى نفسه أليست هذه دعوى؟ ثم إنه من الصعوبة أن يكون العمل خالصاً ولذلك ورد أن الشرك الخفي أخفى من دبيب النمل، فقد أخرج الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري قال : خطبنا رسول الله فقال : « يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل »، فمهما تصورت أنك قد تحررت من الشرك الخفي فإن هناك جانباً أخفى من الذي تحررت منه، فمن الذي يستطيع أن يؤدي العمل على الكمال والصفاء التام بحيث لا تشوبه شائبة؟ لكن جميل ستر الله وعفوه وكرمه وفضله وتكليفه بالوسع هو الذي يسعنا وإلا لكنا من الهالكين ولولا فضله لما وصلنا ولما استطعنا أن نقوم بالشأن قال تعالى : ﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾[1] ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾[2] فنادراً ما يقوم الإنسان بالأمر ثم قال الشيخ : (أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إلى حلمه إذا عصيته)، ها هنا كلام مقدر ففي العادة أن الإنسان عندما يطيع الله نوع طاعة قد يظن أن طاعته هذه تغنيه عن طاعة أخرى فيقصر بالتكليف وقد يرافق الطاعة عجب وكبر واستغناء فيدخل على صاحب ذلك الشيطان فإذا أطاع الله ــ وهو كذلك ــ أليس هو أحوج إلى حلم الله منه وهو في معصية يعرف أنها معصية ويقول يا رب تائباً مفتقراً كسيراً إلى الله : (رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً)، فهو يشير إلى هذا المعنى إنك أحيانا وأنت في الطاعة تحتاج إلى الحلم أكثر منك وأنت في المعصية لأنه قد تنشأ عندك نوع من الأمراض النفسية نتيجة لذلك ولا تحس بها ولا تستغفر الله منها، وبهذا تكون أحوج إلى حلم الله منك عندما تكون في معصية وأنت منكسر النفس

---

(١) سورة عبس: (١٧).

(٢) سورة عبس: (٢٣).

لله، ثم قال الشيخ : (الستر على قسمين : ستر عن المعصية وستر فيها، فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق ، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق، من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره، فالحمد لمن سترك ليس لمن أكرمك وشكرك)، العامة والخاصة تسأل الله عز وجل الستر، العامة تسأله لأنهم يخشون من الفضيحة حتى لا يسقطوا من أعين الناس. والخواص يسألون الله عز وجل الستر ومرادهم أن لا يقعوا في المعصية حتى لا يسقطوا عند الله عز وجل.

وعلى كل الأحوال فالمطلوب من الإنسان أن يسأل الله الستر فمن سنة الله وحكمته أن يستر على عباده المؤمنين، وجعل ذلك من شرعه، لذلك ندبنا إلى الستر « ومن ستر مؤمناً ستره الله في الدنيا والآخرة »، رواه مسلم، وقد ندب الله الإنسان أن يستر عيوب نفسه وعيوب الآخرين، وأوجب ذلك في بعض الصور، لاحظ حال الناس تجد أن من يرى عيباً في أخيه لا يستره بل إذا لم يجد عيباً اخترع العيوب إلا من رحمه الله.

لو أن الله يكشف كل عيوبك للناس ما وجد لك حامد ولا شاكر ولا وجد من يتكلم فيك كلمة طيبة، فلا تجد إنساناً يثني عليك ويكرمك، فأي ثناء عليك فإنما هو مستحق لله لأنه هو الذي سترك، لذلك قال : (من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) الذي أكرمك وشكرك بسبب ستر الله لك ففي النهاية الحمد له وجل جلاله.

ثم قال الشيخ رحمه الله : (ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم. خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه)| فالصاحب الحقيقي هو الذي يصحبك لذاتك مثل هذا لو رأى منك عيبا أو نقصا فذلك لا يؤثر على أصل الصحبة والأخوة، هذا هو الكمال في الصحبة والأخوة ما رافقه نصح وإرشاد وتواص بالحق والصبر وإقامة لأحكام الله، لكن هل نجد من البشر إنسانا هذا شأنه؟

من حقوق الأخوة الخاصة أن يغض الإنسان طرفه عن عيوب أخيه مع محاولة الإصلاح فالأخ الحقيقي هو الذي يؤاخيك لذاتك في الله ولله، ولو وجد عندك

نقصاً بذل جهداً لإصلاحك مع الستر عليك، هل هناك صاحب هذا شأنه؟ هل هناك صاحب يصحبك ولا يتغير قلبه عليك إذا عرف عيوبك؟ الجواب أنه لا يوجد، وإذن فلتكن مع الله وحده وأعطه كل ذاتك وتوجه إليه في كل شؤونك واتخذه صاحباً : « اللهم أنت الصاحب في السفر »، رواه مسلم ــ وهذا جزء من دعاء السفر ــ (ما صحبك إلا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك إلا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشيء يعود منك إليه)، الصاحب الذي يصحبك لمصلحة هو أخو المصلحة والمنفعة، فإذا ذهبت المصلحة والمنفعة لم يعد أخاك، هل هناك أخ يؤاخي أخاً إلا وله نوع من غرض؟ المتقون غرضهم أخروي وغيرهم غرضهم دنيوي، وكلما تدنت المقاصد انخفضت قيمة الأخوة فمن هو الذي يعطيك الصحبة لا لغرض يعود نفعه إليه؟ لا يوجد إلا الله، فاتخذه صاحباً، « لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذت أبا بكر » أخرجه البخاري.

فالشيخ أعطانا بشكل غير مباشر نموذجاً لمن نتخيرهم للصحبة، وصب كلامه على أنه ينبغي أن تصحب الله وذلك من مقامات رسول الله ﷺ، فلم يعط الرسول ﷺ حقيقة الصحبة إلا لله عز وجل مع أن صحابته ما أكثرهم وما أعلاهم وما أرقاهم، وأبو بكر ما أعلاه وما أرقاه وما أصفاه، فأرقى مقام في الحياة البشرية في باب الصحبة أن يعتبر الإنسان صاحبه الحقيقي هو الله عز وجل.

بعد ذلك يقول الشيخ : (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها)، الشيخ ينبهنا هنا لماذا تبقى قضية الآخرة ضعيفة في نفس الإنسان وقضية الدنيا قوية في نفسه؟ السر في ذلك يعود إلى قوة اليقين وضعفه، فمن كان عنده قوة يقين يعيش وكأنه في الآخرة، ومن كان عنده ضعف يقين تسيطر الدنيا على نفسه، ومن ههنا ورد في بعض الآثار : « إن اليقين هو الدين كله » أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، فمن أهم الأمور التي يبذل السالك جهدا للوصول إليها هو اليقين.

﴿ ..كلا لو تعلمون علم اليقين... ﴾[1].

---

(١) سورة التكاثر: (٥).

واليقين يكون بالتقرب إلى الله بالوسائل التي اعتمدت في الشريعة كطرق للوصول إلى هذا اليقين الذي هو ذروة مقامات القلوب، والأشياء التي تقوي عند الإنسان اليقين هي كل الوسائل التي اعتمدت في الشريعة لتزكية النفس وقد ذكرنا أمهاتها في كتاب المستخلص.

ولنتذكر حديث حنظلة « يذكرنا بالجنة فكأنا رأي عين » أخرجه مسلم فمتى وصل الإنسان إلى اليقين تصبح الجنة والنار وكأنهما رأي عين وهذا الحال هو الحال الغالب على أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام فأين هذا الحال؟ إن على الربانيين أن يتحققوا ويحققوا ثم يقول الشيخ : (ما حجبك عن الله وجود موجود معه إذ لا شيء معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) إذ لا شيء له وجود مستغن عن الله، فكل شيء قائم بالله، والله وحده هو القائم بذاته وغيره يقوم به : ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله** ﴾[1]، ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم** ﴾[2]، ﴿ **هو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾[3]، والإنسان يستغرق بعالم الأسباب فينسى أن الله هو وحده الخالق ويأتيه رزقه من هنا وهناك فينسى أن الرزق من الله.

فإذا استطاع الإنسان أن يخرق حجب الوهم فإنه لا يرى غير الله مؤثراً أو فاعلاً فيجد الأشياء كلها من الله ولا قيام لها إلا بالله، ومتى وصل الإنسان إلى الشعور بهذه المعاني ذاق طعم الوصول، وصولك إلى الله هو وصولك إلى العلم به : (لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الصفات)، لقد ظهر الله بمخلوقاته ومن مخلوقاته عرفنا صفاته وأسماءه فعرفنا أنه هو المحيي والمميت والوهاب والرزاق، ولولا ظهوره جل جلاله ما وجدت المخلوقات ولا وجدت صفاتها، فوجودي من الله وصفاتي منه، وذلك مظهر اسمه الظاهر : (ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته). لو رأينا القدرة الإلهية كيف تعمل لانمحت عندنا الأكوان، فلو نظرت إلى الألكترون وهو أصغر جزء من المادة فإنك تجد دورانه بالله وقيامه بالله وإمداده

---

(١) سورة فاطر: (١٥).

(٢) سورة البقرة: (٢٢٥).

(٣) سورة الحديد: (٣).

من الله، فلو كشف لك الحجاب ورأيت القدرة الإلهية فماذا ترى : قال الشيخ : (لو ظهرت صفاته لاضمحلت مكوناته لكن الله أراك آثار قدرته ولم يرك قدرته).

(أظهر كل شيء لأنه الباطن) أظهر ما أظهر من مخلوقاته وأعطاها صفة الظهور لأنه هو الباطن جل جلاله لكن في الوقت نفسه : (وطوى وجود كل شيء لأنه هو الظاهر). فهو الظاهر وهو الباطن، والمؤمن من لا يغفل عن ذلك فإذا غلب الشعور بالظهور يفر إلى معرفة اسم الله الباطن، وإذا غلب الشعور بالبطون يفر إلى استشعار الظهور، والمعرفة الإلهية القلبية تكاد تكون استمرار الشعور ما بين اسمي الله الظاهر والباطن، فالظاهر يفنيك والباطن يبقيك والمعرفة الشعورية فناء وبقاء (أباح لك أن تنظر ما في المكونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾[1] ولم يقل انظروا السموات والأرض، وصف الله تعالى علماء الطبيعة الكافرين بقوله : ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا** ﴾[2]. فعلماء الكون نظروا في هدا الكون واستخرجوا كثيرا من قوانينه كقانون الجاذبية وهذا مطلوب ولكن المطلوب الأكبر أن تنظر في الكون لتصل إلى ما وراء ذلك لتصل إلى معرفة الله : (قل انظروا ماذا فيها فتح لك باب الإفهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام)

ثم قال الشيخ : (الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته) الكون لإثبات الله إياه فمن أنكر وجوده كفر، ومع أن وجود الكون ثابت بإثبات الله فإن من تذوّق معنى الأحدية والواحدية لله تعالى، وأنه واحد في ذاته، واحد في أفعاله، فإن صور الأكوان تنمحي من قلبه فلا يرى فاعلاً إلا الله.

هذا الكلام هو مضمون نصوص كثيرة، والمسلمون كلهم ما عدا بعض الفرق الشاذة يسلمون به، لكن الفارق بين أهل السلوك وغيرهم : أن أهل السلوك يذوقون هذه المعاني ويستشعرونها فمن تذوقها في قلبه فهذا الذي وصل.

---

(١) سورة يونس: (١٠١).

(٢) سورة الروم: (٧).

فوائد :

١ ـــ بمناسبة الكلام عن خرق العوائد لتخرق لك العوائد قال ابن عجيبة : (وهي على قسمين : عوائد ظاهرة حسية، وعوائد باطنة معنوية (فمثال) العوائد الحسية : كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس وخلطة الناس والدخول في الأسباب وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب والاستغراق في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية وغير ذلك. (ومثال العوائد المعنوية : حب الجاه والرياسة وطلب الخصوصية وحب الدنيا والمدح وكالحسد والكبر والعجب والرياء والطمع في الخلق ووخوف الفقر وهمّ الرزق والفظاظة والقسوة وغير ذلك مما تقدم. فمن خرق من نفسه عوائدها الحسية بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية).

ـــ بمناسبة الكلام عن التعلق بأوصاف الربوبية والتحذير من ادعاء ما لله عز وجل قال ابن عباد : (التعلق بأوصاف الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لا شيء من جميع ذلك لك ولا منك وإنما هي عوار عندك فلا ترى وجودك إلا بوجوده، ولا بقاءك إلا ببقائه، ولا عزتك إلا بعزته، ولا قدرتك إلا بقدرته، ولا غناك إلا بغناه إلى غير ذلك من الأوصاف، ولا يتم لك ذلك إلا بأن تتحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذُلِّكَ وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شيء واحد لا تعدد فيهما على التحقيق.

ومن أفحش الفواحش عند العارفين : وجود شيء من الشركة في قلب العبد بادعاء شيء من أوصاف الربوبية لنفسه عقداً أو قولاً؛ لأن ذلك منازعة له وتكبر عليه، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحدة منهما ألقيته في النار » ومعنى المنازعة الدعوى قولاً وعبارة، والإضمار فعلاً وإشارة، ومعنى الغيرة في حقه تعالى : أنه لا يرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هو حق له من الأعمال الدينية، وإذا كان الحق تعالى مانعاً لك ومحرماً عليك أن تدعي ما ليس مما أعطى المخلوقين من الأموال ومسميا ذلك ظلماً وعدواناً فكيف يبيح لك أن تدعي وصفه وهو رب العالمين لا شريك له في ذلك لا أنت ولا غيرك، فهو إذاً من أعظم الظلم وأشد العدوان، عافانا الله من ذلك)

(قلت) : وهذا المعنى الذي ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسألة هو الغرض الأقصى الذي هو مرمى نظر الصوفية وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال إنما هي وسائل إلى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم أبداً إنما هو العمل على موت نفوسهم وإسقاط حظوظها بالكلية.

٣ ـ وبمناسبة كلام المؤلف عن احتياجك لحلم الله وأنت في الطاعة قال ابن عباد : وذلك أن المطيع قد يعرض له عند طاعته أحوال كرؤية نفسه والإعجاب والكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء إلى غير ذلك من كبائر القلوب، فيخاف أن تنقلب طاعته معصيه، والعاصي ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار إليه فلذلك كان العبد إلى حلم الله إذا أطاعه أحوج منه إلى حلمه إذا عصاه، وهذا زيادة تحذير من رؤية استحقاق الوصول بالأعمال فإن ذلك غلط وجهل.

وقال ابن عجيبة : (أنت إلى حلمه إذا أطعته أحوج منك إليه إذا عصيته) قلت : وذلك لأن الطاعة بساط العز والرفعة وللنفس فيها شهوة ومتعة، ولأن الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم وويبادرون إليه بالخدمة والتكريم، وكل ما عظم في عين الخلق، سقط من عين الحق، إن كان يفرح بذلك ويقنع بـه دون الملك الحق بخلاف المعصية، فإنما هي بساط الذل والانكسار ومحل السقوط والاحتقار، وكل ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق فكان العبد في حال طاعته لربه أحوج إلى حلمه وعفوه منه في حال معصيته؛ لأن الطاعة التي ينشأ عنها العز والاستكبار أقبح من المعصية التي تورث الذل والافتقار.

* * *

القسم الرابع

توجيهات للعارفين والربانيين والشيوخ
وفيه
مقدمة وبابان

الباب الأول : مختارات تتعلق بالشيوخ.
الباب الثاني : اثنا عشر فصلاً من الحكم.

المقدّمة

إن القضية الكبرى عندي ليست مشكلة تسميات أو اصطلاحات، وإنما القضية الكبرى هي أن هناك حالات راقية قل ظهورها في الأمة ونريدها أن تحيا نظرياً وعملياً فما من أحد من المسلمين يشك أن هذه الأمة لها فضل على غيرها بنص الكتاب والسنة فالله تعالى يقول : ﴿ **كنتم خير أمة أُخرجت للناس** ﴾[1].

والرسول ﷺ يقول : « أنتم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل » أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي وغيرهما.

فليس من المتوقع أن يكون إكرام الله للأمم السابقة ــ ولله المشيئة المطلقة ــ أكثر من إكرامه لهذه الأمة، وما دام ربنا عز وجل قد أمرنا أن نقتدي بالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين بقوله تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾[2] فهذا يقتضي بالضرورة أن هذه الأمة قادرة على الارتقاء فيما لا يعتبر خصوصية لرسول أو نبي، فإذا كان الأمر كذلك فلابد من التفتيش عن جوانب القدوة في العلم والعمل والحال عند النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والمرجع والمآل والحكم لما وافق في النهاية هدي رسولنا عليه الصلاة والسلام فهذا هو الذي يحملنا على الكتابة في مثل هذه المعاني التي أظهرناها في بعض كتبنا، ونحب أن نلفت النظر إلى شيء مهم وهو أنه كما تمرض

---

(١) سورة آل عمران: (١١٠).

(٢) سورة الفاتحة: (٦ ــ ٧).

الأجسام فإن القلوب والأنفس والأرواح والعقول تمرض ولكل عصر أمراضه، ومن قرأ النصوص النبوية التي تتحدث عن أمراض تكون في هذه الأمة من مثل : « دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء وهي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم » أخرجه أحمد والترمذي وجود إسناده المنذري والهيثمي وحسنه لغيره الشيخ شعيب الأرناؤوط.

ومن مثل : « وليقذفن الله في قلوبكم الوهن قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت ». أخرجه أحمد وأبو داود.

ومن مثل : (فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تدع الحليم منهم حيران فبي يغترون أم علي يجترئون) رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي حسن غريب.

من عرف هذا وأمثاله أدرك إمكانية وجود أمراض قلبية في بيئات خاصة أو أزمنة خاصة أو عند أشخاص بأعيانهم ومن عرف قوله تعالى : ﴿ **قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور** ﴾[1] أدرك أنه لا مرض إلا وفي الكتاب والسنة شفاؤه؛ ولكن قد لا يفطن كل أحد لدواء الداء فمن ههنا وجدت رتبة الربانية التي ترث عن رسول الله ﷺ علم تزكية النفس كما قال تعالى : ﴿ **ويزكيكم** ﴾[2] وعندما نقرأ كتب التصوف قد نجد بعض الربانيين يعالج بعض أمراض القلوب بأنواع من المعالجات المشروعة لكن بنوع من التركيز الخاص، فلا ينبغي ــ ما دام الأمر داخلاً في دائرة المباح ــ أن يكون ذلك محل إنكار، ومن ههنا فإنني أعتبر هدي الربانيين في الدعوة والتربية، والتزكية خلال العصور بمثابة تجارب روحية يستأنس بها ربانيو عصرنا، على أنه من الغلط الكبير أن نعتبر الكثير مما حدث يصلح لعصرنا، فالفتوى تقدر زماناً ومكاناً وشخصاً وكذلك معالجة أمراض عصرٍ ما أو بيئةٍ ما أو شخصٍ ما قد لا يصلح بالضرورة لمعالجة حالة أخرى، ومن ههنا كان لا بد لرباني هذا العصر أن تكون لهم اجتهاداتهم في معالجة أمراض هذا العصر أو بيئاته أو أشخاصه، ولا حرج من الاستئناس بفعل الربانيين وفيما ذكرته

---

(١) سورة يونس: (٥٧).

(٢) سورة البقرة : (١٥١)

في (تربيتنا الروحية) أو (المستخلص) أو في هذا الكتاب نوعان من الكلام : نوع هو صريح الكتاب والسنة، ونوع هو فهم العلماء. فالنوع الثاني لم أذكره إلا ليستأنس به ربانيو عصرنا، ولا أعتبره معصوماً عن الخطأ وجزى الله كل من يدلني على خطأ فيه، ولكن أطالب نفسي وأطالب غيري بأن نرتقي إلى أخلاق الأولياء والصديقين فنرد بالأدب وننقد بلطف ولا نسكت مع الأدب واللطف عن خطأ فهذا حق الله على العلماء.

* * *

دعنا نتساءل : ألم يطلب الله عز وجل من كل مسلم فضلاً عن العلماء والأولياء والربانيين أن يقتدوا برسول الله ﷺ؟ ما من مسلم إلا ويقول بلى، فدعونا نطرح التساؤل التالي : هل تعطى التزكية وتعليم الحكمة والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ المكان اللائق بها في هذا العصر؟ إنني سأحاول فيما يلي تقريب الأمر للبرهان على أن هذه الأمور فيها نقص ولا تُعطى حقها:

(١)

فالحكمة هي السنة ويدخل في تعليم السنة وضع الأمور في مواضعها على ضوء العلم؛ فذلك من سنته عليه الصلاة والسلام، ويدخل في ذلك تعليم أصول العمل الحياتي والتعامل الحياتي فكل شيء له أصوله، أدب العلاقات الزوجية والعلاقات العائلية وعلاقات الجوار والحرفة والمهنة، وللترتيب أصوله، وللتنظيم أصوله، ولكل جانب من جوانب الحياة أصولها التي تحكمها وتنضبط بها، والعمل الإسلامي له أصوله، وأطوار الحياة وتقلبات الظروف والطوارئ كل ذلك يعالج بأصوله، فمن أهم تعليم الربانيين أن يعلموا الحكمة في كل شيء بتعليم أصول ذلك.

(٢)

والجانب الثاني تزكية النفس فالتزكية تحرر وتحقق وتخلق وثمرات، وكل ذلك ينبغي أن يكون على أصول واضحة ثابتة وقد استخلصنا كتابنا (المستخلص) لتوضيح هذه الأمور.

وإذا أردنا أن نختصر كمالات المرشدين ومهماتهم فبالإمكان اختصارها بجملتين: وراثة النبوة علماً وعملاً وحالاً وهيئة وصفة مكتسبة، ونقل ذلك إلى الخلق.

وعندما يقوم الربانيون بمثل هذا قد يتعرضون لخداع الشيطان فالشيطان لا يترك الإنسان والنفس تحتاج إلى مجاهدة مستمرة كما قال الشيخ الجيلاني : (أن تموت وسيفك يقطر من دم المجاهدة) وعندما يقومون بواجباتهم فإن عليهم أن يبقوا محلقين في أجواء خاصة فلا تستجرهم المواقف لمنزلقات الطريق.

وللربانيين والمرشدين منازلهم ومقاماتهم وهم يقومون بحق الله عز وجل، ولكي نبقى مشدودين إلى الأصول من الكتاب والسنة ونحن نتحدث عن الربانيين وقضية زكاة النفس وتزكيتها، سنحاول توضيح ذلك من خلال نقطة واحدة ركزت عليها النصوص، فالله عز وجل قال : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾[1] فلو أننا تأملنا النصوص القرآنية والحديثية التي علق الله عز وجل ورسوله ﷺ الفلاح عليها فإننا نكون قد عرفنا ماهية زكاة النفس التي ينبغي أن يتخلق بها الرباني وأن يخلِّق بها، وكل ما يذكر بعد ذلك إنما يخدم هذه المعاني. وهذه بعض النصوص التي ذكرت الفلاح وبماذا يكون :

١ ـــ قال تعالى: ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه هدًى للمقتين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون** ﴾[2].

فههنا علّق الفلاح على الاهتداء بكتاب الله والإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق والإيمان بالوحي كله والإيمان باليوم الآخر.

٢ ـــ قال تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى

---

(١) سورة الشمس: (٩ ـــ ١٠).

(٢) سورة البقرة: (٣ ـــ ٥).

وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون ﴾[1].

فههنا علّق الفلاح على عشرة معان أحدها الخشوع في الصلاة، وآخر الإعراض عن اللغو، وآخر حفظ الفرج.

٣ ــ وقال تعالى : **﴿ لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾**[2].

فههنا علّق الفلاح على ترك الربا وتقوى الله.

٤ ــ وقال تعالى : **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾**[3].

فههنا علّق الفلاح على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

٥ ــ وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾**[4].

فههنا علّق على الصبر والمصابرة والرباط والمرابطة في الله وفي سبيله.

٦ ــ وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾**[5].

فههنا علّق الفلاح على التقوى والتقرب إلى الله بالعمل الصالح والجهاد في سبيل الله تعالى.

---

(١) سورة المؤمنون: (١ ــ ١٠
(٢) سورة آل عمران: ١٣٠).
(٣) سورة آل عمران: (١٠٤).
(٤) سورة آل عمران: (٢٠٠).
(٥) سورة المائدة: (٣٥).

٧ ـــ وقال تعالى : ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** ﴾[١].

فههنا علّق الفلاح على اجتناب الخمر والميسر والأوثان والمقامرة واليانصيب.

٨ ـــ وقال تعالى : ﴿ **فاذكروا ءالاء الله لعلكم تفلحون** ﴾[٢].

فههنا علّق الفلاح على تذكر نعم الله عز وجل.

٩ ـــ وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾[٣].

ههنا علّق الفلاح على الثبات في القتال وعلى الذكر الكثير لله عز وجل أثناء القتال.

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[٤].

فههنا علّق الفلاح على الركوع والسجود والعبادة لله وفعل الخير.

وقال تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾[٥]

(١) سورة المائدة: (٩٠).
(٢) سورة الأعراف: (٦٩).
(٣) سورة الأنفال: (٤٥).
(٤) سورة الحج: (٧٧).
(٥) سورة النور: (٣١).

فههنا علّق الشيخ على غض البصر وحفظ الفروج والحجاب والتوبة.

١٢ ــ وقال تعالى : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون** ﴾(١).

فههنا علّق الفلاح على قبول تحكيم شريعة الله عز وجل مع السمع والطاعة.

١٣ ــ وقال تعالى : ﴿ **فآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون** ﴾(٢).

فههنا علّق الفلاح على صلة ذوي القربى والمساكين وابن السبيل.

١٤ ــ قال تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾(٣).

فههنا علّق الفلاح على عدم موادة من يحارب الله ورسوله.

١٥ ــ وقال تعالى : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أُوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾(٤).

فههنا علّق الفلاح على ترك الشح بإقامة الإيثار وحب المهاجرين وحب الإنفاق في سبيل الله.

---

(١) سورة النور: (٥١).

(٢) سورة الروم: (٣٨).

(٣) سورة المجادلة: (٢٢).

(٤) سورة الحشر: (٩).

١٦ ــ وقال تعالى : ﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين ﴾[1].

فههنا علّق الفلاح على التوبة والإيمان والعمل الصالح.

ومما ورد فيه اشتقاق الفلاح في النصوص النبوية :

١ ــ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ويل للعرب من أمر قد اقترب، أفلح من كفّ يده ». أخرجه أحمد، وعند أبي داود « من شر قد اقترب ».

٢ ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما أتاه ». أخرجه مسلم وأحمد.

٣ ــ عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليماً ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة وعينة ناظرة، فأما الأذن فقمع، والعين بمقرة لما يوعي القلب، وقد أفلح من جعل قلبه واعياً ». أخرجه أحمد.

٤ ــ عن صالح بن يحيى بن المقداد عن جده المقداد بن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « أفلحت يا قديم إن لم تكن أميراً ولا جابياً ولا عريفاً » أخرجه أحمد.

٥ ــ عن أشعث قال : حدثني شيخ من بني مالك بن كنانة قال : رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ». أخرجه أحمد.

عن أبي السليل قال: وقف علينا رجل في مجلسنا بالبقيع، فقال: حدثني أبي أو عمي أنه رأى رسول الله ﷺ بالبقيع وهو يقول: « من يتصدق بصدقة أشهد له بها يوم القيامة؟ » قال: فحللت من عمامتي لوثاً أو لوثين وأنا أريد أن أتصدق بهما فأدركني

(١) سورة القصص: (٦٧).

ما يدرك بني آدم فعقدت على عمامتي فجاء رجل ولم أر بالبقيع رجلاً أشد عواداً أصفر منه ولا آدم، يعبر بناقة لم أر بالبقيع ناقة أحسن منها فقال: يا رسول الله أصدقه؟ قال : نعم، قال : دونك هذه الناقة، قال : فلزمه رجل فقال : هذا يتصدق بهذه فوالله لهي خير منه قال : فسمعها رسول الله ﷺ فقال : « كذبت بل هو خير منك ومنها » ثلاث مرار ثم قال « ويل لأصحاب المئين من الإبل ثلاثاً » قالوا : إلا من يا رسول الله؟ قال : إلا من قال : بالمال هكذا وهكذا » وجمع بين كفيه عن يمينه وعن شماله، ثم قال : « قد أفلح المزهد المجهد ثلاثاً المزهد في العيش المجهد في العبادة ». أخرجه أحمد.

فهذه بعض مظاهر الفلاح التي حددتها النصوص فإذا تأملنا قوله تعالى : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾[1] عرفنا ما هي زكاة النفس التي ينبغي أن يتخلق بها الرباني وأن يربي عليها غيره.

(٣)

وأما أخلاق النبوة فإننا نكتفي للبرهان على القصور فيها بما يلي :

لقد كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. وهاك نماذج من أخلاقه عليه الصلاة والسلام التي وصِفَ بها في القرآن أو أُمِر :

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾[2].

فلا يصح للوارث أن يكون غليظ القلب فظاً، بل عليه إذا أخطأ من حوله أن يعفو وإذا أذنبوا أن يستغفر لهم وعليه أن يكثر من الاستشارة.

ومن أخلاقه عليه الصلاة والسلام في القرآن قوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾[3].

---

(١) سورة الشمس: (٩).

(٢) سورة آل عمران: (١٥٩).

(٣) سورة التوبة: (١٢٨).

فكل ما يشق على المريدين ينبغي أن يتجنبه الشيخ هذا مع الحرص عليهم والرأفة والرحمة بهم، فإذا ما انقطع أحدهم عن المسير العلمي والروحي بقي يسأل عنه ويكلف به من يؤلف قلبه.
ومن أخلاقه عليه الصلاة والسلام في القرآن ﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾[1].

أي : وهو أبوهم، فالشيخ الذي لا يحس إخوانه بأبوته وحنانه عليهم وعطفه عليهم وتذكرهم وتذكيرهم والشفقة عليهم بأكثر مما يشفق الإنسان على نفسه ليس هو الوارث الكامل.

ومن أخلاقه عليه الصلاة والسلام كثرة إصغائه لمحدثه مع تمييزه بين الصادق وغيره وبين الاقتراح الصالح والاقتراح المرهق، قال تعالى : ﴿ **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذن، قل أُذُنُ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ **واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾[3].

وقال تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾[4].

فمن لم يمتلك العفو وينفق منه، ومن لم يلاحظ أعراف الناس المباحة ومن لم يعرض عن الجاهلين فحظه من الوراثة قليل.

وقال تعالى : ﴿ **وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى** ﴾[5] فالشيخ الذي لا يُقبل على مريديه كائناً ما كانوا أكثر من إقباله على أبناء الدنيا حظه من الوراثة ضعيف.

---

(١) سورة الأحزاب: (٦).
(٢) سورة التوبة: (٦١).
(٣) سورة الأحزاب: (٧).
(٤) سورة الأعراف: (١٩٩)
(٥) سورة عبس: (٨ — ١٠)

وقال تعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين** ﴾[1] فمن لم يقبل المقبلين أياً كانوا فحظه من الوراثة ضعيف وعلى هذا فقس.

فالوراثة النبوية علم وعمل وخلق وحال لا بد للمرشد أن يتحقق بها إذا ما أراد أن يقوم بحق الله عز وجل.

* * *

ولعلك من خلال معرفة التصور بهذه الأمور الثلاثة تعرف لماذا تأخذ هذه المعاني من اهتمامنا الكثير، فإننا نعتقد بأنه إذا لم يتصدر الربانيون للتربية والإرشاد فالأمر فيه خلل والخلل قد يؤدي إلى ما هو أكبر، ولذلك ذكرنا في رسالتنا (إحياء الربانية) أن جزءاً من حلّ مشكلات عصرنا يمكن بإحياء الربانية وتعميمها.

ولقد ذكرت في رسالتنا إحياء الربانية :

وإذا كانت الربانية هي الحل فما هو الجديد الذي يحتاج إلى تذكير وتركيز؟

الجديد هو معرفة من هو الرباني في هذا العصر؟

وما هي الثقافة التي يحتاجها؟

وما هي الأخلاق التي يجب أن يلتزم بها؟

وما هو السمت الذي يجب أن يكون عليه؟

وما هي البيئة التي يتخرج منها؟

فالثقافة التي يحتاجها الرباني أوسع مما هي في واقع الحال، فالثقافة المتوارثة ليست كافية بل لا بد من الإضافة إليها من مثل فقه الدعوة، وفقه أنظمة الإسلام، ومعرفة العصر، ومعرفة المواقع المتقدمة للعمل الإسلامي المعاصر.

---

(١) سورة الأنعام: (٥٢).

والأخلاق التي يجب أن يلتزم بها هي أخلاق حزب الله بمجموعها المحبة لله والذلة على المؤمنين...

والسمت الذي يجب أن يتحلى به هو سمت النبوة ظاهراً أو باطناً.

والبيئة هي مجالس الذكر والعلم والتلقي على يد الربانيين والذوبان في بوتقة الإخاء الإسلامي الخاص والعام، وكل ذلك يجب أن يكون على أصول عقيدية صحيحة واتجاهات فقهية معتمدة.

إنه لا ربانية إلا حيث وجدت عقائد أهل السنة والجماعة ومذاهب الأئمة مع حالة قلبية مع الله عز وجل، فالرسول ﷺ ورثنا علماً وعملاً وحالاً قلبية وصفة؛ فمن ورث هذا كله فهو الرباني.

إن تكامل العمل الإسلامي الذي يحتاجه هذا القرن يقتضي وجود الربانيين الذين يقومون بعدد من العمليات أو يشرفون عليها من خلال الموقف الحكيم.

فالأصل من الربانية إلى ما سواها أما إذا كان الأمر على غير ذلك فالانتكاسات والتمزقات هي الأساس، ولنتذكر مرة أخرى كلمة عمر رضي الله عنه كما رواها الدارمي :

« عن تميم الداري قال : تطاول الناس في البناء في زمن عمر فقال عمر : يا معشر العرب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم ».

ولقد حددت في تلك الرسالة ثقافة الربانيين الذين يستطيعون القيام بحقوق الربانية بأنها ثلاث عشرة وحدة دراسية منها الثقافة المعاصرة، أما العلوم الإسلامية فمنها : القرآن وعلومه، ومنها السيرة وعلومها، ومنها أصول الفقه، والتصوف المحرر، والعقائد والسيرة والتاريخ الإسلامي، وحاضر العالم الإسلامي، وعلوم اللغة العربية، وفقه الدعوة المعاصرة، وعلم الأصول الثلاثة والدراسات الإسلامية الحديثة.

أما أخلاقية الربانيين فمحددة بقوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم

ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾(١).

فإذا ما وجد الرباني المتحقق بالثقافة المتكاملة والمتخلق بالأخلاق الكاملة وقام بحقوق الربانية كما سجلها القرآن في حق ربانيي بني إسرائيل :

من حكم بالقرآن وشهادة عليه وعلى الناس فيه وتعليم وأمر بمعروف ونهى عن منكر فالمرجو أن يجتمع له ولمن استجاب له خير الدنيا والآخرة.

إن شرائط المرشد الكامل وآدابه كثيرة وتراها موزعة في هذا الكتاب وفي كتاب (المستخلص) وفي كتاب (تربيتنا الروحية)، والشيخ ابن عطاء ركز في حكمه أكثر ما ركز على المعاني القلبية وبعض الآداب، وتركيزه على المعاني القلبية سببه أن ذلك أخطر ما يؤتى منه الشيوخ ألا ترى إلى قوله تعالى :

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾(٢).

ولقد قرأت لبعض الشيوخ كتاباً تحدث فيه عن مقامات السير من بداياتها إلى نهاياتها فذكر مائة مقام ثم ذكر أن من وصل إلى المقام المائة لم يعد للشيطان عليه سبيل إلا من خلال الشهوات، والشهوات منها الحسي ومنها المعنوي وفي قصة آدم عبرة.

ومبنى المشيخة التربوية على الإجازة من الشيوخ ولكن حدث في تاريخ التصوف وفي واقع الحياة المعاصرة أن الشيوخ أصبحوا يعطون إجازات التربية

---

(١) سورة المائدة: (٥٤ ـــ ٥٦).

(٢) سورة الأعراف: (١٧٥ ـــ ١٧٧).

لبعض تلاميذهم ولو لم يكن عندهم الكمال العلمي والروحي المنشودان لأسباب بعضها فرضها الواقع وبعضها عدم الفهم الكامل لقضية الربانية ونحن ندعو ــ وللضرورات أحكامها ــ أن لا يعطى أحد إجازة الربانية إلا بعد تحصيله العلوم الإسلامية العشرة وإلا بعد التحقق بالحال القلبي الرفيع لكن القضية القلبية غيبية وقد قال الشيخ أحمد الرفاعي : نهاية العلماء والصوفية واحدة فبالإمكان أن يعطى إجازة الربانية من حصّل هذه العلوم وظهر عليه سمت الربانية.

ونحن في هذا القسم سنذكر بابين : بابا فيه مختارات تناسب هذا الفصل، وبابا فيه تتمة فصول حكم ابن عطاء التي اعتبرناها موجهة للعارفين والصديقين والمرشدين أكثر من غيرهم.

* * *

انصب كلام الشيخ في هذا القسم على الحال التعليمي للشيوخ، وعلى بعض آدابهم التي فيها نجاتهم فمن أخطر ما يواجهه المتصدرون للدعوة والإرشاد أن ينسوا حالهم مع الله فينتقلون من دعاة إلى الله إلى أن يكونوا دعاة لأنفسهم فَيهلَكون ويُهلِكون، ومن ههنا انصب كلام الشيخ على مثل هذه المعاني.

ولم يتعرض ههنا لقضيتين مهمتين :

القضية الأولى : كمالات الشيوخ التي تؤهلهم لمنصب الإرشاد الكامل.

القضية الثانية : ما هي الواجبات التي تلزم المرشدين الكمل.

ولا بد ههنا من الإشارة إلى أن الشيوخ الذين يدعون ويربون وليسوا بالمرشدين الكاملين فهؤلاء يستفاد من علمهم وحالهم، أما المرشدون الكمل فهم الذين يهتدي الإنسان بهداهم ويعطيهم المعية والولاء والطاعة قال تعالى :

﴿ **اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾[1] ويدخل في هؤلاء الصديقون والصالحون والشهداء.

---

(١) سورة الفاتحة: (٦ ــ ٧).

﴿ واتبع سبيل من أناب إلي ﴾[1].

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[2].

﴿ ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ﴾[3].

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾[4] قال ابن عباس : أولو الأمر هم العلماء الفقهاء.

وإنما لم يتعرض الشيخ لصفات المرشد الكامل؛ لأنه قد مر بعضها ونحن نرى أنه في عصرنا لا بد من توافر شروط كثيرة في المرشد الكامل.

منها إتقانه لأصول الثقافة العشرة التي مرت معنا من قبل، ومنها قيامه بواجب التعليم والوعظ والنصح وإرشاد الخلق وتزكية أنفسهم والنصوص التي تدل على ذلك كثيرة منها :

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾[5].

فالمرشد الكامل هو من ورث هذا.

﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾[6].

﴿ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت ﴾[7].

---

(١) سورة لقمان: (١٥).

(٢) سورة التوبة: (١١٩).

(٣) سورة الكهف: (١٧).

(٤) سورة النساء: (٥٩).

(٥) سورة البقرة: (١٥١).

(٦) سورة آل عمران: (٧٩).

(٧) سورة المائدة: (٦٣).

﴿ **يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفِظُوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ﴾[1].

وفي كثير من الأحيان لم يتعرض شيوخ الصوفية لكل هذه الجوانب التي هي من مهام الربانيين؛ فحدث خلل كبير ولا بد من إعادة الأمور إلى نصابها بإذن الله.

لقد قال تعالى : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾[2].

فدل ذلك على أن الغلبة في الدعوة إلى الله بعد الأنبياء هو الولي المرشد، فمن لم يهتد على أيدي هؤلاء فذلك علامة على أن الله عز وجل يريد إضلاله، ولذلك فإنني ألح على ضرورة أن يقوم بشأن الدعوة إلى الله والتربية والتعليم الأولياء المرشدون، والطريق إلى الولاية إقامة الفرائض والإكثار من النوافل على أن تعرف الفرائض حق معرفتها فهناك فروض العين وهناك فروض الكفاية التي يتعين لها بعض الناس وهناك فروض الوقت وفروض العصر، وقد شرحنا ذلك في كتاب (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر)

فهؤلاء الأولياء إذا وجدوا عم الخير ووجدت البركة، ولقد غلب على بعض الناس معاداة الأولياء والعلماء وكل ذلك خطر على الإنسان وعلى الأمة، ولعل المعاني الأخيرة كلها مجموعة في الحديث :

قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرَّب إليّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه »، رواه البخاري، ففي هذا الحديث إعلان حرب على من عادى الأولياء، وفيه ذكر الطريق للوصول إلى الولاية، وفيه ذكر لما يكرم الله أولياءه، وهذا الحديث مما استدل به الصوفية على فكرة الفناء بالصفات بمعنى أن يستشعر السالك أن أفعاله كلها بالله.

---

(١) سورة المائدة: (٤٤).

(٢) سورة الكهف: (١٧).

إنه منذ مئة عام وحتى الآن تبذل جهات متعددة جهوداً كثيرة لتحقير العلماء وازدرائهم وتسليط الأضواء على سلبيات معينة عندهم وتوجيه أنواع من التهم من خلال النكتة والمقالة والمبدأ والمؤسسات وكل ذلك ليعزلوا العالم الرباني عن الشعب والأمة، ولقد استسلم كثير من العلماء لهذه الحملة فإلى هؤلاء أقول : أين هم من الاقتداء برسول الله ﷺ وأين هم من قول أبي بكر رضي الله عنه: أينتقص الإسلام وأنا حي؟.

لقد كنت أرى شيخنا محمداً الحامد رحمه الله يتحرك دائماً للإسلام وكأن الإسلام ابنه الذبيح الذي يذبح بين يديه، فكان دائم الألم والحسرة والحركة والحرقة، ولقد كنت أتساءل هل لقول الشاعر ظل من الحقيقة؟.

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح
أباها علي الناس لا يشترونها وهل يُشترى ذو عاهة بصحيح

حتى عرفت أن شيخنا استشهد بهذه العاهة على أثر جراحة قلبية رحمه الله لقد كان له الفضل الأول في تربيتنا وفي إعطائنا علماً صحيحاً وتصوفاً منقحاً محرراً، ولقد تعمدت أن أذكره في هذه المقدمة وفاءً لذكراه رحمه الله.

وها أنت ذا مع الباب الأول في القسم الرابع.

* * *

الباب الأول

مقتطفات من كلام القوم تتعلق بالشيوخ



قال الشيخ عبد الباري الندوي في كتابه بين التصوف والحياة :

علائم الشيخ الكامل :

١ ـــ أن يحمل من العلم القَدْرَ الذي لا غنى عنه.

٢ ـــ أنْ يكون محافظاً على الشريعة في العقيدة، والعمل، والخلق جميعاً.

٣ ـــ أنْ لا يكون حريصاً على الدنيا، ولا يزعمُ لنفسه الكمال، لأنّه شعبةٌ من حب الدنيا.

٤ ـــ أنْ يكون قد قضى مدة في صحبة شيخ كامل.

٥ ـــ أنْ يُحسنَ العلماءُ والمشيخة المعاصرون المنصفون الظنَّ به.

٦ ـــ الذين يبايعونه يصبح أكثرهم أحسن حالة من حيث التمسك بالشرع، وقلةُ الحرص في الدنيا.

٧ ـــ أنْ يعطِف ويحدِبَ على حال مريديه في تعليمهم وتلقينهم. وكلما رأى فيهم سوءا أو سمعه نَعى عليهم، ومنعهم منه، لا أنْ يدعَهم على حالهم كيفما كان.

٨ ـــ الجالس في صحبته يشعر بالنقصان في حب الدنيا، والزيادة والتقدم في حب الله.

٩ ـــ أن يكون هو نفسه ذاكراً مشغولاً، إذ بغير العمل أو بدون عزمه لا تحصل البركة في التعليم.

١٠ ـــ يجب أنْ لا يلتمس اضطراب الناس من تأثير إلقائه، والتوجه منه، لأن ذلك ليس مما يلزم للولاية. والحقيقة أنهما عمل نفسي يشتد ويعظم بالتمرين، ولا يختصان بالتقوى، بل تجد الكافر يقدر على ذلك؛ [على فارق بين التوجهين فذاك توجهه نوراني وهذا توجهه ظلماني].

وقال الشيخ أحمد الزروق في « قواعد التصوف » :
أخذ العلم والعمل عن المشايخ، أتم من أخذه دونهم، ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أُوتُوا العلم** ﴾[١] ﴿ **واتبع سبيل من أناب إليّ** ﴾[٢].

فلزمت المشيخة، لا سيما والصحابة أخذوا عنه عليه الصلاة والسلام، وقد أخذ هو ﷺ عن جبريل : واتبع إشارته في أن يكون عبداً نبياً، وأخذ التابعون عن الصحابة.

فكان لِكُلٍّ أتباع يختصون به كابن سيرين وابن المسيب والأعرج لأبي هريرة، وطاوس ووهب ومجاهد لابن عباس. إلى غير ذلك.

فأما العلم والعمل، فأخذه جلي فيما ذكروا، كما ذكروا.

وأما الإفادة بالهمة والحال، فقد أشار إليها أنس بقوله : (ما نفضنا التراب عن أيدينا من دفنه عليه الصلاة والسلام، حتى أنكرنا قلوبنا).

فأبان أن رؤية شخصه الكريم، كانت نافعة لهم في قلوبهم، إذ من تحقق بحالة لم يخلُ حاضروه منها. فلذلك أُمر بصحبة الصالحين، ونُهي عن صحبة الفاسقين.
وقال الشيخ أحمد الزروق في « قواعد التصوف » أيضاً : وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخرين، في الاكتفاء بالكتب عن المشايخ، ثم كتبوا للبلاد، فكل أجاب على حسب فتحه.

(١) سورة العنكبوت: (٤٩).
(٢) سورة لقمان: (١٥).

وجملة الأجوبة دائرة على ثلاث :

أولها : ـــ النظر للمشايخ، فشيخ التعليم، تكفي عنه الكتب للبيب حاذق، يعرف موارد العلم.

وشيخ التربية، تكفي عنه الصحبة. لذي دين عاقل ناصح.

وشيخ الترقية، يكفي عنه اللقاء والتبرك، وأخذ كل ذلك من وجه واحد أتم.

الثاني : ـــ النظر بحال الطالب.

فالبليد، لا بد له من شيخ يربيه.

واللبيب، يكفي الكتاب في ترقية لكنه لا يسلم من رعونة نفسه وإن وصل لابتلاء العبد برؤية نفسه.

الثالث : ـــ النظر للمجاهدات

فالتقوى لا تحتاج إلى شيخ لبيانها وعمومها.

والاستقامة، تحتاج إلى شيخ في تمييز الأصلح منها، وقد يكتفي دونه اللبيب بالكتب، ومجاهدة الكشف.

والترقية لا بد فيها من شيخ يرجع إليه في فتوحها، كرجوعه عليه الصلاة والسلام للعرض على ورقة، حين فاجأه الحق.

وهذه الطريقة قريبة من الأولى، والسنة معهما، والله أعلم.

أقول : قال تعالى : ﴿ **الرحمن فاسأل به خبيراً** ﴾[1].

فسّرها بعضهم بأن تسأل العارفين بالله عن الله، وقال تعالى : ﴿ **سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين** ﴾[2].

---

(١) سورة الفرقان: (٥٩).

(٢) سورة الصافات: (١٥٩).

وقال القشيري في رسالته : المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله تعالى عارف وكل عارف عالم، وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة، من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظي من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله تعالىَ في جميع أحواله، وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبياً، ومن آفات نفسه بريّاً، ومن المساكنات والملاحظات نقيّاً، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثاً من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك عارفاً، وتسمى حالته معرفة، وفي الجملة بمقدار أجنبيته عن نفسه تحصل معرفته بربه عز وجل.

وقال الشيخ القشيري في رسالته : عن عمر بن عثمان المكي يقول : ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من لقيت بمكة — حرسها الله تعالى — وغيرها ولا أحداً ممن قدم علينا في المواسم أشد اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزني رحمه الله تعالى، ولا رأيت أحداً أشد تعظيماً لأوامر الله تعالى منه، وما رأيت أحداً أشد تضييقاً على نفسه وتوسعة على الناس منه.

وقال الجنيد : لا يكون العارف عارفاً حتى يكون كالأرض يطؤه البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي ما يحب وما لا يحب.

وقال ذو النون : علامة العارف ثلاثة : لا يطفيء نور معرفته نور ورعه، ولا يعتقد باطناً من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم، ولا تحمله كثرة نعم الله عز وجل عليه على هتك أستار محارم الله تعالى.

وحكي عن أبي علي الرباطي قال : صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلا زاد ولا راحلة، فلما صحبته قال لي : أيما أحب إليك تكون أنت الأمير أم أنا؟ فقلت : لا بل أنت، فقال : وعليك الطاعة، فقلت : نعم. فأخذ مخلاة ووضع فيها زاداً وحملها على ظهره فإذا قلت : أعطني حتى أحملها قال : الأمير أنا وعليك الطاعة، قال : فأخذنا المطر ليلة فوقف إلى الصباح على

رأسي وعليه كساء يمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي : يا ليتني مت ولم أقل له أنت الأمير، ثم قال لي : إذا صحبت أنساناً فاصحبه كما رأيتني صحبتك.

وقال القشيري: قال الله عز وجل: ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[1] قال الأستاذ الإمام أبو القاسم رضي الله عنه : لما أثبت سبحانه للصديق رضي الله عنه الصحبة بيّن أنه أظهر عليه الشفقة فقال تعالى : ﴿ **إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[1]فالحر شفيق على من يصحبه.

والصحبة على ثلاثة أقسام : صحبة مع من فوقك وهي في الحقيقة خدمة، وصحبة مع من دونك وهي تقضي على المتبوع بالشفقة والرحمة، وعلى التابع بالوفاق والحرمة، وصحبة الأكفاء والنظراء وهي مبنيّة على الإيثار والفتوة، فمن صحب شيخاً فوقه في الرتبة فأدبه ترك الاعتراض وحمل ما يبدو منه على وجه جميل وتلقى أحواله بالإيمان به.

وسمعت منصور بن خلف المغربي وسأله بعض أصحابنا : كم سنة صحبت أبا عثمان المغربي؟ فنظر إليه شزراً وقال : إني لم أصحبه بل خدمته مدة، وأما إذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك في حق صحبته أن لا تنبهه على ما فيه من نقصان في حالته. كتب أبو الخير التيناتي إلى جعفر بن محمد بن نصير : وزر جهل الفقراء عليكم لأنكم اشتغلتم بنفوسكم عن تأديبهم فبقوا جهلة، وأما إذا صحبت من هو في درجتك فسبيلك التعامي عن عيوبه وحمل ما ترى منه على وجه من التأويل جميل ما أمكنك، فإن لم تجد تأويلاً عدت إلى نفسك بالتهمة وإلى التزام اللائمة.

أقول : هذا فيما ليس منكراً، أما المنكر المعروف المكشوف فلا بدّ فيه من النصيحة.

وقال الشيخ أحمد الزروق :

وقال الجنيد رحمه الله (من لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء، ويأخذ أدبه عن المتأدبين، أفسد من اتبعه).

---

(١) سورة التوبة: (٤٠).

وقال القشيري : وكان أبو تراب النخشي إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده وجدد توبته، ويقول : بشؤمي دُفِعوا إلى ما دُفعوا إليه لأن الله عز وجل يقول : ﴿ إن الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[1].

وقال رويم : من حِكَم الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسيع عليهم اتباع العلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع.

وكان محمد بن الفضل يقول : ذهاب الإسلام من أربعة لا يعملون بما يعلمون، ويعلمون ما لا يعملون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من التعلم.

ولا يصح للشيوخ التجاوز عن رلات المريدين لأن ذلك تضييع لحقوق الله تعالى.

وقال شاه الكرماني : من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعّمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة، وعوّد نفسه أكل الحلال لم تخطىء له فراسة. اهـ من الرسالة القشيرية.

وقال الشيخ زروق :

أصل كل خير اللقمة والخلطة، فكُلْ ما شئت فمثله تفعل، واصحب من شئت فأنت على دينه.

المقصود موافقة الحق وإن كان موافقاً للهوى، حتى قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : (إذا وافق الحق الهوى، فذلك الشهد بالزبد).

وقد أغرق قوم في مخالفة النفوس، حتى خالفوا الحق في طي ذلك.

من ادّعى فوق مرتبته، حط لدون مرتبته.

ومن وقف دون مرتبته، رفع فوقها.

ومن أدى مرتبته، نوزع في استحقاقها، فافهم.

---

(١) سورة الرعد: (١١).

إنكار المنكر إما أن يستند لاجتهاد، أو لحسم ذريعة، أو لعدم التحقق، أو لضعف الفهم، أو لقصور العلم، أو لجهل المناط، أو لانبهام البساط، أو لوجود العناد.

فعلامة الكل : الرجوع للحق عند تعينه، إلا الأخير، فإنه لا يقبل ما ظهر، ولا تنضبط دعواه، ولا يصحبه اعتدال في أمره.

تعريف العيوب مع الستر نصيحة، ومع الإشاعة والهتك فضيحة.

فمن عرفك بك، من حيث لا يشعر الغير، فهو الناصح.

ومن أعلمك بعيبك، مع شهود الغير، فهو الفاضح.

وليس لمسلم أن يفضح مسلماً إلا في موجب حكم بقدره ، من غير تتبع لما لا تعلق له بالحكم، ولا ذكر عيب أجنبي عنه.

وإلا انقلب الحكم عليه بقهر القدرة الإلهية، حسب الحكمة الربانية، والوعد الصدق، الذي جاء في قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تظهر الشماتة بأخيك، فيعافيه الله ويبتليك ».

ونهى عليه الصلاة والسلام عن التثريب لأمَة عند جلدها في حد الزنا، فكيف بالحر المؤمن القائم الحرمة، بإقامة رسم الشريعة.

وقد صح « من ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن أقال مسلماً عثرته، أقال الله عثرته يوم القيامة » اهـ من قواعد التصوف.

وقال القشيري :
قال الجنيد : أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد.

وكان محمد بن الفضل يقول : المعرفة حياة القلب مع الله تبارك وتعالى.

وكان الجنيد يقول لرجل ذكر المعرفة : وقال أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل، فقال الجنيد : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال وهو عندي عظيمة والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى وإليه رجعوا

فيها، ولو بقيت أُلف عام لَم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

وقال القشيري : وقد تكلم المشايخ في المعرفة فكل نطق بما وقع له وأشار إلى ما وجده في وقته. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول : من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته. وسمعته يقول : المعرفة توجب السكينة في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينته.

وقيل : المعرفة توجب الحياء والتعظيم كما أن التوحيد يوجب الرضا والتسليم.

ورؤي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له : ما فعل الله بك؟ فقال : غفر لي، فقيل : بماذا؟ فقال : لأني ما خلطت جداً بهزل قط.

وقال الجنيد : رأيت في المنام كأن ملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لي : ما الصدق فقلت : الوفاء بالعهد، فقال الآخر : صدق ثم صعدا.

ويقولون : فلان بحكم الوقت أي أنه مستسلم لما يبدو له من الغيب من غير اختيار له، وهذا فيما ليس لله تعالى عليهم فيه أمر، أو اقتضاء بحق شرع، إذا التضييع لما أمرت به وإحالة الأمر على التقدير وترك المبالاة بما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين.

وكان منصور بن عبد الله يقول : سئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال : أن لا يستغنى بشيء دون الله عز وجل.

وكان الجلاجلي البصري يقول : التوحيد موجب يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له فلا توحيد له، والإيمان موجب يوجب التريعة، فمن لا شريعة له فلا إيمان له ولا توحيد، والشريعة موجب توجب الأدب، فمن لا أدب له لا شريعة له ولا إيمان ولا توحيد.

وكان الجنيد يقول : سمعت الحارث المحاسبي يقول : المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه.

قال الأستاذ : الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب، وعلى قدر المحبة يكون الشوق.

وقيل : إن المشتاقين يحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من رَوْح الوصول أحلى من الشهد.

وفي الرسالة القشيرية : السماع وارد حق يزعج إلى الحق، فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق. وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد أنه قال : تنزل الرحمة على الفقراء في ثلاثة مواطن : السماع فإنهم لا يسمعون إلا عن حق، ولا يقولون إلا عن وجد، وعند أكل الطعام فإنهم لا يأكلون إلا عن فاقة، وعند مجاراة العلم فإنهم لا يذكرون إلا صفة الأولياء.

فأما رتبة الأولياء فلا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السلام للإجماع المنعقد على ذلك. وهذا أبو يزيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال : مثل ما حصل للإنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء وما في الظرف مثل لنبينا ﷺ.

واعلم أن من أجلِّ الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن المعاصي والمخالفات.

وكان أبو عبد الله الروذباري إذا دعا أصحابه معه إلى دعوة في دور السوقة، ومن ليس من أهل التصوف لا يخبر الفقراء بذلك، وكان يطعمهم شيئاً فإذا فرغوا أخبرهم ومضى بهم فكانوا قد أكلوا في الوقت فلا يمكنهم أن يمدوا أيديهم إلى طعام الدعوة إلا بالتعزز، وإنما كان يفعل ذلك لئلا تسوء ظنون الناس بهذه الطائفة : فيأثموا بسببهم.

وقيل لأبي يزيد : بم وصلت إلى ما وصلت؟ فقال : جمعت أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في منجنيق الصدق، ورميت بها في بحر اليأس فاسترحت.

وقال سهل بن عبد الله : أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز

وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء. وقال حمدون : التوكل هو الاعتصام بالله تعالى.

سمعت الأستاذ أبا على الدقاق يقول : التوكل ثلاث درجات : التوكل ثم التسليم ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وسمعته يقول : التوكل بداية والتسليم واسطة والتفويض نهاية.

وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى. والشكر ينقسم إلى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف بالوفاق والخدمة، وشكر بالقلب وهو اعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة، ويقال شكر : هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم، وشكر هو نعت العابدين يكون نوعان من أفعالهم، وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم.

سمعت الجنيد يقول : كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي : يا غلام ما الشكر فقلت : أن لا تعصي الله بنعمة.

وقال رويم : الشكر استفراغ الطاقة.

(قال الأستاذ) : والإخلاص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى، ويصح أن يقال : الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، ويصح أن يقال : الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص.

فقرب العبد أوّلاً قرب بإيمانه وتصديقه ثم قرب بإحسانه وتحقيقه، وقرب الحق سبحانه ما يخصه اليوم به من العرفان وفي الآخرة ما يكرمه به من الشهود والعيان. وفيما بين ذلك بوجوه اللطف والامتنان. ولا يكون قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق، وهذه من صفات القلوب دون أحكام الظواهر والكون، فقرب الحق سبحانه بالعلم

والقدرة عام للكافة، وباللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالأولياء، قال الله تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾[3] وقال الله تعالى : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[4] ومن تحقق بقرب الحق سبحانه وتعالى فأدونه مراقبته إياه.

وقال الفضيل بن عياض : من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.

سئل الجنيد عن التواضع فقال : خفض الجناح للخلق ولين الجانب لهم.

وقال ابن عطاء : النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد ملزم بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالقة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها معها في فسادها.

وكان محمد بن الحسين يقول : قال بعضهم أول المقامات المعرفة، ثم اليقين، ثم التصديق، ثم الإخلاص، ثم الشهادة، ثم الطاعة، والإيمان اسم يجمع هذا كله.

وقال القشيري : الواجب أن يقال : الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه على العبد، وهو أن لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى، وغيرة لله تعالى فلا يقال : أنا أغار على الله تعالى ولكن يقول : أنا أغار لله تعالى : فإذن الغيرة على الله جهل وربما تؤدي إلى ترك الدين، والغيرة لله تعالى توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له، واعلموا أن من سنة الحق تعالى مع أوليائه أنهم إذا ساكنوا غيراً أو لاحظوا شيئاً أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً شوش عليهم ذلك؛ فيغار على قلوبهم بأن يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما ساكنوه أو ضاجعوه، كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود في الجنة أخرجه منها، وإبراهيم عليه السلام لما أعجبه إسماعيل

---

(١) سورة ق: (١٦).
(٢) سورة الواقعة: (٨٥).
(٣) سورة الحديد: (٤).
(٤) سورة المجادلة: (٧).

عليه السلام أمره بذبحه حتى أخرجه من قلبه فلما أسلما وتله للجبين وصفا سره منه أمره بالفداء عنه.

(قال الأستاذ أبو القاسم) الولي له معنيان أحدهما : فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال الله تعالى : ﴿ **وهو يتولى الصالحين** ﴾[1] فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني : فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله تعالى وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان. وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي ولياً يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع.

وقال أبو تراب النخشي : إذا أَلِف القلب الإعراض عن الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله.

وقال أبو يزيد: حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء وقيام كل فريق منهم باسم منها وهو الأول والآخر والظاهر والباطن. فمتى نفى عنها بعد ملابستها فهو الكامل التام، فمن كان حظه من اسمه الظاهر لاحَظَ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله بما سبق، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله، وكلٌّ كوشف على قدر طاقته.

وقال القشيري : قال الله سبحانه لنبيه ﷺ : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[2]، يعني : الأجل وعليه أجمع المفسرون وأن الذي أشار إليه القوم من الحرية أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات.

قال الأستاذ : الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر، والذكر على ضربين :

---

(١) سورة الأعراف: (١٩٦).

(٢) سورة الحجر: (٩٩).

ذكر اللسان وذكر القلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول : الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور، ومن سلب الذكر فقد عزل.

ومن خصائص الذكر : أنه غير مؤقت بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بأن يذكر الله تعالى إما فرضاً وإما ندباً، والصلاة وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز في بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات. قال الله تعالى : ﴿ **الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم** ﴾[1].

وكان يوسف بن الحسين يقول : سمعت ذا النون المصري يقول : وقد سئل عن التوحيد فقال : أن تعلم قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج، وصنعه للأشياء بلا علاج، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، ومهما تصور في نفسك شيء فالله عز وجل بخلافه.

وسئل الجنيد عن التوحيد فقال : إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أنه الواحد الذي لم يلد ولم يولد. بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾[2].

وسئل البوشنجي عن التوحيد فقال : غيرُ مشبه الذات ولا منفي الصفات.

وكان سهل بن عبد الله يقول وقد سئل عن ذات الله عز وجل فقال : ذات الله تعالى موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار ــ أي في الآخرة ــ من غير إحاطة ولا إدراك نهاية.

---

(١) سورة آل عمران: (١٩١).

(٢) سورة الشورى: (١١).

ويقال : من الناس من يكون في توحيده مكاشفاً بالأفعال يرى الحادثات بالله تعالى، ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل إحساسه بما سواه فهو يشاهد الجمع سرّاً وظاهره بوصف التفرقة.

وقال الشيخ أحمد الزروق في قواعده :
الخلوة أخص من العزلة. وهي ــ بوجهها وصورتها ــ نوع من الاعتكاف ولكن لا في المسجد، وربما كانت فيه.

وأكثرها ــ عند القوم ــ لا حد له، لكن السنة تشير للأربعين بمواعدة موسى عليه السلام.

والقصد في الحقيقة، الثلاثين، إذ هي أصل المواعدة.

وجاوز عليه السلام بـ (حراء)، شهراً كما في مسلم.

وكذا اعتزل من نسائه، وشهر الصوم واحد.

وزيادة القصد ونقصانه كالمريد في سلوكه. وأقلها عشرة لاعتكافه عليه الصلاة والسلام للعشر.

وهي للكامل زيادة في حاله، ولغيره ترقية. ولا بد من أصل يرجع إليه. والقصد بها تطهير القلب من أدناس الملابسة، وإفراد القلب لذكر واحد، وحقيقة واحدة، ولكنها بلا شيخ مخطرة، وله فتوح عظيمة وقد لا تصح بأقوام.

فليعتبر كل أحد بها حاله، والله أعلم.

وقد قال ابن سيرين رضي الله عنه : إن هذا الحديث دين. فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقال القشيري : والصادق من صدق في أقواله، والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله.

وقيل ثلاثة لا تخطئ : الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة.

وقال أبو عثمان : التقوى هي الوقوف مع الحدود لا يقصر فيها ولا يتعداها.

قيل للنصراباذي : إن بعض الناس يجالس النسوان، ويقول : أنا معصوم في رؤيتهن. فقال : ما دامت الأشباح باقية فإن الأمر والنهي باق والتحليل والتحريم مخاطب به ولن يجترئ على الشبهات إلا من تعرض للمحرمات.

وقال في قواعد التصوف : لما كان الفقه في عمله، لا يصح التصوف بدونه، كان التزامه مع قصد القصد به محصلاً له.

فمن ثم كان الفقيه الصوفي تام الحال، بخلاف الذي لا فقه له.

وكفى الفقه عن التصوف؛ ولم يكف التصوف عن الفقه.

ومن تم حضت الأئمة على القيام بالظاهر لما سئلوا عن علم الباطن.

* * *

النسبة عند تحقيقها تقتضي ظهور أثر الانتساب.

فلذلك بقي ذكر الصالح أكثر من الفقيه، لأن الفقيه منسوب إلى صفة من صفات نفسه، هي فهمه، وفقهه المنقضي بانقضاء حسه.

والصالح منسوب إلى ربه، وكيف يموت من صحت نسبته للحي الذي لا يموت، بلا علة من نفسه ؟!!.

ولما علم المجاهد حتى مات شهيداً في تحقيق كلمة الله وإعلائها حساً ومعنى، كانت حياته معنوية بدوام كرامته وذكر بركته، على مر الدهر. وقد قيل :
قد مات قوم وهم في الناس أحياء.

* * *

ما أبيح للضرورة قيد بقدرها، أو روعي فيه شرطه، صحةً وكمالاً، ومن ذلك السماع، والضرورة الداعية له ثلاثة :

أولها : تحريك القلب، ليعلم ما فيه بمثيره، وقد يكتفي عن هذا بمطالعة وجوه الترغيب والترهيب، ومفاوضة أخ أو شيخ.

الثاني : الرفق بالبدن بإرجاعه للإحساس حتى لا يهلك بما يرد عليه من قوى الواردات.

الثالث : التنازل للمريدين حتى تتفرغ قلوبهم لقبول الحق، إذ ليس لهم قدرة على قبول الحق من وجهه بلا واسطة من الطبع.

استجلاب النفوس بمساعدة طبعها، أحرى لتقريب نفعها.

فمن ثَمَّ وقعت المنفعة بالأزجال والقصص، في تعريف الطريق، والإشارة إلى حقائقها.

وشروط السماع ثلاثة :

أولها : مراعاة الآية التي يقع فيها ومعها وبها، وعلى الزمان والمكان والإخوان.

الثاني : خلو الوقت عن معارض ضروري، أو حاجي شرعاً، أو عادة إذ ترك الأولى للرخص تعريض بالحق، وإخلال بالحقيقة.

الثالث : وجود الصدق من الجميع، وسلامة الصدر في الحال، ولا يتحرك متحرك إلا بغلبة.

وإن فهم منه غيرها، سلم له الأدنى وأدبه الأعلى، وذكره القرين.

ولا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا قلَّ دينهم، إذ لا يكون صلحهم إلا مع إغضاء عن العيوب، فإنه لا يخلو المرء عن عيب، والله أعلم].

وقال ابن عجيبة :

وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : كل من لا شيخ له في هذا الشأن لا يفرح به (ومن شروط) الشيخ أربعة : علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية، فالعلم الصحيح : هو ما يتقن به فرضه ولا بد أن يكون عالماً بالمقامات والمنازل التي يقطعها المريد، وبغرور النفس ومكايدها. قد سلك ذلك على يد شيخ كامل وذاق ذلك ذوقاً لا تقليداً وهو المراد بالذوق الصريح، (والهمة) العالية : هي المتعلقة بالله دون ما سواه، (والحالة) المرضية : هي الاستقامة بقدر الاستطاعة.

قال في أصول الطريقة : ومن فيه خمس لا تصح مشيخته : الجهل بالدين،

وإسقاط حرمة المسلمين، ودخول ما لا يعني، واتباع الهوى في كل شيء، وسوء الخلق من غير مبالاة. فصحبة مثل هذا ضرر محض.

وقال ابن عباد :

ولهذا كله يحتاج المريد إلى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم، واتباع أوامرهم ونواهيهم، لأنه إن لم تجر أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى، ولو بلغ فن الرياضة والمجاهدة كل مبلغ، وذلك لكثافة حجاب نفسه، وقد سئل الدقاق رضي الله عنه بماذا يقوّم الرجل اعوجاجه ؟ فقال : بالتأدب بإمام، فإن من لم يتأدب بإمام بقي بطالاً، فإذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت أخلاقه، وظهر على ظاهره أنوار ذلك، فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الأدب، حتى تنتهي به إلى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم، ويكون ترك محافظته عليها ذنباً من مثله، وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله.

أقول : مما درج على ألسنة الخاصة والعامة عبارة (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، وهذا يفيد أن للمقربين آداباً هي أرقى من آداب غيرهم، والمقربون في الاصطلاح : هم الصديقون والعارفون والواصلون والربانيون، وأن يكون للمقربين آداب خاصة بهم فهذا ما تشهد له النصوص، فهذا أبو بكر لا ينبغي له أن يرد، فلما ردّ قام رسول الله ﷺ معللاً أنه كان ملك يرد عن أبي بكر، فلما رد قام الملك وجلس الشيطان.

أخرج أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجبه ويتبسم. فلما أكثر ردَّ عليه بعض قوله. فغضب النبي ﷺ وقام فلحقه أبو بكر فقال : يا رسول الله ! كان يشتمني وأنت جالس. فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت ! قال : « إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان، ثم قال : يا أبا بكر ثلاث كلهن حق : ما س عبد ظُلِمَ بمظلمة فيقضي عنها الله عز وجل إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده بها كثرة، وما فتح باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة »

قال الهيثمي (ح ٨ ص ١٩٠) : رجال أحمد رجال الصحيح، ورواه أبو داود إلا أنه لم يذكر : ثم قال : يا أبا بكر !

وهؤلاء النخبة يوم حنين لا يعطون من الغنائم وأعطي غيرهم، وهؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام يطالبون بما لا يطالب به غيرهم، فرسولنا ﷺ كان قيام الليل في حقه واجباً، وهم لا يخرجون مهاجرين إلا بإذن رباني خاص، ولذلك عوقب يونس عليه السلام إذ ترك هذا الأدب.

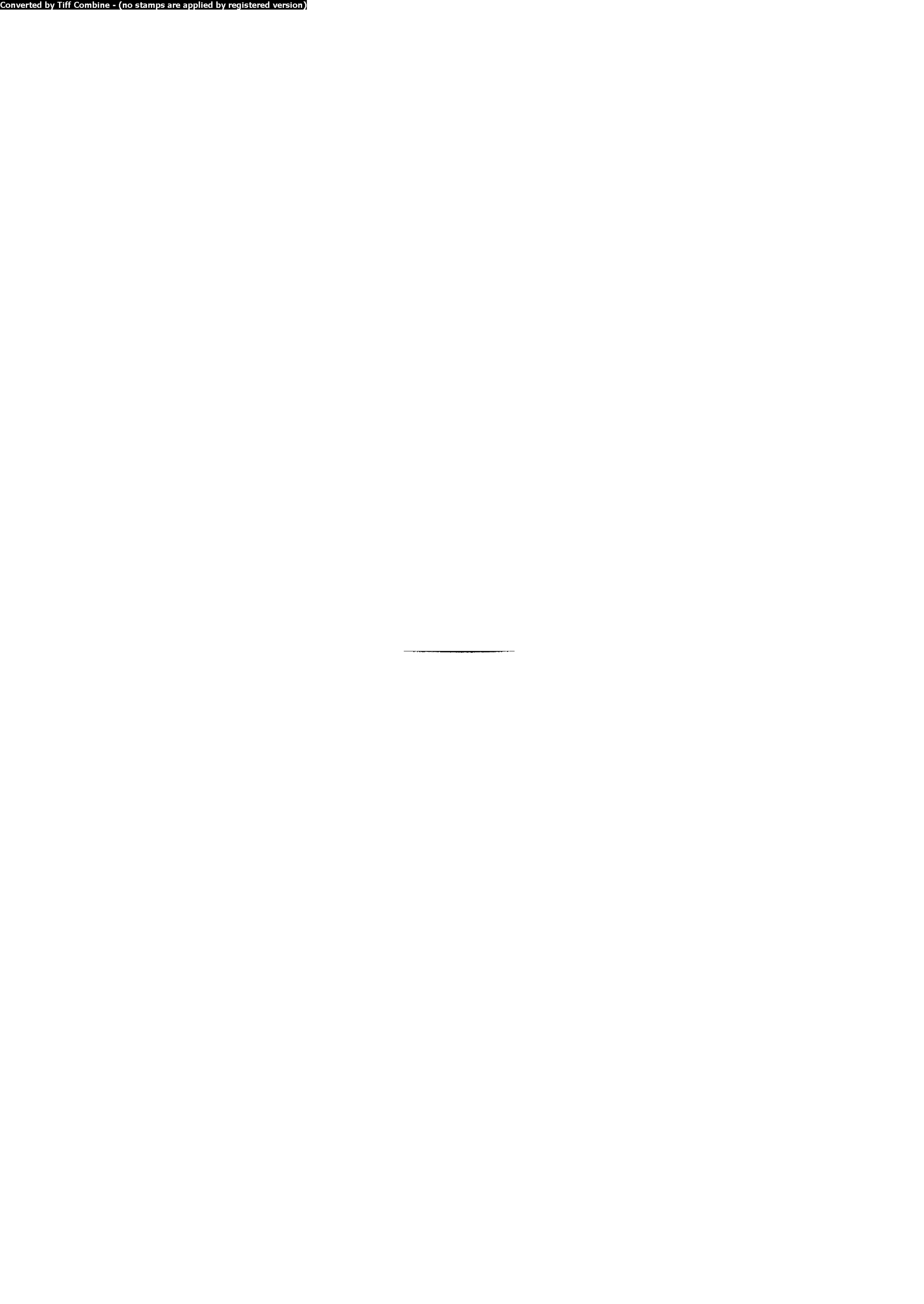
وبالجملة فإن الرسل عليهم السلام لهم آدابهم وكذلك الصديقون، والربانيون، ومن ههنا فإن الحِكَم بعد أن هيّجت على السير في الباب الأول وحددت الطريق للمريد في الباب الثاني فإنها تتوجه للواصلين والعارفين والربانيين لتعرفهم على بعض آدابهم، وها أنت مع الباب الثاني من القسم الرابع.

* * *

الباب الثاني

في

توجيهات ابن عطاء للعارفين والصديقين والأولياء والمرشدين وفيه شرح اثنا عشر فصلاً من الحكم



الفصل الأول

آداب العارفين الربانيين

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها، المؤمن إذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه، أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، إذا أطلق الثناءُ عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو له أهل، الزهادُ إذا مُدِحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مُدِحُوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق * متى كنتَ إذا أُعطيت بسطك العطاء، وإذا مُنعتَ قَبَضَكَ المنعُ فاستَدِل بذلك على ثبوت طفوليتك، وعدم صدقك في عبوديتك * إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخرَ ذنبٍ قُدّرَ عليكَ * إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك. وإذا أردتَ أن ينفتحَ لك بابُ الخوف فاشهد ما منك إليه * ربما أفادك في ليل القبضُ ما لم تستفده في إشراق نهار البسط ﴿ **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً** ﴾)[1].

---

(١) سورة النساء: (١١).

تقديم

هذا أول الفصول التي يتحدث بها الشيخ عن آداب العارفين والربانيين وهو يبدأ بما هو الأحرى بالتنبيه، فالعارف والولي والواصل والشيخ المرشد والرباني قد يتطلع كل منهم إلى ثناء الخلق عليه، فهو يذكر أدب هذا المقام، كما يذكر أن العارفين يبقون على وتيرة واحدة من التسليم لله ومن انشراح في الصدر في المنع والعطاء، كما أن العارفين قد يقعون في الذنوب ولكنهم يفيئون ولا ييأسون، ثم ينبه الشيخ على الطريقة التي يبقى فيها الخوف والرجاء في قلبِ العارف ثم ينبه العارفين على أن حال القبض قد يصيبهم وقد يكون ذلك أنفع لهم.

فهذه أمهات من القضايا قد يغلط فيها الناس في شأن الصديقين، أو يغلط بها الصديقون فنبه الشيخ على محل الكمال فيها.

الشرح

آخر عبارة مرت معنا : (الأكوان ثابتة بإثباته وممحوة بأحدية ذاته) هذه آخر عبارة توجه بها الشيخ للمريدين، فمتى وصل المريد إلى هذا الشعور دخل في مقامي الفناء والبقاء.

الفناء أثر عن غلبة الشعور باسم الله الظاهر. ومن ههنا قال : (ممحوة بأحدية ذاته)، والبقاء أثر عن الشعور باسم الله الباطن، وفي مقام الفناء لا يحس المريد بوجوده.

عندما يريد الشيوخ أن يوصلوا المريد إلى الله يدخلونه في مقامين :

المقام الأول : هو مقام قراءة الكون الظاهر والباطن باسم الله، يأخذون ذلك من قوله تعالى : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ... ﴾[1].

هناك عالم الغيب وعالم الشهادة، عالم الشهادة : هو هذا العالم المحسوس الذي يدخل فيه ما نراه من أكوان، سواء في ذلك المجرات والأرض و ... ، وهناك عالم الغيب : وهو الشيء الخفي من المخلوقات، مثل عالم الجن وعالم الملائكة، وفهمي : أن السموات السبع والكرسي والعرش من المغيبات عنا، فالسموات السبع موجودة، والله أخبرنا عنها والرسول ﷺ عرج إليها، ولكن هل

(١) سورة العلق: (١).

السموات السبع مرئية للأبصار أم أنها مغيبة عن الأبصار ؟ فهمي الذي سجَّلته في التفسير أنها مغيبة عنا والكرسي والعرش كذلك.

فالمريد يقرأ الكون سواء كان ظاهراً أو باطناً بسم الله : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[1] إن الرسول ﷺ أمّيٌّ فعندما يقال له : اقرأ ... فماذا يقرأ ؟ فهم بعض أهل السير إلى الله أن المراد بالقراءة هذه هي أن يقرأ الكون بما فيه باسم الله، وهذه القراءة هي البداية الصحيحة في السير إلى الوصول.

والمقام الثاني : أن يطوي الإنسان الأكوان كلها بما في ذلك ذاته بما في ذلك روحه، لأن ذلك كله حجاب عن الله، فالحجاب عن الله عندهم هو كل مخلوق، فإذا استطاع الإنسان أن يطوي هذه الأكوان كلها ويستشعر اسم الله الأول (كان الله ولم يكن معه شيء) أو يستشعر اسم الله الباطن فمتى استشعر هذا الشعور يدخل مقام الفناء، ولكن أنت من ناحية عليك أن تستشعر صفات الذات الإلهية بلا حجاب، وعليك أن تعرف أن هناك خالقاً ومخلوقاً، فعليك أن تستشعر هذين الشعورين الشعور أنه لا شيء له وجود ذاتي مع الله، وأن تستشعر أنك موجود بإمداد الله وإرادته وقدرته بمعنى : أن تستشعر اسم الله القيوم، أي أنك قائم بالله، فإذا استشعرت هذا الشعور بعد شعورك بالفناء تكون قد وصلت إلى مقام البقاء، وتكون بذلك قد مررت بالسير من بدايته حتى نهايته، وهذا هو الوصول في النهاية، وسوف يحدثنا الشيخ في الباب اللاحق أن وصولك إلى الله هو وصولك للعلم به، فمتى استشعر الإنسان هذه المعاني شعوراً ذوقياً فقد وصل. أما الإيمان العقلي فكل المسلمين يؤمنون أن الله قيوم، وأنه ظاهر، وأنه باطن، وأنه أحد، هذا شيء مشترك عند كل المسلمين من الناحية العقلية والفكرية، لكن من الناحية الذوقية أن يستشعر اسم الله الصمد، أن يستشعر اسم الله الظاهر واسمه الباطن واسمه القيوم هذا هو الوصول، فمتى وصل الإنسان إلى أن يرى بقلبه الأكوان ممحوة بأحدية الذات الإلهية وثابتة بإثباته، متى أحس الإنسان بالفناء ثم بالبقاء إحساساً ذوقياً يكون قد وصل، وتأتي مرحلة لاحقة في سيره هي مرحلة الأدب مع الله في مقام المعرفة، لذلك وجد عندهم أدب المريد وأدب العارف بالله عز وجل، ومن ههنا يقولون : الجنيد مؤدب المريدين ويصفون بعض الشيوخ بأنه مؤدب العارفين.

---

(١) سورة العلق: (١).

والطريق إلى الله له معالم، لذلك يحتاج الإنسان في كل مرحلة من المراحل إلى فقه فيه، ويحتاج إلى أدب يناسب ما هو فيه، هناك نوع من أهل السير إلى الله يصلون إلى الكفر بسبب الجهل، كالذين يُسقِطون التكليف فيستحلون المعاصي ويتركون الفرائض، ولذلك فإن أهل السير الصحيح يوجهون السائر إلى الله ليبقى في إطار العلم والأدب، ومن ههنا وجد أدب المريد وأدب العارف، والعارفون منهم الواصلون المرشدون وهم الربانيون، ومنهم الذين يعطون المعرفة وليس لهم صفة المرشد فهم الصديقون، والمفروض بالمرشد أن تتوافر فيه شروط كثيرة، فليس كل عارف بالله يصلح لإرشاد الخلق الإرشاد العام، أما الهداية والوعظ فمفتوحان لكل الناس، والرسول ﷺ يقول: « بلغوا عني ولو آية »، أخرجه البخاري والترمذي، فكل إنسان مطلوب منه أن يدعو إلى الله، وأن يرشد الناس، وأن يعلّم الناس بالقدر الذي هو مؤهل له، لكن رتبة الإرشاد رتبة أخرى يشترط فيها الإذن، وحجة أهل السير في قضية الإذن حجة قوية لأن الرسول ﷺ يقول: « لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو مختال »، حديث صحيح رواه أحمد في المسند وأبو داود، والقصص قديماً كان يطلق على الوعظ والخطابة والتوجيه العام هكذا، فالأصل عندنا أن لا يتولى إنسان أمر التوجيه أو التربية إلا بإذن والأصل أن الأمر منوط بخليفة المسلمين الراشد، وخلفاؤه هم الذين يتولون أمر التكليف وبالتالي هم يتولون أمر التربية، هذا هو أبو بكر رضي الله عنه لم يكن حاكماً فقط بل كان حاكماً ومربياً وكذلك الخلفاء، فهؤلاء هم يتولون أمر التربية والتوجيه وكذلك من يؤمَّرون، لكن بعد أن ضاعت الخلافة الراشدة ماذا يفعل المسلمون ؟

أوجد العلماء في هذه الحالة فكرة الإجازة، فالفقيه يعلّم المتفقه، وهو الذي يجيزه بأن يتصدر للفقه، ومدرس العربية هو الذي يجيز تلميذه وهكذا، فالإجازة من المعلم نائبة عن الأمر عن خليفة المسلمين الراشد، بل على مذهب ابن عباس حق الأمر أولاً للعلماء، وبالتالي فإذا أجازوا أصبح للمجاز حق التوجيه، فإجازة الشيوخ هي التي تعطي الإنسان حق التربية والدعوة إلى الله وتوجيه الناس وهكذا، المهم أن لهم أصلاً يستندون إليه في الإجازة، فالعارفون ـــ كما قلنا ـــ قسمان: فمنهم من يؤذن بالإرشاد وبالتالي فواجب عليه في هذه الحالة أن يتصدر للإرشاد وجوباً شرعياً مؤكداً، فلا يصح للرباني المأذون أن يتردد في الإرشاد خشية من حظ النفس، بل يتوكل على الله ويمضي ليقوم بتربية الناس، وهذا النوع من التربية

هو أرقى أنواع التربية، فانحراف المريد سببه إما من قِبل الموجه، أو من قِبل المنهاج، وإما من قبل نفسه، فإن كان المرشد مأذوناً بحق سلم من هده الحيثية، فإذا وجدت التربية الإسلامية من خلال المرشد الكامل في المجتمع الإسلامي ترى استقامة الأمور أكثر مما لو كانت التربية بأيدي غير هؤلاء، فجواذب الدنيا كثيرة والتنافس على الدنيويات كثير، بل حتى التنافس على الاسم مع أنه لا قيمة له، لكن عندما تكون التربية بأيدي المرشدين الكمل، ترى أن الأجواء المريضة مدانة حتى لو كان الإنسان مريضاً فقلما يستطيع أن يظهر مرضه أمام الآخرين، فإذا غضب وجد الجميع ينظرون له نظرة عتب، وإذا لم يوجد المجتمع الرباني ترى هذا ينتصر لذاته فيقابل السيئة بمثلها، وهذا يحسد وهذا يحقد، فلا بدّ من أجواء أخرى، والنموذج الأعلى لهذا النوع من الحياة هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، ترى الجميع مندفعين في العمل العام والجميع أخرويون وهم في تَرَقٍّ مستمر، فالحاصل : أن العارفين قسمان : المرشدون الكمل وهم العارفون الذي يؤذن لهم بإرشاد الخلق، وهؤلاء هم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾[1] وهؤلاء كالجندي في ثكنته، كنا نرى بعض شيوخنا في الأربع والعشرين ساعة حاهزاً كأنه خادم فهو جاهز لأي خدمة ولأي إنسان يطرق بابه يريد أن يسترشده أو يستنصحه، ونوع آخر من العارفين وصلوا ولكن لم يأذن لهم شيوخهم بالإرشاد لسبب ما، فهؤلاء دعاة وصديقون ومساعدون، ولا يعطى لهم حق التربية الكاملة، فأهل السير يشددون كثيراً على من يتصدر لمنصب الإرشاد دون إذن.

وهذا القسم من رسالة الشيخ ينصب انصباباً أولياً على تأديب العارفين، سواء كانوا شيوخاً أو كانوا عارفين واصلين.

ليس هناك شيء أهم من أن يوجد المرشد الكامل، فإذا ما أردت أن توجد كمالاً في الدعوة إلى الله فنقطة البداية وجود هذا الصنف من الناس، نأخذ ذلك من قوله تعالى : ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾[1] هذا الكلام مفهومه أنه

---

(١) سورة الكهف: (١٧).

إذا أراد أن يضل إنساناً فحتى لو وجد الولي المرشد فإنه لا يستفيد منه، إذن فالولي المرشد هو الغاية في الهداية، فبقدر ما نستطيع أن نبذل جهوداً في هذا الطريق، وبقدر ما نستطيع أن نبذل جهوداً في إيجاد الربانية في المجتمع الإسلامي بقدر ما تكون الأمور ماضية على الاستقامة، والطريق لذلك وذاك هو ما ذكر.

* * *

(الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاماً لنفسك لما تعلمه منها. المؤمن إذا مُدِح استحيا من الله تعالى أن يثني عليه بوصف لا يشهده من نفسه. أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس. إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فأثن عليه بما هو له أهل. الزهاد إذا مُدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق، والعارفون إذا مُدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق).

العارف بالله يقابل مدح الناس له بذمه لنفسه، ويستحي من الله أن يثنى عليه بما ليس فيه، ولا يخرجه الثناء على نفسه عن معرفة نواقصها، وهو يشكر الله عز وجل على هذا الثناء بكثرة الثناء على الله فهذه بعض آداب العارف إذا مُدح، وهو في الوقت نفسه ينبسط للثناء لأنه يشهده من الله لا من الخلق فيستبشر فيه مع الخوف والحزن، أما الزهاد فدأبهم الانقباض من الثناء لشهودهم إياه من الخلق فيخشون الفتنة، وإنما يصح للعارف الانبساط للثناء إذا كان يستشعر بقلبه أنه فعل الله، أما إذا لم يكن كذلك فأدبه أدب العباد والزهاد وهو الاستحياء.

(متى كنت إذا أُعطيت بسطك العطاء وإذا مُنعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك) العارف بالله يستوي حاله في المنع والعطاء، فذلك علامة التمكن في مقامات الصديقية والعبودية، وهذا ميزان يزن به الإنسان حاله مع الله عز وجل، فعلامة الطفولية وضعف العبودية أن يقابل الإنسان المنع بالانقباض، والعطاء بالانبساط، فالمنع فيه حكمة والعطاء فيه فتنة والعارف يبقى على الحذر في الحالين، ويتقرب إلى الله في المقامين، ويسلم لله عز وجل في كل شيء.

(إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدّر عليك) قد يقع العارف بالذنب لتثبت العصمة للرسل

عليهم السلام، وهو لجليل مقامه ولمعرفته بجلال ربه قد يصيبه اليأس بسبب ذلك، فالشيخ يحذر من هذا، ويبسط للعارف باب الأمل بأنه قد يكون ذلك آخر ذنب يقدّر عليه؛ فتب وانو الاستقامة وارج أن يكون ذلك آخر ذنب لك، ثم دلّنا الشيخ على ما ينفتح به باب الرجاء وباب الخوف (إذا أردت أن ينفتح لك باب الرجاء فاشهد ما مه إليك. وإذا أردت أن ينفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه) إذا تأملت عطاء ربك ونعمه عليك ينفتح لك باب الرجاء، وإذا تأملت أفعالك ومعاصيك ورعونات نفسك واستغراقك في حظوظك ودنياك، فهذا يفتح لك باب الخوف منه، وكأن الشيخ يقول : لا بد أن يبقى الخوف والرجاء عند العارف.

ولكي يعرف العارف أن القبض يبقى موجوداً بعد المعرفة وأن له فائدة قال (ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً) القبض مدعاة للتأمل، والتأمل باب من أبواب المعرفة، والقبض مدعاة للبحث عن أسبابه من ذنوب وأخطاء، وانشغال عن الأهم بغير المهم وتضييع للأوقات، فقد قالوا : « من لم يراع الوقت فوقته كله مقت » بينما إشراق البسط على القلوب يحجبها عن التأمل والتقصي والبحث عن الكمالات، لذلك أمكن أن يوجد في القبض من الفوائد أكثر مما في البسط، على أن في البسط فوائد من إدخال السرور على الآخرين، ودفعهم نحو الكمالات من حيث يحيون عدا عن ما فيه من شعور بالسعادة لأصحابه، لذلك اقتبس الشيخ ﴿ **لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً** ﴾[1] المهم أن العارف يعرف الحكمة في القبض والبسط، كما أنه يستطيع أن يتحكم بإذن الله في القبض والبسط من خلال المراقبة لله، فإذا راقب الله وتذكر فضله انبسط، وإذا راقب نفسه وتذكر أخطاءها انقبض، وهكذا أدّبَ الشيخُ العارفين في هذا الفصل بمجموعة آداب.

فوائد :

١ ــ بمناسبة قول المؤلف (الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاماً لنفسك)، قال ابن عجيبة : (وقال) يحيى بن معاذ رضي الله عنه تزكية الأشرار

---

(١) سورة النساء: (١١).

هجنة لك، وحبهم لك عيب عليك، وقيل لبعض الحكماء : إن العامة يثنون عليك، فأظهر الوحشة من ذلك وقال : لعلهم رأوا مني شيئاً أعجبهم ولا خير في شيء يعجبهم ويسؤوني أهـ.

وقال : قال الشاعر :

رب رام بأحجـــــار الأذى لم أجد بُداً من العطف عليـــه
فعسى يطلـــع الله علـــى فرح القـــوم فيدنينـــي إليـــه

وقال الشرقاوي :

ويؤخذ من قوله : (فكن أنت الخ) أنه ليس مأموراً بتكذيب الناس، ولا بالسعي في تبديل ظنهم فيه، وإنما هو مأمور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم، نعم إن كان المادح كاذباً في مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تأكد تكذيبه وزجره، وعليه يحمل قوله ﷺ : « احثوا التراب في وجه المداحين » فمدحه حينئذ منهي عنه، وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح غرة ويغلطه في نفسه، وعليه يحمل قوله ﷺ لمن مدح عنده رجلاً : « قطعت عنق صاحبك » وقال : « إياكم والمدح فإنه الذبح ».

٢ ـ بمناسبة الكلام عن البسط والعطاء قال ابن عباد :

القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين، فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه في عبوديته وأنه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادعائه مقاماتهم، وهو لم يؤهل لها، والطفيلي : هو الذي يأتي الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة.

٣ ـ وبمناسبة الكلام على عدم الصدق في العبودية في الانقباض حال المنع، والانبساط حال العطاء قال الشيخ الشرقاوي :

لأن الصدق في العبودية هو طرح الأغيار وعدم الالتفات إليها رأساً، فلو كنت صادقاً في عبودية الرب لقنعت بعلمه بك. ولم تحب أن يعلمك غيره، فتغار على حالك من رؤية الأغيار له.

٤ ـ وبمناسبة الكلام عن إشراق نهار البسط قال الشيخ الشرقاوي :

(في إشراق نهار البسط) أي البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار في كل ما

تقدم، أن من حصل عنده البسط تتهيج نفسه إلى إظهار ما عنده من المعارف وغيرها، فربما كان ذلك سبباً لحجبه، بخلاف من حصل عنده القبض فإن نفسه تنكسر وتذل، فيكون ذلك سبباً في إفاضة الله الخير عليه، ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط، وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة القهر الإلهي بخلاف البسط، فينبغي للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه في حال القبض كما يعرفها في حال البسط، وأن يكل كل ذلك إلى ربه ويحسن ظنه به فإنه لا يدري أيهما أقرب له نفعاً.

* * *

الفصل الثاني

تصحيح ونصائح لمن تحقق بالولاية

(مطالع الأنوار القلوب والأسرار، نور مستودع في القلوب مدده من السور الوارد من خزائن الغيوب، نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه، ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار * ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالاً لها أن تبتذل بوحود الإظهار، وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار * سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه * ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد، من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً لجرّ الوبال إليه * حظ النفس في المعصية ظاهر جلي، وحظها في الطاعات باطن خفيّ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه * ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الحلق إليك * استسرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك، دليل على عدم صدقك في عبوديتك * غيِّب نطر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله إليك * من عرف الحق شهده في كل شيء ومن فني به غاب عن كل شيء ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً).

المقدمة

إذا وصل الإنسان إلى الله فذاق بقلبه ما عَلِمَه عن ربه من كتاب ربه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فقد دخل في دائرة الولاية وأصبح مظنة للإرشاد، وههنا قد تدخل عليه أوهام أو يقع في أغلاط، أو يستشرف إلى حظوظ، وتأتي الحكم لتنصح وتصحح :

في هذا الفصل تعرف الحِكَمُ العارفَ على أنواع الأنوار التي قد تنصب على قلبه ليميزها، وليستطيع أن يفهمها إذا انصبت في قلوب المريدين.

والعارف قد يحرص على أن تعرف خصوصيته وقد يستشرف أن يتعرف على أسرار العباد، والشيخ ينبه في هذا الفصل إلى خطورة هذا وهذا.

ومع الوصول تبقى للعارف نفسه التي تبحث عن حظوظها، وإن اختلفت هذه الحظوظ فحظوظ أهل الغفلة في المعاصي، والحظوظ النفسية لأهل المعرفة خفية، وههنا ينبه الشيخ إلى خطورة ذلك، ويدل على طريق الخلاص منه، فالابتلاء موجود ولو بعد الوصول، والمجاهدة مطلوبة حتى الموت والطريق محفوف بالخطر.

الشرح

(مطالع الأنوار القلوب والأسرار نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب. نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه. ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار. ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار).

مما ينبغي أن يميزه العارف في نفسه وعند مريديه أنواع الأنوار ومحلها وطبيعتها، فمحل الأنوار القلوب والأسرار، فالسر هو الجانب الأخفى من القلب، والمراد بالقلب هنا ما هو محل الإيمان والكفر والنفاق والتقوى والورع والخوف والمحبة ومقره الصدر، وله تعلق بالقلب الحسي قال تعالى : ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] فالأنوار تطالع القلوب والأسرار فتستودع بها، وما ذلك إلا من إمداد الله عز وجل وذلك معنى قول الشيخ :

(مطالع الأنوار القلوب والأسرار، نور مستودع في القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب).

---

(١) سورة الحج: (٤٦).

وهذه الأنوار التي تأتي إلى القلب أنواع، فمنها ما يستشعر بسببه المريد أن هذا الكون آثار الله، ومنها ما يستشعر به المريد معنى زائداً على ذلك فيستشعر تجليات الصفات والأسماء وهذا معنى كلام الشيخ (نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه). وكثيرون من أهل المعرفة يحسون بالأنوار فيشتغلون بها مع أن الانشغال ينبغي أن يكون بما تخلفه من آثار ذلك باستشعار الفناء في الأفعال أو الفناء في الصفات، والفناء في الأفعال معناه : أن يرى السالك أن كل شيء هو فعل الله ﴿ **الله خالق كل شي** ﴾[1] والفناء في الصفات أن يستشعر السالك صفات الله « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »، فحتى لا ينتشغل السالك بالأنوار عن آثار التنوير قال الشيخ (ربما وقفت القلوب مع الأنوار كما حجبت النفوس بكثائف الأغيار) فالنفس تحجبها الظلمة عن حقائق الإيمان والقلب تحجبه الأنوار عن الملك الديان.

(ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر إجلالاً لها أن تبتذل بوجود الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) قد جعل الله عز وجل القلوب وأحوالها من عالم الغيب ستراً للخصوصية وامتحاناً للخلق بالإيمان بالعيب من حلال الآثار، ورحمة بالخلق أن يؤذوا أصحاب الخصوصية وقد قامت على خصوصيتهم الحجة الظاهرة، فستر أنوار السرائر بمظاهر البشرية لعزتها ولما أراده الله من إكرام أهلها، وإكرام من يؤمن بهم ويتعامل معهم، وإذا كان ذلك لا ينال إلا بخصوصية منه تعالى، وليس كل إنسان مؤهلاً لمعرفة أهل الفضل فقد جعلها مغيبة خفية وأكمل هذا المعنى بقوله : (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه). فكما أن الدليل على الله هو آثاره فالدليل على أوليائه آثارهم من إيمان وتقوى واستقامة على إقامة الفرائض والنوافل.

﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ...** ﴾[2].

---

(١) سورة الزمر: (٦٢).

(٢) سورة فصلت. (٣٠)

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ... ﴾[1].

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ... ﴾[2].

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإدا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه » وراه البخاري.

فالدليل على أوليائه آثارهم كما أن الدليل عليه عز وجل آثاره، فمن أراد الله إكرامه بالولاية وبالمعرفة وبالوصول إليه دله عليهم، فمن إكرامك أن يدلك على أوليائه ومتى دلك فقد أراد وصولك ما تأدبت واستقمت.

وإدا كان بعض العارفين يتطلعون لمعرفة أسرار العباد ولذلك خطورته، وإذا حدث فلذلك آدابه قال الشيخ : (ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد، من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة وسبباً لجر الوبال إليه) فأدبك إذا اطلعت على أسرار العباد من خلال كشف أو فراسة أو معرفة أن تستر وأن ترحم وأن تقوّم بالإشارة، وأن تصلح دون أن تفضح، وإلا فقد وقعت في الإثم أو استجررت للاعتداء عليك بلسان المقال أو بقسوة الأفعال، فلا تتطلع إلى معرفة أسرار العباد، فذلك أبعد عن الملامة، وإن ظنها الناس من الفطنة قال رسول الله ﷺ « لا تحدثوني عن أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر » أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد. والأمر له تفصيلاته وله أحكامه، ولذلك كان من رحمة الله ألا يطلعك على أسرار عباده، مع أنه جل جلاله قد يكشف لك شيئاً من عالم الغيب، ويبقى هذا الحِمى مصوناً؛ ودلك من جميل ستره وبره، ولكي يعرفنا الشيخ رحمه الله أن الرياء والعجب يمكن أن يوجدا عند الإنسان حتى بعد المعرفة فقد نبه على ذلك ونبه

---

(١) سورة فصلت: (٣٣).

(٢) سورة يونس: (٦٢).

على العلاج منه : (حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي، ومداواة ما يخفى صعب علاجه، ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك، استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك، غيِّب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله إليك، من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً).

المعاصي الظاهرة سببها اتباع الشهوات وذلك حظ النفس، ولكن قد يكون في الطاعات حظ نفس كأن يجعلها الإنسان تكأة للوصول إلى الجاه والرئاسة والتصدر وحسن الثناء عليه من الخلق وهذه حظوظ خفية، ولذلك يصعب علاجها إلا على أهل التمكن من العارفين فالتزم أمرهم وإذنهم.

ومن مظاهر حظوظ النفس في الطاعات : أن يريد بالطاعة معنى خفياً يدخله في الرياء، كأن يرغب أن تظهر عليه سيما الطاعة ليقول الناس : فلان منور الوجه (ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك).

ومظاهر حظوظ النفس في الطاعة : استشراف الإنسان أن يعرف الناس خصوصيته وأنه من أهل الولاية والكرامة فهذا الاستشراف علامة على عدم الصدق في مقام العبودية، ثم دلنا الشيخ على طريق الخلاص من حظوظ النفس الخفية وذلك بالمراقبة ومعرفة أن ما به من نعمة فمن الله، والفناء بالأفعال بأن ترى في كل شيء آثار الله وأفعاله، والفناء بالله والحب له، فمن اجتمعت له هذه الخمسة خرج من حظوظ النفس، وإلا فإنه يبقى متلطخاً، وقد جمع هذا كله بقوله (غيِّب نظر الخلق إليك بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله إليك. ومن عرف الحق شهده في كل شيء ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً) وهذه الأمور الخمسة يصل بعضها إلى بعض بسبب، فالمراقبة طريقها المحاسبة وكثرة الذكر بالإقبال على الله عز وجل بالعبادات فرائض ونوافل، وإذا أقبل الناس عليه شهد أن ذلك من الله لا خصوصية في نفسه، وذلك من علامة المعرفة، فبالمعرفة تقتضي شهود كل شيء من الله عز وجل والغيبوبة بالله عن كل شيء والحب له جل جلاله حباً لا يؤثر به الإنسان على ربه شيئاً، وطريق ذلك

الإقبال على الله بالفرائض والنوافل « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... » البخاري.

وذلك كله من منازل الصديقين والربانيين العالمين العاملين.

فوائد :

١ ـــ بمناسبة قول الشيخ : مطالع الأنوار القلوب والأسرار، قال ابن عجيبة : فأول ما يقذف الله في قلب عبده الذي يريد أن يصطفيه لحضرته ويعرفه به محبته فلا يزال يلهج بذكره ويتعب جوارحه في خدمته ويتعطش إلى معرفته فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الحق، فإذا أحبه أفناه عن نفسه وغيّبه عن حسه فكان سمعه وبصره ويده وجملته، ثم رده إليه وأبقاه به فعرفه في كل شيء ورآه قائماً بكل شيء ظاهراً في كل شيء والله تعالى أعلم.

٢ ـــ بمناسبة الكلام عن استتار الولي قال الشيخ الشرقاوي : الولي مستتر بكثائف الظواهر من الصنائع الخسيسة وما يتعاطاه من مأكول ومشروب وغيرهما فيكون الاهتداء إليه والوصول إلى معرفته أمراً عسيراً يتعجب منه، فإذا حصل ذلك لأحد كان منحة عظيمة ومنة جسيمة يتشكره عليها.

٣ ـــ وبمناسبة وقوف القلوب عند الأنوار فتنقطع بذلك قال ابن عباد : القلوب نورانية فتحتجب بوقوفها مع لطائف الأغيار النورانية من العلوم والمعارف، والنفوس ظلمانية فتحتجب بمحبتها لطائف الأغيار الظلمانية من العادات والشهوات، فالقلوب محجوبة بالأنوار كما أن النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله.

٤ ـــ وبمناسبة الكشف عن أسرار العباد قال ابن عباد : المطّلع على السرائر التي تقتضي وجود العيب إذا لم يتخلق صاحبه بالرحمة الإلهية فيرحم المذنبين، ويحلم على الظالمين، ويصفح عن الجاهلين، ويحسن إلى المسيئين، ويرأف بعباد الله أجمعين، فإنه يكون ذلك الاطلاع فتنة عليه، لأن ذلك يؤديه إلى رؤية نفسه، واستعظام أمرها، والعجب بعمله، والتكبر على غيره، وهذا هو أعظم الفتنة، ويكون ذلك سبباً إلى جر الوبال إليه من ادعائه لصفات ربه ومنازعته لكبريائه وعظمته، وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزي والنكال.

٥ ـــ وبمناسبة الكلام عن حظ النفس بالطاعة ودخول الرياء عليها حتى في خلوتها قال ابن عباد : النفس من شأنها أبداً طلب الحظوظ، والفرار من الحقوق، فهي لا تسعى إلا في ذلك ولو في عملها في الطاعات فصلاً عن المعاصي ومن حاسب نفسه وراقب خواطره تبيّن له مصداق هذا، وقد تجد من النشاط واللذة في نوع من العبادة ما لا تجده في نوع آخر، وإن كان هذا النوع الآخر أتم فضيلة منه؛ وما ذاك إلا من أجل أن حظها فيه أكثر من الآخر، فأهل الخبرة والبصيرة يتهمون أنفسهم إذا ألفت باباً من أبواب العبادات لمعرفتهم بخُدعها ومكايدها فيشوشون ذلك عليها وينتقلون منه.

رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج إلى أمارة عليه، ورياؤه بعمله حيث لا يراه أحد أمر خفي لا يعرف إلا بالأمارات والعلامات بل هو أحفى من دبيب النمل، ومن أماراته أن يلتبس نقلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المحافل والمحالس ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحدهم في حقه الدي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره، ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام عيره وإهانته وإهانة سواه، حتى ربما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بتأرهم فإذا وجد العبد هذه الأمارات من نفسه فليعلم أنه مراء بعمله وإن أخفاه عن أعين الناس.

وقال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه : كل من لا يقنع في أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة، وقال بعضهم : ما أخلص أحد قط إلا أحب أن يكون في جب لا يعرف، وقال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه : من أحب أن يطلع الحلق على ما بينه وبين الله فهو غافل، وقال أبو الخير الأقطع رضي الله عنه : من أحب أن يطلع الناس على عمله فهو مراء ومن أحب أن يطلع الناس على حاله فهو كذاب.

٦ ـــ وبمناسبة الكلام عن محبة الولي أن يعرف الناس خصوصيته قال ابن عباد :

فظهور الولي ليس بإرادته لنفسه ولكن بإرادة الله تعالى له بل مطلبه إن كان له مطلب الخفاء لا الجلاء كما قدمناه، فلما لم يكن الظهور مطلبهم وأراد الله سبحانه

إظهارهم فأظهرهم وتولاهم في ذلك بتأييده وواردات مزيده لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن سلمة : « لا تطلب الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وأن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها » ومن تحقق منهم بالعبودية لله تعالى لم يطلب ظهوراً ولا خفاء بل إرادته وقف على اختيار سيده له وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه : من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه. اهـ.

٧ ـ قال الشيخ الشرقاوي بمناسبة قول الشيخ :

(وغب عن إقبالهم عليك بشهود إقباله عليك) فلا تلتفت إلى إقبالهم عليك ولا تطلبه، بل لا يكون التفاتك وطلبك إلا لإقبال الله عليك، فإن إقبال الخلق على المريد قبل كماله يوجب له التصنع لهم ومداهنتهم وغير ذلك من الآفات، وذلك يوجب انحطاط رتبته وسقوطه من عين الحق والعياذ بالله تعالى، فلا يرضى بإقبالهم إلا ذو عقل قاصر وهمة دنيئة، لأن رضا الناس غاية لا تدرك، وأحمق الناس من طلب ما لا يدرك، وأما من كان له عقل وافر فلا يميل إلا لإقبال الله من غير مبالاة بذم ذام ولا عيب معيب، قال بعضهم : الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له من قلوب الخلق من أجل إصلاح قلبه ولا يحب أن يطلع الناس على مثقال ذرة من صلاح عمله، ولا يكره أن يطلعوا على السيئ من عمله، فإن كراهته لذلك دليل على أنه يحب الزيادة عندهم وليس هذا أدب العارفين.

* * *

الفصل الثالث

التفريط في حقوق الربوبية وخطورته على العارفين

(إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك، وإنما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الأبصار لعظم نوره * لا يكن طلبك تسبباً للعطاء منه فيقل فهمك عنه، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياماً بحقوق الربوبية، كيف يكون طلبك اللاحق سبباً لعطائه السابق ؟ جل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل، عنايته فيك لا لشيء فيك، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ؟ لم يكن في أزله خلاص أعمال ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال * علم أن العباد يتشوقون إلى ظهور سر العناية. فقال : ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾[1] وعلم أنه لو خلاهم ذلك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل. فقال : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾[2] * إلى المشيئة يستند كل شيء لأن وقوع ما لم يشأ الحق محال ولا تستند هي إلى شيء * ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتماداً على قسمته واشتغالاً بذكره عن مسئلته، إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال * وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال * ورود الفاقات أعياد المريدين، العيد الوقت الذي يعود على الناس بالمسرة والسرور، وربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لم تجده في الصوم والصلاة. الفاقات بسط المواهب. إن أردت ورود المواهب عليك صحح

---

(١) سورة البقرة: (١٠٥).

(٢) سورة الأعراف: (٥٦).

الفقر والفاقة لديك. ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾[1]. تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه. وتحقق بِذُلِّك يمدك بعزِّه، تحقق بعجزك يمدك بقدرته. وتحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته * ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة * من علامات إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج).

(١) سورة التوبة (٦٠).

المقدمة

من أخطر ما يواجه العارفين التفريط في حقوق الربوبية إما بالاستنكاف عن الطلب، أو بالغفلة عن التسليم مع الطلب، أو بالركون إلى الطاعات والمقامات والأحوال، فيضعف الافتقار إلى الله عز وجل وذلك كله قد يبتلى به الواصلون، ومما يواجه العارفين والسالكين الفهم الخاطئ للكرامة، وعدم الفهم عن الله في الموقع الذي يقيمك به الله عز وجل، ولذلك فقد انصب هذا الفصل على هذه المعاني.

الشرح

قد يقع العارف في العجب والخطأ إذ ما انجلت مرآة قلبه فأحسَّ بالنور فيظن أنه قد رفعت الحجب، فأراد الشيخ أن يصحح هذا المفهوم فالحجاب مستمر، وكلما زال حجاب كان حجاب وفي الحديث : « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره » أخرجه مسلم، فإذا طويت الأكوان ذهب حجاب، وإذا طويت نفسك زال حجاب ويبقى الله هو الباطن، فلا بد من هذا اليقين، وكلما استشعرت قربه وظهوره فأنت إلى قرب، ومن أجل أن تستشعر القرب والظهور قال الشيخ : (إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك، وإنما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الأبصار لعظم نوره) وكما أن للمريد آدابه في الطلب وقد ذكرها الشيخ من قبل فإن للعارف آدابه في الطلب ولذلك يذكرها الشيخ، فأدب العارف : الدعاء والطلب من الله قياماً بواجب العبودية، وتعظيماً لمقام الربوبية، مع اعتقاد أن العطاء مقدر أزلاً، وأنه محض فضل الله، ولذلك قال الشيخ : (لا يكن طلبك تسبباً للعطاء منه فيقل فهمك عنه، وليكن طلبك لإظهار العبودية، وقياماً بحقوق الربوبية، كيف يكون طلبك اللاحق سبباً لعطائه السابق ؟ جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل، عنايته فيك لا لشيء منك، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ؟ لم يكن في أزله خلاص أعمال ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال). ولا شك أن الإنسان يتعرض لرحمات الله بالدعاء، وقد وعد على ذلك بالاستجابة، وليس مراد الشيخ ألا يدعو الإنسان بل أن يدعو تعبداً واستجابة للأمر.

ولكي يجتمع للعارف عمل وتسليم وتوكل على الله واعتراف لله عز وجل

بالفضل، وتسليم لأهل الخصوصية قال الشيخ رحمه الله : (علم أن العباد يتشوّقون إلى ظهور سر العناية فقال : ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾[1] وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتماداً على الأزل. فقال : ﴿ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾[2] ولكي يتذكر العارف أن كل شيء بمشيئة الله وأن المشيئة مطلقة ﴿ **لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾[3] فلا يبقى للعارف اغترار بحال أو مقال، قال الشيخ : (إلى المشيئة يستند كل شيء لأن وقوع ما لم يشأ الحق محال، ولا تستند هي إلى شيء)، ولأنه قد تمر على العارف لحظات يكون أدبه فيها التسليم كما قال إبراهيم وهو يلقى في النار، وكما قال محمد ﷺ في غزوة حمراء الأسد : « حسبنا الله ونعم الوكيل » وكما أخرج أحمد بن حنبل في مسنده : قال رسول الله ﷺ كيف أنتم وصاحب القرن ؟ قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فقال أصحاب محمد : كيف نقول قال : « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وأخرج مثله الترمذي وأبو داود، أشار إلى هذه الحال التي يكون فيها التسليم أرقى من مقام الدعاء فقال : (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتماداً على قِسمته واشتغالاً بذكره عن مسألته. إنما يذكر من يجوز عليه الإغفال. وإنما ينبه من يمكن منه الإهمال). ولكي يدل العارفين على أن الافتقار إلى الله هو أدبهم الدائم، وأن الله عز وجل يقيم الإنسان في مقام الافتقار كي يستخلصه عبداً، فإذا كثر افتقار الإنسان فهناك يكون العطاء، فبقدر ما يتحقق الإنسان بمقام الفقر والعبودية والذل له جل جلاله والتحقق بالعجز والضعف يمد الله عز وجل عبده بالعطاء والعزة والقوة والغنى، ولذلك قال الشيخ : (ورود الفاقات أعياد المريدين، العيد الوقت الذي يعود على الناس بالمسرة والسرور، ربما وجدت من المزيد في الفاقات ما لم تجده في الصوم والصلاة، الفاقات بسط المواهب، إن أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك ﴿ **إنما الصدقات للفقراء** ﴾ تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه وتحقق بذُلِّك يمدك بعزه، وتحقق بعجزك يمدك بقدرته، وتحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته).

---

(١) سورة آل عمران: (٧٤).

(٢) سورة الأعراف: (٥٦).

(٣) سورة الأنبياء: (٢٣).

ولكي لا يظن العارف أن ظهور الكرامة على يديه علامة على أنه قد كمل، فالكمال لا يتناهى قال الشيخ : (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة)، وإذا كان من دأب العارف أن يبقى خائفاً في الموقع الذي هو فيه ألا يكون محل القبول والرضا فقد أعطى الشيخ ميزاناً للعارف يتعرف به على أنه محل الرضوان والقبول وأن ما هو فيه مأذون فيه فقال : (من علامات إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج) فظهور النتائج الطيبة شرعاً مع إدامة الله إياك في عمل جائز شرعاً علامة على أنك مأذون في مقامك، ومرضي عنك فيه. فإذا وجدت نفسك في وضع مستديم وكانت هناك نتائج مرضية فهذه علامة أن الله عز وجل قد أقامك هذا المقام.

فوائد :

١ ــ بمناسبة قول الشيخ : (ربما دلهم الأدب على ترك الطلب)، قال ابن عباد :

قد يكون من الأدب ترك السؤال والطلب لمن هو مستغرق في الأذكار راض بما يجري عليه من تصاريف الأقدار، وهو أحد مذاهب القوم قال الإمام أبو القاسم القشيري رضي الله عنه : واختلف الناس في أي شيء أفضل الدعاء أم السكوت والرضا ؟ فمنهم من قال : الدعاء في نفسه عبادة قال النبي ﷺ : « الدعاء مخ العبادة » فالإتيان بما هو عبادة أولى من تركها ثم هو حق الحق سبحانه وتعالى، فإن لم يستجب للعبد ولم يصل إلى حظ نفسه فلقد قام بحق الربوبية لأن الدعاء إظهار فاقة العبودية، وقد قال أبو حازم الأعرج : لأن أحرم الدعاء أشد علي من أن أحرم الإجابة، وطائفة قالوا : السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم، والرضا بما سبق من اختيار الحق أولى، ولهذا قال الواسطي : اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت وقد قال رسول الله ﷺ خبراً عن الله تعالى « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » وقال قوم : يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه، يأتي الأمرين جميعاً. قال الإمام أبو القاسم : والأولى أن يقال إن الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الأدب.

٢ ــ قال ابن عجيبة بمناسبة قول الشيخ :

(تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه وتحقق بذُلِّك يمدك بعزه، وتحقق بعجزك يمدك بقدرته، وتحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) : قلت : أوصاف العبودية أربعة يقابلها من أوصاف الربوبية أربعة : (أولها) : من العبد الفقر ومن الله الغنى، (الثاني) : من العبد الذل ومن الله العز، (الثالث) : من العبد العجز ومن الله القدرة، (الرابع) : من العبد الضعف ومن الله القوة، والتحقق بالوصف هو التحلي والاتصاف به قلباً وقالباً، ويكون ذلك بادياً بين خلقه، فلا يتحقق الذل لله حتى يظهر ذلك بين عباده فمن أراد أن يمده الله بالغنى به عما سواه فليتحقق بالفقر مما سواه، كما قال الشيخ أبو الحسن في حزبه الكبير : (نسألك الفقر مما سواك والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك) ومن أراد أن يمده الله بالعز الذي لا يفنى، فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلقه، فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره، ومن أراد أن يمده الله بالقوة على طاعة مولاه ومجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه، ويسند أمره إلى سيده، فبقدر ما تعطي تأخذ، وبقدر ما تتخلّق تتحقق وبقدر ما تتحقق بوصفك يمدك بوصفه.

٣ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة)، قال ابن عجيبة :

وأما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها إد قد تظهر على يد من لم تكمل استقامته.

وقال ابن عباد :

الكرامة الحقيقة إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها ومرجعها إلى أمرين : صحة الإيمان بالله عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، فالواجب على العبد أن لا يحرص إلا عليهما، ولا تكون له همة إلا في الوصول إليهما. وأما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين؛ إذ قد يرزق دلك من لم تكمل له الاستقامة، قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان : كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة، من أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب، ليس ذا

حظ في العلم والعمل بالصواب، كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا، وكل كرامة لا يصحبها الرضا عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغررو وناقص أو هالك مبتور.

وقال الشرقاوي : (ربما رزق الكرامة) أي الأمر الخارق للعادة (من لم تكمل له الاستقامة)، فلا ينبغي للمريد أن يعتني بها ويغتر بظهورها على يده، لأنها حينئذ ربما كانت معونة أو استدراجاً لا كرامة، فالكرامة الحقيقية هي كمال الاستقامة ومرجعها إلى أمرين : صحة الإيمان بالله، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، فالواجب على المريد أن لا يحرص إلا عليهما، ولا يكون له همة إلا في الوصول إليهما، وأما الكرامة بمعنى حرق العادة فلا عبرة بها عند المحققين.

٤ ـــ وقال الشرقاوي بمناسبة قول الشيخ :
(ورود الفاقات أعياد المريدين) الأعياد جمع عيد وهي الأوقات العائدة على الناس بالمسرات والأفراح، فالمريدون يسرون بالفاقات لأنها تسرع بوصولها لمقصودهم لما فيها من الذل وقصر النفس كما تسر العوام بالأعياد لما فيها من نيل شهواتهم من ملابس وغيرها.

٥ ـــ بمناسبة قول الشيخ : (من علامات إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع ظهور النتائج) قال ابن عجيبة :
إذا أقام الحق تعالى عبده في حالة لا يستقبحها الشرع ولا يذمها سليم الطبع، فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي أدخله فيها هو الذي يتولى إخراجه منها، ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** ﴾[1] فالمدخل الصدق الذي تدخل في الشيء بالله لا بنفسك، والمخرج الصدق أن تخرج منه بالله لا بنفسك، فإذا أقامك الحق تعالى في الأسباب فلا تخرج منها بنفسك فتتعب، فامكث حتى يخرجك الحق تعالى بإشارة صريحة من شيخك أو من هاتف من عند ربك، وقد تقدم هذا في أول الكتاب ومن علامة إقامة الله تعالى لك في ذلك الشيء الذي أنت فيه إدامة الحق إياك في ذلك الشيء مع حصول النتائج وسلامة الدين، والمراد بالنتائج ما يترتب عليه من إعطاء حقه الواجب

(١) سورة الإسراء: (١٩ ـــ ٢٠).

والمستحب، كأداء الزكاة وإطعام الجائع وستر العريان وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الإحسان، وإذا أقامه الحق تعالى في نشر الظاهر فعلامة إقامة الحق فيه تعليمه لله ونفع عباد الله والزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء المتعلمين، وهكذا سائر الحرف إذا كان فيها على المنهج الشرعي فلا ينتقل عنها بنفسه، وإذا أقامك الحق تعالى في التجريد فالزم الباب وتحل بالآداب حتى يفتح لك الباب، فعلامة إقامته إياك فيه حصول نتائجه وهي الترقي في الأحوال والمقامات حتى تبلغ النهايات : والمقامات هي التوبة والتقوى والاستقامة والزهد والورع والخوف والرجاء والرضى والتسليم والإخلاص والصدق والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل مقام له علم وعمل وحال، فأوله علم وثانيه عمل وثالثه حال ثم مقام، فإذا بلغ إلى مقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت المقامات.

* * *

الفصل الرابع

آداب العارفين في الكلام

(من عبر من بساط إحسانه أصمتته الإساءة ومن عبر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء * تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير * كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز * من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجُليت إليهم إشارته * ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار * عباراتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد، فالأول حال السالكين، والثاني حال أرباب المكنة والمحققين * العبارة قوت لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل * ربما عبر عن المقام من استشرف عليه * وربما عبر عنه من وصل إليه، وذلك يلتبس إلا على صاحب البصيرة، لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته، فإن ذلك يقل عملها في قلبه، ويمنعه وجود الصدق مع ربه).

المقدمة

إذا أقام الله عبداً مقام الإرشاد والتوجيه فعليه أن يعطي هذا المقام حقه بصرف النظر عن ضعفه أو قوته، وعليه أن يأخذ بأسباب التأثير في القلوب فلا يتكلم قبل التوجه إلى الله وإحسان النية، والله عز وجل هو الذي يتولى النفع. وعلى المرشد أن يلاحظ الدوائر التي يتكلم بها، فيلاحظ حال المريدين والسابقين، وأن يقصد بكلامه هداية السامعين، وعليه أن يمنع المريدين من الكلام عما لم يصلوا إليه، وعن ما يقع في قلوبهم وعن أحوالهم إلا إذا وجدت مصلحة في الكلام.

الشرح

أدب العارف في الكلام أن يستشعر أنه يتكلم بالله وعن الله، وأن يستلهم الله ما يقول، وأن يسبق توجهه إلى الله كلامه وقد عبر الشيخ عن هذه المعاني بقوله : (من عبر عن بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عبر عن بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء، تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير وصل التعبير) فالعارف لا يتحدث معتمداً على نفسه أو على ما عنده فإذا فعل ذلك لا يكون حديثه حديث قلب بل حديث نفس أو عقل، العارف يعترف كلامه من بساط إحسان الله عز وجل، والفارق بين الأول والثاني : أن الثاني لا ينقطع عن الدعوة وعن الوعظ ولو أساء لأنه في الأصل يتكلم عن الله وبالله، أما الأول فإذا أساء لم يستطع الكلام؛ لأن اعتماده في الأصل على نفسه وقد أساءت (من عبر عن بساط إحسانه أصمتته الإساءة، ومن عبر عن بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساء) وأدب الشيوخ أن يراقبوا الله عز وجل قبل أن يتكلموا، وأن يتوجهوا بقلوبهم إلى الله بروح الانكسار والافتقار، وما يصبه الله على قلوبهم من أنوار يتوجهون به إلى قلوب السامعين ثم يتكلمون، فعباراتهم منيرة، والقلوب التي تصل إليها العبارات مستنيرة، وتزداد نوراً بالكلام ولذلك قال الشخ : (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث وصل التنوير وصل التعبير) فبقدر نور القلب يكون نور الكلام، وإذا كان القلب مظلماً فالكلام مظلم وإذا كان القلب مكسوفاً فالكلام يكون عليه ظلمة، ولذلك فدأب العارفين والدعاة المخلصين والوعاظ الصادقين والمربين الخالصين أن يعملوا على تنوير قلوبهم قبل البدء بالكلام (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز) وهذا شيء تحسه القلوب فهناك كلام أحلى على القلوب من

العسل، وهناك كلام يسبق إلى القلب بلا استئذان، وهناك كلام يحس الإنسان بركته وخفة قلبه به، وهناك كلام ينقبض به الصدر ويضيق به القلب بل يحس بظلمة، ولذلك فقد درج أهل السير إلى الله على ألا يتصدروا للدعوة والإرشاد إلا إذا أذنوا بذلك، وأدب الشيوخ ألا يأذنوا إلا إذا نضج المأذون له، وللإذن بركات، ومن بركاته فهم السامعين للمراد من أقرب طريق، سواء كان الكلام على طريق العبارة أو الإشارة : (من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إليهم إشارته) ولقد درجت على ألسنة العلماء كلمة (ما كل ما يعلم يقال) لأن بعض العلم دقيق لا يفهمه كل إنسان، وبعض العلم قد يضر من يأخذه، ولذلك ورد في الأثر « ما أنت محدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة » أخرجه مسلم، ولذلك كان من أدب الولي المرشد أن يتكلم في الحدود التي تنفع السامعين، وألا يتجاوز في كلامه طاقتهم ولا قدراتهم ولا مقاماتهم في السير، فإذا ما تجاوز الولي المرشد هذا القدر من الكلام ضعف نور كلامه، ومن ههنا قال الشيخ : (ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار إذا لم يؤذن لك فيها بالإظهار) ولأن الكلام الذي لا يلاحظ المقام والقدرات والطاقة ليس أدب العارفين المتمكنين، بل هو أدب السائرين المريدين إذا غلبوا ففاضت من قلوبهم على ألسنتهم عبارات لا تراعي حال السالكين قال الشيخ : (عباراتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد فالأول : حال السالكين، والثاني : حال أرباب المكنة والمحققين) فالولي المرشد دأبه أن يراعي مصلحة المريد فلا يقول الكلمة التي لا تناسب حاله ومقامه. ولكي لا ينقطع الولي المرشد عن الوعظ والتذكير والمذاكرة ذكر الشيخ أن الوعظ والتذكير هو للسالكين كالطعام والشراب بهما استمرار حياتهم وحيويتهم فقال : (والعبارة قوت لعائلة المستمعين)، ولكن المستمعين أنواع ولا يأخذ أحد منهم إلا على قدر استعداده، ومن ههنا كان رسول الله ﷺ يقول : « إنما أنا قاسم والله يعطي » أخرجه البخاري وذكر رسول الله ﷺ أصناف القلوب بالنسبة لكلمة الحكمة.

عَنْ النَّبيِّ ﷺ قالَ : « مَثَلُ مَا بَعَثَني الله مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْها نُغْبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكَانت مِنْها أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بِها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصَابَ مِنْها طَائِفَةً أُخرى، إنَّما هِيَ قِيْعَانٌ لا تُمسِكُ مَاءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً.

فَذَلِك مَثَلُ مَنْ فَقُهَ في دِينِ اللهِ، ونَفَعَهُ مَا بَعَثَني اللهُ به ، فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسَاً، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بهِ ». أخرجه البخاري ومسلم.

ومن ههنا قال الشيخ : (وليس لك إلا ما أنت له آكل). ولما كان الأصل أن يأخذ الإنسان تربيته من الولي المرشد لأنه هو الواصل والمتمكن، ولما كان الأمر قد يلتبس على السلاك فيتتلمذون على السائرين لما يرون في كلامهم من معارف ــ نبَّه الشيخ الطرفين : السالكين والسامعين، نبه السالكين ألا يتكلموا عن وارداتهم لأن ذلك يضعفها في القلوب ويخشى على صاحبها من السلب، ونبَّه السامعين ألا يلتبس عليهم الأخذ فلا يأخذون عمن تكلم في مقام قبل التأكد من الوصول والإذن فقال : (ربما عبر عن المقام من استشرف عليه وربما عبر عنه من وصل إليه، وذلك يلتبس إلا على صاحب البصيرة لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمنعه وجود الصدق مع ربه).

فوائد :

١ ــ بمناسبة قول الشيخ : (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم)، قال ابن عباد :

فإذا أرادوا إرشاد عباد الله تعالى ونصيحتهم بإذن الله تعالى سبقت أنوار قلوبهم إلى الله تعالى باللجأ والافتقار إليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده، بأن يجعل فيها أهلية واستعداداً لقبول ما يريدون إيراده عليهم من كلام الحكمة فيجيبهم إلى ذلك فإذا تكلموا به تلقته قلوبهم التي وصل إليها أنوار أسرار الحكماء كما تتلقى الأرض الميتة وابل المطر فينتفعون بذلك أتم انتفاع.

وقال الشرقاوي :

فإذا أرادوا إرشاد عباد الله ونصيحتهم بإذن من الله تعالى توجهوا إلى الله والتجؤوا إليه في أن يتولى لهم أمر قلوب عباده بأن يجعل فيها أهلية واستعداداً لقبول ما يرد عليها فيخرج من قلوبهم حينئذ ناشئ من نور سرائرهم يصل إلى تلك القلوب.

٢ ــ بمناسبة قول الشيخ : (كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز)، قال الشيخ الشرقاوي : فإذا كان القلب منوراً اكتسى الكلام نوراً فلا تمجه

الأسماع ولا تنكره القلوب، فكسوته هو ذلك النور وكلام الحكماء يبرز مكسواً بكسوة الأنوار، فتفتح به أقفال القلوب، ويستحيبون لنداء حبيبهم، وكلام المدعين يبرز وعليه الظلمة، فلا ينتفع به أتم الانتفاع وقد ينتفع به من جهة حقيقته ومضمونه لا من جهة قائله (إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) اهـ.

٣ ـــ وبمناسبة قول الشيخ : (من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجليت إشارته) قال الشيخ الشرقاوي : قال أبو العباس المرسي قدس الله سره : كلام المأذون له يخرج عليه كسوة وطلاوة، وكلام غير المأذون له يخرج مكسوف الأنوار، حتى إن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر.

وقال ابن عجيبة : الإذن في التعبير إنما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذي أهله الله للتربية ونصبه للتوصيل والترقية، فإذا رأى على تلميذه أهلية التذكير أذن له في التعبير، فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب وفاض من لسانه أسرار علم الغيوب، فتحسن في مسامع الخلق عبارته، وتجلى إليهم إشارته أي تظهر وتفهم.

* * *

الفصل الخامس

آداب الشيوخ مع المريدين وحقوق الربوبية عليهم

(لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك. فإن كنت كذلك فخذ ما وافق العلم، ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته. فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته * إذا التبس عليك أمران انظر أيهما أثقل على النفس فاتبعه : فإنه لا يثقل عليه إلا ما كان حقاً، من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل على القيام بالواجبات * قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف، ووسع عليك الأوقات كي لا تبقى لك حصة الاختيار، عَلِمَ قِلةَ نهوضِ العباد إلى معاملته فأوجب عليهم طاعته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب، عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل، أوجب عليك وجود خدمته، وما أوجب عليك إلا دخول جنته * من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته، فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدراً * ربما وردت الظلمة عليك ليعرفك قدر ما منّ به عليك، من لم يعرف قدر النعم بوجدانه عرفها بوجود فقدانها * لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك، فإن ذلك مما يحطّ من وجود قدرك * تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال، لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق * كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك. العمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه، أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول، ربما وردت عليك

الأنوار فوجدت القلب محشواً بصور الآثار، فارتحلت من حيث نزلت، فرِّغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار، ولا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال * حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما مِنْ وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه ! ما فاتك من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له).

المقدمة

من أهم آداب الشيوخ ألا يستشرفوا إلى الأخذ من مريدهم، ومن أخطر ما يمكن أن يقع فيه الرباني المسارعة لهوى نفسه وإضاعة الفرائض من أجل النوافل، كما أن مما يبتلى به العارف أن ينتكس حال قلبه بأنواع من الانتكاسات فكيف يفعل إذا حدث ذلك ؟ ولا بدّ أن يبقى تطلع العارف للقيام بحقوق الربوبية في كل وقت بإقامة فروض الوقت وآدابه فهذه أهم مضمونات هذا الفصل.

الشرح

(لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك، فإن كنت كذلك فخذ ما وافق العلم ربما استحيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته، فكيف لا يستحي أن يرفعها إلى خليقته ؟).

الأصل ألا يمد العارف عينه إلى دنيا ولا إلى ما في أيدي الناس :

قال تعالى : ﴿ **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى** ﴾[1].

ولكن الإنسان لا بد له من الدنيا ولا بد له من المال، فللعارف :

أن يأخذ الدنيا على ما وافق الشريعة والعلم، وأدبه في هذه الحالة أن يفطن إلى أن المعطي في الحقيقة هو الله عز وجل، وأن يأخذ حيث تجيز له الشريعة الأخذ، وأن يتصرف حيث تجيز الشريعة التصرف، وأدبه ألا يطلب من الخلق ابتداء، فإذا وصل إلى حالة الاضطرار فله ذلك، ولكن لا يفعل قبل الاضطرار لأن بعض كمالات العارفين في بعض المقامات أن يستحيوا من الطلب من الله عز وجل اكتفاء بعلمه جل جلاله، كما قال إبراهيم عليه السلام يوم ألقي في النار ﴿ **حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[2] فكيف لا يستحيون من الطلب من الخلق، وقد اجتهد أهل السلوك إلى الله في العصور المتأخرة أنه لا بدّ للشيوخ أن تكون لهم موارد

---

(١) سورة الحجر: (٨٨).

(٢) سورة عمران: (١٧٣).

يستغنون بها عن الخلق لما رأوا أن الخلق لا يحترمون من كان له إليهم حاجات، ولذلك فإنني أرجّح في عصرنا أن ينظم أهل السلوك أمر جمع التبرعات بحيث يستغني المتفرغون لشئون العلم والدعوة والإرشاد والعمل الإسلامي عن الكسب والسؤال، فعصرنا يطحن الفقير ووسائل الرزق فيه قد ضاقت إلا على أبناء الدنيا فلا بد من ترتيب على مقتضى عالم الأسباب.

(وإذا التبس عليك أمران انظر أيهما أثقل على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً، من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات). عندما يكون الحكم الشرعي واضحاً فعلى المسلم أن يتابع الحكم الشرعي، ولكن قد تلتبس الأمور وتختلط في قضايا العمل الإسلامي العام، والمواقف اليومية، وخاصة أثناء الخلاف والاختلاف والفتن، وعندئذ فعلى العارف أن يطلب الحكم الشرعي ويعمل به فإذا لم يستطع فقد دلنا الشيخ على الأصل الذي يستهدي به المسلم حين الالتباس، وهو مخالفته أهواء نفسه، ولكن إنما يكون ذلك حيث لا تتضح أمام العارف الأحكام، أما إذا اتضحت فإياها يلزم ولو وافق الهوى؛ إذ الأصل أن العارف هو الذي وصل إلى أن يطابق هواه الحق والعدل والصواب، ثم استطرد الشيخ فذكر صورة من صور متابعة الهوى وهي أن يترك الإنسان الواجبات ويقبل على النوافل، كأن نجد إنساناً يضيّع فروض العين وفروض الكفاية، ويضيّع وقته في القيل والقال فيما يظنه إصلاحاً وقد يكون لغواً أو إفساداً، أو يقضي وقته فيما هو نافلة وهذا أحسن حالاً من الأول، لكن الأصل أن ينظر الإنسان إلى الفرائض فيقيمها ثم يقبل على النوافل.

« وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضه عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... » أخرجه البخاري.

وأول ما يلحظ العارف أن يقيم الفرائض المؤقتة بوقت كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ثم فرائض الوقت الذي يقتضيها وقت خاص أو طارئ ثم فرائض العصر، وكل تكليف كلف الله عز وجل به عباده إنما هو لمصلحتهم وضمن طاقتهم، وجعل الفروض المؤقتة موسعة رحمة بعباده ولذلك قال الشيخ :
(قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف، ووسع عليك الأوقات كي لا تبقى لك حصة الاختيار، علم قلة نهوض العباد إلى معاملته

فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب، عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل، أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك إلا دخول جنته).

فالطاعة لله والقيام بخدمته بعبادته وخدمة دينه هما أدبا العارف ويقابل ذلك مواطأته الشهوات المحرمة فإذا واقعها العارفِ فليلجأ إلى الله ولا ييأس ولا يقنط :

(من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدراً).

ثم علل الشيخ لابتلاء العارفين أحياناً بالشهوات أو المعاصي أو الزلات أو الأخطاء فقال :

(ربما وردت الظلمة عليك ليعرفك قدر ما منّ به عليك. من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرفها بوجود فقدانها).

فالفيئة إلى الله هي أدب العارف، ومعرفة الحكمة فيما هو فيه وسيلة للخروج من السقوط، وتذكر نعمة الله والقيام بشكرها طريق النهوض، فإذا كان الشكر مطلوباً حالة السقوط فمن باب أولى أن يشكر الإنسان وهو في مقام العطاء.

(لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك فإن ذلك يحط من وجود قدرك).

وبعد أن نبهنا الشيخ على ضرورة الالتجاء إلى الله حال السقوط في الشهوة بين لنا سبب الوقوع في الشهوة وأسباب الخروج منها فسبب الوقوع في الشهوة : تمكن الهوى في القلب، والخروج منها إما بالخوف القوي من الله أو بالشوق الشديد إليه.

قال الشيخ : (تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق).

وفي هذا السياق ينبه الشيخ على أن العارف ينبغي أن يبقى قلبه خالصاً لله، فلا يكون على قلبه لغير الله سلطان ينازع الله على قلبه، وإنه ما لم يكن القلب كذلك، وما لم تنجل مرآة القلب من صور الآثار، وما لم يفزع القلب من التعلق

بالأغيار ــ أي ما سوى الله ــ وما لم يقبل القلب بشره على الله فإن إقبال الله على العبد ضعيف ووصول الأنوار إلى القلب ضعيف أو متعذر والعطاء الرباني القلبي والروحي قد ينعدم :

فالله يقبل عليك أكثر مما تقبل عليه « من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ... » البخاري، (كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك، العمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك لا يُقْبِلُ عليه، أنوار أُذِنَ لها في الوصول، وأنوار أذن لها في الدخول، ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوّاً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت، فرّغ قلبك من الأغيار يملأه بالمعارف والأسرار، لا تستبطئ منه النوال ولكن استبطئ من نفسك وجود الإقبال).

فالله عز وجل ينظر إلى القلوب ويمدها بحسب صفائها :

« إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ــ وفي رواية : أجسامكم ــ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » رواه مسلم وأحمد.

﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً * كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً ﴾[1].

ثم وعظنا الشيخ أن نقوم بحقوق الأوقات وخاصة الحقوق التي لا قضاء لها، ثم بين أن حقوق الأوقات كثيرة ومهما فعل الإنسان فإنه لا يقضي حقوق الأوقات قال تعالى : **﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾**[2].

وهذه دعوة من الشيخ ألا نضيع وقتاً لأن نعم الله علينا متوالية مستمرة، فحقوق الله علينا كثيرة مستمرة فمهما استطعت أن تمحِّض أوقاتك للقيام بالحقوق فافعل.

(حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها، إذ ما

---

(١) سورة الأسراء : ١٩١، ١٢٠.

(٢) سورة عبس: (٢٣).

من وقت يرد إلا ولله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضي فيه حق عيره وأنت لم تقض حق الله فيه).

هذه العبارة الأخيرة يبهنا فيها الشيخ على نقطتين :

إن من لم يقم بحق الله لا يقوم بحقوق عباده، وإن حقوق عباده ينبغي أن تقوم بها بنية القيام بحقوق الله، وليس مراد الشيح أن لا نقضي حقوق الخلق، فذلك لا يصح وهو من الأخطاء أو الخطايا :

« إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، ولضيفك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه ». أحرجه البخاري والترمذي.

ثم بين الشيخ أهمية الحياة والوقت فقال : (ما فاتك من عمرك لا عوض له) لأن عمرك محدود وأنفاسك معدودة وكل ما مر منه راح ولن يعود، فلا تفرط بالباقي إلا فيما يقربك من الله (وما حصل لك منه لا قيمة له) هذه العبارة تحتمل فهوماً :

منها أن ما استفدت من وقتك في طاعة الله قيمته أكبر من أن تقدر، أو أن الله عر وجل أعطاك عمرك بلا ثمن فقابل ذلك بالشكر والقيام بالحقوق.

فوائد :

١ — بمناسبة قول الشيخ : (فخذ ما وافق العلم)، قال التيخ الترقاوي : (فخذ ما وافقك العلم على أخذه، وحاصله أن لا تأخذ إلا ما وافقك العلم على أخذه، وأباح لك أخذه والمراد علم الظاهر بأن لا تأخذ إلا من يد مكلف رشيد تقي وعلم الباطن بأن لا تأخذ إلا ما كان على وجه الرفق والمعونة أي لا تأخذ إلا ما أنت مفتقر إليه في الحال لتفقه في ضرورياتك وحاجاتك من غير إسراف ولا إقتار، كما كان عليه الصلاة والسلام في أكله وشربه ولباسه وسكنه وغير ذلك، فلا تأخذ ما يأتيك قبل وقتك ولا زائداً على حاجتك، إلا أن يكون في خلقك سحاء، ولا تأخذ ما تعطاه على جهة الاختبار من الله بأن أعطيت شيئاً كنت قد قصدت تركه لله من شهوة كنت مبتلى بها قد ملكتك ومنعتك القيام بحقوق ربك، ولا تأخذ من منان ولا فخور ولا مظهر لعطيته ولا ممن يثقل على قلبك قبول عطائه، فقد قيل : لا تأكل إلا ممن يرى لك الفضل عليه في أكله).

٢ ـــ وبمناسبة قيام العبد بحق الوقت قال الشرقاوي :

ولذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير. وفي الحديث « ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله تعالى فيها إلا كانت عليه حسرة وندامة ».

وقال ابن عباد : (قال) وقد تجاذبت الكلام أنا وبعض من يشتغل بالعلم في أنه ينبغي إخلاص النية فيه وأنه لا يشتغل به إلا لله تعالى فقلت له : الذي يقرأ العلم لله هو الدي إذا قلت له : غداً تموت لا يضع الكتاب من يده اهـ، قلت : وهذا هو فصل الخطاب ونهاية الصواب فإن العبد في هذه الحالة لا يصدر منه إلا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء، وممازحة حظ النفس واتباع الهوى، فهذا هو المطلوب من العبد، ولا يستتم له ذلك إلا أن يتحقق بما يقدر من حلول الموت وحصول الفوت وهذا هو معنى قصر الأمل الذي هو أصل حسن العمل، وهو أن لا يقدر لنفسه وقتاً ثانياً يكون فيه حياً، وعند ذلك يحلص عمله من الآفات، ويتطهر من أنواع الرعونات لأن توقع الموت في كل نفس ولحظة يهدم عليه جميع دلك كما ذكره المؤلف رحمه الله.

نشاهد أكثر الناس عند نزول الموت بهم يندمون على ما أسلفوه من عمل، ويودون أن لو أنسئ لهم في الأجل وهيهات هيهات، فنعوذ بالله من الغفلة في زمان المهلة فإنها مبدأ كل عمل فاسد ومنشأ وجود الغرة والجهالة لكل عالم وعابد، وما ذكرناه من معرفة اختلاف درجات الصالح ليقدم الفاضل فيها على المفضول لا يصلح إلا لمن أيده الله بنور اليقين، وجبله على النصيحة في الدين وكان له حظ وافر من الخوف والحذر وموافقة مولاه في كل ورد وصدر، ولا شك أن هذه المرتبة عزيزة المنال متعذر إدراكها إلّا على الآحاد من الرجال، وسبيل من لم يصل إليها ممن ذكرناه إذا كان منصفاً أن يستعين بنظر من هو أصح منه حالاً وأصوب مقالاً وفعالاً، ويفوض جميع أموره إليه، ويعتمد إشارته في كل ما يشير به عليه، وعلامة إنصافه وجود اتهامه لنفسه وعدم اعتماده على عقله وحدسه، ومن لم يكن منصفاً فالكلام معه هذيان فاسد وضرب في حديد بارد.

وقال ابن عجيبة : وهما ولايتان : فولي يتولى الله ورسوله والذين آمنوا، وولي

يتولاه الله وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن : وعلامة الولاية الرضى بالقضاء، والصبر على البلاء، والفرار إلى الله عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب، فمن أعطي هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين، ومن أعطيها من خزائن المنن والمواددة فقد تمت ولاية الله له فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى، قيل له : كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا ؟ قال : يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[1] ويتولى الرسول بالمتابعة ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[2] ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾[3] ويتولى المؤمنين بالاقتداء بهم وهي علامات من خاض بحر الولاية.

٣ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه ...).

قال الشيخ الشرقاوي : لأنها (أي النفس) مجبولة على الجهل فشأنها أبداً طلب الفرار من الحقوق، فإذا وجد المريد من نفسه خفة وميلاً عند بعض الأعمال دون بعض اتهمها وترك ما خف عليها ومالت إليه، وعمل بما استثقلته فإن عمل بالأخف كان ذلك معدوداً عندهم من نفاق القلب، هذا إن لم تصر نفسه مطمئنة، فإن صارت كذلك عمل بما خف عليها ومالت إليه، لكن ينظر حينئذ إلى ما هو أكبر فائدة وأعظم مزيداً في حاله فيقدمه على غيره، وهناك ميزان آخر تميز به الأولى من غيره مما التبس عليك وهو أن تقدر نزول الموت بك فأي عمل سرك أن تكون مشغولاً به إذ ذاك فهو حق وما عاداه باطل فإن العبد في هذه الحالة لا يصدر منه إلا العمل الصالح الخالص من شوائب الرياء وممازجة حظ النفس واتباع الهوى، فإذا التبس عليك الاشتغال بالعلم أو بطريق القوم فانظر أيهما تحب أن تكون عليه حال خروج روحك فاشتغل به، فإن كنت تحب أن تخرج روحك وبيدك الكراس لإخلاصك في طلب العلم وقصدك به وجه الله فاشتغل به، وإن كنت تكره ذلك وتحب أن تكون في ذلك الوقت مشتغلاً بذكر الله مثلاً لا بطلب

---

(١) سورة العنكبوت: (٦٩).

(٢) سورة آل عمران: (٣١).

(٣) سورة النساء: (٨٠).

العلم فلا تطلب العلم بل اشتغل بغيره لأن ذلك دليل على عدم إخلاصك فيه والكلام في القدر الزائد على ما لا بد منه من العلم.

٤ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات)، قال الشيخ الشرقاوي : وإنما كانت النوافل تخف على النفس دون الفرائض، لأن العادة أنه لا مزية في القيام بالفرائض لاستواء الناس كلهم فيها بخلاف النوافل، فإنها تذكر بها ويحصل لها بها مزية وجاه ومنزلة في القلوب، وهذا هو حال أكثر الناس، فتجد الواحد منهم إذا عقد التوبة أي صمم عليها لا همة له إلا في نوافل الصيام والقيام وتكرار المشي إلى بيت الله الحرام وما أشبه هذا من النوافل، ومع ذلك هو غير متدارك لما فرط فيه من الواجبات، ولا متحلل لما لزم ذمته من الظلامات والتبعات، وما ذاك إلا لأنهم لم يشتغلوا برياضة نفوسهم التي خدعتهم ولم يعتنوا بمجاهدة أهوائهم التي أسرتهم وملكتهم.

٥ ــ وقال ابن عجيبة بمناسبة قول الشيخ : (تمكّن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال) قلت : حلاوة الهوى على قسمين : هوى النفس وهوى القلب، فهوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية كحلاوة المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح والمساكن، وهوى القلب هو شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة الطاعات الحسية كمقام العباد والزهاد وحلاوة علم الحروف والرسوم، فأما علاج هوى النفس فأمره قريب يمكن علاجه بالفرار من أوطان ذلك والزهد وصحبة الأخيار، وأما علاج هوى القلب إذا تمكن فهو صعب وهو الداء العضال الذي أعضل الأطباء أي أعجزهم وحبسهم عن علاجه، فلا يزيده الدواء إلا تمكناً، وإنما يخرجه وارد إلهي بعناية سابقة بواسطة أو بغير واسطة.

٦ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل) قال ابن عباد : وقد عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل كما يفعل بأسارى الكفار حين يراد بهم الدخول في الإسلام فيقادون إلى الجنة بالسلاسل في رقابهم، وهذا حديث يروى عن رسول الله ﷺ هكذا : « عجب الله من أقوام يقادون إلى الجنة بالسلاسل » قلت : وتعبير المؤلف رحمه الله بالسلاسل

والسوق بها واستعماله ذلك في التكاليف الواجبة التي ألزم العباد القيام بها من بديع الاستعارات.

٧ ــ وبمناسبة الكلام عن حقوق الأوقات قال ابن عباد : فلذلك وقّت سبحانه الأوراد ووظف وظائف العبودية وعرف ذلك بالطالع والغارب والزوال وصيرورة ظل كل شيء مثله في الصلاة، وبالحول في الأموال النامية العين والماشية وبوقت حصول المنفعة في الزرع ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾[1] وبعشر ذي الحجة في الحج، وبشهر رمضان في الصيام، فوظف الوظائف ووقتها وجعل للنفوس فيها فسحة الحظوظ والسعي في الأسباب، وأهل الله هم أهل الفهم عنه جعلوا الأوقات كلها وقتاً واحداً، والعمر كله نهجاً إلى الله تعالى قاصداً، فعلموا أن الوقت كله له، فلم يجعلوا شيئاً منه لغيره ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى، أبت المحبة أن تستعمل محباً إلا فيما يوافق محبوبه، وعلموا أن الأنفاس أمانات الحق عندهم وودائعه لديهم فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا همهم لدلك، وكما أن له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة فربوبيته غير مؤقتة بالأوقات، فحقوق ربوبيته عليك ينبغي أن تكون أيضاً كذلك لذلك. قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه : إن لكل وقت سهماً يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية اهـ.

قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه : أوقات العبد أربعة لا خامس لها : النعمة والبلية والطاعة والمعصية، ولله تعالى عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية، فمن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه إن هداه لها ووفقه للقيام بها، ومن كان وقته المعصية فمقتضى الحق منه وجود الاستغفار والندم، ومن كان وقته النعمة فسبيله الشكر وهو فرح القلب بالله، ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر، والرضا رضا النفس عن الله، والصبر مشتق من الإصبار وهو نصب الغرض للسهام، وكذلك الصابر ينصب نفسه غرضاً لسهام القضاء فإن ثبت لها فهو صابر، والصبر ثبات القلب بين يدي الرب.

---

(١) سورة الأنعام: (١٤١).

٨ ــ بمناسبة قول الشيخ (من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته فقد استعجز القدرة الإلهية)، قال ابن عباد : وليعلم العبد أن قلوب العباد ونواصيهم بيده فلا يقنط ولا ييأس، وليقصد باب مولاه بالذلة والانكسار والافتقار، فعساه يسهل عليه ما استصعبه، ويظهر فيه ما استغربه، وما ذلك على الله بعزيز، وليعتبر هذا المعنى بالحكايات التي تروى عن الصالحين الذين تقدمت لهم في بدايتهم الزلات، ووقعت منهم قبل توبتهم الهفوات؛ فتداركهم الله تعالى بلطفه، واستنقذهم بجوده وعطفه، فأصلح أعمالهم وصفى أحوالهم، وأبدل سيئاتهم حسنات، ورفعهم من أسفل سافلين إلى أعلى الدرجات، كل ذلك في أقرب زمان وأقصر مدة وأوان.

٩ ــ بمناسبة الكلام عن الأنوار ووصولها إلى القلب أو رجوعها قال ابن عباد : الأنوار الواردة على القلوب من خزائن الغيوب تنقسم إلى قسمين : أنوار أذن لها في الوصول إلى ظاهر القلب فقط، وأنوار أذن لها في الدخول إلى صميم القلب وسويدائه، فالأنوار الواصلة إلى ظاهر القلب يشاهد العبد معها نفسه وربه ودنياه وآخرته، فيكون تارة مع نفسه، وتارة مع ربه وطوراً يسعى في العمل لآخرته، وطوراً يعمل في أمور دنياه، والأنوار الداخلة إلى صميم القلب وسويدائه لا يظهر فيها إلا وجود الله عز وجل فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد إلا إياه.

* * *

الفصل السادس

توجيهات للعارفين لإنضاج هممهم

(وما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً وهو لا يحب أن تكون عبداً لغيره * لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك فإنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك، لا يزيد في عزه إقبال من أقبل، ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر * وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فَجَلَّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء * قربك منه أن تكون مشاهداً لقربه، وإلا فمن أين أنت ووجود قربه. الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان. ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾[1] * متى وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها** ﴾[2]. الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه. ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾[3] * كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر * لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً * لا تزكين وارداً لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الإمطار وإنما المراد منها وجود الإثمار * لا تطلبين بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها

---

(١) سورة القيامة: (١٨ — ١٩).

(٢) سورة النمل: (٣٤).

(٣) سورة الأنبياء: (١٨).

وأودعت أسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء، وليس يغنيك عنه شيء * تطلعك إلى غيره دليل على عدم وجدانك له، استيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به * النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه، والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه، فسبب العذاب وجود الحجاب، وإتمام النعيم بالنظر إلى وجه الله الكريم * ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعت من وجود العيان).

المقدمة

في هذا الفصل توجيهات للعارفين في دقائق لا يفطن لها إلا أصحاب المقامات والأحوال والمنازل وفي هذا الفصل عود على بدء في أمهات المعاني التي تحدث عنها الشيخ ابتداءً فهناك ذكرها الشيخ لرفع الهمة، وههنا يذكرها للإنضاج فيها.

الشرح

إفراد الله عز وجل بالمحبة والعبودية والإخلاص من أعظم مقامات العارفين قال عليه الصلاة والسلام : « لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً دون ربي لاتخدت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي ». أخرجه أحمد والبخاري. والعارف إذ يقبل على الله بالطاعة يعلم أنها لمصلحته الذاتية لا لنفع يعود على الله عز وجل منها، فالله عزيز وإن عصاه العاصون، غني ولو أدبر المدبرون، وهذه الأمور مغروسة في جبلة المسلم، ولكن الانتقال عن الإطار العقلي إلى الشعور الذوقي بهذه المعاني هو ميزة العارف ولذلك قال الشيخ :

(ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أن تكون عبداً لغيره. لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك، فإنما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك، لا يزيد في عزه إقبال من أقبل ولا ينقص من عزه إدبار من أدبر).

وحتى لا يفهم فاهم أن الوصول إلى الله وصول مادي له صلة بالمكان أو فيه معنى الحلول والاتحاد قال الشيخ :

(وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فَجَلَّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشي) ولكي لا نخطئ في فهم القرب من الله أو قرب الله منا وهو موضوع تحدثت عنه الآيات والنصوص ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم** ﴾[1] ﴿ **وإذا**

(١) سورة الواقعة: (٨٥).

سألك عبادي عني فإني قريب ﴾[1] فقد ذكر الشيخ أن القرب منه هو الشعور بقربه.

(قربك منه أن تكون مشاهداً لقربه وإلا فمن أين أنت ووجود قربه).

ولكي يعرفنا على طبيعة الواردات التي ترد على قلوب العارفين، وأن المعارف والحقائق الإلهامية التي تأتي فيها تكون مجملة ثم يكون التفصيل عبر التأمل أو عبر الإلهام أو عبر تناميها في القلوب، قال الشيخ : (الحقائق ترد في حال التجلي مجملة وبعد الوعي يكون البيان ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه** ﴾[2].

شبّه الإلهامات في أنها تأتي مجملة ثم تفصل بما كان عليه الحال يوم كان ينزل القرآن على قلب رسول الله ﷺ، فإنه كان ينزل ثم يعقب ذلك البيان، وقد أدخل في فهم الآية ما يفهم من عمومها وإن كان سبب النزول يحدد معنى آخر من معاني النص، ولكن كما هو المعروف في التفسير (العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب).

ثم أعطانا الشيخ علامة على ورود الواردات الربانية على القلب وهي أن الواردات تهدم العادات المبنية على الأهواء فيصبح الإنسان قادراً على مخالفة نفسه في ذات الله، وشبه الواردات بالملوك والملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك الواردات تقلب أحوال القلوب رأساً على عقب، وتعقب أهلها تواضعاً وخشية، والاستشهاد في الآية من باب الإشارة إلى أن حادثاً ما سيحدث في القلب بسبب ورود الواردات وليس المراد التشبيه من كل وجه ثم أكد أن الواردات لا بد أن تترك تأثيرها في القلب فتغير أهواءه وتخرج الباطل منه فقال :

(الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء إلا دمغه. ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: (١٨٦).

(٢) سورة القيامة: (١٨ — ١٩).

(٣) سورة الأنبياء: (١٨).

وقد يتساءل متسائل عن طبيعة التغيير الذي يحدث في القلب كأثر عن الواردات فذكر الأثر الأعظم لذلك وهو إزالة بعض الحجب فقال :

(كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) فالله عز وجل ظاهر في كل شيء وحاضر دائماً وأبداً، ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾[1].

فالأصل ألا يكون حجاب فإذا وجد الحجاب فعلينا أن نزيله بالأخذ بالأسباب، وكرم الله عز وجل يأتي بالواردات التي تزيل الحجب.

ومن ههنا أكد على العمل وإن لم يرافقه الحضور.

(لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً).

ثم أدبنا الشيخ بما ينبغي أن نتأدب به في شأن الواردات : بألا نسارع بالفرح بالواردات والحكم عليها والكلام عنها وتزكيتها قبل التأكد من أنها واردات، وذلك بمعرفة ما أعطته وما خلفته في القلب. والأدب الثاني : ألا نتعلق بالواردات إذا نزلت فكل وقت له أدبه وفيه عطاؤه، وقد لخص الشيخ هذين الأدبين بقوله :

(لا تزكينَّ وارداً لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار، لا تطلبنَّ بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها؛ فلك في الله غنى عن كل شيء وليس يغنيك عنه شيء) ثم ذكرنا الشيخ بأن مطلب العارفين وجه الله ولذلك فإن أنسهم بالله، ومن ثم لا يستوحشون من فقدان شيء بل الفقدان عندهم نعمة لأنه يرجعهم إلى الأصل وهو أنسهم بالله وحده قال الشيخ :

(تطلعك إلى غيره دليل على عدم وجدانك له. استيحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به) فالتطلع إلى غير الله علامة على عدم الوصول، والاستيحاش من فقدان شيء علامة على عدم الوصول، ففتّش أيها المتطلع إلى سواه، والمستوحش من فقدان غيره عن مقامك النازل، واصعد فيه إلى ما سواه من المنازل.

---

(١) سورة المجادلة: (٧).

وإذ كان لا عذاب في الدنيا عند أهل الله أصعب من الحجاب، وإذ كان أعظم أنواع النعيم عندهم شعورهم بالقرب وزوال ما أمكن من الحجب. أحب الشيخ أن يتم هذا الفصل بتقرير هذا المعنى من باب التأكيد على أن غير الواصل هو الذي يستوحش والاستيحاش جفاء فقال :

(النعيم وإن تنوَّعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه، والعذاب إن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجابه فسبب العذاب وجود الحجاب).

في الدنيا إزالة حجب وفي الآخرة رؤية ومشاهدة وبذلك يتم النعيم، وكل صنوف العذاب سببها الحجب، حتى إن المعذبين من الأولياء في الدنيا يستشعرون النعيم في العذاب عندما لا يكون حجاب، وكل الهموم والأحزان سببها عند العارفين وجود الحجاب، فمن كان يشهد الله في أفعاله مع الأدب والمحبة والعبودية فإنه يبقى سعيداً ولذلك قال الشيخ :

(ما تجده القلوب من الهموم والأحزان فلأجل ما منعت من وجود العيان).

وهكذا حاول الشيخ في هذا الفصل أن يذكّر العارف بما يبقيه في الأفق الرحيب، ومع أن بعض هذه المعاني ~~تحدث~~ الشيخ عنها من قبل لكن تكرارها في هذا السياق فيه إشارة إلى أن العارف قد تمر عليه انتكاسات، ومتى وجدت فعليه أن يبقى في أجواء معينة، وأن يبذل جهداً في الاستمرار في الأحوال الطيبة، ثم إن كلام الشيخ يفيد أن المعرفة تحتاج إلى تجديد وتذكير وفي الحديث الصحيح : « جددوا إيمانكم، قيل : يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله »، رواه أحمد وإسناده جيد. وفي الحديث « إن الإيمان لَيَخْلَقُ في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم للطبراني في الكبير وإسناده حسن.

فوائد :

١ ـــ بمناسبة قول الشيخ : (وهو لا يحب أن تكون عبداً لغيره) قال الشيخ الشرقاوي : أي لا يرضى بذلك، وفي الحديث : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم والزوجة والخميصة تعس وانتكس » وقال الجنيد : إنك لن تكون على

الحقيقة له عبداً وشيء مما دونه لك مسترق وإنك لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية، المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

٢ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به) قال ابن عجيبة : (وصولك إلى العلم به، وإلا فجلّ ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء) قلت : قد ذكر أهل الفن في هذا المقام اصطلاحات وألفاظاً تداولوها بينهم تقريباً لفهم المعاني، فمنها السير والرحيل وذكر المنازل والمناهل والمقامات ومنها الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النّفوس ومحاربتها وقطع العوائق والعلائق عنها أو الوقوف مع شيء منها وسيأتي للمؤلف (لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين) ومنها الوصول والتمكين والسكون والطمأنينة ومنها المشاهدة والمكالمة والمجالسة والمساورة وغير ذلك وكل ذلك كناية عما أدركته أرواحهم وذاقته أسرارهم من عظمة الحق وجلاله.

وقال ابن عباد : (الوصول إلى الله تعالى الذي يشير إليه أهل هذه الطريقة هو الوصول إلى العلم الحقيقي بالله تعالى، وهذا هو غاية السالكين، ومنتهى سير السائرين، وأما الوصول المفهوم بين الذوات فهو متعال عنه. وقال الجنيد رضي الله عنه : متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير هيهات هذا ظن عجيب، إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك ولا وهم ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان).

وقال الشيخ الشرقاوي : (وصولك إلى العلم به) أي إلى مشاهدته بعين بصيرتك مشاهدة تغنيك عن الدليل والبرهان ويعبر عن ذلك العلم بالمشاهدة وبعلم اليقين وبالتجلي وبالفيض الرحماني والتعرف العياني والذوق الوجداني وأهل الشهود متفاوتون، فمنهم من يحصل لهم تجلي الأفعال وهو أول التجليات عندهم فيفني فعله وفعل غيره في فعل الله تعالى فلا يرى فاعلاً إلا هو، ويخرج في هذه الحالة عن التدبير والاختيار وهذه أول مراتب الوصول، ومنهم من يحصل له تجلي الصفات فيقف في مقام الهيبة والأنس بما يشاهده قلبه من الجلال والجمال وهذه رتبة ثانية من رتب الوصول، ومنهم من يرقى إلى مقام الفناء مشتملاً على باطنه أنوار اليقين والمشاهدة فيغيب في شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الذات لخواص المقربين، وهو أيضاً رتبة في الوصول وفوق هذا رتبة حق اليقين ويكون

من ذلك في الدنيا لمح : وهو سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى تحظى به روحه وقلبه ونفسه حتى قالبه، وهو من أعلى رتب الوصول قال في عوارف المعارف : فإذا تحققت الحقائق بعلم العبد مع هذه الأحوال الشريفة أنه في أول المنزل فأين الوصول ؟ هيهات مازل طريق الوصول لا ينقطع أبد الآباد في عمر الآخرة الأبدي فكيف في العمر القصير الدنيوي اهـ.

وقال أبو الحسن الشاذلي : كان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول : إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام.

٣ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (لا تزكين وارداً لا تعلم ثمرته) وبمناسبة الكلام عن طبيعة الواردات، قال ابن عجيبة : ثمرة الوارد الصادق : هو ما ينشأ عنه من الذلة والانكسار والخشوع والسكينة والوقار والحلم والزهد والسخاء والإيثار والتخلص من رق الشهوات الجسمانية والعوائد النفسانية والخروج من سجن الأكوان، والترقي إلى فضاء الشهود والعيان والتحرر من يد الأغيار والتمحض إلى تحقيق المعارف والأسرار.

وقال الشيخ الشرقاوي : (لا تزكين وارداً) أي لا تفرح به وتمدحه في سرك (لا تعلم ثمرته) فإذا ورد عليك وارد إلهي أي تجل إلهي ملك قلبك ويعبر عنه بالحال لكن لم يتأثر قلبك بحيث تحب الإقبال على المولى وتنهض لطاعته وتقوم بحقوق ربوبيته، فلا تفرح بذلك الوارد؛ لأن ثمرته إنما هي تأثر القلب به، وتبدل صفاته المذمومة بصفات محمودة كما مر، فإن لم يوجد هذا عندك فلا تفرح به فإن في دلك نوعاً من الاعتزاز.

وكذلك الواردات الإلهية شبيهة بجنود الملك إذا حلت قلباً قهرت ما فيه وأزالته، وهذا جواب عما يقال إن العوائد مما جبلت عليه الطبائع فكيف تزيلها الواردات ؟ وحاصل الجواب أن الوارد له القهر كجند الملك.

٤ ــ وبمناسبة الكلام عن قرب الله من العبد قال ابن عباد : القرب الحقيقي

قرب الله منك قال الله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾[2] وقال عز من قائل ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾[3] وحظك من ذلك إنما هو مشاهدتك لقربه فقط فتستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة، وغلبة الهيبة والتأدب بآداب الحضرة، وأما أنت فلا يليق بك إلا وصف العبد وشهوده من نفسك.

* * *

---

(١) سورة البقرة: (١٨٦).

(٢) سورة الواقعه: (٨٥).

(٣) سورة ق: (١٦).

الفصل السابع

أخطار التطلع إلى الدنيا وزخرفها

(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك؛ ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه * إن أردت أن لا تعزل فلا تتولى ولاية لا تدوم لك، إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات، إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن، إنما جعلها محلاً للأغيار، ومعدناً لوجود الأكدار تزهيداً لك فيها، علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوّقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها).

المقدمة

التطلعات إلى الدنيا ومباهجها وزهرتها ومناصبها من الابتلاءات الدائمة للمريد وللعارف، وأخطر ذلك الأموال والولايات والشيخ يخصص هذا الفصل للتنبيه على هذه القضايا الخطيرة.

الشرح

قد يظن من لا علم له أن الإكثار من الدنيا علامة فضل عند الله :

﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾[1].

أما أهل البصيرة فالكفاية عندهم هي أعظم النعم فالنقصان عنها يتعب ويؤلم ويقلق، والزيادة عليها قد تطغي والسلامة في الكفاية، ثم إن الزيادة على الكفاية تفرح ابتداءً وتحزن انتهاءً إذا ما حدث حادث لها وقد عبر عن ذلك كله الشيخ بقوله :

(من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمنعك ما يطغيك؛ ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه). والإنسان بطبعه يحب العلو في الأرض ويحب العظمة والكبرياء وقد فرض الله عليه أن يجاهد هذه التطلعات لما يترتب على ذلك من مفاسد، ومن مظاهر حب العلو في الأرض وحب العظمة والكبرياء :

الرغبة في الإمرة والجاه والتعظيم بالألقاب والأسماء والكنى والتصدر في المجالس وقيام الناس للإنسان، والمسلم أبداً يحاسب نفسه على ذلك حتى إذا أكرمه الله عز وجل بشيء من ذلك بلا طلب قام به بحقوق العبودية، وقد خُير

(١) سورة القصص: (٧٩ ـــ ٨٠).

رسول الله ﷺ أن يكون رسولاً ملكاً أو رسولاً عبداً فاختار العبودية فكان له أعظم ما أعطي أي إنسان.

والشيخ ههنا يحذرنا من الولايات التي لا تدوم وتلك هي الولايات الدنيوية، لما في الولايات الدنيوية من سيطرة الأغيار على القلب، ووجود الأكدار فيها من آلام ومتاعب ابتداءً وانتهاء، ولما في باطنها من فتنة، ولما في طياتها من منافسة وصراع عليها قد يترتب عليه ما يترتب من آلام.

أما الولايات الأخروية كالإمامة في الدين، والولاية لله رب العالمين، وإرشاد الخلق إلى طريق الحق بالإذن من أهله، فهذه ولاية لا كدر فيها ولا عزل عنها وإذا ما ابتلي الإنسان بسببها فأجره موجود وارتقاؤه حاصل، وإنما هو القرب من الله عز وجل قال الشيخ :

(إن أردت أن لا تعزل فلا تتول ولاية لا تدوم لك إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات. إن دعاك إليها ظاهر نهاك عنها باطن، إنما جعلها محلاً للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار؛ تزهيداً لك فيها، علم أنك لا تقبل النصح المجرد فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها).

ومن قول الشيخ : (علم أنك لا تقبل النصح المجرد) نعلم أن الرغبة في طلب الولاية عنيف جداً في قلب الإنسان، فالناس يتكادمون على الإمرة تكادم الحمر، فيفقدون في الكثير من الأحيان عقولهم بسبب ذلك، فكان من حكمة الله عز وجل أن يذيق خلّص عباده من مرارتها ما يسهل عليهم وجود فراقها.

ولكن إذا كان أدب المسلم الفرار فإن واجب المسلم إذا تعينت عليه فريضة عينية أن يقيمها، وإذا تعين لفريضة كفائية أن يقوم بحق الله فيها، وعندئذ فهو مأجور مبرور عابد.

ومن ههنا فإن المسلم إذا تعين لولاية يقيم بها حقاً أو يقيم بها شرعاً أو ديناً على مقتضى الشريعة أو يخفف فيها ضرراً عن المسلم يجيزه له الفتوى، أو يضعف بها شراً بما تجيزه له الفتوى في الحالين، وكان باستطاعته ذلك، ولا يترتب على قبوله فتنة له أو ضرر لا يطيقه، فواجب عليه أن يقبل الولاية في هذه الأحوال، ومن ههنا كان أمر الولاية من الملتبسات التي تحتاج إلى بصيرة قلب وعلم صحيح للوصول في شأنها إلى قرار.

والخلاصة : أن الولاية الدنيوية والتوسع في الدنيا من أخطر ما يواجه العارفين، ولذلك فإن عليهم أن يحذروا، والحذر شيء، وحسن التعامل مع ما يفتح الله به شيء آخر، فقد وجد اجتهاد لبعض الشيوخ : إن المرشد إذا كانت عنده سعة يستغني بها عن العباد وينفع بها أصحابه وإخوانه، فذلك خير لمثل عصرنا الذي تقل به الاستفادة من الشيوخ، إذا رأى الناس فقرهم وحاجتهم، ولذلك كان لا بد في هذه الأمور من الحذر، ولا بد من التعامل معها على ضوء الفتوى التي تلاحظ الزمان والمكان والعصر وأهله.

فوائد :

ـــ بمناسبة الكلام عن الولايات والدنيويات شرح ابن عجيبة قول المؤلف :

(إن رغبتك البدايات وزهدتك النهايات) قلت : الولاية التي لا تدوم كعز بمال أو جاه أو عشيرة أو غير ذلك من عز الدنيا، أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها وآخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت، ولما يعقبه من الذل والهوان، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « نعمت المرضعة وبئست الفاطمة » فإن رغبتك في هذه الولاية التي تفنى حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها فإن غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها إن رغبتك فيها حلاوة إقبالها زهدتك فيها مرارة إدبارها، قال الشيخ أبو علي الثقفي رضي الله عنه : أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت، والعاقل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان فتنة وإذا أدبر كان حسرة وأنشدوا في ذلك :

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره ... فسوف لعمري عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة ... وإن أقبلت كانت كثيراً همومها

وقال ابن عباد : درء المفاسد عند العقلاء أهم من جلب المصالح، فمن زوى الله تعالى عنه فضول الدنيا فرضي بذلك وقنع منها باليسير، ولم يتطلع إلى زيادة من مال أو جاه فهو كامل العقل حسن النظر لنفسه، لأنه دفع عن نفسه مفسدة وجود الحزن بتركه لما يفيده حصول مصلحة الفرح الذي يزول عن قرب واعتاض من ذلك الراحة الدائمة كما قيل :

ومن سره أن لا يرى ما يسوؤه ... فلا يتخذ شيئاً يخاف له فقدا
فإن صلاح المرء يرجع كله ... فساداً إذا الإنسان جاز به الحدا

وقيل لبعضهم : لم لا تغتم ؟ فقال : لأني لا أقتني ما يغمني فقده، فالمفروج به هو المحزون عليه إن قليلاً فقليل، وإن كثيراً فكثير كما قيل :

على قدر ما أولعت بالشيء حزته ويصعب نزع السهم مهما تمكنا

ورود الأغيار والأكدار الدنيوية على العبد نعم من الله تعالى عليه لأن ذلك لا محالة يدعوه إلى الزهادة في الدنيا والتجافي عنها، ويصرف عنه وجود الغباوة والجهالة لأجل تمسكه بالخيال وما يستضر به في الحال والمآل، لأن الموجب لرغبته فيها وحرصه على نيلها إنما هو ما يتوهمه فيها من الحصول على منيته وبغيته، وقضاء غرضه من شهوته ونهمته، من غير مكدر ولا منغّص، ولو تصور له حصوله على هذه الأشياء على حسب ما يحبه ويهواه كان ينبغي له أن يرغب عنها عوضاً عن الرغبة فيها إن كان عاقلاً، لأن مآل أمرها إلى الفناء والزوال والافتقار والانقضاء والارتحال.

الفصل الثامن

موقف العارف من إعراض الناس عنه

(العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه، خير علم ما كانت الخشية معه. العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك * متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك، فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم، إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكناً اليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء * إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده، جعله لك عدواً ليحوشك به إليه، وحرك عليك النفس لتديم إقبالك عليه).

المقدمة

مما يواجه العارف إعراض الناس عنه، أو توجههم بالذم إليه فههنا نبه الشيخ على الحكمة في ذلك، وبهذه المناسبة نبَّه على الحكمة من تحريك النفس ووجود الشيطان، وهذه أمهات من القضايا التي تجب الفطنة المستمرة لها.

الشرح

قال عليه الصلاة والسلام : « العلم علمان : فعلم في القلب فذلك هو العلم النافع، وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » أخرجه ابن أبي شيبة والخطيب. والربانيون يستهدفون العلم كله واستهدافهم لعلم القلب والعلم الذي به صلاح القلوب أكثر وأكبر، والعلامة الكبرى للعلم النافع هو ما كانت محصلته خشية الله عز وجل، فقد حصر الله عز وجل العلم بأهل خشيته :

﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[1] فمن لم تكن له خشية من الله عز وجل فإنما هو من علماء الدنيا ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾[2] وقد أعطانا الشيخ موازين في هذه الأمور فقال : (العلم النافع الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه، خير علم ما كانت الخشية معه، العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك).

وقوله في تعريف العلم النافع : (العلم النافع : الذي ينبسط في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه).

إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[3] وإلى قوله عليه الصلاة والسلام : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح،

(١) سورة فاطر: (٢٨).

(٢) سورة الروم: (٧).

(٣) سورة الزمر: (٢٢).

قالوا : فهل لذلك إمارة يعرف بها؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود، والتنحي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت » أخرجه ابن جرير والحاكم، وله طرق يقوي بعضها بعضاً، فقواه بعضهم وضعفه آخرون.

فالعلم الذي ينمي عندنا الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، يذكرنا بالآخرة وبالموت، هو سيد العلم في الإسلام، وذلك بالتأكيد هو علم الكتاب والسنة وعلم تزكية الأنفس وعلم التلاوة والأذكار والشكر، فذلك مدار تعليم رسول الله ﷺ : ﴿ **كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون** ﴾[1] وذلك مدار تعليم الربانيين : ﴿ **ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾[2].

وإذا كان العارف قد يظن أن من حقه أن يمدح، وأن يقبل عليه، وأن يثنى عليه، ويحترم لا أن يذم ويؤذى، وإذ كان ذلك خطأ فالرسل عليهم الصلاة والسلام أوذوا، فإن الشيخ رحمه الله يبين خطأ هذا التصور، ويبين الحكمة في أن الله يسلّط بعض العباد على العارفين في الذم والأذى، ويدل العارف إذا وقع له ذلك على ما ينبغي فعله قاله الشيخ : (متى آلمك عدم إقبال الناس عليك أو توجههم بالذم إليك فارجع إلى علم الله فيك فإن كان لا يقنعك علمه فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم) فالفرار إلى الله عز وجل هو العلاج للآلام التي تترتب على الإيذاء والإعراض : ﴿ **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾[3] ﴿ **ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين** ﴾[4] فالفرار إلى الله أدب العارف أبداً والإقبال على الله بالتسبيح والصلاة والعبادة هو أدب العارف إذا ضايقه من الخلق كلام أو تصرف، والفرار إلى علم الله بالإنسان مطلب فذلك يجعله يتوب إن كان ظالماً ويسلم لله أمره إن كان مظلوماً.

---

(١) سورة البقرة: (١٥١ — ١٥٢).

(٢) سورة آل عمران: (٧٩)

(٣) سورة الحجر: (٩٧ — ٩٩).

(٤) سورة الذاريات: (٥٠).

أما الحكمة في إجراء الأذى على أيدي الناس للعارفين فلكي لا يسكن العارف إلى الخلق، ولكي يبقى معلق القلب بالخالق : (إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكناً إليهم، أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء).

وفي هذا السياق ذكر أن من حكمة الله عز وجل كي يبقي عباده متوجهين إليه وجود النفس والشيطان، فالشيطان لا يني عن الوسوسة، وعلى الإنسان ألا يني عن الذكر والإقبال على الله، والنفس تديم المطالبة بالشهوة ودأبها الغفلة، وأدب المسلم أن يجاهدها أبداً، ومن خلال مجاهدة النفس ومطاردة الشيطان يكون الإقبال على الله أشدّ، وقد عبر عن هذه المعاني وغيرها بقوله : (إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده، جعله لك عدواً ليحوشك به إليه، وحرك عليك النفس لتديم إقبالك عليه) وهكذا عرفنا الشيخ أن أخطر ما يواجه الإنسان ويؤذيه إذا عرف الحكمة منه وقام بحق الله فيه فإنه يجعله في المقام الأرقى : فإيذاء الخلق وإعراضهم والشيطان والنفس، كل ذلك عوامل في حسن الإقبال على الله لمن عرف الحكمة وقام بحق الله عز وجل، فالمسلم إذا أقبل على الله بالذكر فلم يغفل عن ربه خرج عن أسر الشيطان، وإذا جاهد نفسه وفر منها إلى الله فأقبل عليه بالعبادة والطاعة، وإذا فر إلى علم الله عند الإيذاء والإعراض فإنه يكون قد قام بحق الله عز وجل وكان الشر في حقه خيراً وإذا قابل إيذاء الخلق بالالتفات إليه والوقوف عنده والرد عليه، وقابل وسوسة الشيطان بالاستجابة، وقابل هواجس النفس بالاستجابة لها فقد زل زللاً كبيراً قد يصل إلى الكفر إن لم تتداركه عناية الله عز وجل.

فيا أيها العارف : ابحث عن العلم النافع، وفر إلى علم الله بك، إذا ادلهمّت عليك الأمور، وإياك أن تغفل عن الله فلازم الذكر والإقبال على الله في كل حال فإذا اجتمع لك ذلك فأنت أنت.

فوائد :

١ ـ بمناسبة الكلام عن العلم النافع قال ابن عجيبة : (العلم النافع : هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه، وينكشف به عن القلب قناعه) قلت : العلم النافع هو علم القلوب، ومرجعه إلى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل، أو تقول :

مرجعه إلى التخلية والتحلية، فيبحث أولاً : عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السر، فيظهر كل واحد من عيوبه فإذا تطهر من الجميع تحلي بصفات الكمال كالإيمان والإيقان والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة، وتحلى أيضاً بالحلم والرأفة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة، فشعاع العلم الذي ينبسط في الصدر هو ثلج اليقين، وبرد الرضى والتسليم، وحلاوة الإيمان ومواجيد العرفان، وينشأ عن ذلك مخافة الله وهيبته والحياء منه والسكون والطمأنينة وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة، والقناع الذي ينكشف به عن القلب هو الغفلة، وسبب الغفلة هو الرضى عن النفس، وسبب الرضى عن النفس هو حب الدنيا الذي هو أصل كل خطيئة، فمن حب الدنيا ينشأ الحسد والكبر والحقد والغضب والشح والبخل وحب الرياسة والقساوة والفظاظة والقلق وغير ذلك من العيوب، فإذا انكشفت هذه الأمور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم الذي هو ثلج اليقين، وبرد الرضى، وما تقدم ذكره لأن العلم بالله نور في القلب وينبعث منه شعاع تنبسط في الصدر فتكسبه الزهد في الدنيا فإذا زهد في الدنيا اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وعير ذلك من المحاسن فكشف القناع مقدم على بسط الشعاع، فلو قدمه لكان أولى لأن التخلية مقدمة على التحلية، فلو قال : هو الذي ينكشف به عن القلب قناعه وينبسط في الصدر شعاعه، ويحتمل أن يريد بانبساط الشعاع في الصدر نور الإسلام والإيمان وهي أنوار التوجه، وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس وظلمة الكون فتبدو أنوار المواجهة وهي أنوار الإحسان وأسرار العرفان وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسن والله تعالى أعلم، والحاصل أن العلم الذي يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع وإليه أشار بقوله (خير علم ما كانت الخشية معه) فإن لم تكن خشية فلا خير فيه لأنه حجة على صاحبه وإليه أشار بقوله : (العلم إن قارنته الخشية فلك وإلا فعليك) قلت : لأن العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربه فيكون عوناً له على الوصول إلى معرفة الله والقرب من ساحة رضاه، فإن لم تقارنه الخشية كان وبالاً عليه لأنه حينئذ حجة عليه لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل.

وقال ابن عباد : العلم النافع هو العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه والعلم بكيفية

التعبد له والتأدب بين يديه، فهذا هو العلم الذي يبسط في الصدر شعاعه فيتسع وينشرح للإسلام ويكشف عن القلب قناعه فتزول عنه الشكوك والأوهام.

وقال الشيخ الشرقاوي : قال سفيان الثوري : إنما يتعلم العلم ليتقى به الله وإنما فضل العلم على غيره لأنه يتقى الله به فإن اختل هذا المقصد وفسدت نية طالبه بأن استشعر به التوصل إلى منال دنيوي من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسراناً مبيناً قال تعالى : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه** ﴾[1] الآية انتهى.

وقال ابن عباد : وكان سهل بن عبد الله رضي الله عنه يقول : لا تقطعوا أمراً من أمور الدنيا والدين إلا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله تعالى قيل : يا أبا محمد من العلماء ؟ قال : (الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم) وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصيته : (وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى) وقال الواسطي رضي الله عنه : (أرحم الناس العلماء لخشيتهم من الله تعالى وإشفاقهم مما علمهم الله عز وجل) وقال في التنوير في قوله ﷺ : « طالب العلم تكفل الله له برزقه » اعلم أن العلم حيثما تكرر في الكتاب العزيز أو في السنة إنما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال الله سبحانه : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[2] فبين أن الخشية تلازم العلم وفهم من هذا أن العلماء إنما هم أهل الخشية وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وقال الذين أتوا العلم** ﴾[3] ﴿ **والراسخون في العلم** ﴾[4] ﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾[5] وقوله ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم » وقوله : « العلماء ورثة الأنبياء » وقوله هنا : « طالب العلم تكفل الله برزقه » إنما المراد بالعلم في هذه المواطن العلم النافع القاهر للهوى القامع للنفس، وذلك يتعين بالضرورة لأن كلام الله وكلام رسوله ﷺ أجَلُّ من أن يحمل على غير هذا

---

(١) سورة الشورى: (٢٠).

(٢) سورة فاطر: (٢٨).

(٣) سورة القصص: (٨٠).

(٤) سورة آل عمران: (٧).

(٥) سورة طه: (١١٤).

والعلم النافع هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله، ويشمل العلم النافع العلم بالله والعلم بما أمر الله به إذا كان تعلمه لله تعالى.

العلم الذي تلازمه الخشية لك لأنك تنتفع به في دنياك وآخرتك، فليس ذلك إلا ما ذكرناه والعلم الذي لا خشية فيه عليك لأنك تستضر به فيهما، وهذا هو الفرق بين علماء الآخرة وعلماء الدنيا، من حيث إن علماء الآخرة موصوفون بالخشية والرهبة، وعلماء الدنيا موسومون بالأمن والعزة، وقد بين علماؤنا رضي الله عنهم حال الفريقين وأوضحوا أمرهم بالنعوت والعلامات، وأطالوا في ذلك النفس لما شهدوا من انتشار الفساد في الأرض بسبب جهل الناس بالعمل النافع أي شيء هو، فمن أراد الشفاء في ذلك واستيفاء الكلام عليه وما في ذلك من الأخبار والآثار فعليه بالنظر في كتاب العلم من كتاب (إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي رضي الله عنه، ولباب ذلك ما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا، وقد قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : كان العلماء ربيع الناس إذا نظر إليهم المريض لم يسره أن يكون صحيحاً وإذا نظر إليهم الفقير لم يود أن يكون غنياً وقد صاروا اليوم فتنة على الناس.

واعلم أنه قد ورد في الكتاب والسنة من فضل العلم والعلماء ما لا يحصى كثرة ولا يرجى حصول ذلك إلا لمن صحت فيه نيته، وصحة نيته في ذلك أن يكون غرضه فيه طلب مرضاة الله تعالى واستعماله فيما ينفع عنده، وإيثاره الخروج عن ظلمة الجهل إلى نور العلم، فهذه هي النية الصحيحة التي تحمد عاقبتها آجلاً وتجتنى ثمرتها في طاعة الله عاجلاً، قال الحسن رضي الله عنه : كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ولباسه وبصره ولسانه وصلاته وهديه وزهده، وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به فيكون خيراً له من الدنيا بما فيها لو كانت له ليضعها في الآخرة، وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فإذا كان ذلك لم ينفع فيه الادعاء كدعاء الغريق. وقال سفيان الثوري رضي الله عنه : (إنما يتعلم العلم ليتقى به الله، وإنما فضل العلم على غيره لأنه يتقى الله به فإن اختل هذا المقصد وفسدت نية الطالب بأن يستشعر به التوصل إلى منال دنيوي من مال أو جاه فقد بطل أجره وحبط عمله وخسر خسراناً مبيناً) قال الله عز وجل : ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان**

يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾[1] وقال رسول الله ﷺ فيما روى عنه أبو هريرة رضي الله عنه : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ريحها » وكان الحسن رضي الله عنه يقول : (والله ما طلب هذا العلم أحد إلا كان حظه منه ما أراد به) وقال الحسن : عقوبة العالم موت القلب، فقيل له : وما موت القلب ؟ قال : طلب الدنيا بعمل الآخرة.

قال الشيخ الشرقاوي رحمه الله : (خير العلم ما كانت الخشية معه) والخشية : الخوف مع الإجلال، وقيل : هي الإجلال مع التعظيم، وقيل : الخوف مع العمل أي خير العلوم ما تلزمه خشية الله تعالى وتصاحبه، وهو العلم المتقدم لأن الله تعالى أثنى على العلماء بذلك فقال تعالى : ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ فكل علم لا خشية معه لا خير فيه ولا يسمى صاحبه عالماً على الحقيقة، ويلزم من مصاحبة الخشية له الوقوف على حدود الله، وملازمة طاعته، والوثوق به والإعراض عن الدنيا وعن طالبيها، والتقليل منها ومجانبة أبواب أربابها، والنصيحة للخلق، وحسن الخلق معهم، والتواضع ومجالسة الفقراء، وتعظيم أولياء الله تعالى، بخلاف العلم الذي لا تصاحبه الخشية فإنه يكون معه الرغبة في الدنيا والتملق لأربابها، وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخار والمباهاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة فإن العالم إذا أحب الدنيا وأهلها وجمع منها فوق الكفاية يغفل عن الآخرة وعن طاعة الله بقدر ذلك.

٢ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (إنما أجرى الأذى على أيديهم كي لا تكون ساكناً إليهم) قال ابن عباد : قال في لطائف المنن : اعلم أن الأولياء حكمهم في بداياتهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا وتتكمل فيهم المزايا، ولئلا يساكنوا هذا الخلق باعتماد أو يميلوا إليهم باستناد، ومن آذاك فقد أعتقك من رق إحسانه، ومن أحسن إليك فقد استرقك بوجود امتنانه ثم قال : وتسليط الخلق على أولياء الله في مبدأ ظهورهم سنة الله في أحبابه وأصفيائه. اهـ، وقال الأستاذ أبو

(١) سورة الشورى: (٢٠).

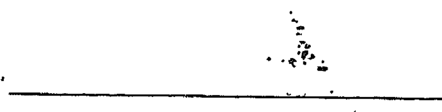
الحسن الشاذلي قدس الله سره : آذاني إنسان مرة فضقت ذرعاً بذلك فنمت فرأيت يقال لي : من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالى بهم اهـ.

٣ ــ وبمناسبة قول الشيخ : (إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده جعلك له عدواً ليحوشك به إليه) قال الشيخ الشرقاوي :

فإنه يكفيك همه لقوله تعالى : ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾[2] فمن تحقق بهذه الصفات العلية من الإيمان بالله تعالى والعبودية له والتوكل عليه والالتجاء والافتقار إليه والاستعاذة به كيف لا ينصره على عدوه، قال ذو النون المصري : إن كان هو يراك من حيث لا تراه فإن الله يراه من حيث لا يرى الله، فاستعن بالله عليه، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال إبليس لربه عز وجل : بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال له الله عز وجل : « وعزتي وجلالي لا أبرح أغفر لهم ما استغفروني ».

٤ ــ بمناسبة قول الشيخ (وحرك عليك النفس لتديم إقبالك عليه) قال الشيخ الشرقاوي :

وقال الأستاذ أبو العباس : لا يدخل على الله إلا من بابين : باب الفناء الأكبر وهو الموت الطبيعي، وباب الفناء الذي تعنيه هذه الطائفة. وعن حاتم الأصم : من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت : موت أحمر وهو مخالفة النفس، وموت أسود وهو احتمال أذى الناس، وموت أبيض وهو الجوع، وموت أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض، ولا بد للمريد في هذه الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه، فيسلم



(١) سورة الحجر: (٤٢).

(٢) سورة النحل: (١٦).

نفسه إليه، ويلزم طاعته والانقياد إليه في كل ما يشير به عليه من غير ارتياب ولا تأويل ولا تردد.

أقول : لبس الثياب المرقعة إن كان عفوياً فلا كلام فيه، أما تعمّد ذلك في عصرنا فإنني لا أراه، وفي حديث أبي داود « فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لباسكم حتى تكونوا شامة في أعين الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

* * *



الفصل التاسع

أعظم الآداب مع المريدين التواضع ..

(من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة، فمتى أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر، ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع، التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفته، لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف. المؤمن يشغله الشاغل لله عن أن يكون لنفسه شاكراً وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً).

المقدمة

-ات مع المريدين والمسلمين من خلُق التواضع، لأهميته ولكثرة الأخطاء فيه.

الشرح

من أهم واجبات العارف تواضعه للمؤمنين وخفضه جناحه لهم، وقد أمر الله عز وجل سيد الخلق أن يخفض جناحه للمؤمنين ﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾[1] وليس أبلغ من هذا الأمر في طلب التواضع للأتباع فقد أمر الله عز وجل الولد أن يخفض جناحه لأبويه ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾[2] فأي شيء أبلغ من أن يطلب الله عز وجل من رسوله ﷺ أن يخفض جناحه لكل مؤمن، ومن مظاهر خفض الجناح قوله تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر** ﴾[3] فاللين والعفو والاستغفار والمشاورة من مظاهر خفض الجناح، ومن مظاهر خفض الجناح « الرعاية والرحمة ».

﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** ﴾[4] أي وهو أبوهم.

ومن مظاهر خفض الجناح ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾[5].

---

(١) سورة الحجر: (٨٠).

(٢) سورة الإسراء: (٢٤).

(٣) سورة آل عمران: (١٥٩).

(٤) سورة الأحزاب: (٦).

(٥) سورة التوبة: (١٢٨).

والوارث الكامل، والولي المرشد، والعارف الداعية، عليهم أن يأخذوا حظهم في دلك ليناً وعفواً واستغفاراً وأبوة وحناناً ورحمة ورأفة وحرصاً على المؤمنين.

ومن ههنا كان التواضع للمؤمنين أدباً رئيسياً من آداب المرشدين.

﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[1].

﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾[2].

ولأهمية التواضع في دين الله وخاصة بالنسبة للعارفين فقد عقد له الشيخ هذا الفصل مبيناً حقيقته التي لا يعتبر التواضع تواضعاً إلا بالتحقق بها :

فالإنسان لا يتحقق بالتواضع الحق إلا إذا شاهد عظمة الحق وحرج عن شكر نفسه وذكر حظوظه، فما دام الإنسان شاكراً لنفسه لا يكون متواضعاً، وما دام ذاكراً لحظوظ نفسه لا يكون متواضعاً ولا يخرج عن شكره لنفسه ولا عن تذكره لحظوظ نفسه ما لم يشهد عظمة مولاه ويعرفه بصفاته، فعندئذ تذوب صفات النفس في تجليات الرب وقد عبر الشيخ عن هذه المعاني بقوله :

(التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفته. لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف، المؤمن يشغله الشاغل لله عن أن يكون لنفسه شاكراً، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً).

ولكن مَنْ مِن الخلق يكون كذلك؟ ومن يستطيع أن ينسى حظوظ نفسه، ومن يستطيع أن ينسى أفعاله، ومن يستطيع الاستمرار في شهود كبرياء الله وعظمته شهوداً تنمحق به الذات والنفس؟ قليل قليل وهذا القليل لا تستمر معه هذه الأحوال إلا قليلاً، ولذلك كان من أدب العارف ألا يثبت لنفسه تواضعاً، لأن التواضع الحقيقي لا يكون إلا بما ذكر الشيخ، وهذا نادر الوجود، فمن أثبت لنفسه التواضع فكأنه أثبت لنفسه أنه قد وصل إلى المحاق الذاتي بشهود عظمة الله، وأنه خرج عن شكر نفسه وتذكر حظوظه، ومن أثبت لنفسه ذلك فقد دخل في دائرة الكبر والعجب، ولذلك فإن العارفين لا يثبتون لأنفسهم تواضعاً مهما تواضعوا، ومهما

(١) سورة الفتح: (٢٩).

(٢) سورة المائدة: (٥٤).

تواضعوا فإنهم يرون أنفسهم دون ما صنعوا لا فوق ما صنعوا، فإذا قدّموا غيرهم أو رأفوا أو رحموا أو تحننوا فإنهم يرون أن ما فعلوه دون المطلوب قال الشيخ :
(ومن أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رفعة).

فمن أثبت لنفسه تواضعاً فكأنه يثبت لنفسه أن مقامه عظيم، وأن ما يفعله دون مقامه وما ذلك إلا الكبر، أما من تواضع وعرف أن مقامه دون ما صنع فذلك هو التواضع :
(فمتى أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر، ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ما صنع، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ما صنع).

والخلاصة : إن العارفين يحاولون دائماً أن يشهدوا عظمة مولاهم وينسوا أنفسهم وأعمالهم وحظوظهم ويتعاملون مع المؤمنين بخفض الجناح ويعتبروا أن ذلك هو مقامهم الحقيقي.

ولا تواضع إلا إذا شعرت بأنه يراك ويسمعك وأن كل شيء بعلمه وإرادته وقدرته.

فائدة

بمناسبة الكلام عن التواضع قال ابن عباد : وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : لا يتواضع العبد لله حتى يعرف نفسه، وقال أبو يزيد رضي الله عنه : ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر، قيل : فمتى يكون متواضعاً؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً، وتواضع كل أحد على قدر معرفته بربه وبنفسه. وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه : لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي ما قدروا عليه، وقال أبو يونس بن عبيد الله رضي الله عنه وقد انصرف من عرفات : لم أشك في الرحمة لولا أني كنت فيهم، وقيل لمحمد بن مقاتل : ادع الله لنا، فبكى وقال : يا ليتني لم أكن أنا سبب هلاككم، ومن علامات التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب إذا عيب أو انتقص، ولا يكره أن يذم ويقذف بالكبائر، ومن علامات تحققه به أيضاً أن يشتد حرصه على أن لا يكون له جاه وقدر عند الناس، ويلتزم الصدق في حاله بأن لا يرى لنفسه موضعاً في

قلوبهم، وقد تقدم هذا المعنى عند قوله : (ادفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه).

وقال الشرقاوي : والحاصل أن المتواضع حقيقة هو الذي لا يثبت التواضع لنفسه، لأنه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره وذلته ومهانته ما يمنعه من ذلك، ومن كان متصفاً بهذه الصفة لو فعل من أفعال المتواضعين ما شاء لم يثبت بذلك لنفسه تواضعاً، لأنه يرى نفسه دون ما صنع من ذلك لغلبة ذلك الشهود عليه فإن أثبته لنفسه ورأى نفسه فوق ما صنع مما يقتضي وجود صفة التواضع له بزعمه فهو متكبر حقيقة، ولذا قال الشبلي : من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب، وقال : ذُلِّي (أي على المؤمنين) عطّل ذل اليهود. ومن علامة التحقق بهذا الخلق أن لا يغضب إذا عوتب أو انتقص، ولا يكره أن يذم أو يقذف بالكبائر، ولا يحرص على أن يكون له عندهم قدر وجاه، ولا يرى لنفسه موضعاً في قلوب الناس.

* * *

الفصل العاشر

المحبة وآدابها

(ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً أو يطلب منه غرضاً، فإن المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له، لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك، جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته، وسعك الكون من حيث جتمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك، الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته، ومحصور في هيكل ذاته، أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون. فإذا شهدته كانت الأكوان معك، لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية، إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك، فالنهار ليس منك إليك ولكنه وارد عليك).

المقدمة

العارف مهما تمكن في المعرفة فهو يحتاج إلى مزيد، وقد تطرأ على قلبه الطوارئ ليبقى مشدوداً إلى مقام العبودية، قائماً بآدابها، ولتأكيد هذه المعاني فقد خصص الشيخ هذا الفصل :

الشرح

المحبة هي علامة الوصول وأثره فقد قالوا : من ذاق المحبة ما فاتته حبة، ولذلك فإن على العارف أن يبقى في أجواء المحبة وإذا غابت عن قلبه جدّدها، وعليه أن يشعل في قلوب الناس أنوار المحبة فيتوجه بقلوبهم إلى الله، وللمحبة علامات منها أن يشري الإنسان نفسه لله عز وجل ﴿ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله** ﴾[1] فهذا هو المقام الأرقى ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ فمحبته أوصلتهم ألا يلحظوا إلا وجه الله ورضوانه، وهذه واقعة حال لا تنفي الاعتقاد : إننا طلاب آخرة وإننا نريد الجنة، وذلك مثل أن يغلب على المريد شهود الأشياء كلها من الله فهذا لا ينفي الاعتقاد بعالم الأسباب ومسؤولية الإنسان فكذلك هنا، فالمحب الحقيقي يستغرق في محبة مولاه حتى لم يعد له مطلب، فهو يبذل كل شيء دون أن يكون له مراد، وذلك حال في المحبة يغلب على القلب لا ينفي وجود الطلب ولا الاعتقاد أن الله هو المعطي وأن علينا أن ندعوه قال الشيخ :

(ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً أو يطلب منه غرضاً، فإن المحب من يبذل لك ليس المحب من تبذل له).

ولكي لا يظن العارف أنه إذا وصل إلى فناء أو بقاء انتهى سيره، أكد له الشيخ أن السير شيء متجدد، وأنه كلما قطع السائر شوطاً في ميدان نفسه فعليه أن يمضي

---

(١) سورة البقرة: (٢٠٧).

شوطاً آخر في ميدان نفسه، وهكذا إلى أن يلقى ربه، وأن السير ما هو إلا ذاك، أما من توهم أن السير شيء آخر فهو خاطىء قال الشيخ رحمه الله :

(لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين، لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك، ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك).

ثم ذكر ما هو الأعلام لسير المريد في ميادين النفوس فذكر طبيعة الإنسان التي يجتمع فيها ملك وملكوت، وأنه يلتقي في الإنسان جميع المكونات، وأن الإنسان ما لم يفتح له باب الاستشراق على الغيوب يبقى أسير الجسد والكون، ومن خلال ذكر هذه الأعلام فسر لنا السير إلى الله، وأنه في ميادين النفوس، فأن تخرج من أسر جسدك ومن أسر الأكوان لتستترف على عالم الغيب فهذا سير، وأن تخرج من الملك إلى الملكوت فذلك سير، وأن تتعرف على نفسك التي اجتمعت فيها المكونات فذلك سير، وكل ذلك سير في ميادين النفوس قال الشيخ :

(جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وأنك جوهرة تنطوي عليك أصداف مكوناته، وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك، الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته).

ثم أعطانا الشيخ ميزاناً نعرف به الوصول وهو أنه ما دمنا لم نشهد المكون فنحن مع الأكوان فإذا شاهدنا المكون « أن تعبد الله كأنك تراه » نكون نحن والكون في حالة شهود ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾[1] قال الشيخ :

(أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدته كانت الأكوان معك)

ولكي يعرفنا أن اجتماع الوصول مع الاتصاف بالبشرية ممكن قال :

(لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية) ثم حاول أن يكشف لنا ماهية الوصول وأنه لا حلول ولا اتحاد بتشبيه ما يحدث للسالك بإشراق شمس النهار على الأفق فهي ليست من الأفق، وهكذا شأن التجليات على القلب، فإنما هي تجليات أوصاف الذات الإلهية على هذا القلب، فتارة يستشعر القلب آثار القدرة،

---

(١) سورة الإسراء: (٤٤).

وأحياناً يستشعر تخصيص الإرادة وأحياناً يستشعر سبق العلم، وأحياناً يستشعر صفة السمع وصفة البصر، فإذا أشرقت تجليات الصفات والأسماء على القلب انمحى ليله، ولكن ذلك لا يدوم، فالأمر مرجعه لله، فكما أن النهار ليس من الإنسان إلى الإنسان بل هو من الله للإنسان فكذلك تجليات الصفات ليست من الإنسان للإنسان بل هي من الله للإنسان، هي واردات يكرم الله عز وجل بها قلوب من يشاء من عباده، وفي ذلك كله قال الشيخ : (إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك، فالنهار ليس منك إليك، ولكنه وارد عليك) فأنت أيها الإنسان مهمتك العمل بما كلّفك به ربك وعليك أن تسلم لله عز وجل وأن تطلب منه المزيد من القُرْب والقُرَب.

الخلاصة

أنه قد يتوهم العارف توهمات تنتج يأساً أو إحباطاً وذلك إذا تصور أنه قد سلب بعد ما أعطي كأن يتغير عنده حال المحبة أو استشعار آثار الصفات، لكنه إن علم أن هذه الأمور لا تدوم وعليه أن يبقى في السير أبداً، وبالتالي فهو دائماً يبذل جهداً في المحافظة على حال المحبة، وعلى حال المجاهدة، وعلى حال الاستشعار للصفات، فإنه يبقى على خير وإلى خير.

فهذا القلب أعجوبة الأعاجيب في تقلبه وفي استعداده وفي أحواله ومقاماته وتأثراته وما ينطبع به وما يؤثر فيه فهو عالم العوالم، وإن فقه القلب هو أعظم أنواع الفقه، وإن العلم بما يصلح القلب، والعلم بأنواع القلوب وكيف يعالج كل نوع منها، وكيف يصفو وكيف يصلح لأعظم أنواع العلوم، وذلك هو العلم الذي اختص به الربانيون والذي لا يتذوقه إلا المسلمون، أما الكافرون فهم في ظلمات النفوس لا ينفكون عنها ولا يخرجون منها :

﴿ **والذين كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد** ﴾[1] وفي سورة النور : ﴿ **والذين**

---

(١) سورة إبراهيم: (١٨).

كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾[1].

فوائد

بمناسبة الكلام عن السير إلى الله في هذا الفصل قال ابن عجيبة : (وذكر) ابن القسطلاني عن أحمد بن سهل رحمه الله أنه قال : أعداؤك أربعة (أولها) : الدنيا، وسلاحها لقاء الخلق وسجنها الخلوة، (الثاني) : الهوى، وسلاحه الكلام وسجنه الصمت، (الثالث) : الشيطان، وسلاحه الشبع وسجنه الجوع، (الرابع) : النفس، وسلاحها النوم وسجنها السهر.

من أسعده الله فوصله إلى شيخ التربية فهو السائر حقاً، وأما من لم يصل إليه فلا يطمع في السير أبداً ولو جمع العلوم كلها وصحب الطوائف كلها وهذا أمر ذوقي لا أقلد فيه أحداً، فقد صلينا كثيراً وصمنا كثيراً واعتزلنا كثيراً وذكرنا كثيراً وقرأنا كثيراً، والله ما عرفنا قلوبنا ولا ذقنا حلاوة المعاني حتى صحبنا الرجال أهل المعاني. فأخرجونا من التعب إلى الراحة ومن التخليط إلى الصفا ومن الإنكار إلى المعرفة.

(وقال أيضاً) في لطائف المنن : وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك من سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك من نهض بك حاله، شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك، نهض بك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال مجازياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك اهـ. والسير هنا إلى الله تعالى

(١) سورة النور: (٣٩ — ٤٠).

مجازي عبارة عن قطع العلائق والعوائق وإلا فالأمر كما قال الشيخ : (لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ولا قطيعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك).

(وقال) الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : أربعة من حازهن فهو من الصديقين المقربين، ومن حاز منهن ثلاثة فهو من أولياء الله المقربين، ومن حاز منهن اثنين فهو من الشهداء المؤمنين، ومن حاز منهن واحدة فهو من عباد الله الصالحين، (أولها) : الذكر، وبساطه العمل الصالح وثمرته النور، (الثاني) : الفكر، وبساطه الصبر وثمرته العلم، (الثالث) : الفقر، وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه، (الرابع) : الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصول إلى المحبوب.

وقال ابن عباد : وهذه الألفاظ التي عبر عنها المؤلف رحمه الله تعالى من السير والميادين والرحلة والوصلة وفي معناها السير والسلوك والذهاب والرجوع، هي عبارات استعملتها الصوفية في أمور معنوية تجوّزوا بها عن أمور حسية، ومرجع جميع ذلك كله إلى علوم ومعاملات يتصف بها العبد لا غير.

الشيخ مِنْ مِنَحِ الله وهداياه للعبد المريد الصادق إذا صدق في إرادته وبذل في مناصحة مولاه جهد استطاعته لا على ما قد يتوهمه مَنْ لا علم عنده، وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الآداب معه لما أشهده من عالي مرتبته ورفيع درجته. قال سيدي أبو مدين : الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم، الشيخ : من هذبك بأخلاقه وأدبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه، الشيخ : من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه.

* * *

الفصل الحادي عشر

أنواع السير إلى الله

(دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه. فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته، ثم يرجعهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره، والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين، وبداية السالكين نهاية المجذوبين فإن مراد السالكين شهود الأشياء لله، ومزاد المجذوبين شهود الأشياء بالله، والسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحو والمجذوبون مسلوك بهم طريق البقاء والصحو، لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في الطريق هذا في ترقية وهذا في تدلية لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت. كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك).

المقدمة

هناك نوعان من السير : سير من الأرقى إلى الأدنى وسير من الأدنى إلى الأرقى، فمن لم يعرف ذلك لا يعرف ما هو فيه، وقد يحتقر ما عليه غيره من أهل السير وذلك خطير، فاقتضى ذلك من الشيخ أن يعقد هذا الفصل.

الشرح

بعد أن بين لنا الشيخ في الفصل السابق، أن الوصول إلى الله هو الوصول إلى العلم به والمراد به العلم القلبي، بين لنا هنا أن الطريق إلى العلم به هو الآثار، فآثار الله تدل على أسمائه وأسماؤه تدل على صفاته وصفاته تدل على ذاته فمتى وجد الوصف فقد وجد الموصوف وقد عبر عن هذا بقوله :

(دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبوجود أوصافه على وجود ذاته إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه).

فهذا الكون آثار الله ومن قرأ الكون عرف فيه أسماء الله وصفاته، فقراءة الكون تدلك على أن الله متصف بالعلم والإرادة والقدرة والحكمة والإبداع والإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والوحدانية والصمدانية والأولية والبقاء والمخالفة للحوادث والسمع والبصر، فاقرأ الكون باسم الله تصل إلى الله، ولقد كان أول أمر وجه لرسول الله ﷺ ﴿ اقرأ ﴾ قال : « ما أنا بقارئ » قيل : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾[1] فهذا سير يترقى فيه الإنسان من حال إلى حال أرقى منه.

ومطايا القلوب في سيرها إلى علام الغيوب هي الأنوار، وهذه الأنوار لا يدرك

---

(١) سورة العلق: (١ ــ ٥).

قيمتها المحجوبون، وإنما يعرف قيمتها من استشرف قلبه على الملكوت والمراد هنا بالملكوت ما غاب عن العباد، فمن استشرف قلبه على معاني الغيب أدرك قيمة الأنوار القلبية وإلا فهو محجوب عن معرفة قيمتها، فقيمة أنوار الشمس إنما تعرف في عالم الملك وهو هذا العالم الظاهر، وقيمة الأنوار القلبية إنما تعرف في عالم الملكوت وهو عالم الغيب، ولذلك فلا عجب إذا جهل المحجوبون قيمة ما عليه أهل السلوك :

(لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت، كما لا تظهر أنوار السماء إلا في شهادة الملك).

ولقد ختم هذا الفصل بهذه العبارة لما أن الجاهلين لا يرون لأهل الذكر والولاية والسير فضلا، أو أنهم يحتقرون ما هم عليه من أحوال وذلك من جهلهم بالسنة النبوية، فقد ورد في السنة :

« أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون » أخرجه الحاكم وأحمد وضعفه بعضهم وقواه آخرون، وقال عليه الصلاة والسلام : « سبق المفردون، قالوا : وما المفردون يا رسول الله؟ قال : المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » قال الترمذي المفردون، قالوا : وما المفردون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات »، والمستهتر في اللغة : هو المستغرق بسبب الحب والإقبال على الشيء.

فائدة :

ـــ بمناسبة الكلام عن كون الإنسان بين الملك والملكوت بما اجتمع له من جسم وروح قال ابن عباد : خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وأتم تسويته وتعديله وجعل بنيته متضمنة أسرار جميع الموجودات علويها وسفليها، لطيفها وكثيفها، فصار لذلك روحانياً جسمانياً أرضياً سماوياً ولذلك يقال له : العالم الأصغر وهذا هو الذي يظهر لي في معنى جعله في العالم المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت وعالم الشهادة، وعالم الملكوت هو عالم الغيب.

* * *

الفصل الثاني عشر

مراتب الذكر والفكر

(وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً، كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك، قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم، وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم، وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك، ذاكر ذكر ليستنير قلبه فكان ذاكراً وذاكر استنار قلبه فكان ذاكراً والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي، ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر أشهدك من قبل أن استشهدك فتعلقت بإلهيته الظواهر، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر. أكرمك ثلاث كرامات : جعلك ذاكراً له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك، وجعلك مذكوراً عنده ليتم نعمته عليك، رُبّ عُمْرٍ اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده. من بورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة. الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه، وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه. الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار. الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له، الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار).

المقدمة

لما كانت البداية والوسط والنهاية في السير إلى الله هي الذكر والفكر، فقد ختم الشيخ الحِكم بالتذكير في الذكر والفكر ومراتب الذكر والفكر وهذا مضمون هذا الفصل وهو مسك الختام.

الشرح

يختم الشيخ ابن عطاء الحكم بهذا الفصل وفيه تذكير بأمهات الأمور التي تلزم السالك، فمن أوائل ما يلزم السالك أن يعرفه أن الطريق إلى الله هو في طاعته وترك معصيته، وأن أدبه في الطاعة أن يراها من فضل الله عليه لا أن ينسبها إلى ذاته فيقع في العجب والغرور والكبر، وألا يرى أنه بطاعته يدخل الجنة وبالتالي ألا يطلب على الطاعة عوضاً، فأدبه أن يسيء الظن بنفسه أبداً فيخشى أن تكون أعماله مدخولة :

﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾[1] ومع هذا فإنه لا عمل صالحاً إلا وله ثمراته العاجلة والآجلة، والثمرة العاجلة بشارة بالثمرة الآجلة، ومع هذا فأدب العارف ألا يعتد بعمله فيرى أنه يستحق عليه مكافأة، قال الشيخ :

(وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك).

وثمرات الطاعات التي يفرح بها المريد هي ما تخلفه في قلبه من معارف وأنوار، وما تحدثه في قلبه من صلاح وما يترتب عليها من نفع لخلق الله، ومن أهم الطاعات التي يلازمها السالك الذكر، فليس كالذكر في كثرة البركات والآثار

(١) سورة المؤمنون: (٦٠).

والأنوار ومن الذكر الصلوات وتلاوة القرآن، والناس بالنسبة للأذكار على أنواع :
فنوع يراقبون الله قبل بدء الذكر ثم يذكرون، فهؤلاء تسبق أنوارهم أذكارهم،
وناس يبدأون الذكر ثم يستشعرون صفات الله، فهؤلاء تسبق أذكارهم أنوارهم،
وناس لا أذكار ولا أنوار لهم وهذا حال أهل الغفلة نعوذ بالله من ذلك، وعلى ما
مر فإن أهل الذكر ثلاثة أنواع :

نوع يذكر ليستنير قلبه، ونوع استنار قلبه فهو يذكر ليزداد نوراً، ونوع يذكرون ليحافظوا على أنوار قلوبهم فهم العارفون الذين وصلوا فهؤلاء أهل القدوة والتسليك والإرشاد وقد عبر عن ذلك بقوله :

(قوم تسبق أنوارهم أذكارهم، وقوم تسبق أذكارهم وقوم تتساوى أذكارهم وأنوارهم وقوم لا أذكار ولا أنوار نعوذ بالله من ذلك، ذاكر ذكر ليستنير قلبه فكان ذاكراً، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا، والذي استوت أذكاره وأنواره فبذكره يهتدي وبنوره يقتدي).

ثم تابع الكلام عن الذكر لأهميته في السير إلى الله عز وجل فكثيرون من الذاكرين لا يحسون بآثار الذكر فييأسون أو يتركون، فنبه الشيخ على أنه متى وجد ذكر فتلك علامة على الخير، وتلك علامة على أن في القلب نوع شهود وبقية من فطرة صالحة، وهذا وحده كاف فكيف إذا كان المريد يرجو المزيد، إن مجرد الذكر علامة على أن ظاهرك معترف بألوهيته، وباطنك معترف له بالعبودية، فأنت بذلك مشاهد ولو لم تشاهد (ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر أشهدك من قبل أن استشهدك فتعلقت بإلهيته الظواهر وتحققت بأحديته القلوب والسرائر)

ثم إن مجرد الذكر فيه ثلاث كرامات :

الكرامة الأولى : إن لله فيك عناية وبذلك أنطقك الذكر.

الكرامة الثانية : أنك بالذكر تنسب للمذكور فيقال : ذاكر لله ولا شيء أعظم من هذه النسبة.

الكرامة الثالثة : أنك تتحقق بسبب الذكر بقوله تعالى في الحديث القدسي :
« ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » أخرجه الشيخان والترمذي.

وقد عبر عن هذا كله بقوله :

(أكرمك ثلاث كرامات جعلك ذاكراً له ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكوراً عنده ليتم نعمته عليك).

ومن أهم آداب المريد أن ينطلق بمنتهى الجد حيث ما هبت عليه رياح الإرادة فقد تأتي رياح الإرادة وهو في سن متقدمة أو مبكرة فمهما صدق لحق وسبق وقد قالوا : (الطريق لمن صدق) فالحسرة على من طال عمره ولا سير له ولا مدد والبركة في من كثرت إمدادات قلبه ولو قل عمره :

(رب عمر اتسعت آماده وقلت أمداده، ورب عمر قليلة آماده كثيرة أمداده من بورك في عمره أدرك في يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة).

وإذا كان كل الناس مؤاخذين بعدم الإقبال عليه ومتحسرين على ما يفوتهم من طاعته وذكره :

« ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا من مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة » لأبي داود.

وإذا كان أولى الناس بالمؤاخذة والحسرة من أعطاه الله عز وجل فراغاً أو خفف حمله ثم لم يرحل إلى الله بالسير الجاد قال الشيخ :

(الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه).

وإذ كانت وسيلة السير والرحيل إلى الله الفكرة مع الذكر، وإذ كانت محصلة السير هي الفكرة فقد بين الشيخ أهمية الفكرة في السير والوصول ليجتمع لك فكر وذكر :

﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: (١٩١)

فالفكر والذكر بهما يطير القلب إلى الحضرة الإلهية، وإذا كان الشيخ قد ركز فيما مر على الذكر فإنه يختم حكمه بالتركيز على الفكرة.

فالانتقال من عالم الأغيار إلى التوحيد إنما يتم بالفكرة، وبقدر ما تكون الفكرة موجودة مع الذكر فإن القلب يستنير بدلك دأب أهل التسليك على أن يجعلوا للمريد فكراً وذكراً فهم يأمرون بالذكر ويعلقون السالك أثناء الذكر بفكرة ترقيه، والفكرة التي ترقي الإنسان على نوعين : إما فكرة تحقيق للإيمان والتصديق، وإما فكرة تنقل القلب إلى شهود ومراقبة، فالفكرة الأولى لأصحاب التأمل والفكرة الثانية للراغبين في الوصول، والفكرتان لا بد منهما لطالب الكمال وعلى الربانيين أن يلحظوهما :

(الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار، الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له الفكرة فكرتان : فكرة تصديق وإيمان، وفكرة شهود وعيان، فالأولى لأرباب الاعتبار، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار).

وبذلك ختم الشيخ حكمه بالتأكيد على الذكر والفكر على يد من يصلح للهداية والاقتداء وهم الصادقون قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ [1].

﴿ واتبع سبيل من أناب إليّ ﴾[2].

فمن اجتمع له ذكر وفكر على يدي صادق منيب وارث نبوة علماً وعملاً وحالاً مأذون بالإرشاد فهو المرجو أن يصل إلى مقام الصديقية وبداية ذلك الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم ﴾[3].

فالسير نحو الصديقية والربانية خلاصته ذكر وعلم وانتساب للربانيين.

---

(١) سورة التوبة: (١١٩).

(٢) سورة لقمان: (١٥).

(٣) سورة الحديد: (١٩).

فوائد :

١ ــ بمناسبة الكلام عن سبقية الأذكار للأنوار أو العكس قال ابن عباد : سبقية الأذكار للأنوار هو حال المريدين السالكين وذلك لأن شأنهم المجاهدة والمكابدة فهم يأتون بالأذكار في حال تكلف منهم وتعمل ليحصل لهم بذلك زوائد الأنوار، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[1] وسبقية الأنوار للأذكار هو حال المريدين المجذوبين لأنهم مقاومون في السهولة والخفة فهم لما وجهوا بالأنوار حصلت منهم الأذكار بلا تكلف ولا تعمل، قال في لطائف المنن حاكياً عن شيخه أبي العباس المرسي وقال رضي الله تعالى عنه : الناس على قسمين : قوم وصلوا بكرامة الله تعالى إلى طاعة الله وقوم وصلوا بطاعة الله إلى كرامة الله، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب** ﴾[2] قال : ومعنى كلام الشيخ هذا أن من الناس من حرك الله همته لطلب الوصول إليه فسار يطوي مهامه نفسه وبيداء طبعه إلى أن وصل إلى حضرة ربه يصدق على هذا قوله سبحانه : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾[3] ومن الناس من فاجأته عناية الله تعالى من غير طلب ولا استعداد ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾[4] فالأول حال السالكين والثاني حال المجذوبين فمن كان مبدؤه المعاملة فنهايته المواصلة ومن كان مبدؤه المواصلة رد إلى وجود المعاملة.

٢ ــ بمناسبة قوله : (أشهدك قبل أن استشهدك)، قال الشيخ الشرقاوي : (أشهدك) أي تجلي لقلبك فشهدته على حسب قدرك (من قبل أن يستشهدك) أي يطلب منك أن تشهد بعظمته وجلاله بذكرك وعبادتك، فإن الذكر والعبادة شهادة منك بعظمة المعبود والمذكور واعتراف بوحدانيته (فنطقت بإلهيته) أي بما يدل على ألوهيته (الظواهر) أي الجوارح الظاهرة، وهذا راجع للثاني وهو الاستشهاد وقوله (وتحققت بأحديته القلوب والسرائر) راجع للأول وهو الإشهاد، ويحتمل أن معنى ذلك : أن الله تعالى كشف للأرواح في عالم الغيب عن ألوهيته

---

(١) سورة العنكبوت: (٦٩).
(٢) سورة الشورى: (١٣).
(٣) سورة العنكبوت: (٦٩).
(٤) سورة آل عمران: (٧٤).

وأحدية ذاته وإحاطة قيوميته، ثم لما أظهرها في عالم الشهادة بأن ركبها في الأجسام طلب منها على لسان الأنبياء الشهادة له بالألوهية فشهدت بلسان حالها ومقالها فكانت الشهادة منها لما استشهدت تبعاً لشهودها لما أشهدت فقوله : (أشهدك) أي : في عالم الأرواح وقوله : (من قبل أن يستشهدك) أي : يطلب منك الشهادة بعد أن ركبها في الأجسام فنطقت بألوهيته الظواهر أي الجوارح الظاهرة نطقاً حقيقياً في اللسان وحالياً في غيره.

٣ ــ وبمناسبة قول الشيخ عما يكرم به الله الذاكرين : (أكرمك ثلاث كرامات) قال ابن عباد : (أكرمك) أيها العبد الذي أشهدك مولاك ثم استشهدك فذكرته بلسانك وعبادتك ووجدته بقلبك وسرك (بكرامات ثلاث) جمع لك بها كل المفاخر والمحامد، الأولى أنه (جعلك ذاكرا له) بلسانك وعبادتك الظاهرية والباطنية (ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك) لأنك مجبول على النقص والكسل والفتور، فحصول ذلك منة وفضل عليك، ومن أين أنت حتى تكون محلاً لذكره وموضعاً لطاعته والتعلق به. (و) الثانية أنه (جعلك مذكورا به) بأن يقول هذا ولي الله وصفيه ومختاره وذاكره (إذ حقق) أي أثبت (نسبته) أي خصوصيته (لديك) وهي ما أظهره عليك من أنوار الذكر التي استنار بها ظاهرك وباطنك، فتحقق الخصوصية لديك سبب في ذكرك به أي انتسابك له، ومن كانت له أدنى نسبة عند ملك من ملوك الدنيا تراه يصونها ويحفظها ويفرح بها ويجد في نفسه انبساطاً عند تذكرها، فكيف بهذه النسبة العظيمة التي صرت تذكر بها في الملأ الأعلى وعند المؤمنين إلى آخر الدهر، فإن من مات من العلماء والصالحين الذين كثر ذكرهم لله تعالى يبقى الثناء عليهم ولا ينقطع ذكره والدعاء له، ومن مات من غيرهم مات ذكره معه، ويحتمل أن قوله إذ حقق في قوة التفريغ على ما قبله والمعنى : جعلك مذكوراً به فحقق نسبته لديك أي : انتسابك له فيكون ذكرك به تحقيقا لنسبتك له (و) الثالثة أنه (جعلك مذكوراً عنده) لحديث « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من مَلَئه » (فتمم نعمته عليك) بذكرك عنده قال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾[1] قيل معناها : ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله.

---

(١) سورة العنكبوت: (٤٥).

٤ ـــ بمناسبة قول الشيخ : (الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل، ثم لا تتوجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه) قال الشيخ الشرقاوي : (الخذلان) هو عدم التوفيق والمعونة (كل الخذلان) أي الخذلان التام (أن تتفرغ من الشواغل) الدنيوية بأن يكون عندك ما يكفيك من الدنيا، ثم لا تتوجه إليه بالاشتغال بما يقرب من حضرته العلية (وتقل عوائقك) التي تمنعك من الاشتغال بما يقرب من مولاك بأن يكون عندك ما يكفيك من القوت ولو مع الضيق، (ثم لا ترحل إليه) بالاشتغال بما يقرب منه فهو بمعنى ما قبله، ومقتضاه : أن من لم يكن عنده ما يكفيه من الدنيا وكان يحتاج إلى التكسب فاشتغل به ولم يتوجه إلى الله ولم يرحل إليه ليس عنده كل الخذلان، بل بعضه وهو كذلك لأن التوجه إلى الله والرحلة إليه مطلوبة من كافة الخلق ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[1] فالواجب على كل أحد أن يرمي بالعوائق والشواغل خلف ظهره ويقبل على مولاه، وقد قيل : سيروا إلى الله عرجاً ومكاسير ولا تنتظروا الصحة فإن انتظار الصحة بطالة وقال تعالى : ﴿ **انفروا خفافاً وثقالاً** ﴾[2].

٥ ـــ بمناسبة الكلام عن أهمية الفكرة في السير إلى الله ونوعيتها قال ابن عباد : الفكرة التي ألزمها العبد وحض عليها هي سير القلب في ميادين الأغيار فقط، وهي مخلوقات الله تعالى ومصنوعاته، وأما الفكرة في ذات الله تعالى فلا سبيل إليها يعتبر المتفكرون في آياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته.

وقال الشيخ الشرقاوي : (الفكرة سراج القلب) أي كالسراج الحسي أي المصباح الذي يضيء فيه فيستنير به، وبالنور تنجلي حقائق الأمور فيظهر به الحق حقاً والباطل باطلاً فيعرف به عظمته تعالى وجلاله ويطلع على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف وجوه الحيل في التحرز عنها إلى غير ذلك (وإذا ذهبت فلا إضاءة له) فالقلب الخالي عن الفكرة خال من النور كالبيت المظلم، ولا يكون في القلب المظلم إلا الجهل والغرور وبهذا ختمت حكم ابن عطاء.

---

(١) سورة الداريات: (٥٦).

(٢) سورة التوبة: (٤١).

وصيتي لك أيها المحب

أولاً : أن تحضر حلقات العلم والوعظ، ابحث عنها ووازن بينها، فأعط الأولوية حيث تكون الفائدة أكبر وأكثر، ولا تلتزم مع أحد بعهد أو عقد أو التزام إلا مع الله باتباع كتابه وسنة رسوله ﷺ والسير على أقوال أئمة الهدى من أئمة أهل السنة والجماعة، فالالتزام بأحد والعهد والعقد قبل تحصيلك العلم الذي تميز به ما يجوز وما لا يجوز قد يؤثمك ويحرجك.

ثانياً : أقبل على الله بالفرائض والنوافل من صلاة وزكاة وصوم وحج وتلاوة قرآن وذكر وصلاة على رسول الله ﷺ دون غلو، وبالقدر الذي لا يعطل عملاً دنيوياً، ولا يشق على النفس ولا يجعلك تقصر في الحقوق.

ثالثاً : حاول بالنسبة للأذكار وعلى قدر فراغك أن تذكر من كل منها ما يدخل في دائرة الألوف وهي : أستغفر الله، سبحان الله، والحمد لله، الله أكبر، لا إله إلا الله، اللهم صَلِّ على محمد وآله وسلم، لا حول ولا قوة إلا بالله، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام برحمتك أستغيث، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، فإني أرجو ألا تنتهي من ذلك إلا وقد تنور قلبك، وأرى لك ألا تنقطع عن الخلطة والكلام مع الناس والدعوة وأنت في ذلك، وحبذا لو فعلت سنة الاعتكاف ولكن ابق مع الناس عادياً في كلامك وإقبالك ولا تنس أن من أورادك اليومية قراءة القرآن.

رابعاً : حاول أن تخصص لك وقتاً يومياً للمطالعة الموجهة، واقرأ رسالتنا

(عقد القرن الخامس عشر) هي وأخواتها من كتابنا (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر).

خامساً : بعد أدائك الأوراد المذكورة حاول أن يكون لك مع صلاتك ورد يومي منظم أدخل فيه ما شئت من الأذكار والدعوات المأثورة، ولكن احرص على القراءة اليومية لكتاب الله والاستغفار اليومي مائة مرة، والصلاة على رسول الله ﷺ بما لا يقل عن مائة مرة، وتكرار كلمة التوحيد بصيغة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير بما لا يقل عن مائة مرة، وتكرار سبحان الله وبحمده مائة مرة، وقراءة سورة الإخلاص ثلاث مرات.

سادساً : اقرأ رسالة المأثورات للأستاذ حسن البنا وحاول الالتزام بها وداوم على ما أسماه الوظيفة الصغرى ما استطعت إلي ذلك سبيلاً.

سابعاً : ابحث عن المرشد الكامل ولا تتسرع، وزن أوضاعه وأوضاع مريديه بميزان العلم، وعلى ضوء ذلك فالتزم به، أما إذا لم تجده فعامل الشيوخ بالأدب، وإذا أردت أن تتلمذ فتتلمذ تلمذة بركة على من لم تتوافر فيه شروط المرشد الكامل، وعندئذ فأكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ.

ثامناً : حيثما وجدت خيراً تستطيعه ولا يترتب على ذلك ضرر لا تطيقه فشارك فيه على القاعدة التي سنها رسول الله ﷺ : « خذ ما تعرف ودع ما تنكر وأقبل على خاصتك ودعهم وعوامهم ».

تاسعاً : حيثما استطعت أن تنشئ حلقات علم ومجالس ذكر وحيثما استطعت الدعوة إلى الحق فلا تقصر، وكن لإخوانك معلماً وخادماً.

عاشراً : تكلم عن العلماء بالأدب وعن الأولياء بالاحترام ولا تتكلم على الحكام إلا إذا وجدت أن ذلك فريضة على ضوء العلم فقد دأب بعض الناس على محاربة العلماء والأولياء والحكام دون موازنات شرعية، ولكن لا تبخل بالنصح السري بالكتابة وغيرها على أحد من خلق الله تعالى.

حادي عشر : لا تقدم على أي عمل عام أو خاص إلا بعد أن تعرف حكم الله فيه.

هذه وصيتي لك أيها الطالب بعد أن عرضت عليك منازل الصديقين والربانيين، والله يتولانا جميعاً.

أما الربانيون فوصيتي إليهم مجموعة في كتابي (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر)، فما ورد في ذلك الكتاب يعتبر ــ في اجتهادي ــ مهماتهم الرئيسية، وإن كان لا بد من مزيد من التأكيد على شيء فإنني أؤكد على الذكر والخدمة بالنسبة لهم وبالنسبة لمن حولهم، فالذكر زادهم الأول في السير إلى الله، والخدمة زادهم الإضافي في السير إلى الله، وهي وسيلتهم إلى قلوب الخلق، وهاتان فقرتان عن الذكر والخدمة أختم بهما هذه الوصية مع كثرة ما مر بنا من كلام عن ذلك.

١ ــ الذكر

وهو من أركان السير في طريق الربانية، فلا ربانية بلا ذكر فالربانية وراثة لرسول الله ﷺ، وأهم جوانب الوراثة طمأنينة القلب باليقين، ولا وراثة ولا طمأنينة قلب إلا بالذكر كما ذكرنا :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[1].

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[2].

والذكر الصحيح هو الذي يؤتي ثماره في الالتزام بفرائض الإسلام وواجباته وسننه وآدابه كما يؤتى ثماره في الأريحيات والمروءات والأذواق، ويؤتي ثماره في الانتهاء عن الفحشاء والمنكر بترك المحرمات والمكروهات وخلاف الأولى وما يجانب المروءات.

---

(١) سورة الأحزاب: (٢١).

(٢) سورة الرعد: (٢٨).

﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾[1].

وأول ما يدخل في الذكر الصلاة فالصلاة ذكر وشرعت لإقامة الذكر ﴿ **وأقم الصلاة لذكري** ﴾[2].

وثاني ما يدخل في الذكر قراءة القرآن فالقرآن ذكر :

﴿ **هذا ذكر** ﴾[3]، ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[4] ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً** ﴾[5].

وثالث ما يدخل في الذكر : الدعوات والأذكار المأثورة أو المشروعة سواء في ذلك أذكار العبادات كالحج والعمرة والصوم ودعواتها، أو أذكار المناسبات والأحوال ودعواتها، أو الأذكار التي ندبنا إليها في أوقات معينة أو بشكل مطلق أو الأذكار المطلقة والدعوات.

ولإقامة الذكر فإننا نذكِّر بما يلي :

أولاً : أن يؤكد على إقامة الصلوات المفروضة والمسنونة، وأن يؤكد على الجمعة والجماعة وأذكار الصلوات، وأن يكون للمسلم التزامه من النوافل بالشكل الذي يسعه حاله وعمله، فلا تقل النوافل عن اثنتي عشرة ركعة مع الوتر ملاحظاً في ذلك السنن الرواتب وسنة الضحى وقيام الليل، فإن رزقه الله الأثنتي عشرة ركعة في السنن الرواتب فليحاول المزيد في سنة الضحى وقيام الليل، وليحرص على الاستخارة حتى تكون عادة له وليحرص على أن يؤدي صلاة التسابيح كل فترة.

ثانياً : ينبغي أن يكون للرباني ورده اليومي من تلاوة القرآن، وأن يكون له ورد حفظ إن لم يكن حافظاً، وورد مراجعة إن كان حافظاً، وينبغي أن يكون له

---

(١) سورة العنكبوت: (٤٥).
(٢) سورة طه: (١٤).
(٣) سورة ص: (٤٩).
(٤) سورة القمر: (١٥).
(٥) سورة طه: (١٢٤).

ارتباط بحلقات التلاوة والعلم والذكر، وأن يكون له ارتباط ينظم فيه أمر التلاوة والحفظ والدراسة والمراجعة لكتاب الله.

ثالثاً : أن يكون للرباني أوراده اليومية من الأذكار.

رابعاً : أن يوجد جلسة ذكر أسبوعية على أن تكون هذه الجلسة منضبطة الفقه في الصيغ المعتمدة وفي الترتيب وفي الإنشاد، إن كان موجوداً فهذه الجلسة تشحذ الهمة في متابعة الإقبال على الله.

خامساً : أن يكون له في عمره اعتكافات وخلوات يجدد فيها إيمانه ويصفي بها قلبه.

وينبغي أن ترتب هذه الأمور كلها ..

٢ ــ الخدمة

ليس هناك من مهمة في العالم أصعب من مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم يأتون دعاة للواجب، ويربون على مخالفة النفوس، وكذلك الربانيون الذين يقومون بوراثة النبوة حقاً وتظهر فيهم سياسات الأنبياء، فالرباني الحق قائم بخدمة الحق ليلَ نهار، ومن خدمته لله رب العالمين حمل الناس على دين الله، وعلى ما يصلحهم في أمر دنياهم وأخراهم نيابة عن رسول الله ﷺ، فالرباني يقوم بحق الله في العبادة، ومهمته أن يقوم بحق التعليم والتذكير والتربية والتزكية والمذاكرة، ويقوم بحق إخوانه فالمريض يعوده، والميت يتبع جنازته، والمحتاج يواسيه، والفقير يفطن لحاله، وطالب الزواج يسعى لتزويجه، وإذا جاءه طالب حاجة لباه وهو لا يقصر في خدمة بيته، وحق عياله وحقوق الخاصة والعامة إلى غير ذلك من شؤون، لا يضيق بها ذرعاً ولا يظهر على وجهه تغير بسبب القيام بها، تلك هي الحياة الكاملة وتلك هي الوراثة الكاملة.

تجد طالب علم يضيق ذرعاً بأن يذهب وقته سدى في عيادة مريض أو زيارة أخ في الله أو في مناقشة أمر يحتاجه العمل الإسلامي، ويعتبر ذلك مضيعة وقت ولهاة عن العمل الجادّ، وهذا فهم خاطئ فلقد كان رسول الله ﷺ سيد

الحريصين على العلم وعلى التعليم، ولكنه كان يقوم بكل ما تقتضيه الرعاية والعناية.

تجد عابداً متعلقاً بالعبادة يضيق صدره إذا اضطره واجب وقت لعلم يشغله عن العبادة حتى ولو كان هذا العمل قضاء حاجات أو مواساة لمسلم، ذلك فهم خاطىء للعبادة، فأي عبادة هذه التي لا يظهر عبيرها في نفع الناس ؟ لقد كان رسول الله ﷺ أعبد الناس وكان يقوم بحاجات الخلق، ويصغي لمحدثه، ولا يضع بينه وبين الناس حجاباً إلا في حالات قليلة، ولقد أثِر عنه عليه الصلاة والسلام قوله : « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته »، فإذا كان هذا في الحاجات الدنيوية فكيف بحاجات الآخرة كمذاكرة المريدين، والإجابة على أسئلتهم، ولقد كان بعض شيوخنا يعطينا إذناً مفتوحاً في أن نأتي إليه في أي ساعة من ليل أو نهار إذا احتجنا إلى شيء.

إن الخدمة مظهر من مظاهر الذلة على المؤمنين ومظهر من مظاهر الرحمة بهم والتواضع له، وكل ذلك من أخلاق الربانية ولذلك ذكرناها ههنا، قال تعالى : ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين** ﴾[1].

﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[2].

﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾[3].

* * *

---

(١) سورة المائدة: (٥٤).

(٢) سورة الفتح: (٢٩).

(٣) سورة الحجر: (٨٨).

الخاتمة

لقد رأيت أن عصرنا الخاوي قد ضعفت فيه معاني الربانية والصديقية فأحببت أن أذكر بهما، وإذ كانت الصديقية أقرب إلى أحوال القلوب فقد رأيت أن يكون التذكير بمعانيها عبر شرح حكم ابن عطاء على اعتبار أنها انصبت على التذكير بالمعاني القلبية للسائرين والواصلين والعارفين، وذلك أجمع ما يحتاجه طالب الصديقية، وقدّمت لذلك بمختارات من الحديث النبوي تناسب المقام، فطالب الصديقية يحتاج إلى أن يعرف كيف يبدأ وكيف ينتهي، ويحتاج أن يعرف آدابه أثناء السير كلما نزل منزلاً، وكيف يقطع منازل السير بقوة، ولا أعرف أن رسالة مختصرة اجتمع فيها من المعاني في هذه الشؤون كما اجتمع لحِكَم ابن عطاء، هذا مع علم رفيع وبيان عذب، وتذوق وتحقق على أن في الحكم ملتبسات حاولت توضيحها، وسبب الالتباس لا يستغرب لأن الشيخ يتحدث عن مقامات تستدعي آداباً غير آداب الناس العاديين وقديماً قالوا :

(حسنات الأبرار سيئات المقربين) فقد يكون الرجل صالحاً ويتصرف التصرف فلا ينكر عليه أو يقول الكلمة فلا تنكر عليه فإذا تصرف آخر التصرف نفسه أو قال القول نفسه فقد ينكران على الآخر إذا كان مقامه فوق ذلك، ألا ترى أن الرسول ﷺ أخذ العهد على بعض أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً، وعندما رد أبو بكر على من تهجم عليه قام رسول الله ﷺ لأن مقام أبي بكر أرقى من أن يرد عن نفسه، ألا ترى أن مقام الخليل وهو يلقى في النار ألا يسأل الله عز وجل بل اكتفى بقوله : « حسبنا الله ونعم الوكيل ».

ألا ترى أن الرجل العادي تكفيه الفتوى، بينما نجد الرسل عليهم الصلاة والسلام

ينتظرون الإذن الخاص، فهذا يونس عليه السلام عوقب لأنه فارق قومه قبل أن يؤذن له بالخروج، فالعارف بالله له آدابه إذا أقامه الله مقاماً في العمل الإسلامي والدعوة والإرشاد، والسالك له آدابه، فإذا كان الصالح لا يطالب إلا بالإيمان والعمل الصالح، فإن مريد الوراثة النبوية يلزم نفسه بالخلوات في أول أمره اقتداءً برسول الله ﷺ، وبالأعمال والاعتكافات، والسياسات النبوية في الصغيرة والكبيرة.

فمنازل الصديقين لها آدابها وهي غير آداب الصالحين، فمن كانت حدوده آداب الصالحين يستغرب ذكر بعض الآداب ومن ههنا يأتي الالتباس، وقد حاولنا أن نوضح كل موضع في الحكم يمكن أن يلتبس على القارىء.

يبقى أن قراء هذا الكتاب أحد اثنين :

إنسان قرأه وله شيخ عارف عالم وارث فهذا لا يستغرب ما يمر عليه؛ لأنه إما ذاقه أو أنه يستشرف عليه، وإنسان ليس له شيخ عارف وارث فهذا قد يتذوق وقد لا يتذوق وهو بين أمرين :

إما أن يبحث عن رباني يتتلمذ عليه وننصحه أن يتأنى ولا يستعجل إلا إذا كان على يقين أن من تتلمذ عليه اجتمع له كمال الظاهر والباطن، وكان على بصيرة، أو يقبل على الصلاة على رسول الله ﷺ فيكون ورده اليومي بالآلاف فقد قالوا : إن كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ تغني عن الشيخ المرشد الكامل إذا فقد، وقد أخذوا ذلك من قوله ﷺ لمن قال له : « اجعل صلاتي كلها عليك؟ قال : إذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك ». أخرجه أحمد في مسنده كما أخذوه من قوله جل جلاله :

﴿ **هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾[1].

فمما يصلي علينا به الله فيخرجنا من الظلمات إلى النور صلاتنا على رسول الله ﷺ « من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً ».

وليكثر من قراءة هذا الكتاب.

---

(١) سورة الأحزاب: (٤٣).

وبهذا الكتاب تصبح سلسلتنا حول التزكية والسلوك ثلاثة كتب :

١ ـــ تربيتنا الروحية.

٢ ـــ المستخلص في تزكية الأنفس.

٣ ـــ مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.

وهذه الكتب الثلاثة من أهم ما ينبغي أن يعتني بها المسلم لأن جانباً كبيراً من الإسلام لن يفهمه إلا بمثل ذلك.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الفهرس

للمؤلف

أولاً: سلسلة الأصول الثلاثة:

١ ــ الله جل جلاله.
٢ ــ الرسول ﷺ.
٣ ــ الإسلام.

ثانياً: سلسلة الأساس في المنهج:

١ ــ الأساس في التفسير.
٢ ــ الأساس في السنة وفقهها.
٣ ــ الأساس في قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص.

ثالثاً: سلسلة التربية والتزكية والسلوك:

١ ــ تربيتنا الروحية.
٢ ــ المستخلص في تزكية الأنفس.
٣ ــ مذكرات في منازل الصديقين والربانيين.

رابعاً: في فقه الدعوة والبناء والعمل الإسلامي:

١ ــ جند الله ثقافةً وأخلاقاً.
٢ ــ من أجل خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد المبارك.

٣ ــ المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين.
٤ ــ جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما.
٥ ــ في آفاق التعاليم.
٦ ــ دروس في العمل الإسلامي المعاصر.
٧ ــ فصول في الإمرة والأمير.
٨ ــ رسائل: (كي لا نمضي بعيداً عن احتياجات العصر) وهي إحدى عشرة رسالة:
أ ــ منطلقات إسلامية لحضارة عالمية جديدة.
ب ــ فلنتذكر في عصرنا ثلاثاً. فروض العين وفروض الكفاية ولمن تدفع صدقتك.
جـ ــ أخلاقيات وسلوكيات تتأكد في القرن الخامس عشر الهجري.
د ــ إحياء الربانية.
هـ ــ الإجابات.
و ــ السيرة بلغة الحب والشعر.
ز ــ عقد القرن الخامس عشر الهجري.
حـ ــ الخمينية: شذوذ في العقائد وشذوذ في المواقف.
ط ــ إحازة تخصص الدعاة.
ي ــ قوانين البيت المسلم.
ك ــ غذاء العبودية.
٩ ــ هذه تجربتي وهذه شهادتي.
١٠ ــ جند الله تخطيطاً.








0414560